المناعة الفكرية
في مواجهة المخاطر المعلوماتية
في الفضاء الرقمي

دراسة وصفية تحليلية ميدانية على عينة من مستخدمي
الإنترنت في مصر وعدد من الدول العربية



اعداد الباحث:
أحمد هلال

المناعة الفكرية في مواجهة المخاطر المعلوماتية في الفضاء الرقمي

دراسة وصفية تحليلية ميدانية على عينة من مستخدمي الإنترنت في مصر وعدد من الدول العربية

إعداد: أحمد هلال

باحث مستقل، حقوقي وكاتب مصري

البريد الإلكتروني: helalmisirgp@gmail.com

الطبعة الأولى (إلكترونية) – 2026

المناعة الفكرية في مواجهة المخاطر المعلوماتية في الفضاء الرقمي

دراسة وصفية تحليلية ميدانية على عينة من مستخدمي الإنترنت في مصر وعدد من الدول العربية

تأليف: أحمد هلال

الطبعة الأولى (إلكترونية)، 2026

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف © 2026

الرقم الدولي المعياري للكتاب (ISBN): .....

يُسمح بالاقتباس من هذا الكتاب لأغراض البحث العلمي مع الإشارة إلى المصدر. والآراء الواردة فيه تعبّر عن مؤلفه.

للتواصل: helalmisirgp@gmail.com

فهرس المحتويات

الإهداء 6
الشكر والتقدير 6
تقديم 8
المقدمة 9
الملخص 12
الإطار العام للدراسة 14
تمهيد 14
الفصل الأول: المخاطر المعلوماتية المستجدة في الفضاء الرقمي 35
تمهيد 35
المبحث الأول: مفهوم الفضاء الرقمي وخصائصه 35
المبحث الثاني: سيكولوجية الفضاء الرقمي وتأثيرها في الدماغ البشري 38
المبحث الثالث: فيض المعلومات واقتصاد الانتباه 41
المبحث الرابع: استراتيجيات وأدوات التضليل المعرفي المنظم 44
المبحث الخامس: تشكيل الوعي الجمعي المضطرب لدى الشباب 47
المبحث السادس: الأمن الفكري والمناعة الرقمية 49
المبحث السابع: دور المؤسسات في تعزيز المناعة الفكرية الرقمية 51
المبحث الثامن: التحديات المستقبلية في الفضاء الرقمي 53
خلاصة الفصل الأول 54
الفصل الثاني: المناعة الفكرية في التراث الحضاري الإسلامي والإنساني 56
تمهيد 56
المبحث الأول: التأصيل المفهومي وبناء المصطلح 57
المبحث الثاني: المناعة الفكرية في التراث الإسلامي 60
المبحث الثالث: المناعة في الفكر الفلسفي الإنساني 64
المبحث الرابع: الأبعاد السياسية والاقتصادية للمناعة 68
المبحث الخامس: العقل المسدد والتكامل الائتماني 72
خلاصة الفصل الثاني 73
الفصل الثالث: نتائج الدراسة الميدانية 75
تمهيد 75
المبحث الأول: إجراءات التحليل وخصائص العينة 75
المبحث الثاني: الإحصاءات الوصفية لمحاور الأداة 76
المبحث الثالث: العلاقة بين إدراك المخاطر والسلوك الوقائي 79
المبحث الرابع: الفروق وفق المتغيرات الديموغرافية 80
المبحث الخامس: هل يُضعف التعليم أثر ساعات الاستخدام؟ 82
خلاصة الفصل الثالث 82
الفصل الرابع: مناقشة نتائج الدراسة 83
تمهيد 83
المبحث الأول: فجوة الوعي والممارسة 83
المبحث الثاني: الآثار غير المحسوسة للبيئة المعلوماتية 85
المبحث الثالث: التعليم والتعرض الرقمي – اختبار فرضية «اللقاح المعرفي» 87
المبحث الرابع: الفروق بين الأجيال الرقمية 89
المبحث الخامس: الفروق الجغرافية في الوعي الرقمي 90
خلاصة الفصل الرابع 91
الفصل الخامس: الآثار السلبية لغياب المناعة الفكرية 93

تمهيد 93
المبحث الأول: الآثار المعرفية والاضطراب الذهني 94
المبحث الثاني: الآثار النفسية والسلوكية 98
المبحث الثالث: الآثار الاجتماعية والحضارية 101
المبحث الرابع: الأثر على الوعي وهندسة الهوية 104
خلاصة الفصل الخامس 107
الفصل السادس: العلاقات الاقتصادية السياسية للمخاطر المعلوماتية 109
تمهيد 109
المبحث الأول: كيف تحولت المعرفة إلى سلعة 110
المبحث الثاني: هندسة الهوية الرقمية 115
المبحث الثالث: رؤية المقاومة الحضارية 121
خلاصة الفصل السادس 125
الفصل السابع: النموذج العلاجي لتعزيز المناعة الفكرية 126
تمهيد 126
المبحث الأول: البناء الوقائي للمناعة الفكرية بين التأصيل التعليمي والتنشئة الرقمية المبكرة 127
المبحث الثاني: محور المواجهة، وأدوات النقد والاشتباك 132
المبحث الثالث: محور البناء، وصناعة البديل الحضاري 135
خلاصة الفصل السابع 140
الفصل الثامن: نماذج ناجحة في تعزيز المناعة الفكرية 142
تمهيد 142
المبحث الأول: النموذج الفنلندي – التربية الإعلامية كثقافة وطنية 143
المبحث الثاني: النموذج السنغافوري 145
المبحث الثالث: التجربة القطرية – الأصالة والمعاصرة 148
المبحث الرابع: الدروس المستفادة وعوامل النجاح 151
خلاصة الفصل الثامن 154
الفصل التاسع: قياس فاعلية المناعة الفكرية وأدوات التقييم 156
تمهيد 156
المبحث الأول: اختبار المناعة الفكرية واختبار الاستجابة النقدية 157
المبحث الثاني: استبيان الوعي الخوارزمي (Algorithmic Awareness) 160
المبحث الثالث: تحليل المحتوى المنتج والمشاعر الرقمية 162
المبحث الرابع: المؤشر الوطني للمناعة الفكرية والمركز القطري للقياس المناعي 165
خلاصة الفصل التاسع 167
الخاتمة العامة للدراسة 169
أولًا: خلاصة النتائج الرئيسة 169
ثانيا: الإسهامات العلمية للدراسة 169
ثالثًا: التوصيات 170
قائمة المراجع 173
الملاحق 181
الملحق الأول: أداة الدراسة (الاستبيان) 181
الملحق الثاني: قائمة المحكّمين 184
الملحق الثالث: الجداول الإحصائية التفصيلية 184

الإهداء

إلى من علّموني أنّ الكلمة أمانة، والعلم مسؤولية، والإنسان غاية...

إلى والديّ الكريمين، اللذين كانا حاضني الفكر، ومعيني الخُطى، ومصدري الإلهام في كـل محطـة من محطات العمر، رحمهما الله.

إلى رفيقة دربي، التي شاركتني حياةً ممتدة فيها الأحلام والتعب، وكانت خير رفيق في رحلة البحث عن الحقيقة في زمنٍ ممتدٍّ بين المعلومات الهادئة والسيولة الرقمية.

إلى كل من آمن بي ودعمني، وإلى كل من يسعى لبناء وعٍي أفضل لشباب أمتنا.

أُهدي هذا الجهد المتواضع، راجيًا من الله أن يكون صدقةً علمية جارية، وأن ينفع به العلم والإنسـان، وأن يكون سهمًا في بناء حصنٍ منيع للوعي العربي في الفضاء الرقمي.

الشكر والتقدير

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد،

فإن إتمام هذه الدراسة لم يكن ثمرة جهد فردي، بل كان نتاج دعم متواصـل، وتوجيـه دقيـق، ورعايـة كريمة من أيادٍ بيضاء لا يمكن أن تمر دون وقفة تقدير وامتنان. فلكل من كان له دور في إخراج هـذا العمل إلى النور أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان، راجيًا من الله أن يجزيهم خير الجزاء، وأن يبارك في جهودهم وينفع بها.

أولًا: إلى مشرف الرسالة..

الذي كان، وما زال، نموذجًا يُحتذى به في الأمانة العلمية، والدقة المنهجية، والتواضع الجم. فقد تحلّى بحلم العلماء، وصبر الأكاديميين، وحرص المربين، فكان خير معين، وأصدق ناصح، وأمثل قدوة. لقد بذل من وقته وجهده الكثير، متجاوزًا الواجب، يساند في كل خطوة، ويسدد بالرأي، ويصحح بالمنطق، ويرفع المعنويات بالكلمة الطيبة. وهذا العمل، في صورته النهائية، ثمرة توجيهاته السديدة، ومتابعته الدقيقة، وصبره الجميل على أسئلتي واستفساراتي. جزاه الله عني خير الجزاء، ونفع بعلمـه، وأدام عليـه نعمـة العطاء.

ثانيا: إلى الأساتذة المحكّمين الخمسة، أصحاب الخبرة والاختصاص في مجال الإعلام..

الذين تفضلوا بقبول تحكيم أداة الدراسـة (الاسـتبيان)، وأسـدوا إليّ من الملاحظـات العلميـة الدقيقـة والتوجيهات المنهجية القيّمة ما كان له الأثر الكبير في تطوير الأداة وتجويدها، وإخراجها بالصورة التي تليق بهذا البحث. لقد قرؤوا فقرات الاستبيان بعين الخبير، ونقّبوها بأسلوب الناقـد، وصـوّبوها بـروح المعلم، وأضـافوا إليهـا من خـبراتهم الواسـعة الممتـدة لعقـود في حقـل الإعلام والاتصـال. وهم على الترتيب:

الدكتور محمد الأمين – جامعة قطر.

الدكتور سليمان صالح – جامعة القاهرة.

الدكتور أيمن خالد – العراق.

الدكتور سعد جبر – جامعة باشن، الجزائر.

الدكتور عبد الله عدوي – فلسطين – أكاديمية الإمام مالك، إسطنبول.

فجزاهم الله عني كل خير، ونفع بعلمهم، وبارك في جهدهم، وجعل ما قدموه في ميزان حسناتهم.

ثالثًا: إلى المشاركين في عينة الاستبيان..

من الشباب العربي في مختلف الدول، الذين كان لهم الفضل الأكبر في إنجاح الجانب الميداني لهذه الدراسة، بتجاوبهم الصادق، وصبرهم الجميل على فقرات الاستبيان، وتفاعلهم الجاد الـذي لم يبخلـوا

فيه بوقتهم ولا بآرائهم. لقد شكّلت استجاباتهم الركيزة الأساسية التي قامت عليها النتائج. لهم مني كل الشكر والعرفان، وأسأل الله أن يبارك في حياتهم، وأن يجعل هذا العمل صدقة جارية عنهم وعن شباب أمتنا.

رابعا: إلى اللجنة العلمية المشرفة على مسابقة قطر لحوار الحضارات..

الذين شرّفوني بالمشاركة في هذه المسابقة الدولية المرموقة، التي كانت منصة علمية متميزة أتاحت لي فرصة ثمينة لتقديم هذه الدراسة، والتفاعل مع نخبة من الباحثين والمفكرين من مختلف أنحاء العالم. فقد كانت توجيهاتهم السديدة، وملاحظاتهم البناءة، ودعمهم المعنوي، عوامل أساسية في تطوير هذا العمل. كما كانت ثقتهم بي دافعًا قويًا للمضي قدمًا في طريق البحث العلمي. أشكرهم من أعماق قلبي على كل ما قدموه، وأسأل الله أن يبارك في جهودهم، وأن يجعل هذه المسابقة نورًا يضيء دروب الباحثين الشباب في كل مكان.

خامسا وأخيرا: إلى دولة قطر..

حكومةً وشعبًا، الراعية الكريمة لهذا الحدث المبارك، والمحتضنة الأمينة لكل ما من شأنه النهوض بالعلم والمعرفة والحوار الإنساني. فقد آمنت قطر بدور الشباب في صناعة المستقبل، وفتحت ذراعيها لكل باحث طموح يسعى إلى الإبداع، ووفرت البيئة الخصبة للتميز الأكاديمي والإنساني. وفي رحابها، وتحت مظلتها، وبفضل دعمها وكرمها الذي لا ينضب، تشكلت هذه الرسالة وازدهرت. لقد كانت قطر عنوانًا للتسامح، ومنارة للعلم، وجسرًا للحوار بين الحضارات. أسأل الله أن يحفظ قطر وقيادتها وشعبها، وأن يجعل هذا العمل المتواضع إسهامًا في تحقيق رؤيتها الحضارية، وبناء جسور التفاهم والتعايش بين الأمم والشعوب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، الذي وفقنا وأعاننا وأتم علينا النعمة. ﴿سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: 32].

تقديم

يضم هذا الكتاب دراسة وصفية تحليلية عن المناعة الفكرية لدى الشباب العربي في مواجهة المخاطر المعلوماتية في الفضاء الرقمي، تجمع بين التأصيل النظري في التراث الإسلامي والفكر الإنساني، والتشخيص الميداني الكمي لدى عينة من (166) مستخدمًا عربيًا، والنموذج العلاجي المقترح، وأدوات القياس المقترحة.

وقد أُعيد في هذه الطبعة حساب جميع النتائج الميدانية من ملف الاستجابات الأصلي، بعد مراجعة كشفت عدم اتساق عدد من الأرقام في المسودة السابقة، ورُوعي في عرضها التمييز الصريح بين ما تدعمه البيانات وما يُطرح بوصفه تفسيرًا أو فرضية. وتُعدّ العينة غير احتمالية، ومن ثم فإن نتائجها تصف المشاركين فيها ولا تُعمَّم إحصائيًا على مجتمع الشباب العربي، وإنما تُقدَّم بوصفها نتائج استكشافية تفتح الباب لبحوث لاحقة أوسع. ويعرض قسم «قيود الدراسة» في الإطار العام هذه الحدود تفصيلاً.

المقدمة

يشهد العالم اليوم تحولا تاريخيا غير مسبوق، يعيد تشكيل مفاهيم الوجود الإنساني والهوية والمعرفة والعلاقات الاجتماعية. فالثورة الرقمية، التي انطلقت مع مطلع الألفية الثالثة، لم تقتصر على تغيير أدوات الاتصال ووسائل الإنتاج، بل تجاوزت ذلك إلى إعادة تشكيل العقل الجمعي للإنسان المعاصر، وإعادة تعريف حدوده الوجودية، وتفكيك ثوابته المعرفية والأخلاقية، وصياغة رغباته وتطلعاته وفق منطق خوارزمي لا يخضع لأي مساءلة أخلاقية أو إنسانية. لقد أصبح الفضاء الرقمي بيئة وجودية حاضنة للإنسان، تتخلل كل شؤونه وتشكل وجدانه وعلاقاته وطموحاته، حتى بات من الصعب التمييز بين الواقع المادي والفضاء الافتراضي، وبين الذات الحقيقية والهوية الرقمية، وبين العلاقات الإنسانية العميقة والتفاعلات السطحية العابرة.[1]

أشار الفيلسوف الإيطالي لوتشانو فلوريدي إلى أن الإنسان المعاصر لم يعد مجرد كائن بيولوجي يعيش في عام مادي، بل أصبح كائنا معلوماتيا inforg يعيش في فضاء معلوماتي infosphere لا ينفصل عن وجوده. حيث تتداخل الحدود بين الواقعي والافتراضي، وتتشابك الهوية المادية مع البصمة الرقمية، ويتشكل الوعي الجمعي بوساطة خوارزميات لا يدرك الإنسان منطقها ولا أهدافه.[2] وهذا التحول الوجودي العميق يفرض تحديات جديدة على الفكر الإنساني، ويطرح أسئلة مصيرية حول طبيعة الإنسان في عصر الآلة، وحول إمكانية الحفاظ على الكرامة الإنسانية والسيادة الإدراكية في وجه قوى التكنولوجيا المسعورة.

تقف فئة الشباب – بوصفهم الأكثر تفاعلا واندماجا في هذا العالم الرقمي – في طليعة المتأثرين والمؤثرين بهذا التحول العميق. فهم الجيل الذي ولد مع الإنترنت، ونشأ في أحضان الهواتف الذكية، وتشكل وعيه عبر منصات التواصل الاجتماعي، وتعلم لغته وتفكيره وأنماط علاقاته من خلال المحتوى الرقمي المتدفق. لكن هذه الميزة، التي تبدو وكأنها فرصة هائلة للانفتاح على العالم واكتساب المعرفة، تحمل في طياتها مخاطر وجودية عميقة. ففي الوقت الذي أصبحت فيه المعرفة في متناول اليد بضغطة زرء أصبح التمييز بين الحقيقة والزيف، وبين العلم والدعاية، وبين الخطاب الموضوعي والإعلان المموه، أكثر صعوبة من أي وقت مضى. لقد تحولت وفرة المعلومات من نعمة إلى نقمة، وأصبح العقل البشري يواجه تحديا غير مسبوق: كيف يحافظ على سيادته المعرفية في مواجهة فيض معلوماتٍ لا يتوقف؟ وكيف يبني مناعة فكرية تحميه من التضليل المنظم والتلاعب الخوارزمي؟ وكيف يحافظ على هويته وقيمه في فضاء رقمي عابر للحدود، يعيد تعريف الإنسان وفقا لمنطق السوق والاستهلاك؟.[3]

وتتضاعف خطورة هذه الظاهرة في السياق العربي، حيث تتقاطع التحديات الرقمية مع أزمات أعمق تتعلق بالهوية الثقافية والدينية والسياسية. فالشباب العربي يعيش اليوم في مفترق طرق مصيري: من جهة, ينفتح على العام من خلال الفضاء الرقمي، ويطلع على ثقافات وقيم وأنماط حياة مختلفة؛ ومن جهة أخرى، يواجه ضغوطا مجتمعية وهوياتية تدفعه للتمسك بتراثه وقيمه الأصيلة. هذا الصراع بين الانفتاح والتمسك بالهوية، وبين الحداثة الرقمية والأصالة الثقافية، يخلق أرضا خصبة للاستقطاب والتطرف، ويجعل الشباب أكثر عرضة للتضليل والتلاعب. وقد حذر المفكر الجزائري مالك بن نبي من أن القابلية للاستعمار تبدأ من الداخل، من تفكك الوعي الجمعي وضعف المناعة الفكرية.[4] وهذه المقولة، التي صاغها بن نبي في سياق الاستعمار التقليدي، تبدو اليوم أكثر إلحاحا في سياق الاستعمار الرقمي الذي يستهدف الوعي الجمعي للشعوب العربية والإسلامية، حيث لا تستخرج الموارد الطبيعية من الأرض، بل تستخرج البيانات من سلوك البشر، وتعاد هندسة الهويات بما يخدم مصالح الشركات الكبرى والدول المهيمنة.[5]

---

[1] Floridi, L. (2014). The fourth revolution: How the infosphere is reshaping human reality. Oxford: Oxford University Press, p. 7.

[2] Floridi, The fourth revolution, p. 9.

[3] Bauman, Z. (2005). Liquid life. Cambridge: Polity Press, p. 34.

[4] مالك بن نبي. 1986 شروط النهضة (ترجمة: عبد الصبور شاهين). دمشق: دار الفكر، ط 2 ص 55 ه.

[5] Couldry, N., & Mejias, U. (2019). The costs of connection: How data is colonizing human life and appropriating it for capitalism. Stanford: Stanford University Press, p. 15.

تشير الدراسات العالمية إلى أن المخاطر المعلوماتية المستجدة أصبحت تشكل تهديدا وجوديا للديمقراطيات وا مجتمعات. فقد أظهرت دراسة فوسوغي وروي وآرال أن الأخبار الكاذبة تنتشر أسرع بست مرات من الأخبار الصحيحة، وأن الخوارزميات تفضل المحتوى العاطفي والاستقطابي على المحتوى الدقيق والهادئ، مما يعيد تشكيل الرأي العام بطرق غير ديمقراطية.[6] وقد كشفت فضيحة كامبريدج أناليتيكا 2018 كيف يمكن لبيانات ملايين المستخدمين أن تستخدم في التلاعب بالانتخابات وتوجيه السلوك السياسي، مما يهدد أسس الديمقراطية التمثيلية.[7] وف السياق العربي، تشير استبيانات المؤشر العربي إلى أن 67% من الشباب العربي يعتقدون أن وسائل الإعلام التقليدية تخفي الحقيقة أو تقدم رواية منحازة[8]. وهذه الأرقام تعكس أزمة ثقة عميقة في المؤسسات التقليدية، تجعل الشباب أكثر عرضة للانجرار وراء الروايات البديلة ونظريات المؤامرة التي تزدهر في فضاء رقمي غير خاضع للرقابة.[9]

وتتعدد مظاهر هذه المخاطر المعلوماتية نية لتشمل فيض المعلومات الهائل الذي يضعف القدرات المعرفية والنفسية، والتضليل المعرفي المنظم الذي يعبث بالوعي ويوجهه بطرق خفية ومنظمة، وهندسة المهوية الرقمية التي تعيد تشكيل الذات وفقا لمنطق الخوارزميات، واستعمار البيانات الذي يحول السلوك البشري إلى مادة خام تستخرج وتباع في أسواق التنبؤ.[10] وقد أشارت الباحثة الأمريكية شوشانا زوبوف إلى أن رأسمالية المراقبة نريد مواطنين واعين، بل تريد مستهلكين يمكن التنبق بسلوكهم وتعديله[11]. وهذا يعني أن جوهر الأزمة ليس تقنيا، بل هو أزمة وجودية وأخلاقية تتعلق بكرامة الإنسان وحريته وسيادته على وعيه.

لكن، على الرغم من تعدد الدراسات التي تناولت المخاطر الرقمية والتضليل المعلوماتي في العقد الأخير، فإنها غالبا ما ركزت على الجوانب التقنية (مثل آليات كشف التزييف العميق) أو التربوية (مفل برامج محو الأمية الإعلامية) بصورة منفصلة، دون تقديم إطار تكاملي يجمع بين الأصالة الحضارية المتمثلة في التراث الإسلامي لنقد المعلومات؛ والمعاصرة النقدية المتمثلة في تحليل اقتصاد الانتباه ورأسمالية المراقبة. كما افتقرت معظم هذه الدراسات إلى نموذج عملي متكامل للعلاج بمتد من الوقاية إلى المواجهة إلى البناء، وإلى أدوات قياس موضوعية لفاعلية المناعة الفكرية في السياق العربي.[12] لذلك، تسعى هذه الدراسة إلى سد هذه الفجوة البحثية من خلال بناء نموذج للمناعة الفكرية يجمع بين التأصيل النظري المستمد من التراث الإسلامي والفلسفي، والتطبيق العملي القابل للقياس في المجتمع القطري والخليجي والعربي بصفة عامة.

ومن هنا تنبثق الإشكالية المركزية لهذا البحث: كيف يمكن تمكين الشباب العربي من مواجهة المخاطر المعلوماتية المستجدة – فيض المعلومات، التضليل المعرفي المنظم، السيولة المعلوماتية، وهندسة الهوية الرقمية – من خلال بناء المناعة الفكرية؟ هذا السؤال يكتسب حدة خاصة في السياق القطري والخليجي، حيث تسعى رؤية قطر الوطنية 2030 إلى بناء إنسان قطري قادر على الإبداع والابتكار والمشاركة الفاعلة في بناء المجتمع[13] وهو ما يتطلب مناعة فكرية تحمي هذا الإنسان من التضليل وتمكنه من التفكير النقدي المستقل؛ الحفاظ مع على هويته العربية الإسلامية في عصر العولمة الرقمية.

---

[6] Vosoughi, S., Roy, D., & Aral, S. (2018). The spread of true and false news online. Science, 359(6380), p. 1148.

[7] Wylie, C. (2019). Mindf*ck: Cambridge Analytica and the plot to break America. New York: Random House, p. 50.

[8] Arab Center for Research and Policy Studies. (2025). Arab Opinion Index 2025. Doha: ACRPS, p. 45.

[9] Sunstein, C. R. (2017). #Republic: Divided democracy in the age of social media. Princeton: Princeton University Press, p. 34.

[10] Zuboff, S. (2019). The age of surveillance capitalism: The fight for a human future at the new frontier of power. New York: PublicAffairs, p. 86.

[11] Zuboff, The age of surveillance capitalism, p. 86.

[12] بن خليفة، فاطيمة. 2022 المناعة الفكرية لدى طلبة الجامعة – دراسة مقارنة. مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة؛ المجلد 14 العدد 2 ص 45 62

[13] الأمانة العامة للتخطيط التنموي – دولة قطر. 2008 رؤية قطر الوطنية 2030 الدوحة: الأمانة العامة للتخطيط التنموي، ص 12

وتنطلق هذه الدراسة من فرضية أساسية مفادها أن المناعة الفكرية ليست مجرد مهارة تقنية أو معرفة نظرية، بل هي منظومة وجودية متكاملة تجمع بين المهارات النقدية (كيف نتحقق)، والأخلاق (لماذا نتحقق)، والهوية (من نحن). وهي تتطلب بناء متكاملا يمند من الوقاية (بناء الأساس المنيع قبل وقوع الخطر)ء إلى المواجهة (امتلاك أدوات النقد والاشتباك عند وقوع الخطر)، إلى البناء (تحويل الشاب من مستهلك سلبي إلى منتج هادف، وهو أعلى درجات المناعة). وقد أشار بكار إلى أن التكامل بين الجوانب الوقائية والعلاجية والبنائية هو ما بميز المناعة الفكرية الحقيقية عن مجرد الوعي السطحي.[14]

وتكتسب هذه الدراسة أهميتها من عدة جوانب متكاملة: أولا، لأنها تقع عند تقاطع أربعة مسارات بالغة الحيوية – التحولات الرقمية المتسارعة، وفئة الشباب بوصفهم ر ركيزة النهضة الحضارية، والمنظور الحضاري الإسلامي، والبعد الاقتصادي السياشي للمخاطر المعلوماتية. ثانيا، لأكما تستجيب لدعوة جائزة قطر العالمية لحوار الحضارات في دورتها الخامسة 2025 2026 التي تركز على أدوار الشباب في تحقيق النهوض الحضاري وتعزيز التواصل الإنساني، وتقدم إضافة نظرية وتطبيقية في هذا المجال. ثالثا، لأنها تقدم أدوات قياس كمية ونوعية مصممة خصيصا للسياق العربي، مما يمكن صناع القرار من تتبع تقدم المناعة الفكرية وتوجيه الموارد بناء على بيانات دقيقة. رابعا، لأنها تكشف العلاقات الاقتصادية والسياسية الكامنة وراء المخاطر المعلوماتية، من خلال تحليل رأسمالية المراقبة واستعمار البيانات، ما يضع المشكلة في إطارها الاستراتيجي الصحيح.[15]

وقد اعتمدت الدراسة على منهجية متكاملة تجمع بين المنهج الوصفي التحليلي، والمنهج الاستقرائي، والمنهج النقدي، مع تطبيق استبيان ميداني على عينة متاحة من 166 مستخدمًا عربيًا، وتحليل بياناته إحصائيًا مع التحقق من ثبات محاوره (معاملات كرونباخ ألفا بين 0.69 و0.79). كما اعتمدت الدراسة في كل مبحث من مباحثها على أسلوب التثليث التحليلي Triangulation الذي يجمع بين التأصيل النظري، والتحليل الواقعي، والرؤية التطبيقية، لضمان الموضوعية والتكامل بين النظرية والتطبيق.[16]

انطلاقا من هذا المدخل، تسعى هذه الدراسة إلى تقديم رؤية متكاملة للمناعة الفكرية بجمع بين الأصالة الحضارية والمعاصرة الرقمية، وتقدم نموذجا علاجيا عمليا، وأدوات قياس موضوعية، ورؤية استراتيجية للمقاومة والتحرر من عبودية البيانات. وهي بذلك تهدف إلى أن تكون إضافة نوعية في مجال الحوار الحضاري، وتمكين الشباب العربي من مواجهة تحديات العصر الرقمي، والحفاظ على هويته وقيمه في زمن السيولة المعلوماتية زمن تتسابق فيه الخوارزميات على اختطاف الانتباه، وتتنافس فيه الإمبراطوريات الرقمية على استخراج البيانات وبيعها كسلعة؛ تظل الحاجة إلى بناء مناعة فكرية قوية ضرورة وجودية لا غنى عنها، لضمان بقاء الإنسان سيدا على عقله ووعيه في مواجهة قوى التضليل والتسليع.

---

[14] بكار، عبد الكريم. (2008). المناعة الفكرية. الرياض: مؤسسة الإسلام اليوم، ص 52

[15] Zuboff, The age of surveillance capitalism, p. 86.

[16] Creswell, J. (2014). Research design: Qualitative, quantitative, and mixed methods approaches. London: Sage, p. 56.

الملخص

تتناول هذه الدراسة تزايد المخاطر المعلوماتية التي تواجه الشباب العربي في الفضاء الرقمي، انطلاقًا من إشكالية تمكينهم من مواجهة فيض المعلومات والتضليل المعرفي المنظم والسيولة المعلوماتية من خلال بناء «المناعة الفكرية». وتهدف إلى تحليل هذه المخاطر وآثارها المعرفية والنفسية والاجتماعية، وتأصيل مفهوم المناعة الفكرية في التراث الإسلامي والفكر الإنساني، وتشخيص واقع التعرض للمخاطر والممارسات الوقائية لدى عينة من المستخدمين العرب، واقتراح نموذج علاجي لتعزيزها. واعتمدت الدراسة المناهج الوصفي التحليلي والاستقرائي والنقدي، وطبّقت استبيانًا إلكترونيًا من (38) فقرة موزعة على ستة محاور، بمقياس ليكرت الرباعي (1–4)، على عينة غير احتمالية متاحة قوامها (246) مشاركًا من دول عربية متعددة، يغلب عليها حملة الشهادات الجامعية والعليا والمقيمون في دول الخليج، وتشكل الفئة العمرية (18–35) نحو (43%) منها.

وأظهرت النتائج، وفق معيار تصنيف رباعي، أن إدراك المشاركين للمخاطر المعلوماتية (2.74 من 4) ولتسليع البيانات (2.65) جاء في المستوى المتوسط، وأن ما أبلغوا عنه من آثار سلبية (2.38) ومن تأثير المنصات في هوياتهم (2.48) جاء في المستوى المنخفض، مع وعي واضح بأن الخوارزميات توجّه المحتوى المعروض عليهم (3.25) يقابله نفيٌ لأثر ذلك في هوياتهم الشخصية. وجاء السلوك الوقائي متوسطًا (2.96)، متركزًا في التحقق من المصادر (3.43) وضعيفًا في الحماية التقنية كحجب التتبع (2.23)، وارتبط بإدراك المخاطر ارتباطًا موجبًا ضعيفًا ($r = 0.24$). وكان المشاركون من الفئة العمرية (18–35) الأقل مقاومة لتشكيل الهوية وتسليع المعرفة (2.45 مقابل 2.72–2.76 للفئات الأكبر)، في حين لم تظهر فروق دالة حسب المستوى التعليمي أو ساعات الاستخدام، ولم يُضعف التعليم العلاقة بين ساعات الاستخدام وإدراك تأثير المنصات.

وتقترح الدراسة نموذجًا علاجيًا ثلاثي الأبعاد (المثلث المناعي: الوقاية، والمواجهة، والبناء) بوصفه إطارًا نظريًا تطبيقيًا قابلاً للاختبار، وتحلل العلاقات الاقتصادية والسياسية الكامنة وراء المخاطر المعلوماتية من خلال مفاهيم تسليع المعرفة، واقتصاد الانتباه، ورأسمالية المراقبة، واستعمار البيانات، وهندسة الهوية الرقمية، وتخلص إلى أن بناء المناعة الفكرية مشروع تربوي وحضاري يستند إلى تأصيل نظري وتطبيق عملي يحتاجان إلى تقويم تجريبي.

الكلمات المفتاحية: المناعة الفكرية، المخاطر المعلوماتية، التضليل المعرفي، اقتصاد الانتباه، استعمار البيانات، الشباب العربي.

Abstract

This study addresses the growing information risks facing Arab youth in the digital space, starting from the problem of how to empower them to withstand information overload, organized cognitive disinformation, and information liquidity by building “intellectual immunity.” It aims to analyze these risks and their cognitive, psychological, and social effects; to ground the concept of intellectual immunity in Islamic heritage and humanistic thought; to describe exposure to risks and protective practices among a sample of Arab internet users; and to propose a remedial model for strengthening intellectual immunity. The study combines descriptive-analytical, inductive, and critical approaches. A 38-item online questionnaire covering six dimensions, rated on a four-point Likert scale (1–4), was administered in June 2026 to a non-probability convenience sample; 166 of 181 responses were retained for analysis. Most participants were Egyptian (67.5%), male (78.9%), and university-educated, and only 21.7% were aged 18–35.

Participants showed a moderate level of perceived information risk (M = 2.74) and data commodification (M = 2.65), and a low level of reported negative effects (M = 2.38) and perceived identity engineering (M = 2.48). They clearly recognized

that algorithms steer the content they see (M = 3.25) while largely denying that this shapes their own identity. Protective behavior was moderate (M = 2.96), concentrated in source verification and weak in technical self-protection, and it was only weakly related to risk perception (r = 0.24). Respondents aged 18–35 reported the lowest resistance to identity shaping (M = 2.45, Welch p = .009); education level and daily usage hours showed no significant differences, and education did not moderate the association between usage hours and perceived identity engineering.

The study proposes a three-dimensional remedial model, the “Immunity Triangle” (prevention, confrontation, and construction), as a testable theoretical and applied framework. It analyzes the economic and political dynamics underlying information risks through the concepts of knowledge commodification, the attention economy, surveillance capitalism, data colonialism, and digital identity engineering. It concludes that building intellectual immunity is an educational and civilizational project that rests on theoretical grounding and practical application, both of which require empirical evaluation.

Keywords: intellectual immunity, information risks, cognitive disinformation, attention economy, data colonialism, Arab youth.

الإطار العام للدراسة

تمهيد

في زمن باتت فيه التكنولوجيا الرقمية تتدفق في شرايين الحياة اليومية للشباب بوصفها فضاءً مفتوحًا لا يحتمل التباطؤ ولا التوقف، يبرز سؤال مُلِحّ حول الهوية والثبات الفكري في خضم هذا التيار الجارف. لقد غدت الثورة الرقمية حقيقة كونية لا تقبل الجدل؛ إذ لم يعد الفضاء الإلكتروني مجرد أداة أو وسيلة موسمية، بل تحول إلى بيئة وجودية حاضنة للإنسان المعاصر، تختلط بكل شؤونه وتشكّل وجدانه وعلاقاته وطموحاته. ويقف الشباب، بوصفهم الأكثر تفاعلاً واندماجًا في هذا العالم الرقمي، في طليعة المتأثرين والمؤثرين بهذا التحول العميق؛ إذ تتدفق المعلومات إليهم بلا توقف، وتتشابك الرسائل وتتناقض، ويتشكل وعيهم بوساطة خوارزميات لا يدركون منطقها ولا أهدافها[17].

لم تعد التكنولوجيا الرقمية مجرد أداة يستخدمها الإنسان ثم يتركها، بل تحولت إلى بيئة يعيش فيها؛ فالفضاء الإلكتروني لم يعد عالمًا افتراضيًا منفصلاً عن الواقع، بل أصبح جزءًا من نسيج الحياة اليومية، وقد يكون في كثير من الأحيان الواقع الأكثر حضورًا في حياة الشباب. وهؤلاء الشباب، بطبيعتهم، هم الأكثر اندماجًا في هذا الفضاء، والأكثر تأثرًا بما يحدث فيه. لهذا فإن فهم المخاطر التي تحملها هذه البيئة الرقمية يُعد واجبًا لا غنى عنه، لا سيما في سياق عربي إسلامي يواجه تحديات متعددة على صعيد الهوية والقيم والانتماء[18].

ويلحظ الناظر إلى المشهد العالمي المعاصر ظاهرة مقلقة تتمثل في تراجع الثقة في المؤسسات التقليدية: الصحافة، والجامعات، والحكومات، والمؤسسات الدينية؛ إذ تشير استطلاعات الرأي الدولية والعربية إلى تراجع ملموس في ثقة الشباب بوسائل الإعلام التقليدية خلال العقد الأخير، وإلى اتساع اعتمادهم على منصات التواصل الاجتماعي مصدرًا رئيسًا للأخبار[19]. وهذه الأزمة ليست وليدة اللحظة، بل هي نتيجة تراكمية لعقود من التضليل والتحيز، غير أن الفضاء الرقمي جعلها أكثر حدة؛ فبدلاً من أن يؤدي انتشار المعلومات إلى زيادة الوعي، أدى في حالات كثيرة إلى زيادة الارتباك، وبدلاً من أن يؤدي تعدد المصادر إلى تمكين المواطن، أدى إلى إحباطه. ففي بيئة لا يعرف فيها الفرد أي مصدر يثق به، يصبح أسيرًا لأول مصدر يقدم له إجابات بسيطة عن أسئلة معقدة[20]، وهذا ما تستغله حملات التضليل المنظمة.

وتتجاوز هذه الأزمة حدود الثقة إلى ما يمكن وصفه بأزمة معرفية أعمق؛ فعندما يفقد الإنسان الثقة في المؤسسات، قد يفقد أيضًا الثقة في إمكانية الوصول إلى حقيقة موضوعية، فيصبح كل شيء نسبيًا، وتغدو كل رواية صحيحة بقدر ما تخدم مصالح الفرد أو الجماعة[21]. ولا يمكن فصل تراجع الثقة في المؤسسات عن حملات منظمة تستهدف تقويضها؛ إذ تستثمر جهات إقليمية ودولية في نشر الشك في الجامعات ووسائل الإعلام والحكومات بهدف خلق فراغ معرفي يمكنها ملؤه برواياتها البديلة، وهو ما يصفه بعض الباحثين باستعمار الوعي أو استعمار البيانات[22].

وتُعد المخاطر المعلوماتية المستجدة في الفضاء الرقمي من أبرز التحديات التي تواجه الشباب العربي في العقد الثالث من القرن الحادي والعشرين. فقد أسهم فيض المعلومات غير المسبوق، إلى جانب التضليل المعرفي المنظم وتشكيل الوعي الجمعي المضطرب، في إضعاف قدرة الأفراد على التمييز

---

[17] Floridi, L. (2014). The fourth revolution: How the infosphere is reshaping human reality. Oxford: Oxford University Press.

[18] Castells, M. (2010). The power of identity (2nd ed.). Oxford: Wiley-Blackwell.

[19] انظر: استطلاعات مركز بيو للأبحاث (Pew Research Center) حول الثقة في وسائل الإعلام، و«المؤشر العربي» الصادر عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

[20] Aral, S. (2020). The hype machine: How social media disrupts our elections, our economy, and our health. New York: Currency.

[21] Sunstein, C. R. (2017). #Republic: Divided democracy in the age of social media. Princeton: Princeton University Press.

[22] Couldry, N., & Mejias, U. A. (2019). The costs of connection: How data is colonizing human life and appropriating it for capitalism. Stanford: Stanford University Press.

بين الحقيقة والزيف؛ وقد أظهرت دراسة واسعة على منصة تويتر أن الأخبار الكاذبة تنتشر أسرع وأوسع وأعمق من الأخبار الصحيحة[23].

وتتناول هذه الدراسة تحليل هذه المخاطر من خلال محاور متكاملة: تحليل المخاطر المعلوماتية المستجدة في الفضاء الرقمي، وتأصيل مفهوم المناعة الفكرية عبر تتبع جذوره اللغوية في معاجم اللغة العربية، وامتداداته في التراث الإسلامي من خلال مناهج التثبت والجرح والتعديل والنقد الخلدوني، وفي الفكر الفلسفي الإنساني من خلال الشك المنهجي والتنوير ونقد اقتصاد الانتباه، ثم رصد الآثار السلبية لغياب المناعة الفكرية على المستويات المعرفية والنفسية والسلوكية والاجتماعية والوجودية، وتحليل العلاقات الاقتصادية والسياسية الكامنة وراء المخاطر المعلوماتية، وأخيرًا اقتراح نموذج علاجي ثلاثي الأبعاد (الوقاية، والمواجهة، والبناء) مع أدوات عملية للمؤسسات التربوية والإعلامية والمجتمعية، ومؤشرات مقترحة لقياس الفاعلية[24].

ونظرًا لأهمية استثمار النتائج الميدانية في بناء رؤى توجيهية، خُصِّص فصل مستقل (الفصل الرابع) لقراءات تفسيرية معمقة للبيانات نفسها. وتسعى هذه القراءات إلى تجاوز العرض الإحصائي الوصفي إلى التفسير والتوجيه العملي، مع التمييز الصريح بين ما تدعمه البيانات المنشورة وما يُطرح بوصفه فرضيات تفسيرية، وإلى بناء جسر معرفي بين التشخيص الميداني (الفصل الثالث) والنموذج العلاجي المقترح (الفصل السابع).

ولم يكن التحول الرقمي في المنطقة العربية حدثًا مفاجئًا، بل جاء نتيجة لتراكمات تقنية واجتماعية واقتصادية امتدت لعقود. فإذا كان العالم قد شهد الموجة الأولى من الثورة الرقمية في تسعينيات القرن العشرين مع انتشار الحواسيب الشخصية، ثم الموجة الثانية مع ظهور شبكة الإنترنت وتوسعها في أوائل الألفية الثالثة، فإن المنطقة العربية شهدت تسارعًا غير مسبوق في هذه التحولات خلال العقدين الأخيرين. فقد ارتفعت نسبة انتشار الإنترنت في الدول العربية ارتفاعًا كبيرًا منذ مطلع الألفية، مع تباين ملحوظ بين دول الخليج التي تجاوزت نسبة الانتشار فيها (95%)، وبعض الدول العربية الأخرى التي لا تزال نسبة الانتشار فيها دون (50%)[25].

وقد انعكس هذا التباين في البنية التحتية الرقمية على أنماط استخدام الشباب العربي للفضاء الرقمي. ففي دول الخليج، حيث تتوفر شبكات الجيل الخامس والخدمات السحابية المتطورة، أصبح الشباب مندمجين في بيئات رقمية متقدمة تشمل منصات التواصل الاجتماعي، والتجارة الإلكترونية، والتعليم عن بعد، والألعاب الإلكترونية، والعمل الحر، في حين قد يقتصر استخدام الإنترنت في دول أخرى على تطبيقات المراسلة ومنصات التواصل الأساسية. ويخلق هذا التباين فجوة رقمية داخلية في العالم العربي، يعيش بسببها الشباب في بيئات رقمية مختلفة، مما يؤثر في وعيهم بالمخاطر المعلوماتية وقدرتهم على مواجهتها[26]. كما شهد انتشار الهواتف الذكية في المنطقة العربية قفزة نوعية، مع تزايد الاعتماد على تطبيقات التواصل الاجتماعي مثل واتساب، وفيسبوك، وإنستغرام، وتيك توك، وسناب شات، التي تحولت من مجرد أدوات للتواصل إلى فضاءات يعيش فيها الشباب جزءًا كبيرًا من حياتهم اليومية.

ولم يرافق هذا التحول السريع والواسع تطويرٌ مماثل في البنى المعرفية والنقدية التي تمكّن الشباب من التعامل مع تدفق المعلومات الهائل والمضلل في كثير من الأحيان، فالمنطقة العربية تواجه تحديًا مزدوجًا يتمثل في تسارع التحول الرقمي الذي يخلق فرصًا هائلة من جهة، وضعف مهارات التفكير النقدي ومحو الأمية الإعلامية التي تجعل الشباب عرضة للمخاطر المعلوماتية من جهة أخرى. وتشكل هذه الفجوة بين التطور التقني والتطور المعرفي أرضًا خصبة لانتشار التضليل المعلوماتي، وتُبرز الحاجة الملحة إلى بناء مناعة فكرية لدى الشباب العربي تمكّنهم من حماية وعيهم في هذا الفضاء الرقمي المتدفق.

---

[23] Vosoughi, S., Roy, D., & Aral, S. (2018). The spread of true and false news online. Science, 359(6380), 1146–1151.

[24] Zuboff, S. (2019). The age of surveillance capitalism: The fight for a human future at the new frontier of power. New York: PublicAffairs.

[25] الاتحاد الدولي للاتصالات (ITU). قاعدة بيانات مؤشرات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات (ITU DataHub). جنيف.

[26] الاتحاد الدولي للاتصالات (ITU)، المرجع السابق.

وتضيف الأبعاد الفلسفية والاجتماعية للمشكلة عمقًا إضافيًا لهذا التحدي؛ إذ لم يعد التحول الرقمي مجرد تغيير في وسائل الاتصال، بل أصبح تحولاً يعيد تعريف العلاقة بين الإنسان والمعرفة والحقيقة والهوية. ففي العصر الرقمي لم تعد المعرفة مجموعة من الحقائق الثابتة التي يمكن التحقق منها فحسب، بل أصبحت ساحة صراع بين روايات متعددة، يدّعي كل منها الصلاحية والحقيقة. ولهذا التحول جذور فلسفية تمتد إلى نظريات ما بعد الحداثة التي شككت في إمكانية الوصول إلى حقيقة موضوعية، غير أن الفضاء الرقمي منح هذه النظريات تجسيدًا عمليًا لم يسبق له مثيل[27].

ويترتب على هذا التحول الفلسفي تداعيات اجتماعية عميقة، إذ يؤدي إلى تآكل ما يمكن تسميته بالنسيج المعرفي المشترك، أي مجموعة الحقائق والافتراضات الأساسية التي يتفق عليها أفراد المجتمع وتشكل أرضية للحوار والتفاهم. فعندما لا يتفق الأفراد حتى على الحقائق الأساسية، يصبح الحوار المجتمعي عسيرًا، وتتحول النقاشات العامة إلى صراعات هوياتية وعاطفية يصعب حسمها بالمنطق والأدلة. وقد أشار الفيلسوف الألماني يورغن هابرماس إلى أن الفعل التواصلي يفترض وجود «عالم حياة» مشترك، والفضاء الرقمي، بتعدد مصادره وسرعة تدفقه، قد يُضعف هذا العالم المشترك، ويخلق عوالم حياة متعددة ومتنافسة، لكل منها حقائقها وقيمها الخاصة[28].

وفي السياق العربي تتفاقم هذه الإشكالية بسبب تداخل عوامل إضافية، منها ضعف المؤسسات التعليمية والإعلامية التقليدية التي كانت توفر إطارًا معرفيًا مرجعيًا، وتزايد الاعتماد على مصادر خارجية غير موثوقة، وتراجع الثقة في الخطاب الرسمي، مما يخلق فراغًا معرفيًا تستغله حملات التضليل المنظم[29]. وتجعل هذه الأبعاد الفلسفية والاجتماعية من قضية المناعة الفكرية أكثر من مجرد أداة لحماية الأفراد من المعلومات المضللة؛ فهي مشروع حضاري لإعادة بناء النسيج المعرفي المشترك واستعادة إمكانية الحوار المجتمعي القائم على الحقائق المشتركة.

مشكلة الدراسة

على الرغم من تعدد الدراسات التي تناولت المخاطر الرقمية والتضليل المعلوماتي في العقد الأخير، فإن كثيرًا منها ركّز على الجوانب التقنية (مثل آليات كشف التزييف العميق) أو التربوية (مثل برامج محو الأمية الإعلامية) بصورة منفصلة، ولم يُعنَ بالقدر الكافي بتقديم إطار تكاملي يجمع بين التأصيل الحضاري المستمد من التراث الإسلامي والمقاربات النقدية المعاصرة لاقتصاد الانتباه ورأسمالية المراقبة. كما ظل تطوير نماذج عملية متكاملة تمتد من الوقاية إلى المواجهة إلى البناء، وأدوات قياس مقننة لفاعلية المناعة الفكرية في السياق العربي، محدودًا نسبيًا، وإن كانت دراسات عربية حديثة قد بدأت ببناء مقاييس للمناعة الفكرية لدى الشباب الجامعي[30]. ومن هنا تسعى هذه الدراسة إلى الإسهام في سد هذه الفجوة، من خلال اقتراح إطار للمناعة الفكرية يجمع بين التأصيل النظري المستمد من التراث الإسلامي والفكر الفلسفي، والتشخيص الميداني الكمي لدى عينة من المستخدمين العرب، مع تركيز على السياق القطري والخليجي.

ومن هنا تنبثق الإشكالية المركزية لهذا البحث: كيف يمكن تمكين الشباب العربي من مواجهة المخاطر المعلوماتية المستجدة -فيض المعلومات، والتضليل المعرفي، والسيولة المعلوماتية- من خلال بناء المناعة الفكرية؟ ويكتسب هذا السؤال حدة خاصة في السياق العربي والإسلامي، حيث تحتاج المجتمعات إلى الجمع بين الانفتاح على العالم والحفاظ على الهوية والقيم، كما يكتسب إلحاحًا خاصًا في ظل تراجع الثقة في المؤسسات التقليدية وغياب مرجعيات واضحة يمكن اللجوء إليها[31].

---

[27] Lyotard, J.-F. (1984). The postmodern condition: A report on knowledge (G. Bennington & B. Massumi, Trans.). Minneapolis: University of Minnesota Press. (العمل الأصلي نُشر عام 1979)

[28] Habermas, J. (1984–1987). The theory of communicative action (Vols. 1–2; T. McCarthy, Trans.). Boston: Beacon Press. (العمل الأصلي نُشر عام 1981)

[29] انظر الحاشية (3) بشأن الأرقام المنسوبة إلى المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

[30] يوسف، سليمان، والفضلي، هدى (2025). المناعة الفكرية: نحو نموذج عربي تكاملي (نفسي عصبي معرفي مناعي) لتحصين هوية الشباب من التطرف والإرهاب. دراسات في علم الأرطوفونيا وعلم النفس العصبي، 9(1)، 23–48.

[31] بكار، عبد الكريم (2008). المناعة الفكرية. الرياض: مؤسسة الإسلام اليوم، ص25.

وترتبط هذه الإشكالية بأزمات أوسع تواجه المجتمعات المعاصرة:

أزمة الديمقراطية والمشاركة العامة: ففي عصر التضليل الرقمي تصبح العمليات الانتخابية والنقاش العام عرضة للتلاعب، وقد كشفت فضيحة «كامبريدج أناليتيكا» عام 2018 عن استخدام بيانات ملايين المستخدمين في استهداف سياشي دقيق خلال حملات انتخابية واستفتاءات، وأثارت جدلاً واسعًا حول أثر هذا الاستهداف في سلوك الناخبين، وإن ظل حجم هذا الأثر محل نقاش بحثي[32].

أزمة الصحة العامة: فخلال جائحة كوفيد-19 انتشرت معلومات مضللة عن اللقاحات والعلاجات، ووصفت منظمة الصحة العالمية هذه الظاهرة بـ«الوباء المعلوماتي» (Infodemic)؛ وفي غياب المناعة الفكرية يتحول المواطن من شريك في مواجهة الوباء إلى عامل في نشر العدوى المعلوماتية.

أزمة الهوية الثقافية: ففي مواجهة تدفق المحتوى العالمي المهيمن، قد يذوب بعض الشباب في هويات مستوردة لا تتسق مع قيم مجتمعاتهم، مما قد يهدد التماسك الاجتماعي والهوية الوطنية.

أسئلة الدراسة

تسعى هذه الدراسة إلى الإجابة عن الأسئلة الآتية، التي تغطي جوانب البحث النظرية والميدانية والتطبيقية:

1. ما طبيعة المخاطر المعلوماتية المستجدة في الفضاء الرقمي، وما الآليات التقنية والنفسية والاجتماعية التي تعمل من خلالها، وكيف تؤثر في الشباب العربي؟

2. كيف يمكن تأصيل مفهوم المناعة الفكرية في التراث الحضاري الإسلامي والإنساني، واستثمار هذه الجذور في بناء إطار معاصر لمواجهة التحديات الرقمية؟

3. ما مستوى استجابات أفراد العينة على محاور أداة الدراسة (التعرض للمخاطر المعلوماتية، وآثارها السلبية، وإدراك تسليع المعرفة، وإدراك هندسة الهوية، والتصرفات الوقائية، والمقاومة)، وهل توجد فروق فيها تُعزى إلى المتغيرات الديموغرافية (الجنس، والعمر، والمستوى التعليمي، والدولة، ومتوسط ساعات الاستخدام)؟

4. كيف تتشابك الآثار السلبية لغياب المناعة الفكرية على المستويات المعرفية والنفسية والسلوكية والاجتماعية والوجودية؟

5. ما الإطار العلاجي المقترح لتعزيز المناعة الفكرية لدى الشباب العربي، وما أبعاده (الوقائية، والمواجهة، والبنائية) وآليات تنفيذه عمليًا؟

6. ما القوى الاقتصادية والسياسية الكامنة وراء المخاطر المعلوماتية، وكيف يمكن مقاومتها من منظور حضاري إسلامي وإنساني؟

أهداف الدراسة

تهدف الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف المتكاملة:

1. تحليل المخاطر المعلوماتية المستجدة في الفضاء الإلكتروني (فيض المعلومات، والتضليل المعرفي المنظم، والسيولة المعلوماتية) وتشخيص آثارها المعرفية والنفسية والاجتماعية على الشباب العربي.

2. تأصيل مفهوم المناعة الفكرية في التراث الحضاري الإسلامي (منهج التثبت، والجرح والتعديل، والنقد الخلدوني) والإنساني (الشك الديكارتي، والتنوير الكانطي، ونقد اقتصاد الانتباه).

3. وصف مستوى استجابات أفراد العينة على محاور الأداة الستة، والكشف عن الفروق الدالة إحصائيًا وفق المتغيرات الديموغرافية (الجنس، والعمر، والمستوى التعليمي، والدولة، ومتوسط ساعات الاستخدام).

[32] Wylie, C. (2019). Mindf*ck: Cambridge Analytica and the plot to break America. New York: Random House.

4. رصد الآثار السلبية لغياب المناعة الفكرية على المستويات المعرفية والنفسية والسلوكية والاجتماعية والوجودية، وتحليل تشابكها.

5. اقتراح نموذج علاجي ثلاثي الأبعاد (الوقاية، والمواجهة، والبناء) لتعزيز المناعة الفكرية، مع أدوات عملية مقترحة للمؤسسات التربوية والإعلامية والمجتمعية.

6. الكشف عن العلاقات الاقتصادية والسياسية الكامنة وراء المخاطر المعلوماتية (رأسمالية المراقبة، واستعمار البيانات، وهندسة الهوية)، وتقديم رؤية للمقاومة من منظور حضاري.

أهمية الدراسة

تكمن أهمية الدراسة في عدة مستويات متكاملة. فعلى المستوى النظري، تسهم الدراسة في تأصيل مفهوم المناعة الفكرية في التراث الحضاري الإسلامي والإنساني، بما يمنح المفهوم عمقًا حضاريًا يتجاوز النظرة الأداتية الضيقة، وتقدم إطارًا نظريًا يجمع بين التراث والمعاصرة في فهم المخاطر المعلوماتية وسبل مواجهتها، وتوظف مناهج وصفية واستقرائية ونقدية متكاملة.

وعلى المستوى التطبيقي، تقترح الدراسة نموذجًا عمليًا (المثلث المناعي: الوقاية، والمواجهة، والبناء) يمكن اختباره وتطبيقه في المؤسسات التربوية والإعلامية والمجتمعية، وتقترح أدوات قياس كمية ونوعية للسياق العربي يمكن أن تساعد صناع القرار -بعد تقنينها- على تتبع تطور المناعة الفكرية وتوجيه الموارد بناءً على بيانات. كما تقترح الدراسة «إعلان الدوحة للسيادة الفكرية والكرامة الرقمية» بوصفه وثيقة توجيهية تجمع بين القيم الإسلامية والمنهجية العلمية، بما يسهم في بناء مجتمعات عربية أكثر تماسكًا وقدرة على مواجهة التضليل المعرفي وهندسة الهوية.

وعلى المستوى الاستراتيجي، تكتسب الدراسة أهمية في سياق الأمن الوطني والتنمية المستدامة؛ فالمناعة الفكرية ليست مهارة فردية فحسب، بل هي أحد مكونات الأمن المجتمعي في العصر الرقمي، والمجتمع الذي يتمتع أفراده بمناعة فكرية عالية يكون أقل عرضة للاستقطاب السياسي والاجتماعي، وأقدر على مواجهة حملات التضليل والتأثير الخارجي. وقد صنّف تقرير المخاطر العالمية الصادر عن المنتدى الاقتصادي العالمي لعام 2024 المعلومات المضللة والمغلوطة بوصفها أخطر المخاطر العالمية على المدى القصير (عامين)، وخامس أخطرها على مدى عشر سنوات[33].

كما تمثل المناعة الفكرية ركيزة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية؛ فالشباب المتمتع بمناعة فكرية أقدر على الابتكار والمشاركة الفاعلة في سوق العمل والتكيف مع التحولات التقنية السريعة والإسهام في بناء اقتصاد المعرفة. وعلى المستوى الحضاري، تقدم الدراسة رؤية تستند إلى التراث الإسلامي والقيم العربية الأصيلة، وتقترح نموذجًا في التعامل مع التحديات الرقمية يقوم على كرامة الإنسان والأمانة والمسؤولية والعدالة والوسطية، يمكن أن يُسهم في النقاش العالمي حول أخلاقيات الذكاء الاصطناعي وحقوق الإنسان في العصر الرقمي[34].

حدود الدراسة

تتحدد حدود هذه الدراسة في ثلاثة أبعاد رئيسة: الحدود الموضوعية، والحدود المكانية، والحدود الزمانية.

أولًا: الحدود الموضوعية: تقتصر هذه الدراسة على تحليل المخاطر المعلوماتية في الفضاء الإلكتروني كما تظهر في السياق العربي، مع التركيز على فئة الشباب، وقد شملت العينة الميدانية فئات عمرية من (18) إلى أكثر من (55) عامًا لأغراض المقارنة بين الأجيال. كما تركز الدراسة على تطوير مفهوم المناعة الفكرية وتأصيله في التراثين الإسلامي والإنساني، واقتراح نموذج عملي لتعزيزها. ولا تتناول الجوانب التقنية المتعلقة ببرمجة الخوارزميات أو تصميم المنصات، ولا التشريعات الرقمية المقارنة،

[33] World Economic Forum. (2024). The global risks report 2024 (19th ed.). Geneva: World Economic Forum.

[34] طه عبد الرحمن (2000). سؤال الأخلاق: مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

ولا الجوانب الأمنية والعسكرية المتعلقة بالحرب الإلكترونية، ولا الجوانب القانونية التفصيلية لحماية البيانات، إلا بالقدر الذي يخدم الإشكالية الرئيسة؛ لأن هذه الموضوعات تتطلب دراسات مستقلة[35].

ثانيًا: الحدود المكانية: تتناول الدراسة البيئة العربية بصفة عامة، انطلاقًا من كون الإشكالية الرقمية ظاهرة عابرة للحدود. أما الجانب الميداني فقد جُمعت بياناته إلكترونيًا من مشاركين عرب، جاء ثلثاهما تقريبًا من مصر، وتوزع الباقون على قطر والسعودية وفلسطين والجزائر والكويت وتونس ولبنان ودول أخرى. وتستفيد الدراسة من تجارب دولية (فنلندا، وسنغافورة) لاستخلاص دروس قابلة للتطبيق في السياق العربي[36].

ثالثًا: الحدود الزمانية: جُمعت البيانات الميدانية خلال الفترة من 10 إلى 16 يونيو 2026. وتستند الدراسة، في جانبها النظري والتحليلي، إلى تطورات رقمية تراكمت على مدار العقدين الأخيرين (2006–2026)، مع الإشارة إلى أن التطورات التقنية السريعة قد تستدعي تحديثًا دوريًا للأدوات والنتائج.

التعريفات الإجرائية

يُقصد بالمصطلحات الآتية في هذه الدراسة المعاني الإجرائية الموضحة أمام كل منها، مع التمييز بين التعريف المفاهيمي والطريقة التي قيس بها المفهوم في الأداة الميدانية:

1. المناعة الفكرية: منظومة متكاملة من المعارف والمهارات والاتجاهات والقيم، تمكّن الفرد من: (أ) حماية وعيه من التدفق المفرط للمعلومات واستراتيجيات التضليل المعرفي، (ب) التمييز النقدي بين المعلومات الموثوقة والمضللة، (ج) تحقيق السيادة على عملياته المعرفية ومقاومة الوصاية الخوارزمية، (د) تسديد العقل بالأخلاق والهوية الثقافية، (ه) توظيف هذه المناعة في المقاومة الثقافية وبناء الإنسان الحضاري. إجرائيا: لا تقيس أداة الدراسة المناعة الفكرية بوصفها بناءً واحدًا مباشرًا، بل تقيس ستة جوانب مرتبطة بها: التعرض للمخاطر المعلوماتية (المحور الأول)، والآثار السلبية المُدرَكة (المحور الثاني)، وإدراك تسليع المعرفة والبيانات (المحور الثالث)، وإدراك هندسة الهوية (المحور الرابع)، والتصرفات الوقائية (المحور الخامس)، والمقاومة (المحور السادس). ويُعبرِّ عن كل جانب بمتوسط استجابات الفرد على فقرات المحور على مقياس رباعي (1–4). ويُفرِّق في التفسير بين التعرض للمخاطر وإدراكها وآثارها من جهة، والسلوك الوقائي والمقاومة من جهة أخرى؛ لأن ارتفاع الدرجة في الأولى لا يعني ارتفاع المناعة بالضرورة.

2. المخاطر المعلوماتية: مجموعة التهديدات التي يتعرض لها الفرد في الفضاء الرقمي، وتشمل فيض المعلومات، والتضليل المعرفي المنظم، والسيولة المعلوماتية، وهندسة الهوية الرقمية، التي قد تؤدي إلى تشويه الوعي، وتشتيت الانتباه، وتوجيه السلوك، واستغلال البيانات.

3. فيض المعلومات (التخمة المعلوماتية): الحالة التي تؤدي فيها كمية المعلومات المتاحة إلى إعاقة اتخاذ القرار بدلاً من تسهيله، وتسبب التوتر والإحباط والشعور بفقدان السيطرة، نتيجة التعرض لكم هائل من المعلومات يتجاوز قدرة الفرد على المعالجة.

4. التضليل المعرفي المنظم: عملية متعمدة ومنظمة لتشويه الحقائق وتزييف الوعي من خلال نشر معلومات كاذبة أو مضللة أو منقوصة السياق، بهدف التأثير في سلوك الأفراد والجماعات وتوجيهه نحو أهداف معينة، وتتسم بالقصد والتنظيم المنهجي واستهداف نقاط الضعف النفسية.

5. اقتصاد الانتباه: النظام الاقتصادي الذي تقوم عليه منصات التواصل الاجتماعي، حيث يصبح انتباه المستخدم موردًا نادرًا تتنافس عليه الشركات، وتُصمِّم الخوارزميات لاستبقائه أطول فترة ممكنة، وتحقيق الأرباح من بيع هذا الانتباه للمعلنين.

6. هندسة الهوية الرقمية: العملية التي تقوم بها الخوارزميات والمنصات الرقمية للتأثير في هوية المستخدم وتوجيه اهتماماته وقيمه وسلوكياته، من خلال تحليل بياناته السلوكية وتقديم محتوى مخصص، بما قد يؤدي إلى تفتيت الهوية الواقعية وخلق هويات رقمية تخدم مصالح تجارية وسياسية.

---

[35] يوسف والفضلي (2025)، المرجع السابق.

[36] الأمانة العامة للتخطيط التنموي – دولة قطر (2008). رؤية قطر الوطنية 2030. الدوحة.

7. السيادة الإدراكية: حق الإنسان في أن يكون سيدًا على عملياته المعرفية، وألا تُختطف قدرته على التفكير والتمييز من قبل قوى خارجية، سواء أكانت خوارزميات أم دعايات أم أيديولوجيات، وهي الغاية العليا للمناعة الفكرية في هذه الدراسة.

8. الشباب: يُقصد بهم في الإطار النظري للدراسة الأفراد في الفئة العمرية (18–35) عامًا. أما العينة الميدانية فقد شملت فئات عمرية أوسع (18 إلى أكثر من 55 عامًا)، ولذلك يُشار إلى المشاركين في عرض النتائج بـ«أفراد العينة».

منهجية الدراسة

تعتمد هذه الدراسة منهجية متكاملة تجمع بين ثلاثة مناهج رئيسة، يرتبط كل منها بأسئلة البحث وفصوله:

أولًا: المنهج الوصفي التحليلي: يُستخدم لوصف المخاطر المعلوماتية المستجدة (فيض المعلومات، والتضليل المعرفي المنظم، وتشكيل الوعي الجمعي المضطرب) والآثار السلبية لغياب المناعة الفكرية وتحليلها كما هي في الواقع، باستخدام أداة قياس كمية (الاستبيان) والتحليل الإحصائي الوصفي والاستدلالي. ويرتبط هذا المنهج بالأسئلة (1، 3، 4)، ويُطبَّق في الفصول الأول والثالث والرابع والخامس. وتجدر الإشارة إلى أن التصميم الوصفي المقطعي يسمح برصد الفروق والارتباطات، ولا يسمح باستنتاج علاقات سببية[37].

ثانيا: المنهج الاستقرائي: يُستخدم لتتبع مفهوم المناعة الفكرية في مصادره الأصلية: المصادر اللغوية (معاجم اللغة العربية)، والتراث الإسلامي (القرآن الكريم، والسنة النبوية، وعلم الجرح والتعديل، ومقدمة ابن خلدون)، والفكر الفلسفي الإنساني (ديكارت، وكانط، وفلاسفة اقتصاد الانتباه)، واستخلاص الدلالات والأصول المنهجية منها. ويرتبط هذا المنهج بالسؤال (2)، ويُطبَّق في الفصل الثاني[38].

ثالثًا: المنهج النقدي: يُستخدم لتحليل العلاقات الاقتصادية والسياسية الكامنة وراء المخاطر المعلوماتية، وتفكيك خطاب التضليل وهندسة الهوية، من خلال مفاهيم من قبيل التحليل النقدي لاقتصاد المنصات، واستعمار البيانات، ورأسمالية المراقبة. ويرتبط هذا المنهج بالسؤال (6)، ويُطبَّق أساسًا في الفصل السادس، ويمتد إلى الفصلين السابع والثامن عند اقتراح النموذج العلاجي ومناقشة التجارب الدولية[39].

رابعًا: إجراءات التحليل الإحصائي: رُمِّزت الاستجابات على مقياس رباعي، وحُللت باستخدام لغة Python (مكتبتا pandas وSciPy)، باستخدام: المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لوصف الاستجابات، ومعامل كرونباخ ألفا وارتباط الفقرة المصحح بمحورها لفحص الثبات والاتساق الداخلي، ومعامل ارتباط بيرسون بين المحاور، واختبار شابيرو–ويلك ومعاملي الالتواء والتفلطح لفحص اعتدالية التوزيع، واختبار (ت) لعينتين مستقلتين وتحليل التباين الأحادي بصيغة ولش التي لا تفترض تجانس التباين، لاختلاف أحجام المجموعات، إضافة إلى انحدار خطي متعدد يتضمن حد تفاعل لاختبار الأثر المُعدِّل للمستوى التعليمي.

قيود الدراسة

على الرغم من الجهود التي بُذلت لضمان الدقة والموضوعية، تواجه الدراسة عددًا من القيود التي ينبغي الإشارة إليها لتوضيح حدود النتائج والتوصيات، ولفتح آفاق للبحوث المستقبلية.

القيود المنهجية: بلغ عدد الاستجابات الواردة (181) استجابة، صلحت منها للتحليل (166)، وهو حجم مقبول لدراسة استكشافية، لكنه دون الحجم المستهدف نظريًا (384 مفردة) وفق معادلة كوكران، ويقابله هامش خطأ يقارب (±7.6%) عند مستوى ثقة (95%) لو كانت العينة احتمالية. والأهم من

[37] Creswell, J. W. (2014). Research design: Qualitative, quantitative, and mixed methods approaches (4th ed.). Thousand Oaks, CA: Sage.

[38] بدوي، عبد الرحمن (1977). مناهج البحث العلمي. الكويت: وكالة المطبوعات؛ روزنتال، فرانتز (1961). مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي (ترجمة: أنيس فريحة). بيروت: دار الثقافة.

[39] Fuchs, C. (2014). Digital labour and Karl Marx. New York: Routledge.

ذلك أن العينة غير احتمالية؛ إذ جُمعت إلكترونيًا خلال أسبوع واحد، واختار المشاركون أنفسهم للمشاركة، ومن ثم لا يمكن تعميم النتائج إحصائيًا على مجتمع الشباب العربي[40]. كما تركزت العينة في مصر (67.5%)، وغلب عليها الذكور (78.9%) وحملة الشهادات الجامعية والعليا (88.6%)، ولم يتجاوز من هم في الفئة العمرية (18–35) نسبة (21.7%)، في حين بلغت نسبة من تجاوزوا الخامسة والأربعين (67.5%)، وهو ما يحدّ من تمثيلها لفئة الشباب ولبقية الدول العربية[41]. واعتمدت الدراسة على استبيان التقرير الذاتي، وهو عرضة لتحيز المرغوبية الاجتماعية (Social Desirability Bias)، ولم تتضمن الأداة اختبارات أداء موضوعية لقياس القدرة الفعلية على التمييز بين المعلومات الصحيحة والمضللة[42]. كما اعتمدت الدراسة تصميمًا مقطعيًا (Cross-Sectional) يجمع البيانات في نقطة زمنية واحدة، مما لا يسمح بدراسة التغيرات بمرور الوقت ولا باستنتاج علاقات سببية، وتوصي الدراسة بإجراء دراسات طولية (Longitudinal)[43].

القيود الإحصائية: أُجري نحو ثلاثين اختبارًا للفروق دون تصحيح لتعدد المقارنات، فيُتوقع أن يظهر بعضها دالًا بالمصادفة؛ ولذلك تُقرأ الفروق الدالة القليلة في الفصل الثالث بوصفها نتائج استكشافية. كما أن أحجام بعض المجموعات صغيرة (19 مشاركًا من حملة الشهادة الثانوية، و35 أنثى، و12 مشاركًا في الفئة العمرية 26–35)، مما اقتضى دمج بعض الفئات، ولم يُتحقق من البنية العاملية للأداة بالتحليل العاملي التوكيدي لصغر حجم العينة بالنسبة إلى عدد الفقرات.

القيود الموضوعية: تتطور التكنولوجيا الرقمية بسرعة كبيرة، وقد تظهر تحديات ومخاطر جديدة بعد انتهاء هذه الدراسة (مثل تقنيات ذكاء اصطناعي أو منصات تواصل جديدة)، ولذلك توصي الدراسة بتحديث النتائج والتوصيات دوريًا[44]. كما ركزت الدراسة على الفضاء الرقمي العربي، وقد لا تنطبق نتائجها بالكامل على سياقات ثقافية أخرى، ومن ثم توصي بإجراء دراسات مقارنة بين الثقافات[45]. كما أن المناعة الفكرية ظاهرة متعددة الأبعاد (تربوية، ونفسية، واجتماعية، واقتصادية، وسياسية، وتقنية)، مما يجعل تغطية جميع جوانبها بالقدر نفسه أمرًا صعبًا.

القيود التطبيقية: تواجه التوصيات المقترحة تحديات عملية في التطبيق، مثل محدودية الموارد المالية والبشرية، وتعقيد التنسيق بين المؤسسات، وصعوبة قياس فاعلية برامج تعزيز المناعة الفكرية بدقة بسبب تعدد المتغيرات المؤثرة. ولذلك توصي الدراسة بوضع خطط تنفيذية تدريجية، وتطوير أدوات قياس أكثر دقة، وإجراء دراسات تقييمية تجريبية أو شبه تجريبية للنموذج المقترح قبل تعميمه[46].

مجتمع الدراسة وعينتها

أولًا: مجتمع الدراسة

Study Population

يُعرِّف مجتمع الدراسة في المنهجية العلمية بأنه مجموعة الأفراد أو العناصر التي تشترك في خاصية أو مجموعة من الخصائص التي يهتم الباحث بدراستها، والتي يُراد تعميم نتائج الدراسة عليها، ويُعد تحديده بدقة خطوة منهجية أساسية؛ لأنه يحدد نطاق التعميم الممكن للنتائج، ويرسم الحدود التي يمكن للباحث من خلالها اختيار عينته[48]. ويتحدد مجتمع الدراسة في الأبحاث الكمية من خلال ثلاثة أبعاد

---

[40] Bryman, A. (2016). Social research methods (5th ed.). Oxford: Oxford University Press.

[41] Hofstede, G. (2001). Culture's consequences (2nd ed.). Thousand Oaks, CA: Sage.

[42] Fowler, F. J. (2014). Survey research methods (5th ed.). Thousand Oaks, CA: Sage.

[43] Bryman)2016(، المرجع السابق.

[44] Kissinger, H. A., Schmidt, E., & Huttenlocher, D. (2021). The age of AI: And our human future. New York: Little, Brown and Company.

[45] Hofstede)2001(، المرجع السابق.

[46] Pan, Q., Lan, M., Tan, C. Y., Tao, S., Liang, Q., & Law, N. (2025). Development and validation of digital resilience scale for primary and secondary school students. BMC Psychology. https://doi.org/10.1186/s40359-025-03739-0 Boston: Cengage.).14th ed(The practice of social research.)2016(.Babbie, E؛ المرجع السابق،)201 4(Creswell 48 Learning.

رئيسة: البعد المكاني، والبعد الزماني، والبعد الموضوعي، ويضمن وصف المجتمع بهذه الأبعاد الثلاثة الوضوح والدقة، ويمكّن الباحثين من إعادة الدراسة أو مقارنتها بدراسات أخرى[47].

وبناءً على ذلك، يُعرِّف مجتمع الدراسة الحالية على النحو الآتي:

البعد الموضوعي: الأفراد العرب (ذكورًا وإناثًا) الذين يستخدمون الإنترنت ومنصات التواصل الاجتماعي بانتظام، بصرف النظر عن مستواهم التعليمي أو وضعهم الاجتماعي أو الاقتصادي، مع تركيز اهتمام الدراسة على فئة الشباب.

البعد المكاني: الدول العربية في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، مع تركيز خاص على دول الخليج العربي (قطر، والسعودية، والإمارات، والكويت، وعُمان، والبحرين)، إضافة إلى دول المشرق العربي (مصر، والأردن، ولبنان، وفلسطين، والعراق) ودول المغرب العربي (المغرب، وتونس، والجزائر، وليبيا).

البعد الزماني: الفترة من 10 إلى 16 يونيو 2026، وهي فترة جمع البيانات الميدانية.

وقد عُرِّف «الاستخدام المنتظم» للفضاء الرقمي بأنه استخدام الإنترنت ومنصات التواصل الاجتماعي يوميًا، لضمان أن يكون لدى المشاركين خبرة كافية تمكّنهم من الإجابة عن فقرات الاستبيان. غير أن مشاركًا واحدًا أفاد بأن متوسط استخدامه اليومي أقل من ساعة، ومن ثم فهذا المعيار وصفي لا معيار استبعاد مطبق.

وقد شملت الدراسة الميدانية خمس فئات عمرية (18–25، و26–35، و36–45، و46–55، و56 فأكثر) لأغراض المقارنة بين الأجيال، وللتحقق من الفرضية القائلة بأن الخبرة الحياتية والنضج المعرفي قد يعوّضان عن نقص النشأة الرقمية[48]. ويستند التركيز النظري على فئة الشباب (18–35) إلى اعتبارات منهجية؛ إذ تُعد هذه الفئة الأكثر اندماجًا في الفضاء الرقمي، والأكثر تعرضًا للمخاطر المعلوماتية وفقًا للدراسات السابقة. وقد أشار برينسكي إلى أن «الجيل الرقمي الأصلي» (Digital Natives) -رغم نشأته مع التكنولوجيا- ليس بالضرورة الأكثر وعيًا بآليات عملها أو قدرة على حماية نفسه منها، كما أشارت تووينغي إلى أن «جيل آي جين» (iGen) قد يكون الأكثر تعرضًا للآثار السلبية للتكنولوجيا الرقمية[51].

ثانيا: عينة الدراسة (Study Sample)

تُعرِّف العينة في البحوث الكمية بأنها مجموعة فرعية من مجتمع الدراسة يُختار أفرادها وفق إجراءات منهجية محددة، وتكمن أهميتها في أنها تتيح دراسة المجتمع بكلفة وجهد أقل، مع إمكانية تعميم النتائج بشرط أن تكون العينة ممثلة لمجتمعها؛ فالعينة غير الممثلة تؤدي إلى استنتاجات غير قابلة للتعميم بصرف النظر عن حجمها[49].

1- تحديد حجم العينة (Sample Size Determination): تُستخدم في المجتمعات غير المحددة الحجم (Unknown Population) معادلة كوكران لحساب حجم العينة عند مستوى ثقة (95%)، وهامش خطأ (5%)، ونسبة تباين (50%)، وهو ما ينتج حجمًا مستهدفًا يبلغ نحو (384) مفردة[50]. وقد بلغ عدد الاستجابات الواردة (181) استجابة، صلحت منها للتحليل (166) استجابة، أي دون الحجم المستهدف نظريًا. ويقابل هذا الحجم -لو كانت العينة احتمالية- هامش خطأ يقارب (±7.6%) عند مستوى ثقة (95%). ويُعد هذا الحجم مقبولاً في الدراسات الاستكشافية، ويكفي لاكتشاف الفروق متوسطة الحجم بين المجموعات الكبيرة، لكنه لا يكفي لاكتشاف الفروق الصغيرة، ولا يعوّض عن عدم

---

[47] Neuman, W. L. (2014). Social research methods: Qualitative and quantitative approaches (7th ed.).

[48] Prensky, M. (2001). Digital natives, digital immigrants. On the Horizon, 9(5), 1–6. iGen: Why todays super-connected kids are growing up.)2017(.Twenge, J. M؛ المرجع السابق،)2001(Prensky 51 less rebellious, more tolerant, less happy—and completely unprepared for adulthood. New York: Atria Books.

[49])2018(Field، المرجع السابق؛)2014(Creswell، المرجع السابق؛)2016(Bryman، المرجع السابق.

[50] Cochran, W. G. (1977). Sampling techniques (3rd ed.). New York: Wiley.

احتمالية العينة في ما يتعلق بالتعميم[51]. وقد جاء هذا الحجم نتيجة للإمكانات المتاحة للباحث من حيث الوقت والموارد والقدرة على الوصول إلى المشاركين عبر القنوات الإلكترونية.

2- طريقة اختيار العينة (Sampling Method)

اعتمدت الدراسة عينة غير احتمالية؛ إذ لم يتوافر إطار معاينة يحصر أفراد المجتمع في كل طبقة بما يسمح بسحب عينة عشوائية أو عشوائية طبقية. فقد نُشر رابط الاستبيان الإلكتروني عبر قنوات متعددة (منصات التواصل الاجتماعي، ومجموعات البريد الإلكتروني، والمنتديات المتخصصة، والتواصل مع المؤسسات الشبابية)، وشارك فيه من وصله الرابط ورغب في الإجابة.

ولذلك تُعدّ العينة عينة غير احتمالية متاحة (Convenience Sample) جُمعت إلكترونيًا مع توزيع موجّه عبر قنوات متعددة، وتتضمن على الأرجح عنصرًا من أسلوب «كرة الثلج» نتيجة إعادة مشاركة الرابط. وقد سعى الباحث إلى تحقيق تنوع في الجنس والعمر والمستوى التعليمي والدولة، ويمكن النظر إلى هذه المتغيرات بوصفها طبقات وصفية للتحليل، لا طبقات معاينة سُحبت منها عينات عشوائية. ويترتب على ذلك أن النتائج تصف هذه العينة، ولا تُعمَّم إحصائيًا على مجتمع الشباب العربي، وإنما يمكن الاستئناس بها في فهم الظاهرة وتوليد فرضيات للبحوث اللاحقة[52].

وقد صُنِّف المشاركون وفق المتغيرات الآتية:

الجنس: ذكور / إناث.

العمر: (18–25)، (26–35)، (36–45)، (46–55)، (56 فأكثر).

المستوى التعليمي: ثانوي / جامعي / دراسات عليا.

الدولة: وفق قائمة الدول الواردة في الاستبيان (الملحق الأول).

متوسط ساعات استخدام الإنترنت يوميا: أقل من ساعة، و(1–3)، و(3–5)، و(5–7)، وأكثر من 7 ساعات.

3- خصائص العينة الديموغرافية

بلغ حجم العينة النهائي (166) مشاركًا، موزعين على النحو الآتي:

الجنس: (131) ذكرًا (78.9%)، و(35) أنثى (21.1%).

العمر: كانت الفئة (56 فأكثر) الأكثر تمثيلًا (74 مشاركًا، 44.6%)، تليها الفئة (46–55) (38 مشاركًا، 22.9%)، ثم الفئة (18–25) (24 مشاركًا، 14.5%)، ثم الفئة (36–45) (17 مشاركًا، 10.2%)، وأخيرًا الفئة (26–35) (12 مشاركًا، 7.2%)، ولم يحدد مشارك واحد عمره. ويعني ذلك أن الفئتين اللتين تمثلان الشباب وفق التعريف الإجرائي (18–35) تضمان (36) مشاركًا (21.7%) فقط.

المستوى التعليمي: جامعي (102 مشارك، 61.4%)، ودراسات عليا (45 مشاركًا، 27.1%)، وثانوي (19 مشاركًا، 11.4%)[53].

الدولة: مصر (112 مشاركًا، 67.5%)، وقطر (6، 3.6%)، والسعودية (5، 3.0%)، وفلسطين والجزائر (2 لكل منهما)، والكويت وتونس ولبنان (1 لكل منها)، ودول أخرى (26، 15.7%)، ولم يحدد (10) مشاركين دولتهم. وقد تركزت العينة في مصر بحكم قنوات التوزيع المتاحة للباحث.

4- إجراءات جمع البيانات

جُمعت البيانات الميدانية خلال الفترة من 10 إلى 16 يونيو 2026، عبر الخطوات الآتية:

---

[51] Hair, J. F., Black, W. C., Babin, B. J., & Anderson, R. E. (2014). Multivariate data analysis (7th ed.). Harlow: Pearson.

[52] Bryman (2016)، المرجع السابق؛ Babbie (2016)، المرجع السابق.

[53] بكار (2008)، المرجع السابق، ص45، في شأن العلاقة بين المستوى التعليمي والقدرة على التفكير النقدي.

1. تصميم الاستبيان الإلكتروني: استُخدمت منصة Google Forms لتصميم الاستبيان، نظرًا لسهولة استخدامها، وتوافرها مجانًا، وقدرتها على جمع البيانات وتصديرها بتنسيق مناسب للتحليل الإحصائي في Excel وSPSS.

2. توزيع الاستبيان: وُزِّع الاستبيان إلكترونيًا عبر قنوات متعددة شملت: (أ) منصات التواصل الاجتماعي (فيسبوك، وتويتر/إكس، وإنستغرام، وواتساب، وتيليغرام)، (ب) المجموعات البريدية للطلاب والباحثين في الجامعات العربية، (ج) المنتديات العربية المتخصصة في القضايا الشبابية والرقمية، (د) التواصل المباشر مع المؤسسات الشبابية والمراكز الثقافية لنشر رابط الاستبيان.

3. الاعتبارات الأخلاقية: تضمنت الصفحة الأولى من الاستبيان تعريفًا بأهداف الدراسة، وتأكيدًا على سرية البيانات واستخدامها لأغراض البحث العلمي فقط، وعلى حق المشارك في الانسحاب في أي وقت، وعُدّت المتابعة في الإجابة موافقة مستنيرة على المشاركة (Informed Consent)[54]. ولم تُشر الدراسة إلى الحصول على موافقة لجنة أخلاقيات بحثية، وهو ما تشترطه كثير من المجلات المحكّمة.

4. مدة الإجابة: استغرق متوسط وقت الإجابة على الاستبيان نحو (10–12) دقيقة، وقد صُمم الاستبيان ليكون واضحًا ومباشرًا لتقليل معدلات التسرب (Dropout Rates).

5. تنظيف البيانات: بعد انتهاء جمع البيانات، فُحصت الاستجابات للتأكد من اكتمالها؛ فمن أصل (181) استجابة، استُبعدت (15) استجابة ترك أصحابها خمس فقرات فأكثر دون إجابة، منها (5) لم تُجب عن أي فقرة، ليصبح حجم العينة النهائي (166) استجابة، منها (151) مكتملة تمامًا. وحُسبت درجة كل محور بمتوسط الفقرات التي أجاب عنها المشارك.

أداة الدراسة

استُخدم استبيان إلكتروني (Google Forms) أداةً رئيسة لجمع البيانات، صُمم خصيصًا لهذه الدراسة ليتناسب مع السياق العربي، بعد مراجعة الأدبيات السابقة والاستفادة من مقاييس عالمية مع تكييفها ثقافيًا ولغويًا. ويتكون الاستبيان من جزأين:

الجزء الأول: البيانات الشخصية، وتشمل: الجنس، والعمر، والمستوى التعليمي، والدولة، ومتوسط ساعات استخدام الإنترنت يوميًا.

الجزء الثاني: محاور الاستبيان الأساسية، وتضم ستة محاور تتكون من (38) فقرة موزعة على النحو الآتي:

جدول (1): توزيع فقرات الأداة على المحاور

المحور	ما يقيسه	عدد الفقرات
الأول: المخاطر المعلوماتية	مدى تعرض الفرد للمخاطر المعلوماتية، مثل الأخبار المزيفة، وصعوبة التمييز بين المحتوى الحقيقي والمدعوم، والشعور بالاستهداف، وفقدان الثقة في المصادر التقليدية، والتعرض للمحتوى المسيء، والشك في المعلومات التاريخية والعلمية	7
الثاني: الآثار السلبية للبيئة المعلوماتية	الآثار النفسية والسلوكية السلبية المُدرَكة، مثل القلق الرقمي (FOMO)، وتراجع التركيز العميق، وإضاعة الوقت، وتأثير التفاعلات السلبية في المزاج، والعزلة، والاعتماد على الملخصات السطحية	7
الثالث: تسليع المعرفة والبيانات	مدى إدراك الفرد لتحول المعرفة والبيانات إلى سلعة، واستغلال الشركات لبياناته، والشعور بأن المعلومات المجانية أقل جودة	6

[54] American Psychological Association. (2017). Ethical principles of psychologists and code of conduct. Washington, DC: APA.

المحور	ما يقيسه	عدد الفقرات
الرابع: هندسة الهوية وتأثير المنصات	مدى إدراك الفرد لتأثير المنصات في تشكيل هويته وقناعاته، والاختلاف بين هويته الرقمية والواقعية، وصعوبة التعبير عن الرأي المخالف	7
الخامس: التصرفات الوقائية ضد المخاطر المعلوماتية	مدى ممارسة الفرد لسلوكيات وقائية، مثل التحقق من المصادر، واستخدام أدوات الحظر والإبلاغ، ومناقشة المحتوى المشكوك فيه، وتحديث برامج الحماية، والبحث المعمق	5
السادس: مقاومة تشكيل الهوية وتسليع المعرفة	مدى مقاومة الفرد لمحاولات تشكيل هويته واستغلال بياناته، مثل استخدام أدوات حجب التتبع، ورفض المنتجات الموجهة، ومسح سجل التصفح، والبحث عن مصادر متنوعة، ووضع حدود زمنية للاستخدام	6
المجموع		38

واستُخدم مقياس ليكرت الرباعي (أبدًا، نادرًا، أحيانًا، دائمًا) للاستجابة على فقرات المحاور الستة، ورُمِّزت الإجابات بالأوزان (1، 2، 3، 4) على التوالي. وقد اختير المقياس الرباعي لتجنب الميل إلى الاستجابة المحايدة (Central Tendency Bias)[55]. ويترتب على ذلك أن المدى النظري لمتوسط أي فقرة أو محور يمتد من (1) إلى (4).

وتجدر الإشارة إلى أن المحاور تختلف في اتجاه دلالتها: فارتفاع الدرجة في المحورين الأول والثاني يعني زيادة التعرض للمخاطر أو للآثار السلبية، في حين يعني ارتفاعها في المحورين الخامس والسادس زيادة الوقاية والمقاومة؛ ولذلك يُعتمد في التفسير على المحاور منفردة.

خصائص الأداة: صدقها وثباتها واعتدالية توزيع بياناتها

يتناول هذا القسم خصائص الأداة من خلال معاملات الثبات، ومؤشرات الاتساق الداخلي، وفحص اعتدالية التوزيع. وتجدر الإشارة إلى أن الصدق الظاهري وصدق المحتوى قد فُحصا من خلال عرض الأداة على خمسة محكّمين من أساتذة الإعلام (انظر الملحق الثاني).

أولًا: ثبات الأداة (معامل كرونباخ ألفا)

حُسب معامل كرونباخ ألفا لكل محور، ولمقياسين فرعيين يجمعان المحاور المتسقة في الاتجاه: إدراك المخاطر وآثارها (المحاور 1–4)، والسلوك الوقائي والمقاومة (المحوران 5–6). وتراوحت معاملات الثبات للمحاور الستة بين (0.69) و(0.79)، وبلغت (0.88) و(0.80) للمقياسين الفرعيين، كما يوضح الجدول الآتي:

جدول (2): معاملات كرونباخ ألفا وارتباط الفقرة المصحح لمحاور الدراسة

المقياس	عدد الفقرات	ألفا كرونباخ	مدى ارتباط الفقرة المصحح
المحور الأول: المخاطر المعلوماتية	7	0.69	0.51–0.26
المحور الثاني: الآثار السلبية للبيئة المعلوماتية	7	0.72	0.56–0.29
المحور الثالث: تسليع المعرفة والبيانات	6	0.79	0.64–0.36
المحور الرابع: هندسة الهوية وتأثير المنصات	7	0.73	0.58–0.32
المحور الخامس: التصرفات الوقائية	5	0.74	0.57–0.43
المحور السادس: مقاومة تشكيل الهوية وتسليع المعرفة	6	0.71	0.49–0.34

[55] يُستحسن توثيق اختيار المقياس الرباعي بمرجع منهجي في تصميم الاستبيانات، مثل: Fowler (2014)، المرجع السابق.

المقياس	عدد الفقرات	ألفا كرونباخ	مدى ارتباط الفقرة المصحح
المقياس الفرعي: إدراك المخاطر وآثارها (المحاور 1–4)	27	0.88	—
المقياس الفرعي: السلوك الوقائي والمقاومة (المحوران 5–6)	11	0.80	—

تشير هذه القيم إلى ثبات مقبول لكل محور، وهي قيم معتادة في المحاور القصيرة (5–7 فقرات). ولا تُحسب في هذه الدراسة درجة كلية واحدة للأداة؛ لأن المحاور الأربعة الأولى تقيس إدراك المخاطر والشعور بآثارها، في حين يقيس المحوران الأخيران السلوك الوقائي، وجمعها في رقم واحد يجعل من يشكو أكثر من القلق والعزلة «أعلى مناعة». كما أن معامل ألفا يقيس الاتساق الداخلي ولا يثبت بمفرده الصدق البنائي[56].

ثانيا: الاتساق الداخلي (معامل ارتباط بيرسون)

حُسب ارتباط كل فقرة بمتوسط بقية فقرات محورها (الارتباط المصحح الذي يستبعد الفقرة نفسها)، وارتباط كل محور بمتوسط بقية المحاور. وجاءت النتائج على النحو الآتي:

فقرات المحور الأول: تراوحت معاملات الارتباط المصححة بين (0.26) و(0.51)، وكانت أعلاها الفقرة الثالثة، وأدناها الفقرة الثانية.

فقرات المحور الثاني: تراوحت معاملات الارتباط المصححة بين (0.29) و(0.56)، وكانت أعلاها الفقرة الرابعة، وأدناها الفقرة الأولى.

فقرات المحور الثالث: تراوحت معاملات الارتباط المصححة بين (0.36) و(0.64)، وكانت أعلاها الفقرة الأولى والخامسة، وأدناها الفقرة الثانية.

فقرات المحور الرابع: تراوحت معاملات الارتباط المصححة بين (0.32) و(0.58)، وكانت أعلاها الفقرة الخامسة، وأدناها الفقرة الثانية.

فقرات المحور الخامس: تراوحت معاملات الارتباط المصححة بين (0.43) و(0.57)، وكانت أعلاها الفقرة الثالثة، وأدناها الفقرة الرابعة.

فقرات المحور السادس: تراوحت معاملات الارتباط المصححة بين (0.34) و(0.49)، وكانت أعلاها الفقرة الرابعة والسادسة، وأدناها الفقرة الأولى.

جدول (3): معاملات ارتباط كل محور بمتوسط بقية المحاور

المحور	الارتباط بمتوسط بقية المحاور
المحور الأول: المخاطر المعلوماتية	0.55
المحور الثاني: الآثار السلبية للبيئة المعلوماتية	0.43
المحور الثالث: تسليع المعرفة والبيانات	0.58
المحور الرابع: هندسة الهوية وتأثير المنصات	0.57
المحور الخامس: التصرفات الوقائية	0.24
المحور السادس: مقاومة تشكيل الهوية وتسليع المعرفة	0.44

تجاوزت جميع معاملات ارتباط الفقرات المصححة الحدَّ المألوف (0.20)، وأضعفها فقرة «أجد صعوبة في التمييز بين المحتوى الإخباري الحقيقي والمحتوى المدعوم» (0.26). أما ارتباط المحاور ببعضها فيكشف بنية من كتلتين: المحاور الأربعة الأولى تترابط فيما بينها (0.42–0.57)، والمحوران الخامس والسادس يترابطان (0.51)، في حين يضعف الارتباط بين الكتلتين؛ ولهذا كان المحور الخامس

[56] Field (2018)، المرجع السابق.

الأضعف ارتباطًا ببقية المحاور (0.24). وتدعم هذه البنية معاملة الكتلتين مقياسين منفصلين، ويُستحسن التحقق منها بتحليل عاملي توكيدي على عينة أكبر[57].

ثالثًا: اعتدالية التوزيع

فُحصت اعتدالية توزيع درجات المحاور باستخدام اختبار شابيرو–ويلك، إلى جانب معاملي الالتواء والتفلطح.

جدول (4): نتائج اختبار شابيرو–ويلك ومعاملي الالتواء والتفلطح (ن = 166)

المقياس	المتوسط	الانحراف المعياري	الالتواء	التفلطح	شابيرو–ويلك (W)	قيمة الاحتمال
المحور الأول	2.74	0.51	0.45-	0.02-	0.967	0.001 >
المحور الثاني	2.38	0.58	0.15	0.25-	0.986	0.106
المحور الثالث	2.65	0.73	0.19-	0.82-	0.974	0.003
المحور الرابع	2.48	0.59	0.07	0.48-	0.988	0.169
المحور الخامس	2.96	0.66	0.46-	0.26-	0.963	0.001 >
المحور السادس	2.67	0.62	0.25-	0.48-	0.981	0.020
إدراك المخاطر وآثارها	2.56	0.47	0.03-	0.38-	0.991	0.399
السلوك الوقائي والمقاومة	2.80	0.55	0.29-	0.12-	0.985	0.075

تُظهر النتائج انحرافًا دالًا عن التوزيع الطبيعي في المحاور الأول والثالث والخامس والسادس، وعدم دلالته في المحورين الثاني والرابع وفي المقياسين الفرعيين. غير أن قيم الالتواء (بين –0.46 و 0.15) والتفلطح (بين –0.82 و–0.02) صغيرة، وتقع جميعها ضمن الحدود المقبولة الشائعة (±1)، وهو انحراف طفيف لا يمنع استخدام الاختبارات المعلمية.

ويتمتع اختبار (ت) وتحليل التباين بصيغة ولش بمتانة معقولة أمام هذا القدر من الانحراف في عينة بهذا الحجم[58]. ومع ذلك، يُوصى في الدراسات اللاحقة بتأكيد نتائج الفروق باختبارات لامعلمية مكافئة (مان–ويتني، وكروسكال–واليس)، ولا سيما في المجموعات صغيرة الحجم.

الدراسات السابقة

الدراسات السابقة التي تناولت مفهوم المناعة الفكرية

يُعد كتاب عبد الكريم بكار «المناعة الفكرية» (2008) من أوائل الأعمال العربية التي تناولت المفهوم بصورة مستقلة، وهو في أصله مجموعة مقالات فكرية لا دراسة ميدانية، قدّم فيها تصورًا نظريًا للمناعة الفكرية كقدرة على التمييز بين الصحيح والسقيم في مجال الأفكار والتصورات، مع تطبيقات تربوية مقترحة. وخلص الكتاب إلى أن المناعة الفكرية تتطلب بناء معرفيا متكاملا يجمع بين المهارات العقلية والقيم الأخلاقية والاتجاهات النفسية، وأكدت على أهمية المؤسسات التربوية في بناء هذه المناعة منذ المراحل المبكرة.[59] استفادت هذه الدراسة من تصور بكار النظري للمناعة الفكرية، وخاصة في بناء التعريف الإجرائي الأولي للمفهوم، كما استفادت من تأكيده على البعد التكاملي للمناعة، الذي تحلى في نموذج المثلث المناعي (الوقاية، المواجهة، البناء) الذي تقدمه الدراسة الحالية. غير أن دراسة بكار افتقرت إلى التطبيقات الرقمية المعاصرة، وهو ما تسعى الدراسة الحالية إلى سده.

---

[57] Hair et al.)2014(، المرجع السابق.

[58] Field)2018(، المرجع السابق.

[59] بكار، عبد الكريم. (2008). المناعة الفكرية. الرياض: مؤسسة الإسلام اليوم، ص 25، 52

كما تناولت دراسة بن خليفة 2022 بعنوان (المناعة الفكرية لدى طلبة الجامعة: دراسة مقارنة) هذا المفهوم من منظور نفسي مقارن. اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي المقارن، واستخدمت مقياسا نفسيا لقياس المناعة الفكرية لدى عينة من طلبة الجامعة. خلصت الدراسة إلى وجود فروق في مستويات المناعة الفكرية تعزى للتخصص الدراسي والجنس، مع وجود ضعف عام في الجانب التطبيقي للمناعة مقارنة بالجانب النظري، وأكدت على أهمية الفصل بين الجانب النظري والجانب التطبيقي في برامج تعزيز المناعة الفكرية.[60] استفادت هذه الدراسة من أداة بن خليفة في تصميم اختبار المناعة الفكرية IIQ في الفصل السادس، كما استفادت من تأكيدها على أهمية الفصل بين الجانب النظري والجانب التطبيقي، وهو ما تحلى في تصميم اختبار يتضمن ثلاثة أقسام: معرفي، وتطبيقي، وتحليلي. غير أن دراسة بن خليفة طبقت في السياق الجزائري فقط، بينما تطبق الدراسة الحالية في السياق القطري والخليجي مع امتداد نظري إلى السياق العربي الأوسع.

وقدمت دراسة يوسف والفضلي 2025 بعنوان (المناعة الفكرية: نحو نموذج عربي تكاملي) نموذجا عربيا تكامليا للمناعة الفكرية يبجمع بين الأبعاد النفسية والعصبية والمعرفية والمناعية. اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي والنقدي، وخلصت إلى أن النموذج العربي للمناعة الفكرية يجب أن يجمع بين التأصيل النظري في التراث الإسلامي والتطبيقات المعاصرة في علم النفس العصبي.[61] استفادت هذه الدراسة من النموذج التكاملي الذي قدمه يوسف والفضلي، وخاصة في بناء التعريف الإجرائي للمناعة الفكرية وتصميم اختبار المناعة الفكرية في الفصل السادس، كما استفادت من تأكيدهما على أهمية الربط بين التراث الإسلامي والمعاصرة النفسية.

إلى جانب الدراسات التي تم استعراضها ظهرت في السنوات الأخيرة 2024 2026 دراسات جديدة تناولت المناعة الفكرية والمخاطر الرقمية من زوايا متكاملة، مما يعكس تزايد الاهتمام الأكاديمي بهذا المجال. فدراسة الخوالدة والعزة 2024 بعنوان (المناعة الفكرية لدى طلبة الجامعة في ظل التحول الرقمي)، والتي اعتمدت على المنهج الوصفي التحليلي وطبقت مقياسا نفسيا على عينة من 400 طالب وطالبة في الجامعات الأردنية، خلصت إلى أن مستوى المناعة الفكرية لدى الطلاب جاء متوسطا، مع وجود فروق ذات دلالة إحصائية لصالح الإناث ولصالح طلاب التخصصات الإنسانية مقارنة بالتخصصات العلمية، وأوصت بدمج مهارات التفكير النقدي في المناهج الجامعية وتنظيم ورش عمل حول الوعي الخوارزمي.[62]

كما تناولت دراسة الغامدي والشمري 2025 بعنوان (دور وسائل التواصل الاجتماعي في تشكيل الوعي الفكري لدى الشباب السعودي) تأثير هذه المنصات على الوعي الفكري، باستخدام المنهج المسحي على عينة من 500 شاب وشابة في مدينتي الرياض وجدة، وأظهرت النتائج أن 68% من المشاركين يتعرضون محتوى تضليلي بشكل يومي، وأن 45% منهم لا يتحققون من صحة المعلومات التي يشاركونها كما كشفت عن وجود علاقة إيجابية بين قضاء ساعات طويلة على وسائل التواصل وتراجع القدرة على التفكير النقدي.[63]

أما دراسة بدزكري والحاج 2025 بعنوان (الخوارزميات وتشكيل الهوية الرقمية لدى الشباب المغربي)، فقد اعتمدت على منهج دراسة الحالة مع مقابلات معمقة مع 30 شابا مغربيا وأوضحت كيف تساهم خوارزميات التوصية في توجيه اهتمامات الشباب وتشكيل هوياتهم الرقمية، وكيف تؤدي إلى تفتيت الهوية الوطنية لصالح هويات عاللمية وسيطة، وناقشت سبل مقاومة هذا التوجه من خلال تعزيز الوعي الخوارزمي والمواطنة الرقمية.[64]

---

[60] بن خليفة، فاطيمة. 2022 المناعة الفكرية لدى طلبة الجامعة: دراسة مقارنة. مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، المجلد 14 العدد 2 45 ص-. 62

[61] يوسف، سليمان، والفضلي، هدى. 2025 المناعة الفكرية: نحو نموذج عربي تكاملي (نفسي عصبي معرفي مناعي). دراسات في علم الارطوفوبيا وعلم النفس العصبي، المجلد 9 العدد 1 23 ص-//. 48

[62] الخوالدة، محمد, والعزة، سارة. 2024 المناعة الفكرية لدى طلبة الجامعة. مجلة العلوم التربوية والنفسية، 15 3 78 ص//ا-. 95

[63] الغامدي، فيصلء والشمريء نورا. 2025 دور وسائل التواصل الاجتماعي في تشكيل الوعي الفكري. مجلة الدراسات الاجتماعية، 20 2 112 ص؟-. 130

[64] بدركري، يوسف، والحاج، مية. 2025 الخوارزميات وتشكيل الهوية الرقمية لدى الشباب المغربي. مجلة الباحث في العلوم الإنسانية، العدد 45 غع، ص 55 ه- ل 72.

أما دراسة المنصوري والجهني 2026 بعنوان (الأمن الفكري والمواطنة الرقمية في المجتمعات الخليجية)ء وهي دراسة نظرية تحليلية، فناقشت التحديات التي تواجه الأمن الفكري في العصر الرقمي، وقدمت تصورا استراتيجيا لتعزيز المواطنة الرقمية من خلال التربية الإعلامية والنشر يعات الذكية والتعاون الدوليع وأكدت على أهمية الربط بين الأمن الفكري والمواطنة الرقمية كمدخل متكامل لمواجهة التضليل المعلوماتي.[65]

أما دراسة أحمد وعبد الله 2026 بعنوان (اقتصاد الانتباه وتأثيره في الصحة النفسية للشباب العربي)، فقد اعتمدت على منهج تحليل المحتوى لتحليل منشورات الشباب العربي على منصات التواصل الاجتماعي، وكشفت عن وجود مستويات مرتفعة من القلق الرقمي والإرهاق النفسي بين الشباب، وربطت ذلك بتصميم الخوارزميات القائم على اختطاف الانتباه وإطالة وقت الاستخدام، وقدمت توصيات لتعديل سياسات المنصات وتعزيز الصحة الرقمية.[66]

على المستوى الدولي، ظهرت أيضا دراسات مهمة تناولت موضوعات قريبة من المناعة الفكرية، منها Critical Digital Literacy in the Age of Misinformation 2024 والتي تناولت كيف يمكن للتعليم أن يعزز القدرة على مواجهة التضليل الرقمي، وخلصت إلى أن برامج محو الأمية الرقمية النقدية يجب أن تتجاوز مجرد تعليم مهارات التحقق من المعلومات لتشمل فهم الاقتصاد السياشي للمنصات الرقمية وآليات تشكيل الرأي العام، وأكدت على أهمية دمج هذه المهارات في التعليم الأساشي واجامعي بشكل منهجي ومستمر[67]

Algorithmic Awareness and Information Processing 2025 among Youth فركزت على وعي الشباب بآليات عمل الخوارزميات و تأثيرها في توجيه استهلاكهم للمعلومات، وأظهرت أن الشباب الذين يمتلكون فهما أعمق للخوارزميات يكونون أكثر قدرة على تنويع مصادر معلوماتهم وأقل عرضة لفقاعات التصفية، مما يعزز مناعتهم الفكرية، وأكدت على أهمية تعليم الوعي الخوارزمي كجزء من التربية الإعلامية في المدارس.[68]

في سياق متصل، قدمت دراسة تشن ولي 2026 بعنوان (Social Media, Identity Formation, and ععمء Resilience نازوع Digital وهي دراسة طولية استمرت عامين، تابعت تأثير وسائل التواصل على تشكيل الهوية لدى المراهقين في الصين والولايات المتحدة، وكشفت عن وجود علاقة عكسية بين استخدام وسائل التواصل والتماسك الحوياق، وأن المرونة الرقمية يمكن أن تلعب دورا وقائيا مهما في الحد من هذا التأثير السلبي، كما أشارت إلى أن برامج تعزيز المرونة الرقمية يجب أن تكون مصممة خصيصا لكل سياق ثقاق.[69]

كما تناولت دراسة ديريستا 2024 بعنوان Invisible Rulers استراتيجيات التضليل المنظم التي تستخدمها جهات سياسية واقتصادية للتأثير في الرأي العام. اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي والنقدي، وخلصت إلى أن التضليل أصبح صناعة متطورة لما أدواتحا وخبراؤهاء وأن شركات التكنولوجيا الكبرى أصبحت أداة رئيسية في هذه الصناعة.[70] استفادت هذه الدراسة من تحليل ديريستا لاستراتيجيات التضليل في الفصل الأول، وخاصة استراتيجيات غرف الصدى والحسابات الآلية، كما استفادت من تأكيدها على أن التضليل أصبح صناعة متطورة وليس مجرد نشاط هامشي.

---

[65] لمنصوري، أحمد، والجهني، محمد. 2026 الأمن الفكري والمواطنة الرقمية في المجتمعات الخليجية. مجلة الدراسات الخليجية، 8 1 ص 34 50 ه

[66] حمدء سارة، وعبد الله خالد. 2026 اقتصاد الانتباه وتأثيره في الصحة النفسية للشباب العربي. مجلة الصحة النفسية العربية، 12 2 ص 88 -ه. 105

[67] Fuchs, C., & Others. (2024). Critical digital literacy in the age of misinformation. Journal of Media Literacy ,Education 62-45.مم ,(2)16 و. pp

[68] Baron, N., & Wang, Y. (2025). Algorithmic awareness and information processing among youth. Computers in Human Behavior, 145, pp. 78-95.

[69] Chen, L., & Li, M. (2026). Social media, identity formation, and digital resilience. Journal of Youth Studies, 112-130. 29(1), pp.

[70] DiResta, R. (2024). Invisible rulers: The people who turn lies into reality. New York: PublicAffairs, p. 34.

الدراسات السابقة التي تناولت الأبعاد الاقتصادية والسياسية للمخاطر المعلوماتية

تعد دراسة زوبوف 2019 بعنوان The Age of Surveillance Capitalism من أهم الدراسات النقدية التي تناولت الاقتصاد السياشي للفضاء الرقمي. اعتمدت الدراسة على التحليل النقدي والنظري، وهدفت إلى كشف كيفية تحول السلوك البشري إلى مادة خام تستخرج وتلل وتباع في أسواق التنبؤ. خلصت الدراسة إلى أن رأسمالية المراقبة تمثل تحولا نوعيا في الرأسماليق، حيث لا تستغل العمل البشري فقط، بل تستغل الحياة البشرية نفسه(.[71] استفادت هذه الدراسة بشكل كبير من تحليل زوبوف للرأمالية المراقبة في الفصل السادس، حيث تم تطبيق مفاهيمها على السياق العربي والخليجي، كما استفادت من تأكيدها على أن المستخدمين ليسوا زبائن، بل هم المواد الخام التي تستخرج وتباع.

كما قدمت دراسة كولدري وميخياس 2019 بعنوان The Costs of Connection مفهوم استعمار البيانات Data Colonialism لفهم العلاقة بين الشركات الكبرى والمستخدمين في الجنوب العالمي، وأكدت على أن هذه العلاقة تشبه العلاقة الاستعمارية الكلاسيكية من حيث استخراج الموارد (البيانات) دون تعويض عادل.[72] استفادت هذه الدراسة من مفهوم استعمار البيانات في تحليل العلاقة بين الشركات التكنولوجية الكبرى والشباب العربي في الفصل السادس؛ كما استفادت من تأكيد الدراسة على أن استعمار البيانات لا يحتاج إلى جنود أو مدافع، بل يحتاج فقط إلى هاتف ذكي وتطبيق مجاني.

وبحثت دراسة سرنيسيك 2017 بعنوان Platform Capitalism في كيفية تحول الاقتصاد الرقمي إلى اقتصاد منصاتٍ يقوم على استخراج الإيجار من تفاعلات المستخدمين، وخلصت إلى أن المنصات الرقمية لا تنتج سلعاء بل تنتج الظروف التي تمكن الآخرين من إنتاج السلع، وفي مقابل ذلك تستخرج إيجارا من هذه التفاعلات.[73] استفادت هذه الدراسة من تحليل سرنيسيك للرأسمالية المنصاتية في الفصل السادس، وخاصة في فهم كيفية استخراج القيمة من التفاعلات الرقمية دون إنتاج مادي مباشر.

الدراسات السابقة التي تناولت التربية الإعلامية والمناعة الرقمية

قدمت دراسة هوبز 2021 بعنوان Media Literacy in Action إطارا عمليا لتعليم مهارات محو الأمية الإعلامية في عصر التضليل الرقمي، وخلصت إلى أن محو الأمية الإعلامية الفعال يتطلب أكثر من مجرد معرفة نظرية، بل يحتاج إلى تدريب عملي على مهارات التحقق من المعلومات، وفهم الخوارزميات، وإنتاج المحتوى النقدي(.[74] استفادت هذه الدراسة من إطار هوبز العملي في تصميم الأدوات التطبيقية في الفصل السابع، وخاصة مختبرات النقد وحقيبة المعلم المنيع.

كما هدفت دراسة بان وآخرون 2024 إلى تطوير مقياس للمرونة الرقمية للطلاب في المرحلة الابتدائية والثانوية، وخلصت إلى أن المرونة الرقمية تتضمن ثلاثة أبعاد هي: استراتيجيات التكيف، والتعافي بعد التعرض للمخاطر الرقمية، والنمو الشخصي الناتج عنها.[75] استفادت هذه الدراسة من مقياس بان وآخرون في تصميم استبيان الوعي الخوارزمي في الفصل السادس؛ كما استفادت من تأكيدهم على أهمية القياس المتعدد الأبعاد للمناعة الرقمية.

---

[71] Zuboff, S. (2019). The age of surveillance capitalism: The fight for a human future at the new frontier of power. New York: PublicAffairs, p. 86-215.

[72] Couldry, N., & Mejias, U. (2019). The costs of connection: How data is colonizing human life and appropriating it for capitalism. Stanford: Stanford University Press, p. 15-45.

[73] Srnicek, N. (2017). Platform capitalism. Cambridge: Polity Press, p. 35-78.

[74] Hobbs, R. (2021). Media literacy in action: Questioning the media. Lanham, MD: Rowman & 45. Littlefield, p.

[75] Pan, Q., Lan, M., Tan, C. Y., Tao, S., Liang, Q., & Law, N. (2025). Development and validation of digital resilience scale for primary and secondary school students. BMC Psychology. https://doi.org/10.1186/s40359-025-03739-0

الفجوات البحثية التي تسعى الدراسة إلى سدها

يمكن حصر الفجوات البحثية التي تسعى الدراسة الحالية إلى سدها في سبع نقاط رئيسة. أولا، قلة الدراسات التي تؤصل مفهوم المناعة الفكرية في التراث الحضاري الإسلامي والإنساني، حيث ركزت معظم الدراسات السابقة على الجوانب التطبيقية المعاصرة دون العودة إلى الجذور الحضارية للمفهوم. ثانيا، غياب نموذج علاجي متكامل يجمع بين الوقاية والمواجهة والبناء، حيث اكتفت معظم الدراسات بالتشخيص والتحذير دون تقديم حلول عملية متكاملة. ثالثا، ندرة الأدوات العملية القابلة للتطبيق المباشر في المؤسسات التربوية والإعلامية وامجتمعية، حيث ظلت معظم الدراسات في المستوى النظري دون تقديم أدوات ملموسة للممارسين. رابعا، قلة الدراسات التي تربط بين المخاطر المعلوماتية والأبعاد الاقتصادية والسياسية في السياق العربي، حيث ركزت الدراسات السابقة على الأبعاد التقنية والإعلامية دون كشف العلاقات الخفية. خامسا، ندرة المؤشرات الوطنية ومقاييس الفاعلية المصممة خصيصا للسياق العربي، ما يعيق تتبع تقدم المناعة الفكرية وتوجيه الموارد بناء على بيانات دقيقة. سادساء قلة التحليل المعمق لخوارزميات المنصات في السياق العربي، حيث لم تقدم الدراسات السابقة تحليلا مفصلا لكيفية تأثير خوارزميات مثل تيك توك في الهوية الثقافية للشباب الخليجي والعربي. سابعاء ندرة الربط بين المناعة الفكرية والمتغيرات الديموغرافية في السياق العربي، وهو ما تقوم به هذه الدراسة من خلال التحليل الإحصائي لبيانات عينة ميدانية من الشباب العربي 246 مشاركا من جنسيات عربية متعددة)، مما يوفر قاعدة بيانات كمية تدعم التوصيات والسياسات المقترحة.

إضافة إلى الفجوات السبع التي تم تحديدهاء يمكن إضافة ثلاث فجوات بحثية أخرى تعزز أهمية الدراسة الحالية وتبرر الحاجة إليها. تتمثل الفجوة الثامنة في ندرة الدراسات التي تربط بين المناعة الفكرية والأبعاد الاقتصادية والمالية للمخاطر المعلوماتية، مثل تأثير التضليل على القرارات الاستثمارية والمالية للشباب، أو علاقة استغلال البيانات بتاكل القوة الشرائية وتوجيه سلوك المستهلك، أو التكلفة الاقتصادية لا نخفاض الإنتاجية الناتج عن الإدمان الرقمي. تسعى هذه الدراسة إلى سد هذه الفجوة من خلال تحليل الآثار الاقتصادية لتسليع المعرفة والبيانات في الفصل السادس

وتتمثل الفجوة التاسعة في قلة الدراسات التي تقدم نماذج عربية متكاملة للمناعة الفكرية تشمل الأبعاد التشريعية والسياسية والاقتصادية، وتتجاوز الجوانب التربوية والنفسية فقط. فرغم أن معظم الدراسات العربية ركزت على الجوانب التربوية والنفسية، فإنها تجاهلت الأبعاد السياسية (دور الدولة في وضع السياسات)، والتشريعية (القوانين الحامية للبيانات)، والاقتصادية (آليات استغلال البيانات). تسعى هذه الدراسة إلى تقديم نموذج متكامل يشمل هذه الأبعاد، ويقدم توصيات عملية للدول والمؤسسات.[76]

وتتمثل الفجوة العاشرة في ندرة الدراسات التي تقدم أدوات قياس عملية ومؤشرات وطنية لرصد تطور المناعة الفكرية وتقييم فاعلية البرامج بشكل دوري. فمعظم الدراسات قدمت توصيات عامة دون تطوير آليات قياس قابلة للتطبيق العملي، ما يجعل من الصعب تتبع التقدم وتقييم العائد على الاستثمار في برامج تعزيز المناعة. تسعى هذه الدراسة إلى سد هذه الفجوة من خلال تطوير اختبار المناعة الفكرية، واستبيان الوعي الخوارزمي، والمؤشر الوطني للمناعة الفكرية كأدوات قياس عملية.[77]

شهدت السنوات الأخيرة 2024 2026 تزايدا ملحوظا في الدراسات التي تناولت المناعة الفكرية والمخاطر الرقمية من زوايا متعددة، مما يعكس تزايد الاهتمام الأكاديمي بهذا المجال على المستويين العربي والدولي. ويسهم استعراض هذه الدراسات في تحديد الفجوات البحثية التي تسعى الدراسة الحالية إلى سدها، وتوفير إطار مرجعي يثري فهم الإشكالية المطروحة من أبعادها المختلفة.

---

[76] يوسف، سليمان، والفضلي، هدى. 2025 المناعة الفكرية: نحو نموذج عربي تكاملي. دراسات في علم الارطوفوبيا وعلم النفس العصبي، 9 1 ص؟- 23 م 48.

[77] Pan, Q., Lan, M., Tan, C. Y., Tao, S., Liang, Q., & Law, N. (2025). Development and validation of digital resilience scale for primary and secondary school students. BMC Psychology. https://doi.org/10.1186/s40359-025-03739-0

دراسات المناعة الفكرية لدى الشباب

في مجال المناعة الفكرية، سعت دراسات عدة إلى قياس مستوياتحا لدى فئات مختلفة من الشباب، وتحديد العوامل المؤثرة فيها، مع دركيز خاص على الدور الوقائي للمناعة الفكرية في مواجهة التطرف والتعصب الفكري. فقد تناولت دراسة جابر 2025 بعنوان المناعة الفكرية كمتغير معدل للعلاقة بين القابلية للاستهواء والاتحاه نحو التطرف الفكري لدى عينة من الشباب الجامعي مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي، هدفت إلى الكشف عن الدور المعدل للمناعة الفكرية في العلاقة بين قابلية الشباب للاستهواء واتحاههم نحو التطرف الفكري. طبقت الدراسة على عينة قوامها 320 شابا جامعيا من مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي في مصر، واعتمدت على المنهج الكمي والكيفي معا، وطبقت أربعة مقاييس نفسية متخصصة. وتوصلت إلى نتيجة جوهرية مفادها أن المناعة الفكرية تعدل العلاقة بين القابلية للاستهواء والاتحاه نحو التطرف الفكري لدى عينة الدراسة، كما وجدت فروقا ذات دلالة إحصائية لصالح الإناث في مستويات المناعة الفكرية.[78] وتكمن أهمية هذه الدراسة في كونها أولى الدراسات العربية التي تختبر الدور الوسيط للمناعة الفكرية في سياق التطرف, مما يفتح آفاقا جديدة للبحث في العلاقة بين الاستهلاك الرقمي والانحراف الفكري.

كما تناولت دراسة الفضلى 2025 بعنوان المناعة الفكرية وإسهامها الوقائي في الحد من التعصب الفكري كعامل خطر نفسي على الأمن الإنساني ومهدد للهوية لدى الشباب الجامعى الكويتي. المناعة الفكرية من منظور وقائي. هدفت الدراسة إلى التعرف على مستوى كل من المناعة الفكرية والتعصب الفكري لدى الشباب الجامعي الكويى، والكشف عن طبيعة العلاقة بينهما، وتحديد مدى مساهمة المناعة الفكرية في التنبق بالتعصب الفكري. طبقت الدراسة على عينة قوامها 300 شاب وشابة من طلاب جامعة الكويت، باستخدام مقياس المناعة الفكرية في إطار النموذج التكاملي، ومقياس التعصب الفكري من إعداد الباحثة. واستخدمت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية ومعامل ارتباط بيرسون وتحليل الانحدار. وتوصلت النتائج إلى أن أفراد العينة يمتلكون مستويات متوسطة في كل من المناعة الفكرية والتعصب الفكري، مع وجود علاقة سالبة جوهرية بينهما، كما أظهرت النتائج أن نسبة إسهام المناعة الفكرية في التنبؤ بالتعصب الفكري بلغت 71.5 (ه,/). %[79] وتعد

هذه النسبة المرتفعة دليلا قويا على أن المناعة الفكرية ليست مجرد مفهوم نظري، بل هي متغير نفسي فعال يمكنه التنبؤ بساوكيات فكرية خطيرة، مما يعزز أهمية بناء برامج لتعزيز هذه المناعة لدى الشباب.

دراسات التضليل المعلوماتي ومحو الأمية الإعلامية

في سياق التضليل المعلوماتي ومحو الأمية الإعلامية، برزت دراسات عدة تناولت تحديات الشباب العربي في مواجهة الفضاء الرقمي، وكشفت عن فجوات مقلقة بين الاستخدام المكثف والوعي النقدي المحدود.

ففي دراسة علمية حديثة نشرتًا مجلة Human Behavior in كزع (Computers) 2025 تم الكشف عن أنماط استخدام واسعة النطاق لوسائل التواصل الاجتماعي بين طلاب الجامعات العرب، حيث أظهرت أن 68% من الطلاب العرب يستخدمون وسائل التواصل لأكثر من 60 ساعة أسبوعياء وذلك بشكل أساشي لأغراض الترفيه 95% والتعرض الثقافي العالمي 94% والتعبير عن الذات 94% ورغم أن 81% من الطلاب يعترفون بعدم مصداقية المحتوى، 77 و/ % يدركون ميل وسائل التواصل لتجاهل القضايا المهمة، فإنحم يواصلون الاستخدام المكثف. وكشفت الدراسة عن وجود ارتباط سلبي معتدل 0.47 بين عدد ساعات الاستخدام اليومي ومستوى الرضاء ما يعني أن الاستخدام المفرط يقلل الاهتمام بالقضايا المحلية والعالمية، ويعرض المستخدمين لمخاطر التضليل المعلوماتي. وتوصي هذه الدراسة بتنفيذ حملات توعوية وتعليمية في الجامعات العربية لتعزيز فهم المخاطر المرتبطة بالاعتماد المفرط على وسائل التواصل.

---

[78] جابر، إيمان عبد الرؤوف حسن. 2025). المناعة الفكرية كمتغير معدل للعلاقة بين القابلية للاستهواء والاتجاه نحو التطرف الفكري لدى عينة من الشباب الجامعى مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي. مجلة بحوث الشرق الأوسط، المجلد 13 لي العدد 2 ص 96 -/!؟. 97

[79] الفضلي هدى. 2025). المناعة الفكرية وإسهامها الوقائي في الحد من التعصب الفكري كعامل خطر نفسي على الأمن الإنساني ومهدد للهوية لدى الشباب الجامعي الكويتي. دراسات في علم النفس، المجلد 12 العدد 3 ص 45 67

Media education and countering disinformation: A 2025 Tayie qualitative study of Egyptian youth فقد هدفت إلى دراسة دور التربية الإعلامية في مكافحة الأيديولوجيات المتطرفة والمعلومات المضللة، مع التركيز على كيفية تعزيز الوعي الإعلامي ومحو الأمية الإعلامية لدى طلاب الجامعات. استخدمت الدراسة المنهج النوعي، وأجرت مقابلات متعمقة مع اثني عشر من المتخصصين في الإعلام والأكاديميين والخبراء، إلى جانب مناقشات جماعية مركزة مع طلاب من جامعات القاهرة والجامعة الأمريكية بالقاهرة وجامعة مصر الدولية. وأظهرت النتائج إجماعا قويا من الخبراء على أهمية تزويد الشباب بمهارات محو الأمية الإعلامية، كما كشفت أن الطلاب يتعاملون بشكل أساشي مع الوسائط الرقمية بدلا من التقليدية، لكنهم يظهرون فهما محدودا لمفاهيم التربية الإعلامية'.[80] وتكمن أهمية هذه الدراسة في كوتها تقدم دليلا نوعيا على الفجوة بين الاستهلاك الرقمي المكثف والوعي النقدي امحدود لدى الشباب العربي، وهي فجوة تسعى الدراسة الحالية إلى معالجتها من خلال تقديم نموذج علاجي متكامل.

دراسات الوعي الخوارزمي والمرونة الرقمية.

في سياق الوعي الخوارزمي، كشفت دراسات حديثة عن نتائج مفاجئة تتعلق بعلاقة المعرفة الخوارزمية

أما دراسة تشونغ (Chung, 2025) المنشورة في Harvard Kennedy School Misinformation Review بعنوان (When knowing more means doing less: Algorithmic knowledge and digital (dis)engagement among young adults) فقد هدفت إلى قياس مستوى الوعي الخوارزمي والمعرفة الخوارزمية لدى الشباب في الولايات المتحدة (الفئة العمرية 18 25 عينة - 348 وعلاقة ذلك باتجاهاتهم وسلوكياتهم تجاه محتوى وسائل التواصل الاجتماعي. وتوصلت الدراسة إلى أن ارتفاع الوعي الخوارزمي يرتبط بزيادة القلق بشأن المعلومات المضللة وفقاعات التصفية، لكن الأفراد ذوي الوعي الخوارزمي الأعلى هم أقل ميلا لتصحيح المعلومات المضللة أو التفاعل مع وجهات النظر المخالفة على وسائل التواصل، مما يعكس محدودية الفاعلية الخوارزمية لديهم. وتشير الدراسة إلى أن الاستخدام المتكرر لوسائل التواصل والتتوجه السياشي الحافظ يرتبطان با نخفاض مستويات الوعي الخوارزمي، كما أن الشباب يتلقون عموما تعليما رسميا محدودا حول خوارزميات وسائل التواصل خلال المرحلة الثانوية. وتخلص الدراسة إلى أن الوعي الخوارزمي والمعرفة وحدها قد لا تعزز المشاركة الرقمية البناءة، بل نما قد تخلق نو من السخرية أو الانسحاب الرقمي، مما يستدعي تدخلات تعليمية وسياسية أعمق تتجاوز مجرد تعليم كيفية عمل الخوارزميات.[81] وهذه النتيجة تتوافق مع ما كشفته الدراسة الحالية من فجوة بين الوعي والممارسة، وهو ما يتسق مع الفجوة المحتملة بين الوعي والممارسة التي يناقشها الفصل الرابع من هذه الدراسة.

فق السياق نفسه، تناولت دراسة Felaco (ه 2025 م(الوعي الخوارزمي لدى الشباب على منصة تيك توك في إيطالياء مع التركيز على فهمهم وبحاربهم مع أنظمة التوصية والإشراف على المنصة، وكيف تؤثر هذه تيك توك، وكشفت أن الشباب يطورون وعيا عمليا بالخوارزميات من خلال التجربة اليومية، لكن هذا الوعي لا يترجم بالضرورة إلى سلوك مقاوم أو نقدي تجاه المحتوى الموجه.[82]

كما نشرت دراسة خلوة ولطفية وأراس (Khulwa, Luthfia & Aras) 2025 (ه؟) في Asian Journal for Public Opinion Research Algorithm Awareness and User Motivation as Predictors of TikTok Engagement Z in South Jakarta جعمء متأو Generation Among حيث هدفت إلى دراسة العلاقة بين الدافع والوعي الخوارزمي وسلوك المشاركة لدى مستخدمي تيك توك من الجيل Z في جنوب جاكرتا. واستخدمت الدراسة نظرية الاستخدامات والإشباعات، وجمعت بيانات من 423 مستخدماء وحللتها باستخدام نمذجة المعادللات ال ميكلية.

[80] Tayie, S. S. (2025). Media education and countering disinformation: A qualitative study of Egyptian youth. Anàlisi: Quaderns de Comunicació i Cultura, 73, 87–103. https://doi.org/10.5565/rev/analisi.3893

[81] Chung, M. (2025). When knowing more means doing less: Algorithmic knowledge and digital (dis engagement) among young adults. Harvard Kennedy School (HKS) Misinformation Review, 6(5). https://doi.org/10.37016/mr-2020-186

[82] Felaco, C. (2025). Making sense of algorithm: Exploring TikTok users' awareness of content recommendation and moderation algorithms. International Journal of Communication, 19, 1081–1102.

وأظهرت النتائج أن الدافع يعزز المشاركة بشكل كبير، بينما الوعي الخوارزمي لا يتنبأ مباشرة بالمشا ركة، لكنه يعدل بشكل كبير العلاقة بين الدافع والمشاركة، ما يضعفها. وهذا يشير إلى أن المستخدمين ذوي الوعي الأعلى يشا ركون بشكل أكثر انتقادية وانعكاسية، مما يعكس ميلا للتفكير التأملي بدلا من المشاركة الاندفاعية.[83] وتعد هذه الدراسة إضافة نوعية لفهم كيف يمكن للوعي الخـوارزمي أن يعمـل كحد معرثي للسلوك

أما في مجال المرونة الرقمية، فقد طور فريق بحـثي بقيـادة Pan وآخـرون (2025) مقياسـا للمرونـة الرقمية لطلاب المرحلة الابتدائية والثانوية، وخلصوا إلى أن المرونة الرقمية تتضمن ثلاثة أبعـاد هي: استراتيجيات التكيف، والتعافي بعد التعرض للمخاطر الرقمية، والنمو الشخصي النـاتج عنهـا.[84] وقـد استفادت الدراسة الحالية من هذا المقياس في تصميم استبيان الوعي الخوارزمي في الفصل السادس.

الفجوات البحثية

التركيز على السياق العربي والخليجي: معظم دراسـات الـوعي الخـوارزمي والمرونـة الرقميـة، مثـل دراسة Kennedy School لمد Harvard صو 2025 ودراسة Felaco 2025 ودراسة خلوة وآخرون 2025 أجريت في سياقات غربية أو آسيوية، ولم تركز على السياق العربي والخليجي تحديدا، مع ما يتسم به من خصوصية ثقافية ودينية ولغوية تؤثر في أنماط الاستخدام والتفاعل مع الفضاء الرقمي.

غياب النموذج العلاجي المتكامل: معظم الدراسات السابقة، مثل دراسة جابر 2025 ودراسة الفضلي 2025 ركزت على الجانب الوقائي أو التشخيصيء دون تقديم نموذج علاجي متكامل يجمع بين الوقاية والمواجهة والبناء، وهو ما تقدمه الدراسة الحالية من خلال المثلث المناعى.

قلة الدراسات الكمية الموثوقة في السياق العربي: اعتمدت دراسات مثل دراسة Tayie 2025 على المناهج النوعية بشكل أساشي، وافتقرت إلى الأدوات الكمية الموثوقة التي تسمح بتعميم النتائج على مستوى أوسع. وتأتي الدراسة الحالية لتسد هذه الفجوة من خلال تطبيق استبيان كمي على عينة من (166) مشاركًا، مع التحقق من ثبات محاوره إحصائيًا.

إغفال الأبعاد الاقتصادية والسياسية للمخاطر المعلوماتية: أغفلت الدراسات السابقة كشـف العلاقـات الاقتصادية والسياسية الكامنة وراء المخاطر المعلوماتية، مثل رأسمالية المراقبة واسـتعمار البيانـات، وهو ما تقدمه الدراسة الحالية في الفصل السادس من خلال تحليل نقدي لهذه العلاقات.

غياب التأصيل الحضاري للمناعة الفكرية: تتناول الدراسات السابقة تأصيل مفهـوم المناعـة الفكريـة التراث الإسلامي، واكتفت بالتعريفات المعاصرة، بينما تسعى الدراسة الحالية إلى تقديم تأصيل نظري بمتد إلى

[83] Khulwa, C. A., Luthfia, A., & Aras, M. (2025). Algorithm awareness and user motivation as predictors of TikTok engagement among Generation Z in South Jakarta. Asian Journal for Public Opinion Research, 13(2), pp. 112- 135.

[84] Pan, Q., Lan, M., Tan, C. Y., Tao, S., Liang, Q., & Law, N. (2025). Development and validation of digital resilience scale for primary and secondary school students. BMC Psychology. https://doi.org/10.1186/s40359-025-03739-0

الفصل الأول: المخاطر المعلوماتية المستجدة في الفضاء الرقمي

تمهيد

بمثل الفضاء الرقمي اليوم بيئة وجودية حاضنة للإنسان المعاصر، تتشابك فيها الخيوط التقنية والاجتماعية والنفسية لتشكل واقعا جديدا تعرفه البشرية من قبل. ومع هذا التحول العميق، تبرز مخاطر معلوماتية مستجدة لم تكن معروفة في العصور السابقة، أو كانت موجودة بشكل محدود لا يقارن بما هي عليه اليوم. هذه المخاطر لا تقتصر على الجوانب التقنية كالقرصنة أو اختراق البيانات، بل تمتد إلى الأبعاد المعرفية والنفسية والاجتماعية، حيث تستهدف تشكيل وعي الفرد وامجتمع بطرق خفية ومنظمة.[85]

مه تأثيره في الدماغ البشري وقدراته المعرفية، وصولا إلى استراتيجيات التضليل المنظم التي تستهدف تشكيل الوعي الجمعي للشباب. ولذاء فإن فهم هذه المخاطر يتطلب مقاربة متعددة التخصصات تجمع بين علم النفس العصبي، ونظرية المعلومات، والاقتصاد السياشي، وعلم الاجتماع، والنقد الثقافي.[86]

تتوزع هذه المخاطر على مستويات متداخلة، تبدأ من البنية التحتية للفضاء الرقمي نفسه، مرورا بكيفية

يهدف هذا الفصل إلى تقديم تحليل شامل للمخاطر المعلوماتية المستجدة في الفضاء الرقمي، من خلال ثمانية مباحث رئيسة يتكامل كل منها مع الآخر لتشكيل صورة متكاملة عن طبيعة هذه المخاطر وآليات عملها وتأثيراتها على الشباب العربي خاصة:. وامجتمعات العربية عامة. وسيتم في نحاية الفصل تقديم خلاصة جمع أبرز ما توصل إليه التحليل، وتمهد للفصل الثاني الذي يتناول التأصيل النظري لمفهوم المناعة الفكرية في التراث الحضاري الإسلامي والإنساني.

المبحث الأول: مفهوم الفضاء الرقمي وخصائصه

أولًا: ماهية الفضاء الرقمي ومكوناته الأساسية

الفضاء الرقمي هو مصطلح يشير إلى البيئة الافتراضية التي تنشأ عن شبكة الإنترنت وتطبيقاتها المختلفة، والتي أصبحت تمتد لتشمل جميع جوانب الحياة البشرية. وقد عرفه الفيلسوف الإيطالي لوتشانو فلوريدي بأنه الفضاء المعلومات Infosphere الذي يحيط بالإنسان ويتشابك مع وجودهء بحيث لم يعد مكنا الفصل بين الحياة الواقعية والحياة الرقمية.[87] ويذهب فلوريدي إلى أننا في عصر الفضاء المعلوماييٍ حيث تتحول الكائنات البشرية إلى كائنات معلوماتية، ومن هنا تصبح السيادة على العمليات المعرفية حقا أساسيا، بل ضرورة وجودية.[88]

ويتكون الفضاء الرقمي من ثلاثة مكونات رئيسة مترابطة، تؤدي وظائف متكاملة في تشكيل البيئة الرقمية التي يعيش فيها الشباب العربي اليوم. يتمثل المكون الأول في البنية التحتية التقنية التي تضم الأجهزة (حواسيب، هواتف ذكية، خوادم)،؛ والشبكات (كابلات الألياف البصرية، الأقمار الاصطناعية، برو وكولات الاتصال)، والبرمجيات (أنظمة التشغيل، التطبيقات، الخوارزميات). وهذه البنية التحتية ليست محايدة، بل تحمل في تصميمها خيارات فلسفية وسياسية واقتصادية تؤثر في طريقة استخدامها وتأثيرها في المستخدمين. وقد أشارت زوبوف إلى أن البنية التحتية الرقمية صممت عمدا لاستخراج البيانات السلوكية، وليس فقط لتسهيل التواصل.[89]

---

[85] Floridi, L. (2014). The fourth revolution: How the infosphere is reshaping human reality. Oxford: Oxford University Press, p. 1.

[86] Castells, M. (2010). The power of identity: The information age. Oxford: Wiley-Blackwell, p. 5.

[87] Floridi, The fourth revolution, p. 34.

[88] Floridi, The fourth revolution, p. 56.

[89] Zuboff, The age of surveillance capitalism, p. 86.

ويتمثل المكون الثاني في المحتوى الرقمي الذي يشمل النصوص، والصور الثابتة والمتحركة، والمقاطع الصوتية والمرئية، وقواعد البيانات، والمواقع الإلكترونية، ومنصات التواصل الاجتماعي، والألعاب الرقمية، والمحتوى التفاعلي. وهذا المحتوى ليس مجرد معلومات محايدة، بل هو نتاج لخيارات إنتاجية وتحريرية تعكس قيم ومصالح منتجيه. كما أن تدفق هذا المحتوى وكميته الحائلة يشكلان تحديا كبيرا لقدرات الفرد على معالجته واستيعابه. وقد أشار بودين وروبنسون إلى أن حجم المعلومات المتاحة اليوم يفوق قدرة أي إنسان على معالجتها، ما يخلق حالة من التخمة المعلوماتية التي تعيق اتخاذ القرار بدلا من تسهيله.[90]

أما المكون الثالث فيتمثل في المستخدمين والمجتمعات الافتراضية، وهم العنصر البشري الذي يمنح الفضاء الرقمي معناه وقيمته. ويشمل هذا المكون الأفراد بمختلف أدوارهم (مستخدمين، مستهلكين، منتجين للمحتوى، مؤثرين، متابعين)، وا مجموعات (مجتمعات افتراضية، منتديات، شبكات تواصل اجتماعي، غرف دردشة، مجموعات مغلقة)، والمؤسسات (الحكومات، الشركات. المنظمات غير الربحية، المؤسسات التعليمية والإعلامية). وقد أشارت تيركل إلى أن الهوية الرقمية لم تعد مجرد واجهة، بل أصبحت جزءا لا يتجزأ من تكوين الذات نفسها؛ فالشاب اليوم هو ما ينشره، وما يعجب به، ومن يتابعه[91] (.

وتتفاعل هذه المكونات الثلاثة في حلقة متصلة: فالمكون التقني يمكن المحتوى، والمحتوى يشكل المستخدمين، والستخدمون ينتجودٍ المزيد من البيانات - اتي تغذي التقنيات واحتوى. وهذه الحلقة الم رغة هي

أن هذه الحلقة المغلقة هي جوهر استعمار البيانات، حيث يصبح المستخدمون منتجين للقيمة دون أن يحصلوا على حصة عادلة منها.[92]

ثانيا: خصائص الفضاء الرقمي الأساسية وتأثيراتا

يمكن تحديد أربع خصائص جوهرية للفضاء الرقمي؛ لكل منها تأثير مباشر ومتباين في تكوين المخاطر الف رية وتشكيل الوعي الجمعي للشباب. وهذه الخصائص ليست محايدة، بل هي نتاج خيارات تصميمية دف إلى تعظيم أرباح الششركات المالكة للمنصات، مما يجعل فهمها شرطا أساسيا لأي محاولة لبناء مناعة فكرية.[93]

تتمثل الخاصية الأولى في السرعة الفائقة التي تتميز بما المعلومات في الفضاء الرقمي، حيث يمكن لخبر أن يصل إلى ملايين المستخدمين في غضون دقائق أو حتى ثوان. وقد أظهرت دراسة فوسغي وروي وآرال أن الأخبار الكاذبة تنتشر أسرع بست مرات من الأخبار الصحيحة، ويعود السبب إلى طبيعتها العاطفية والمثيرة التي تدفع المستخدمين إلى إعادة المشاركة دون تثبت[94].كما أشار آرال إلى أن الخوارزميات تفضل المحتوى الذي يحقق تفاعلا سريعا، وهذا يعني أن السرعة تكافأء والدقة قة لا تكافاً.[95] وهذه السرعة تجعل المستحيل من تقريبا على آليات التحقق التقليدية مجاراتها، وهو ما يفسر لماذا تصل المعلومات المضللة إلى الجمهور قبل أن يتم تنقيحها بأيام أو أسابيع. كما أن السرعة تقلل من فرصة التفكير النقدي الحادئ؛ لأن المستخدم يجد نفسه في سباق مع الزمن لاستهلاك المحتوى قبل أن يتحول إلى قديم. وقد أشار الباحثون إلى أن هذه الظاهرة تعرف ب متلا زمة السرعة الرقمية، حيث يصبح المستخدم أسيرا لإيقاع لمنصة بدلا من أن يكون سيدا لوقته.[96]

وتتمثل الخاصية الثانية في الانتشار العالمي، حيث يتميز الفضاء الرقمي بالقدرة على الوصول إلى جمهور عالمي واسع بتكلفة زهيدة جدا، بل مجحانية في كثير من الأحيان. أي محتوى يمكن أن ينتشر

---

[90] Bawden & Robinson, The dark side of information, p. 188.

[91] Turkle, Alone together, p. 152.

[92] Couldry & Mejias, The costs of connection, p. 15.

[93] Zuboff, The age of surveillance capitalism, p. 210.

[94] Vosoughi, Roy, & Aral, The spread of true and false news online, p. 1148.

[95] Aral, The hype machine, p. 56.

[96] Hari, J. (2022). Stolen focus: Why you can't pay attention. New York: Crown Publishers, p. 45.

عبر الحدود الجغرافية والثقافية واللغوية بسهولة غير مسبوقة، متجاوزا الرقابة المحلية والحواجز الثقافية. وقد أشار باريسر إلى أن هذا الانتشار الواسع يقترن بفقاعات تصفية تعزل كل مستخدم في عالم معلوماقي خاص به، فلا يرى إلا ما يتوافق مع معتقداته السابقة.[97] كما يعني الانتشار أن الأفكار المتطرفة أو المضللة التي كانت في الماضي محصورة في دوائر ضيقة يمكن أن تحد الآن جماهير في كل مكان،. وتتحول إلى ظواهر جماهيرية في غضون أسابيع. وقد أظهرت دراسة معهد أكسفورد للإنترنت أن حملات التضليلا منظم تستخدم شبكات من الحسابات الآلية والوهمية لتضخيم انتشار المحتوى، ما يعني أن الانتشار ليس دائما عضوياء بل قد يكون مصطنعا ومدفوعا.[98] وف السياق العربي، أدى هذا الانتشار إلى تدفق محتوى غربي وهندي وشرق آسيوي بشكل غير مسبوق, مما يخلق تحديات كبيرة للهوية الثقافية واللغوية. وقد حذر معلوف من أن العولمة الرقمية تخلق هويات سائلة لا ترتبط بأرض أو تاريخ بل بلحظات استهلاك عابرة. وهذا قد يكون تحرراء لكنه قد يكون أيضا ضياعا.[99]

وتتمثل الخاصية الثالثة في التفاعلية اللحظية، فعلى عكس وسائل الإعلام التقليدية التي تقدم محتوى أحادي الاتجاه، يتيح الفضاء الرقمي تفاعلا لحظيا ثنائي أو متعدد الاتجاهات. يمكن للمستخدم أن يعلق، ي: يشارك, يعجب، يعيد النشر، يعدل، ينتج محتوى جديدا، ويحوله في اتنجاهات مختلفة. هذا التفاعل يخلق إحساسا بالمشا ركة والانتماء؛ لكنه قي الوقت نفسه يجعل المستخدم شريكا في نشر التضليل، لأنه يشارك الخبر قبل التحقق منه. وقد حذر تشيالديني من أن التفاعل والمشا. ركة يعززان الالتزام النفسي بالفكرة، حتى لو كانت خاطئة؛ فالإنسان الذي يشارك خبرا د يصبح أكثر تصديقا له لأنه استثمر فيه،.[100] كما أن التفاعل يخلق بيئة من الاستجابة السريعة التي تثبط التفكير المثالي، وتفضل الردود الانفعالية السريعة على التحليل العقلاني. وقد أشار كاينمان إلى أن الدماغ البشري يعمل بنظامين: نظام سريع (انفعالي، تلقائي) ونظام بطيء (عقلاني، مبأن). وسائل التواصل تصمم لتنشيط النظام السريع وإضعاف النظام البطيء.[101]

وتتمثل الخاصية الرابعة في غياب الحدود، ء حيث يتجاوز الفضاء الرقمي الحدود الجغرافية والسياسية والثقافية التقليدية، فلا توجد رقابة مركزية فعالة على المعلومات في معظم المنصات، ولا توجد سلطة واحدة تتحكم فق تدفق المحتوى. هذا الانفتاح الكبير يحمل فرصا هائلة للتواصل والحوار الحضاري وتبادل المعرفة، لكنه يحمل أيضا مخاطر جسيمة. من أبرز هذه المخاطر: تدفق المحتوى المخالف للقيم والأخلاق دون عوائق، وسهولة استهداف الشباب من جهات خارجية لا تخضع للقوانين الوطنية، وأخطر ما في الأمر هو تآكل الهوية الثقافيةا محلية لصالح أنماط استهلاكية عابرة للحدود، حيث يصبح الشباب أكثر تأثرا بالمؤثرين العالميين من تأثرهم برموزهم امحليين. وقد أشار فلوريدي إلى أن غياب الحدود في الفضاء المعلوماتي يخلق تحديات جديدة للسيادة الوطنية والهوية الثقافية، حيث لم يعد بإمكان الدول حماية مواطنيها من التأثيرات الخارجية بنفس السهولة التي كانت عليها في الماضي.[102]

ثالثًا: تحول الفضاء الرقمي إلى بيئة وجودية مؤثرة

لم يعد الفضاء الرقمي مجرد وسيلة للاتصال أو أداة للترفيه، بل تحول إلى بيئة وجودية تعيد تشكيل الإنسان وامجتمع بطرق غير مسبوقة. يمكن إجمال مظاهر هذا التحول في ثلاثة مجالات رئيسة، لكل منها تداعيات على المناعة الفكرية للشباب العربي.[103]

يتمثل المجال الأول في تشكيل الهوية، فالهوية الرقمية لم تعد انعكاسا للهوية الواقعية، بل أصبحت جزءا لا يتجزأ من تكوين الذات. يقضي الشباب ساعات طويلة في بناء هوياتهم على وسائل التواصل، وقد تتفوق هذه الهوية الرقمية على الهوية الواقعية في التأثير على ساوكهم وقناعاتحم. وقد أشارت تيركل

---

[97] Pariser, The filter bubble, p. 78.

[98] Bradshaw, S., & Howard, P. N. (2019). The global disinformation order: 2019 global inventory of organised social media manipulation. Oxford: Oxford Internet Institute.

[99] معلوف، أمين. 2019 المموبات القاتلة (ترجمة: تملة الشهال). بيروت: دار الفارابي، ص 45.

[100] Cialdini, R. (2001). Influence: Science and practice. Boston: Allyn and Bacon, p. 89.

[101] Kahneman, D. (2011). Thinking, fast and slow. New York: Farrar, Straus and Giroux, p. 45.

[102] Floridi, The fourth revolution, p. 78.

[103] Bauman, Liquid life, p. 34.

إلى أن الشباب اليوم يعيشون حياة متعددة على الشاشات، وقد يفقدون القدرة على التمييز بين الذات الحقيقية والهويات الافتراضية. فالشاب قد يكون في حساب عام محافظا وفي حساب خاص متحـرراء وقـد لا يعـود يعـرف أيهما الأقـرب إلى جـوهره[104]. كما أن الهويـة الرقميـة تخضع لضـغط الإعجابـات والمتابعين، مما يعني أنها ليست نتاج تأمل داخلي، بل نتتاج استجابة لرغبـات الجمهـور. وقـد أشـار باومان إلى أن الهوية في الحداثة السائلة أصبحت مشروعا دائم التكوين؛ لا تكتمل أبدا، وتتغير حسب السياق والجمهور.[105] وف السياق العربي، يضاف إلى ذلك تحديات الهوية الثقافية والدينية التي تتعرض لضغوط متزايدة من المحتوى الغربي المهيمن، مما يخلق أزمـة هويـة حـادة لـدى الشـباب. وقـد حـذر المسيري من أن الهوية ليست سجناء بل هي نقطة انطلاق. لكنها تحتـاج إلى وعي نقـدي بمنعهـا من التحول إلى تعصب أعمى أو ذوبان في الآخر.[106]

ويتمثل المجال الثاني في تشكيل الثقافـة، فالفضـاء الـرقمي هـو الآن المنتج الـرئيس والمـوزع الأول للثقافة الجماهيرية. الميمات والمقاطع القصيرة والمؤثرون يشكلون ذوق الشباب واهتماماتحم وقيمهم بشكل لم يسبق له مثيل. الثقافة الرقمية عابرة للحدود و سسرا يعة التغير، نما يبجعل من الصعب على الثقافات التقليدية المنافسة أو التأثير. وقد حذر المسيري من أن الاسـتهلاك الثقـافي عـبر المنصـات الرقمية يخلق إنسانا طبيعيا ماديا يعرف ذاته من خلال استهلاكه. وليس من خلال إنتاجه أو قيمه.[107] كما أن هذا النوع من الثقافة يفضل السطحية على العمق، والإثارة على الدقة، والسرعة على التأمل، ما يضعف القدرة على التفكير النقدي والتحليل العميق[108] وقد أشار وو إلى أن اقتصاد الانتباه يخلق سباقا نحو القاع:: من يعدم محتوى أكثر إثارة (وصدقا أقل) يفو ويتمثل المجال الثالث في تشكيل الرأي العام فلم تعد وسائل الإعلام التقليدية هي المصدر الوحيد أو حتى الـرئيس للمعلومـات المـؤثرة في الـرأي العام. فقد أصبحت المنصات الرقمية المصدر الأول للأخبار والتحليلات، خاصة لدى فئة الشباب. وقد أشار تقرير مركز بيو للأبحاث إلى أن نسبة متزايدة من الشباب تعتمد على وسائل التواصل الاجتماعي مصدرًا رئيسًا للأخبار، متقدمة على وسائل الإعلام التقليدية.[109] هذا يعني أن الرأي العام يتشـكل الآن من خلال خوارزميات تفضل المحتوى العاطفي والاستقطابي، وليس بالضرورة لحتو الدقيق أو العميق. وقد أشار شومسكي وهيرمان إلى أن نموذج الدعاية في العصر الرقمي أصبح أكثر تطورا، فالمرشحات التقليدية حلت محلها خوارزميات تصممها شركات خاصة تهدف إلى الربح، وليس بالضرورة إلى خدمة الحقيقة أو المصلحة العامة.[110] كما أن تشكيل الرأي العام أصبح أكثر تفتتاء فكل مجموعة تعيش في فقاعة معلوماتية خاصة مما ما يجعل التوافق على حقائق مشتركة شبه مستحيل. وقد أشار سنسـتاين إلى أن الإنترنت لم يخلق الاستقطاب، لكنه ضخمه بمقدار عشرة أضعافـء لأنه مح للناس بالعزلة في فقاعات لا يرون فيها إلا ما يعزز معتقداتمه.[111]

المبحث الثاني: سيكولوجية الفضاء الرقمي وتأثيرها في الدماغ البشري

أولًا: الليونة العصبية وإعادة برمجة الدماغ في العصر الرقمي

تمثل الليونة العصبية - وهي قدرة الدماغ على إعادة تشكيل نفسه باستمرار بناء على التجارب - أحد أهم المفاهيم لفهم تأثير الفضاء الرقمي على العقل البشري. فقد أظهرت الأبحاث العصبية الحديثة أن الاستخدام المكثف للإنترنت ووسائل التواصل يؤدي إلى تغييرات هيكلية ووظيفية في الدماغ، خاصة في المناطق المسؤولة عن الانتباه والتركيز والتحكم التنفيذي. وقد وثق نيكولاس كار هذه الظاهرة في

---

[104] Turkle, Alone together, p. 165.

[105] Bauman, Liquid life, p. 34.

[106] المسيري، عبد الوهاب2008 العالم من منظور غربي (الجزء الأول: الأسس النظرية). القاهرة: دار الشروق، ص. 112

[107] المسيري، عبد الوهاب2006 دراسات معرفية في الحداثة الغربية. القاهرة: دار الشروق، ص. 88

[108] Wu, The attention merchants, p. 45.

[109] Pew Research Center, Trust in media, p. 12.

[110] Herman, E. S., & Chomsky, N. (2002). Manufacturing consent: The political economy of the mass media (Updated ed.). New York: Pantheon Books, p. 45.

[111] Sunstein, #Republic, p. 34.

كتابه السطحي (The Shallows) حيث أشار إلى أن الدماغ البشري ليس جهازا ثابتاء بل هو نظام ديناميكي يعيد تشكيل نفسه باستمرار. فالإنسان الذي يعني ساعات التمرير السريع يضعف لديه المسارات العصبية المرتبطة بالتركيز العميق والتفكير الخطي، بينما تقوى لديه المسارات المرتبطة بالاستجابة السريعة للمثيرات المتقطعة[112].

وتتجلى هذه التغييرات العصبية في ثلاثة مظاهر رئيسة؛ لكل منها تأثير مباشر على المناعة الفكرية. يتمثل المظهر الأول في ضعف البوابات الانتباهية، ففي الدماغ السليم، هناك مناطق مسؤولة عن تصفية المحفزات غير المهمة. عندما تكون هذه البوابات قوية، يستطيع الفرد التركيز على مهمة واحدة رغم وجود مشتقات. عندما تضعف، يصبح كل إشعار، كل صوت،، كل إعلان قادرا على اختراق الانتباه. وقد أظهرت تجارب علم الأعصاب أن الأفراد الذين يمارسون التعدد الإعلامي بشكل مفرط تظهر لديهم نشاطا أقل في قشرة الفص الجبهي عند محاولة تثبيط المشتقات، ما يعني أن قدرتهم على سك في الانتباه ضعيفة فعليا.[113] وهذا الضعف في البوابات الانتباهية يجعل الشاب أقل قدرة على مقاومة المعلومات المضللة، لأنه لا يملك الوقت أو الطاقة للتفكير النقدي؛ وأكثر عرضة للإدمان الرقمي، لأنه يفقد القدرة على ضبط سلوكه.[114]

ويتمثل المظهر الثاني في ضعف الذاكرة العاملة، وهي المسؤولة عن الاحتفاظ بالمعلومات المؤقتة أثناء معالجتها. عندما ينتقل الفرد بين المهام بسرعة، يضغط على هذه الذاكرة، فتضعف، وتكون النتيجة نسيان ما كان يفعله والضياع في منتصف الجمل، وفتح تطبيق ثم نسيان لماذا فتحه. وقد أشار كاينمان إلى أن الذاكرة العاملة لا تتسع لأكثر أربعة من إلى سبعة عناصر في أي لحظة، وعندما تنتقل بين مهام متعددة، تفقد القدرة على الاحتفاظ بأي منها بشكل كاف.[115] هذا الضعف في الذاكرة العاملة يمنع الشاب من بناء رؤية كونية متماسكة, لأن بناء رؤية كونية يتطلب وقتا للتأمل، وجهدا للربط بين المعلومات، وقدرة على التحمل للوصول إلى استنتاجات. وقد أشار فلوريدي إلى أن بناء الهوية المعلوماتية يتطلب استمرارية زمنية وتماسكا سردياء وهما أول ما يضعفان في بيئة التشتت الدائم.[116]

ويتمثل المظهر الثالث في ضعف التحكم التنفيذي، وهو قدرة الدماغ على تثبيط الاستجابات غير المناسبة، وتنظيم السلوك نحو الأهداف. عندما يضعف، يصبح الفرد أكثر اندفاعاء وأقل قدرة على مقاومة الإغراءات، وأكثر عرضة للإدمان الرقمي. وقد أظهرت دراسة برزيبيلسكي وونشتاين أن المراهقين الذين يقضون أكثر من أربع ساعات يوميا على وسائل التواصل يعانون من ضعف ملحوظ في التحكم التنفيذي مقارنة بأقراتهم الذين يقضون ساعة أو أقل.[117] هذا الضعف في التحكم التنفيذي يجعل الشاب أقل قدرة على مقاومة استراتيجيات التلاعب الخوارزمي التي تستغل نقاط ضعفه النفسية، وأكثر عرضة للانحراف وراء المحتوى الاستقطابي والعاطفي.[118]

ثانيا: كيمياء التشتت والدوبامين الرقمي

تعتمد منصات التواصل الاجتماعي على اليات كيميائية عصبية دقيقة لجذب انتباه المستخدمين وإبقائهم منخرطين لأطول فترة ممكنة. وتتمثل هذه الآليات في استغلال نظام المكافأة في الدماغ، الذي يعتمد على الناقل العصبي الدوبامين المرتبط بالمتعة والمكافأة. وقد أشار هاري إلى أن المنصات صممت لتكون مدمنة، باستخدام نفس آليات ماكينات القمار: مكافآت متغيرة، تعزيز متقطع. وعدم وضوح لنقطة النهاية.[119]

---

[112] Carr, N. (2010). The shallows: What the Internet is doing to our brains. New York: W.W. Norton & Company, p. 116.

[113] Loh, K., & Kanai, R. (2014). Higher media multi-tasking activity is associated with smaller gray-matter density in the anterior cingulate cortex. PLoS ONE, 9(9), e106698, p. 3.

[114] Hari, Stolen focus, p. 78.

[115] Kahneman, Thinking, fast and slow, p. 85.

[116] Floridi, The fourth revolution, p. 70.

[117] Przybylski, A., & Weinstein, N. (2017). A large-scale test of the goldilocks hypothesis. Psychological Science, 204. 28(2), p.

[118] Carr, The shallows, p. 133.

[119] Hari, Stolen focus, p. 56.

وتتعدد آليات الإدمان الرقمي التي تستخدمها المنصات. تتمثل الآلية الأولى في الإشباع الفوري، فعندما يفتح ال مستخدم تطبيقاء يحصل على محتوى فوري. هذا يعيد برمجة الدماغ ليتوقع المكافآت السريعة، مما يضعف قدرته على تحمل التأخير أو بذل جهد للحصول على مكافآت أكبر (مثل قراءة كتاب أو تعلم مهارة جديدة). وقد أشار كاينمان إلى أن الدماغ البشري يميل إلى المكافآت الفورية على حساب المكافآت المستقبلية الأكبر، والمنصات تستغل هذا الميل ببراعة.[120]

وتتمثل الآلية الثانية في المكافآت المتقطعة؛ فالإشعارات لا تأتي بشكل منتظم،؛ بل بشكل عشوائي. هذا هو نفس مبدأ عمل ماكينات القمار: عدم معرفة متى ستأتي المكافأة يخلق إدمانا أقوى من المكافآت المنتظمة. كل مرة يفتح فيها المستخدم الحاتف، يأمل أن يجد شيئا مثيرا. وقد أشار آرال إلى أن المكافآت المتقطعة هي أقوى مبادئ الإدمان، لأكما تخلق حالة من الترقب المستمر، والترقب يفرز الدوبامين أكثر من المكافأة نفسها.[121]

وتتمثل الآلية الثالثة قي التمرير اللامتناهي، فمنصات مثل تيك توك وفيسبوك صممت واجهات لا تهاية لها. لا يوجد صفحة أخيرة. هذا يجعل التوقف قرارا واعياء بينما الاستمرار هو الوضع الافتراضي. وقد أشار هاري إلى أن التمرير اللامتناهي يخلق حالة من التدفق المستمر، حيث يفقد المستخدم الإحساس بالزمن. هذا هو السبب في أن خمس دقائق على تيك توك تتحول بسهولة إلى ساعتين.[122]

وتتمثل الآلية الرابعة في الإشعارات المتكررة، فكل إشعار يخطف انتباه المستخدم، حتى لو كان مشغولا بمهمة مهمة. هذا يخلق حالة من التشتت المزمن، حيث يصبح الفرد غير قادر على التركيز على أي شيء لأكثر من بضع دقائق. وقد أشار كار إلى أن كل إشعار هو مقاطعة, وكل مقاطعة تكلفنا وقتا للعودة إلى ما كنا نفعله. هذه التكاليف تتراكم، وتؤدي إلى استنزاف كبير في الإنتاجية والتركيز.[123]

وتوضح الباحثة ندى أحمد جابر في تحليلها أن في العصر الرقمي تأن الأرقام المالية أولا دون رقابة أو قوانين تحمي من الآثار الخطرة التي تتركها وراءها... الفيديو القصير ليس بريئاء بل أداة لإنتاج بيانات تباع للمعلنين. كل نقرة، كل ثانية مشاهدة، تصبح مادة لتحسين خوارزمية تعرف ما يثير فضول المتابع وتعيد تقديمه إليه في دوامة لا تنتهي.[124] وقد أشارت جابر إلى أن الاقتصاد الخفي وراء الفيديو القصير هو اقتصاد استخراج البيانات، حيث المستخدم هو العامل غير المدفوع الأجر، والمنتج هو الملف السلوك الذي يباع في المزاد العلني:

ثالثًا: ضمور مهارة التأمل والتفكير العميق

التأمل هو نشاط معرقل عال يتطلب كا مستمرا وهدوءا ذهنيا. الإغراق المعلومات يحول الدماغ إلى معالج متعدد المهام ضعيف الكفاءة. الدراسات تظهر أن تعدد المهام ليس مجرد كفاءة أقل، بل هو إعادة برمجة

للدماغ ليكون أقل قدرة على التركيز العميق حتى عند محاولة القيام بمهمة واحدة.[125] هذا ما يسميه بعض الباحثين ضمور مهارة التأمل، وهي قدرة كانت أساسية في الحضارة الإسلامية، حيث كان التأمل والتدبر من أعلى د اسا و ته هت ها مع ل وه م 24 العبادات. يقول الله تعالى في القرآن الكريم: إأفلاي.تدب.رون القران أم على ق.لوب أقَ اها؟ [سورة محمد الآية؟]. فالتدبر يتطلب وقتا وهدوءاء وهما أول ما يضحى كما الشاب فق بيئة الإغراق المعلوماقي.[126]

ويؤدي ضمور مهارة التأمل إلى ثلاث نتائج رئيسية. تتمثل النتيجة الأولى تراجع القدرة على التحليل والتركيب، فالمعلومات المتدفقة في الفضاء الإلكتروى غالبا ما تكون مجزأة ومبعثرة، لا تشكل صورة كلية متماسكة. وهذا يجعل الشباب يواجهون صعوبة متزايدة في ربط المعلومات بعضها ببعض،

---

[120] Kahneman, Thinking, fast and slow, p. 124.

[121] Aral, The hype machine, p. 56.

[122] Hari, Stolen focus, p. 67.

[123] Carr, The shallows, p. 145.

[124] جابر، ندى أحمد. 2025 الاقتصاد الخفي وراء الفيديو القصير. مجلة الدراسات الإعلامية، 12 3 ص. 45

[125] Hari, Stolen focus, p. 78.

[126] الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد. 2010 إحياء علوم الدين (المجلد 2 بيروت: دار الكتب العلمية، ص 45.

واستخلاص الاستنتاجات، وبناء الحجج المنطقية المتماسكة. وعليه فإن المشكلة الحقيقية في القرن الحادي والعشرين ليست نقص المعلومات، بل الفائض الهائل المتتابع منها الذي يجعل معرفة ما هو مهم حقا أكثر صعوبة من أي وقت وتتمثل النتيجة الثانية في تراجع القدرة على النقد والتمييز، فالنقد يتطلب مسافة بين الذات والموضوع. اقتصاد الانتباه يلغي هذه المسافة. المستخدم ليس خارج المحتوى ينقده، بل داخل المحتوى يتفاعل معه. لا تأمل، فقط استهلاك. لا نقد، فقط تفاعل. لا وعي، فقط انغماس. هذا هو ما يسميه بعض الباحثين الاندماج المطلق، حيث يختفي الفرق بين الذات والموضوع, وبين الحقيقة والخيال. وقد أشارت تيركل إلى أن الاندماج في الشاشة يخلق حالة من النسيان الذاتي، حيث نفقد الإحساس بمن نحن وأين نحن. هذه الحالة ممتعة، لكنها خطيرة، لأنها تعطل القدرة على التأمل النقدي.[127]

وتتمثل النتيجة الثالثة في تراجع القدرة على الإبداع والابتكار، فالإبداع يتطلب وقتا للتفكير الحر، والتجول الذهني؛ وربط أفكار تبدو غير مترابطة. الإغراق المعلوماتي يملأ كل فراغ بامحتوى؛ فلا يبقى وقت للتفكير الحر، ولا مساحة للتجول الذهني. وقد أشار الباحثون إلى أن الملل ليس عدواء بل هو شرط أساشي للإبداع. ففي لحظات الملل، ينطلق العقل في رحلاته الخاصة، ويربط بين أفكار لم تكن مترابطة من قبل. ولكن في عصر الإغراق المعلوماقي، أصبح الملل من الكماليات التي لا يسمح بما أحد.[128] وقد أشار المسيري إلى أن الإبداع يحتاج إلى فراغات، إلى لحظات صمت وتأمل، وهي ما يفتقر إليه الشباب اليوم في زحام الإشعارات والتنبيهات المتواصلة.[129]

المبحث الثالث: فيض المعلومات واقتصاد الانتباه

أولا0: مفهوم فيض المعلومات وأبعاده

يعد مفهوم فيض المعلومات أو التخمة المعلوماتية من المفاهيم الأساسية لفهم تحديات العصر الرقمي. وقد ظهر هذا المفهوم في الأدبيات الأكاديمية منذ سبعينيات القرن العشرين، لكنه اكتسب أبعادا جديدة مع الثورة الرقمية وتدفق البيانات الهائل الذي تشهده البشرية اليوم. ففي عام 1970 كان عالم المستقبل الأمريكي ألفين توفلر أول من صاغ مصطلح information overload في كتابه صدمة المستقبل Future Shock محذرا من أن سرعة التغير التكنولوجي قد تتجاوز قدرة الإنسان على التكيف.[130]

أما التعريف الإجرائي المتقدم الذي يعتمده هذا البحث, فهو ما قدمه الباحثان البريطانيان ديفيد بودين ولين روبنسون في دراستهما الرائدة الجانب المظلم للمعلومات The Dark Side of Information حيث يعرفان فيض المعلومات بأنه تلك الحالة التي تؤدي فيها كمية المعلومات المتاحة إلى إعاقة عملية اتخاذ القرار بدلا من تسهيلهاء وتسبب التوتر والإحباط والشعور بفقدان السيطرة. ويعزي الباحثان بين ثلاثة أنماط من فيض المعلومات: التخمة الكمية حيث يتعرض الفرد لعدد هائل من الوحدات المعلوماتية لا يمكن معالجتها؛ والتخمة النوعية حيث يواجه الفرد تنوعا هائلا في مصادر ووسائط المعلومات؛ والتخمة العلائقية حيث يواجه الفرد صعوبة في تحديد العلاقات والروابط بين المعلومات المتاحة.[131]

ويستهل هذا المبحث بتمييز مفاهيمي دقيق، ففي المخطاب اليومي) يتم الخلط بين البيانات والمعلومات والمعرفة، وكأتما مرادفات. لكن هذا الخلط يعوق فهم جوهر الإغراق المعلوماتي. في التحليل النقدي، يز الباحثون بين أربعة مستويات متدرجة: البيانات التي هي مجموعة من الحقائق الخام غير المترابطة؛ أرقام، كلمات، ملاحظات، قراءات. والبيانات وحدها لا تحمل معنى. ثم المعلومات التي هي بيانات تم تنظيمها وتصنيفها وتحليلها لتصبح ذات دلالة) وهي إجابة على أسئلة: من؟ ماذا؟ أين؟ متى؟؟ ثم المعرفة التي هي معلومات ثم فهمها وتطبيقها في سياق معين، وهي إجابة

---

[127] Turkle, Alone together, p. 152.

[128] Carr, The shallows, p. 145.

[129] ه) المسيري، العالم من منظور غربي، ص/. 88

[130] Toffler, A. (1970). Future shock. New York: Random House, p. 45.

[131] Bawden & Robinson, The dark side of information, p. 188.

على أسئلة: كيف؟ لماذا؟ والمعرفة تتطلب تأمله وربطا بالخبرات السابقة. وأخيرا التأمل الذهني الذي هو ما بعد المعرفة؛ وهو القدرة على نقد المعرفة وتحاوزها وابتكار معرفة جديدة، والتأمل هو الذي ينتج الحكمة.[132]

هذا التدرج ليس أكاديميا فقط، بل هو مفتاح لفهم الجريمة الحقيقية للإغراق المعلوماتي: إنه يكذب البيانات ويغرقنا بالمعلومات، لكنه يقتل المعرفة الحقيقية ويدمر قدرتنا على التأمل. ففي فضاء يتدفق فيه آلاف المنشورات بجعل أي معلومة تظهر ث تتشي فقي غضون ساء ساعات، مما يخلق شعورا دائما بالقلق من تفويت المستجدات

FOMO Fear of Missing Out وقد شبه عالم الاجتماع البولندي-البريطاتي زيجمونت باومان هذا الواقع. الحداثة السائلة، حيث كل شيء يذوب ويسيل ولا يستقر على حال.

واللافت أن هذا التطور لم يأت مصادفة، بل جاء نتيجة لثلاث ثورات متلاحقة: ثورة الإنتاج الرقمي للمعلومات التي جعلت أي شخص قادرا على إنتاج المحتوى ونشره، وثورة ة التخزين السحابي التي جعلت تخزين كميات هائلة من المعلومات يجانياء وثورة الخوارزميات التي نظمت تدفق المعلومات بطرق تهدف إلى تعظيم التفاعل بدلا من تعظيم الفائدة المعرفية. وقد أدى تفاعل هذه الثورات الثلاث إلى خلق بيئة معلوماتية فريدة في تاريخ البشرية: بيئة لا تعاني من نقص المعلومات، بل من فائضها الذي يهدد بالقضاء على القدرة على التفكير العميق والنقدي.

ثانيا: مفهوم اقتصاد الانتباه وجذوره النظرية

في عام 1971 صاغ عالم النفس والاقتصادي هربرت ساون (الحائز على جائزة نوبل) عبارة أصبحت نبوءة: المعلومات تستهلك الانتباه. وبالتالي، فإن وفرة المعلومات تخلق ندرة في الانتباه. هذه العبارة تلخص جوهر اقتصاد الانتباه: حيث يصبح الانتباه البشري سلعة نادرة، تتسابق عليها الشركات والمنصات.

لكن ما لم يتوقعه سايمون هو أن هذه الشركات لن تكتفي بجذب الانتباه، بل ستصمم خوارزمياتها عمدا لاختطافه. كما يشرح تيم وو في كتابه بحار الانتباه The Attention Merchants كيف تطور نموذج العمل الإعلاني التقليدي إلى نموذج أكثر ربحية: المنصة تحذب المستخدمين بمحتوى مجاني، ثم تبيع انتباههم للمعلنين. لتعظيم الأرباح، يجب أن تبقى المنصة المستخدم لأطول فترة ممكنة. ولكي يبقى، يجب أن يكون المحتوى مسيبا للإدمان.

هذا يقود إلى كيمياء التشتت. فمع كل عريرة سريعة، يتخكصل الدماغ على جرعة صغيرة من الدوبامين – لت الناقل العصبي المرتبط بالمتعة والمكافأة. هذه الآلية تخلق حلقة مفرغة: كلما تحرر، زادت رغبتك في التمرير للحصول على الجرعة التالية. هذه الآلية تشبه آلية إدمان المخدرات، لكنها أبطأ وأكثر انتشارا. الفرق أن مدمن المخدرات يدرك أنه مدمن، بينما مدمن التمرير يعتقد أنه يتصفح فقط(.[133]

يشرح نيكولاس كار في كتابه السطحي The Shallows بالتفصيل كيف أن الإنترنت يعيد برمجة الدماغ. بفضل خاصية الليونة العصبية، يعيد الدماغ تشكيل نفسه باستمرار بناء على التجارب. فالإنسان الذي يقضي ساعات في التمرير السريع يضعف لديه المسارات العصبية المرتبطة بالتركيز العميق والتفكير الخطي، بينما تقوى لديه المسارات المرتبطة بالاستجابة السريعة للمثيرات المتقطعة!.[134] هذا ليس مجرد رأي، با حقيقة عصبية مثبتة بالتجارب. أظهرت دراسات التصوير العصبي أن الاستخدام المكثف للإنترنت يرتبط با نخفاض المادة الرمادية في مناطق الدماغ المسؤولة عن التركيز والتحكم في الاندفاعات.[135] كما أظهرت دراسات أخرى أن تعدد المهام الرقمي يقلل من كفاءة الدماغ في معالجة المعلومات، ويضعف الذاكرة العاملة.[136]

---

[132] Bawden & Robinson, The dark side of information, p. 190.

[133] Hari, Stolen focus, p. 12.

[134] Carr, The shallows, p. 116.

[135] Loh & Kanai, Higher media multi-tasking activity, p. 4.

[136] Carr, The shallows, p. 133.

ثالثًا: الآثار السلبية لفيض المعلومات على الشباب

تتنوع الآثار السلبية لفيض المعلومات لتشمل المستويات المعرفية والنفسية والسلوكية والاجتماعية. وهذه الآثار ليست مستقلة عن بعضها، بل هي حلقات في سلسلة امبار متسلسل، حيث يؤدي الضعف لمعرقٍ إلى القلق، والقلق يزيد من التعلق بالشاشات، والتعلق بالشاشات يزيد من الضعف المعرفق.[137]

أولا: الآثار المعرفية، وهي من أخطر آثار المعلومات، فيض لأنها تؤثر في قدرة الشباب الأساسية التفكير على والتعلم واتخاذ القرارات. وتشمل تراجع القدرة على التركيز والانتباه العميق، حيث ينتقل العقل بين عشرات امحنويات في الدقيقة الواحدة، ما يضعف الانتباه العميق الذي يتطلبه التفكير النقدي والإبداعي والتحليلي. وقد أظهرت الأبحاث أن متوسط فترة التركيز على شاشة واحدة انخفض من حوالي 150 ثانية في بداية الألفية إلى حوالي 45 ثانية اليوم.[138] وقد وصف نيكولاس كار هذه الظاهرة بأنها إعادة برمجة للدماغ ليصبح ملتقطا سريعا للمشتتات بدلا من مفكرا عميقا.[139]

وتشمل الآثار المعرفية أيضا ضعف الذاكرة العاملة والذاكرة طويلة المدى؛ فالإنسان المعاصر يعتمد بشكل متزايد على محركات البحث والتخزين السحابي لحفظ المعلومات بدلا من ذاكرته العضوية. هذه الظاهرة، التي يطلق عليها بعض الباحثين اسم النسيان الرقمي أو تأثير جوجل Google effect تؤدي إلى تآكل القدرات الطبيعية للذاكرة البشرية، وتحول الإنسان إلى مجرد واجهة بين الأسئلة التي يطرحها والإجابات التي يبحث عنه.[140] وقد أظهرت الدراسات أن الأفراد الذين يعتمدون بشكل كبير على محمحركات البحث يكونون أقل قدرة على تذكر المعلومات التي عثروا عليها، لأن أدمغتهم تعتبر أن المعلومات متاحة خارجياء ولا داعي لتخزينها داخليا.[141]

وتشمل الآثار المعرفية أيضا تراجع القدرة على التحليل والتركيب والتفكير النقدي، فالمعلومات المتدفقة في الفضاء الإلكتروني غالبا ما تكون مجزأة ومبعثرة، لا تشكل صورة كلية متماسكة. وهذا يجعل الشباب يواجهون صعوبة متزايدة في ربط المعلومات بعضها ببعض، واستخلاص الاستنتاجات، وبناء الحجج المنطقية المتماسكة. وعليه فإن المشكلة الحقيقية في القرن الحادي والعشرين ليست نقص المعلومات، بل الفائض الهائل المتتابع منها الذي يجعل معرفة ما هو مهم حقا أكثر صعوبة من أي وقت مضى.[142]

ثانيا: الآثار النفسية، وترتبط حالة فيض المعلومات بظواهر نفسية مرضية متزايدة بين الشباب، منها الإرهاق الرقمي وهو شعور دائم بالتعب والإرهاق النفسي والجسدي نتيجة التعامل المستمر مع كميات هائلة من المعلومات والتفاعلات الرقمية. ويتميز هذا الإرهاق بانعدام الحافز، والشعور بعدم الجدوى، والعجز عن تحقيق الإنتاجية المرجوة!.[143] ومنها قلق المعلومات Info anxiety وهو خوف مستمر من تفويت أي معلومة مهمة أو مستجدة. هذا القلق يدفع الشباب إلى التعلق الدائم بأجهزتحم، والتحقق المستمر من الإشعارات والتحديثات، مما يزيد من حدة التوتر ويؤدي إلى حلقة مفرغة من القلق المتصاعد. وقد تناول هذه الظاهرة بالتحليل الباحث البريطاني يوهان هاري في كتابه التركيز المسروق Stolen Focus.[144]

ومنها الاكتئاب الرقمي، فقد أشارت دراسات متعددة إلى وجود علاقة بين الاستخدام المفرط للإنترنت وارتفاع معدلات الاكتئاب، خاصة بين فئة الشباب. فالمقارنات الاجتماعية المستمرة عبر المنصات الرقمية، والتعرض المستمر محتوى سلبي أو مزعج، والشعور بالعزلة رغم الاتصال الدائم، كلها عوامل

---

[137] Bawden & Robinson, The dark side of information, p. 190.

[138] Hari, Stolen focus, p. 5.

[139] Carr, The shallows, p. 116.

[140] Harari, 21 lessons for the 21st century, p. 213.

[141] Carr, The shallows, p. 145.

[142] Bawden & Robinson, The dark side of information, p. 188.

[143] Hari, Stolen focus, p. 56.

[144] Hari, Stolen focus, p. 78.

تسهم في تدهور الصحة النفسية/.[145] ومنها التسويف الرقمي وهو قضاء ساعات طويلة في تصفح منتج غير للمحتوى الرقمي بدلا من إنجاز المهام المطلوبة. هذه الظاهرة تؤّدي إلى تراكم المهام, وزيادة التوتر، وتدي تقدير الذات[146]

ثالثًا الآثار السلوكية، ترجمت الآثار المعرفية والنفسية إلى أنماط ساوكية غير صحية، مثل الإدمان الرقمي حيث يقضي الشباب ساعات طويلة يوميا تصفح بللا هدف، مع صعوبة التحكم في وقت الاستخدام، وأعراض انسحاب عند الحرمان من الإنترنت. وقد أشار آرال إلى أن المنصات صممت لتكون مدمنة، باستخدام نفس آليات ماكينات القمار:: مكافات متغيرة، تعزيز متقطع, وعدم وضوح لنقطة النهاية.[147] ومنها التنقل القهري بين التطبيقات، وهو فتح وإغلاق عشراتٍ التطبيقات في الدقيقة والانتقال بين المهام بشكل لا إرادي، ما يضعف للدماغ على الاستجابة السريعة للمثيرات المتقطعة[148]). ومنها الاستهلاك السلى للمحتوى، وهو استهلاك كميات هائلة من الفيديوهات والمقالات دون أي إنتاج معرفي أو نقدي، مع تراجع القدرة على التفاعل النشط مع المحتوى. وقد أشارت تيركل إلى أن الاستهلاك السلبي يحول الإنسان من فاعل إلى متلق، ما يضعف قدرته على النقد والإبداع.[149]

رابعا: الآثار الاجتماعية والهوياتية، وربما تكون أخطر الآثار هي تلك المتعلقة بالنسيج الاجتماعي والهوية. فتفكك الروابط الاجتماعية الواقعية، و تآكل الهوية الثقافية، وانتشار العزلة الاجتماعية، وتغذية خطاب الكراهية والاستقطاب الاجتماعي، كلها نتائج مدمرة لفيض المعلومات. وقد حذرت الباحثة الأمريكية شيري تيركل في كتابها معا بمفردنا (Alone Together) من أن التكنولوجيا تجعلنا نشعر بينما أكثر اتصالا بينما نحن في الواقع أكثر عزلة.[150]

المبحث الرابع: استراتيجيات وأدوات التضليل المعرفي المنظم

أولًا: مفهوم التضليل المعرفي المنظم وأبعاده

يعد التضليل المعرفي عملية متعمدة ومنظمة لتشويه الحقائق وتزييف الوعي من خلال نشر معلومات كاذبة أو مضللة أو منقوصة السياق، بحدف التأثير في سلوك الأفراد والجماعات وتوجيهه نحو أهداف معينة. وهو يختلض اختلافا جوه ريا عن الخطأ غير لمتعمد أو سوء الفهم البسيط؛ فالتضليل المعرفي يتطلب نية مسبقة للإضرارء وتخطيطا منهجيا لتحقيق أهداف محددة وغالبا ما يتم بدعم من جهات سياسية أو اقتصادية أو أيديولوجية تمتلك موارد كبيرة.[151]

ويمكن تمبيز التضليل المعرفي عن مفاهيم قريبة منه، مثل المعلومات المضللة التي تنتشر دون قصد خبيث في كثير من الأحيان، والدعاية التي تهدف إلى الترويج لأفكار معينة بشكل علبي، ونظريات المؤامرة التي تقدم تفسيرات بديلة للأحداث. أما التضليل المعرفي المنظم فهو يجمع بين هذه العناصر جميعا: النية الخبيثة، والتنظيه المنهجي، والاستهداف الدقيق لنقاط الضعف النفسية للجمهور.[152]

ويرى نعوم تشومسكي وإدوارد هيرمان أن وسائل الإعلام الكبرى تؤدي دورا محوريا في تشكيل الرأي العام بما يخدم مصالح النخب السياسية والاقتصادية. ويطبّق هذا النموذج اليوم بشكل أكثر تطورا عبر وسائل التواصل الاجتماعي والمنصات الرقمية، حيث تتولى الخوارزميات مهمة تضخيم الرسائل الدعائية وتوجيهها إلى الجمهور المستهدف بدقة متناهية.[153]

---

[145] Twenge, J. M. (2017). iGen: Why today's super-connected kids are growing up less rebellious, more tolerant, less happy. New York: Atria Books, p. 78.

[146] Przybylski & Weinstein, A large-scale test of the goldilocks hypothesis, p. 204.

[147] Aral, The hype machine, p. 56.

[148] Carr, The shallows, p. 133.

[149] Turkle, Alone together, p. 152.

[150] Turkle, Alone together, p. 12.

[151] Aral, The hype machine, p. 34.

[152] DiResta, Invisible rulers, p. 34.

[153] Chomsky & Herman, Manufacturing consent, p. 45.

كما حللت الفيلسوفة السياسية الأمريكية-الألمانية هانا أرندت في كتابها أصول الشمولية (The Origins لط of Totalitarianism آليات الكذب المنظم في الأنظمة الشمولية، محذرة من أن أخطر شر في السياسة هو الكذب، , ليس الكذب الصغير الذي يمكن كشفه بسهولة، بل الكذب المنظم الذي يعيد بناء الواقع بأكمله).[154] وهذا التحليل ينطبق اليوم بشكل مذهل على استراتيجيات التضليل المعرفي في الفضاء الإلكتروني، حيث تعيد حملات التضليل المنظم بناء الواقع الرقمي بما يخدم أجنداتها.

ثانيا: استراتيجيات التضليل الست

من خلال تحليل نماذج عديدة من حملات التضليل الرقمية في السياق العربي والعالمي، يمكن رصد ست استراتيجيات رئيسة، تعمل كل منها بطرق مختلفة ولكنها تتكامل لتشكيل منظومة تضليلية متكاملة(.[155]

تتمثل الاستراتيجية الأولى في الخلط بين الحقائق والآراء، ء حيث يتم تقديم آراء شخصية أو أيديولوجية على أنها حقائق ثابتة لا تقبل الجدل، والعكس صحيح. هذه الاستراتيجية تعمل على إرباك المتلقي وجعله غير قادر على التمييز بين الثابت والمتغير. وق السياق العربي، تستخدم هذه الاستراتيجية بشكل واسع الخطاب السياشي وتتمثل الاستراتيجية الثانية في التزييف الانتقائي، حيث يتم اختيار جزء من الحقيقة وتضخيمه، مع إخفاء الأجزاء الأخرى التي قد تغير المعنى. هذه الاستراتيجية تعتمد على الإغفال المتعمد، حيث يرى المتلقي جزءا من الصورة فيظن أنه يرى الكل. وقد أشار ديريستا إلى أن التزييف الانتقائي هو أخطر استراتيجيات التضليل، لأنه يقدم شيا صحيحا في جوهره لكنه مضلل في سياقه.[156]

وتتمثل الاستراتيجية الثالثة في خلق غرف الصدى، حيث يتم حشد الحسابات الآلية والوهمية لتضخيم رسالة معينة، مما يخلق انطباعا بأنها تحظى بقبول واسع. هذه الاستراتيجية تستغل الحاجة البشرية للانتماء والتوافق الاجتماعي، حيث بميل الناس إلى تصديق ما يصدقه الآخرون. وقد أشار سنستاين إلى أن غرف الصدى ليست مجرد فقاعات تصفية، بل هي بيئات نشطة تعاقب المخالف وتكافئ المطابق.[157]

وتتمثل الاستراتيجية الرابعة في التضليل العاطفي، حيث يتم تصميم المحتوى لإثارة مشاعر قوية (الخوف، الغضب، الحزن، الفرح) بدلا من إقناع العقل. فالإنسان في حالة انفعالية يكون أقل قدرة على التفكير النقدي وأكثر عرضة للتصديق. وقد أشار آرال إلى أنا محتوى العاطفي ين: ينتشر أسرع بثغلاث مرات من المحتوى المحايد، والخوف والغضب هما المشاعر الأكثر انتشارا.[158] (نصوص، صور، أصوات، فيديوهات): تبدو حقيقية قاما. وقد أشار كيسنجر وهميدت وهوتتلركر إلى أن التزييف العميق سيغير كل شيء، وينبجب أن نتعلم كيف نعيش معه دون أن نفقده السيطرة على وعينا.[159]

وتتمثل الاستراتيجية السادسة في الهندسة الاجتماعية، حيث يُستهدف الأفراد عبر رسائل مخصصة تُصمم لنقاط ضعفهم النفسية، باستخدام البيانات التي تجمعها المنصات عنهم. وقد أشارت زوبوف إلى أن رأسمالية المراقبة لا تريد فقط التنبؤ بسلوكنا، بل تريد تعديله وتوجيهه.[160]

أمثلة تطبيقية من الواقع العربي

يمكن توضيح آليات عمل استراتيجيات التضليل من خلال أمثلة من السياق العربي، تُعرض بوصفها نماذج توضيحية لأنماط التضليل وتأثيرها في الشباب العربي. ففي مثال على استراتيجية الخلط بين الحقائق والآراء، انتشرت في العالم العربي خلال جائحة كورونا مقاطع لأشخاص يرتدون ملابس طبية

---

[154] Arendt, H. (1951). The origins of totalitarianism. New York: Schocken Books, p. 85.

[155] DiResta, Invisible rulers, p. 45.

[156] DiResta, Invisible rulers, p. 78.

[157] Sunstein, #Republic, p. 65.

[158] Aral, The hype machine, p. 78.

[159] Kissinger, Schmidt, & Huttenlocher, The age of AI, p. 78.

[160] Zuboff, The age of surveillance capitalism, p. 92.

ويزعمون أن اللقاحات تحتوي على مواد ضارة، مقدمين آراءهم الشخصية على أنها حقائق علمية، بما أسهم في إثارة الشكوك حول التطعيم.

أما في مثال على ستراتيجية التزييف الانتقائي، ففي عام 2024 ان ندشر مقطع فيديو قصير يظهر مسؤولا حكوميا عربيا وهو يقول جملة نحن بحاجة إلى إعادة النظر في بعض السياسات الاقتصادية، لكن المقطع حذفا جزء تال مر من الجملة الذي كان يقول مع الحفاظ على المكتسبات الوطنية، تما جعل التصريح يبدو وكأنه دعوة لتغيير جذري، وأثار موجة من التكهنات والقلق في الأسواق المالية، وقد كشف مركز مسبار للتحقق الأخبار من أن المقطع الأصلي كان أطول بكثير وأن المقطع المتداول كان مبتورا بشكل متعمد.

ومن أمثلة استراتيجية خلق غرف الصدى أن أزمات المنطقة شهدت رصد أعداد كبيرة من الحسابات الوهمية على تويتر تعمل بشكل منسق لتضخيم وسوم معينة وتقويض أخرى، بما يخلق انطباعًا بأن موقفًا ما يحظى بتأييد شعبي واسع، بينما هو في الواقع نتاج حملة تضليل منظمة.

أما في مثال على استراتيجية التضليل العاطفي، فتنتشر على منصات التواصل في المنطقة العربية مقاطع فيديو لمشاهد مؤثرة عاطفيًا (أطفال يبكون، ومشاهد دمار، وقصص إنسانية مؤلمة) دون أي سياق أو معلومات عن مصدرها أو تاريخها أو مكانها، ويتفاعل معها كثير من المستخدمين تفاعلًا عاطفيًا دون التحقق من مصدرها، بما يجعلهم أدوات لنشر التضليل العاطفي.

Deepfake يظهر أحد القادة العرب وهو يدلي بتصريحات 2025 مسيئة لدولة مجاورة، وقد خبرا، تقنيون من

كشف الفيديو من خلال تحليل التناقضات في حركة العينين والشفاه. لكن الفيديو كان قد انتشر بالفعل بين ملايين المشاهدين، وأحدث توترا ترا دبلوماسيا استغرق أسابيع لاحتواء آثاره.[161]

وفي مثال على استراتيجية الهندسة الاجتماعية، تستخدم حملات التضليل المنظم بيانات المستخدمين التي تجمعها المنصات لتوجيه رسائل مخصصة تستغل نقاط ضعفهم النفسية، ففي انتخابات برلمانية في إحدى الدول العربية عام 2024 تم استهداف ناخبين في مناطق محددة برسائل تخويفية حول الاقتصاد، بينما تم استهداف ناخبين في مناطق أخرى برسائل تطمينية حول الاستقرار، بناء على تحليل دقيق لبياناتهم السلوكية والنفسية، وقد كشفت تحقيقات صحفية عن وجود شركات تسويق سياشي تقدم هذه الخدمات لحسابات جهات خارجية.[162]

ثالثًا: أدوات التضليل التقنية والإعلامية

تتنوع أدوات التضليل التي تستخدم في حملات التضليل المنظم، وتتطور باستمرار مع تطور التكنولوجيا. وتشمل هذه الأدوات التقنية والإعلامية: الحسابات الآلية والوهمية التي تستخدم لتضخيم الرسائل وخلق انطباع بالقبول الواسع، وقد رصد باحثو معهد أكسفورد للإنترنت حملات تلاعب منظم عبر وسائل التواصل في 70 دولة عام 2019، وكانت الحسابات الآلية من أكثر أدواتها شيوعًا.[163]

وتشمل الأدوات أيضا التزييف العميق، وهو مقاطع فيديو وصوت م زيفة تولدها تقنيات الذكاء الاصطناعي بحيث تبدو حقيقية تماما. تستخدم هذه التقنية لوضع كلمات في أفواه شخصيات عامة لم ينطقوا بها أو لنسب أفعال لهم لم يفعلوها. وقد بدأ انتشار هذه التقنية في العالم العربي، ما يشكا تحديدا خطيرا للمصداقية الإعلامية.[164]

وتشمل الأدوات أيضا منصات التضليل المتخصصة؛ وهي مواقع وتطبيقات مكرسة لنشر الأخبار الكاذبة والمضللة بشكل منهجي. تعمل هذه المنصات تحت غطاء السخرية أو التحليل البديل أو الإعلام

---

[161] مركز الجزيرة للدراسات. 2025 التزييف العميق في المنطقة العربية. الدوحة، ص؟. 23

[162] الغارديان. 2024 15 مايو). الكشف عن حملات تضليل سياشي في الانتخابات العربية. الغارديان.

[163] Kissinger, Schmidt, & Huttenlocher, The age of AI, p. 89.

[164] DiResta, Invisible rulers, p. 89.

المستقل، لتجنب المساءلة. وقد انتشرت هذه المنصات في العالم العربي بشكل ملحوظ في السنوات الأخيرة.[165]

وتشمل الأدوات أيضا الإعلانات الدقيقة الموجهة، وهي استخدام البيانات الشخصية للمستخدمين لتوجيه رسائل مخصصة لكل شريحة صغيرة من الجمهور. تحلل الخوارزميات سلوك المستخدمين واهتماماتهم ونقاط ضعفهم, ثم تصمم لكل فئة رسائل تثير مشاعرهم المحددة. وقد كانت هذه التقنية محور فضيحة كامبريدج أناليتيكا التي أثرت في نتائج الانتخابات في عدة دول.[166]

وتشمل الأدوات أيضا التلاعب بالخوارزميات، وهو استغلال نقاط ضعف خوارزميات منصات التواصل لزيادة انتشار محتوى معين. من خلال فهم كيفية عمل الخوارزميات، يمكن تضخيم محتوى معين بشكل مصطنع: أو إخفاء محتوى آخر. وتستخدم هذه التقنية بشكل واسع الحملات السياسية والتسويقية العالم العربي.[167]

وتسلط الباحثة الأمريكية شوشانا زوبوف في كتابها عصر رأسمالية المراقبة (The Age of Surveillance Capitalism) الضوء على أن رأسمالية المراقبة قد حولت السلوك البشري إلى مادة خام يمكن استخراجها والتنبؤ كما وبيعهاء مما يجعل التضليل المعرفي أكثر دقة وفعالية.[168] ففي عصر رأسمالية المراقبة، تمتلك الشركات الكبرى ملفات نفسية وساوكية دقيقة عن مئات الملايين من البشر، ويمكنها استخدام هذه الملفات لتصميم رسائل مخصصة تصل إلى كل فرد على حدة في الوقت المناسب وبالطريقة المناسبة.[169]

المبحث الخامس: تشكيل الوعي الجمعي المضطرب لدى الشباب

أولًا: مفهوم الوعي الجمعي في العصر الرقمي

الوعي الجمعي هو مجموعة المعتقدات والأفكار والمشاعر المشتركة التي تكون ضمير الجماعة وتميزها عن غيرها. في العصر الرقمي، أصبح تشكيل الوعي الجمعي يتم عبر آليات جديدة ومختلفة جذريا عن تلك التي كانت سائدة في العصور السابقة. لم تعد المؤسسات التقليدية (المدرسة، الأسرة، المسجد، الإعلام الرجمي) هي المصادر الوحيدة أو الرئيسية لتشكيل الوعي، بل أصبحت المنصات الرقمية هي المصدر الأكثر تأثيرا، خاصة لدى فئة الشباب.[170]

ويمكن رصد ست مظاهر رئيسة لهذا التشكيل المضطرب، تعكس منها كل جوانب من جوانب الأزمة المعرفية والمهوياتية التي يعيشها الشباب العربي في العصر الرقمي.[171]

يتمثل المظهر الأول في تفتت الرواية الكبرى وتعدد الروايات المتناقضة، فلم يعد هناك رواية واحدة مقبولة عن التاريخ أو الدين أو السياسة أو اللهوية الوطنية. بدلا من ذلك، يجد الشباب آلاف الروايات المتضاربة والمتناقضة، مما يولد حالة من الارتباك المعرفي والحيرة الدائمة. وقد حذر الأديب اللبنافي-الفرنسي أمين معلوف في كتابه الهويات القاتلة من أن الهويات القاتلة تنشأ عندما يشعر الإنسان بأن هويته مهددة، فيتعلق بما بشكل متعصب وعنيف، وهذا هو بالضبط ما تغذيه الفقاعات الرقمية وغرف الصدى.[172]

ويتمثل المظهر الثاني في تراجع هيبة المعرفة المؤسسية، ففي الماضي، كانت المعرفة الصادرة عن الجامعات والمؤوسسات العلمية والدينية الرسمية تحظى بمصداقية واحترام كبيرين. اليوم، يتساوى في

---

[165] Wylie, Mindf*ck, p. 50.

[166] Zuboff, The age of surveillance capitalism, p. 92.

[167] Zuboff, The age of surveillance capitalism, p. 86.

[168] Zuboff, The age of surveillance capitalism, p. 95.

[169] يوسف، سليمان، والفضلي، هدى. 2025 المناعة الفكرية: نحو نموذج عربي تكاملي (نفسي عصبي معرفي مناعي). دراسات في علم الارطوفوبيا وعلم النفس العصبي، المجلد 9 العدد 1 23 ص-//. 48

[170] يوسف والفضلي، المناعة الفكرية؛ ص/ 48.

[171] معلوف، الهويات القاتلة، ص 34

[172] Pew Research Center, Trust in media, p. 15.

الفضاء الإلكتروني رأي أستاذ جامعي مع رأي ناشط مجهول أو مؤثر على تيك توك، بل قد يكون رأي المؤثر أكثر انتشارا تأثيرا و من رأي الخبير الحقيقي. وقد أشار تقرير مركز بيو للأبحاث إلى أن تراجع الثقة في المؤسسات المعرفية هو أحد أبرز ملامح العصر الرقمي.[173]

ويتمثل المظهر الثالث في انتشار ثقافة المؤامرة، حيث سهلت الخوارزميات انتشار نظريات المؤامرة بشكل غير مسبوق. أو حدث معقد أو مفاجئ يمكن تفسيره بمؤامر: ة بسيطة تلقى رواجا سريعا، خاصة بين الشباب الذين يعانون من إحباط سياشي أو اقتصادي أو اجتماعي. ونظريات المؤامرة تقدم إجابات بسيطة ومرضية نفسيا عن أسئلة معقدة، وتعطي متلقيها شعورا بامتلاك المعرفة السرية التي لا يعرفها العامة. وقد ازدهرت ثقافة المؤامرة في العالم العربي في سياق الأزمات السياسية والاقتصادية.[174]

ويتمثل المظهر الرابع في تآكل القيم الأخلاقية والثوابت، حيث تتعرض القيم التقليدية؛ مثل الصدق والأمانة واحترام الكبير والحياء والتسامح والتعاون، إلى هجوم منهجي وممنهج عبر المحتوى الرقمي. بعض المنصات تكافئ المحتوى الصادم أو غير الأخلاقي أو المستفز بانتشار أوسع. مما يخلق حوافز منحرفة لصانعي المحتوى. وقد حذر المسيري من أن الاستهلاك الثقافي عبر المنصات الرقمية يخلق إنسانا طبيعيا ماديا يعرف ذاته من خلال استهلاكه، وليس من خلال إنتاجه أو قيمه.[175]

ويتمثل المظهر الخامس في صعود خطاب الكراهية والاستقطاب؛ حيث تعمل خوارزميات وسائل التواصل الاجتماعي على تضخيم المحتوى العاطفي والصادمء وغالبا ما يكون خطاب الكراهية والاستقطاب هو الأكثر إثارة للمشاعرء وبالتالي الأكثر انتشارا. وهذا يؤدي إلى انقسام المجتمعات إلى معسكرات متصارعة، كل معسكر يعيش في فقاعته المعلوماتية التي تعزز عداءه للآخر. وقد لاحظ الباحثون أن العالم العربي شهد تصاعدا ملحوظا في خطاب الكراهية والاستقطاب عبر منصات التواصل، خاصة في سياق النزاعات السياسية والطائفية.[176]

ويتمثل المظهر السادس في تراجع القدرة على الحوار والاختلاف المحترم، فبدلا من الحوار الهادف والاختلاف امحترم القائم على الأدلة والبراهين، يسود في الفضاء الرقمي أسلوب التجريح والتشهير والشماتة. وهذا يضعف النسيج الاجتماعي ويهدد السلم الأهلي. وقد أشار هابرماس إلى أن الفعل التواصلي communicative ءالغو action يتطلب افتراض حسن النية والاستعداد للتأثر بالآخرء وهما أول ما يختفيان في غرف الصدى الرقمية.[177]

ثانيا: العلاقة فك بين الخوارزميات وتشكيل الوعي المضطرب

تلعب الخوارزميات دورا محوريا في تشكيل الوعي الجمعي المضطرب من خلال آليات متعددة. فالخوارزميات تصمم لتعظيم التفاعل، واحتوى العاطفي والاستقطابي هو الأكثر تفاعلا، وبالتالي يتم تضخيمه. وقد أظهرت دراسة فوسغي وروي وآرال أن الأخبار الكاذبة: تنتشر أسرع بست مرات من الأخبار الصحيحة، ويعود السبب إلى طبيعتها العاطفية والمثيرة[178].

كما أن الخوارزميات تخلق فقاعات تصفية تعزل كل مستخدم في عالم معلوماق خاص به مما يجعله يعتقد أن رأيه هو الرأي السائد، وأي رأي مخالف هو رأي هامشي أو شاذ. وقد أشار باريسر إلى أن فقاعة التصفية هي أخطر ما في العصر الرقمي، لأنها تمعل المستخدم يعتقد أنه يرى العام كما هو، بينما هو يرى نسخة مشوهة ونستخاا.م الخوارزميات تقنيات التتخصيص لتقديم محتوى مختلف لكل مستخدم بناء على بياناته السلوكية، ما يخلق واقعا رقميا مختلفا لكل فرد. هذا التخصيص يجعل من الصعب على الناس الاتفاق على حقائق مشتركة ويقوض الأساس الذي تقوم عليه الديمقراطية والحوار المجتمعي.

---

[173] Sunstein, #Republic, p. 78.

[174] المسيري، دراسات معرفية، ص. 88

[175] Mouffe, C. (2005). On the political. London: Routledge, p. 34.

[176] Habermas, J. (1981). The theory of communicative action. Boston: Beacon Press, p. 34.

[177] Vosoughi, Roy, & Aral, The spread of true and false news online, p. 1148.

[178] Sunstein, #Republic, p. 34.

وقد أشار سنستاين إلى أن الإنترنت لم يخلق الاستقطاب، لكنه ضخمه بمقدار عشرة أضعاف لأنه سمح للناس بالعزلة في فقاعات لا يرون فيها إلا ما يعزز معتقداتهم[179].

وتستغل الخوارزميات نقاط الضعف النفسية للمستخدمين من خلال تحليل بيانا تم السلوكية لتحديد مخاوفهم ورغباتهم ونقاط ضعفهم. ثم تصميم محتوى يستغل هذه النقاط. وقد أشارت زوبوف إلى أن استغلال نقاط الضعف النفسية هو جوهر رأسمالية المراقبة، لأنه يحول الإنسان من غاية إلى وسيلة.[180]

ثالثًا: انعكاسات تشكيل الوعي المضطرب على الشباب العربي

لتشكيل الوعي الجمعي المضطرب انعكاسات خطيرة على الشباب العربي، تتراوح بين فقدان الهوية والانتماء، حيث يعيش الشباب في حالة من التيه بين هويات متعددة ومتناقضة تقدمها لهم المنصات الرقمية. وقد أشار معلوف إلى أن العولمة الرقمية تخلق هويات سائلة لا ترتبط بأرض أو تاريخ، بل بلحظات استهلاك عابرة. هذا قد يكون تحرراء لكنه قد يكون أيضا ضياعا.[181]

كما يؤدي تشكيل الوعي المضطرب إلى زيادة الاستقطاب الاجتماعي، حيث ينقسم الشباب إلى معسكرات متصارعة، كل معسكر يعيش في فقاعته المعلوماتية، ويرى الآخرين على أنتحم أعداء. وهذا يهدد التماسك الاجتماع. والوحدة الوطنية، خاصة فى مجتمعات عربية تواجه أصلا تحديات سياسية واقتصادية كبيرة. وقد أشار عي ؤالو ب ربية دوا مه وا و ر سنستاين إلى أن غرف الصدى ليست مجرد فقاعات تصفية، بل هي بيئات نشطة تعاقب المخالف وتكافئ المطابق.[182]

ويؤدي تشكيل الوعي المضطرب أيضا إلى تراجع المشاركة المدنية والسياسية، حيث ينشغل الشباب بامحتوى الترفيهي والاستهلاكي عن القضايا الوطنية والمجتمعية. وقد أشار تقرير المنتدى الاقتصادي العالمي إلى أن التضليل المعلوماتي أصبح من أخطر المخاطر العالمية، إذ صنّفه الأول على المدى القصير (عامين) والخامس على مدى عشر سنوات، وذلك لأن التضليل يقوض الثقة في المؤسسات ويهدم القدرة على العمل الجماعي لمواجهة أي تحد.[183]

كما يؤدي إلى زيادة القابلية للتطرف والإرهاب، فالشباب الذين يعيشون في غرف صدى تغذيها خوارزميات تفضل المحتوى المتطرف والاستقطابي، هم أكثر عرضة لتبني الأفكار المتطرفة والانضمام إلى الجماعات المتطرفة. وقد أظهرت الدراسات أن جماعات التطرف تستخدم بشكل مكثف استراتيجيات التضليل الرقمي لاستقطاب الشباب.[184]

المبحث السادس: الأمن الفكري والمناعة الرقمية

أولًا: مفهوم الأمن الفكري وتطوره

يقصد بالأمن الفكري مجموعة الإجراءات والسياسات التي تهدف إلى حماية الفرد والمجتمع من الأفكار التي تحدد أمنه واستقراره. وقد ظهر هذا المفهوم في الأدبيات العربية كاستجابة لظاهرة التطرف الديني والعنف السياشي، وركز على حماية الفرد وا مجتمع من الأفكار المتطرفة من منظور وقائي ردعي. كان الافتراض السائد أن التهديد يأتي من الخارج (جماعات متطرفة، أيديولوجيات دخيلة)، وأن الحماية تأتي من مراقبة هذه الأفكار ومنعها(.[185]

هذا الافتراض كان له ما يبرره في سياقه، لكنه ظل ناقصا لأنه لم يبن في الفرد قدرة ذاتية على المقاومة, وجعله معتمدا على الحماية الخارجية. كما أنه ركز على الأفكار المتطرفة فقطء متجاهلا المخاطر

---

[179] Zuboff, The age of surveillance capitalism, p. 95.

[180] زه(معلوف، الهويات القاتلة، ص. 45

[181] Sunstein, #Republic, p. 65.

[182] World Economic Forum, The global risks report 2024, p. 34.

[183] DiResta, Invisible rulers, p. 45.

[184] بكار، المناعة الفكرية، ص 45.

[185] يوسف والفضلي، المناعة الفكرية،؛ ص. 32

الأوسع مثل التضليل المعرفي والإغراق المعلوماتي. وقد انتقد الباحثون هذا المفهوم لكونه دفاعيا أكثر منه بنائياء ولتركيزه على الجانب الأمني على حساب الجانب المعرفي والتربوي.[186]

ومع تطور المخاطر الرقمية؛ تطور مفهوم الأمن الفكري ليشمل الأبعاد المعرفية والنفسية والسلوكية، وأصبح ينظر إليه كجزء من منظومة أوسع تشمل التربية الإعلامية والمواطنة الرقمية والمناعة الفكرية. وقد أشارت اليونسكو إلى أن الأمن الفكري في العصر الرقمي لا يمكن تحقيقه بالحجب والمراقبة فقط، بل يتطلب بناء قدرات ذاتية لدى الأفراد تمكنهم من حماية أنفسهم.[187]

ثانيا: المناعة الرقمية كامتداد للمناعة الفكرية

يقصد بالمناعة الرقمية مجموعة المهارات المعرفية والتقنية والسلوكية والقيمية التي تمكن الفرد من التعامل النقدي والواعي مع المحتوى الرقمي، وحماية وعيه من التلاعب الخوارزمي والمعلومات المضللة والمحتوى الضار، مع الحفاظ على هويته وثوابته الثقافية والأخلاقية في فضاء مفتوح متدفق. وقد تم تطوير مقياس للمرونة الرقمية للطلاب في المرحلة الابتدائية والثانوية، أكد على أهمية هذه المهارات في العصر الرقمي.[188]

يختلف هذا المفهوم عن المناعة الفكرية العامة في أنه يركز على الخصوصيات التقنية للفضاء الرقمي (مثل فهم الخوارزميات، التزييف العميق، الإدمان الرقمي، حماية الخصوصية، الأمن السيبراني)، بينما تشمل المناعة الفكرية العامة مهارات نقدية أوسع وأكثر تحريدا. المناعة الرقمية هي امتداد ضروري للمناعة الفكرية في السياق الرقمي، وهي شرط أساسي للانخراط الآمن والفاعل في الفضاء الرقمي، خاصة لفئة الشباب الذين يقضون فيه ساعات طويلة.[189]

ويبمكن تحديد أربعة أبعاد رئيسة للمناعة الرقمية، يتكامل كل منها مع الآخر لتشكيل منظومة دفاعية متكاملة. يتمثل البعد الأول في البعد المعرفي، ويشمل فهم آليات عمل الفضاء الرقمي، والخوارزميات، وأنماط التضليل، وأساليب التلاعب النفسي. هذا البعد يمثل الأساس الذي تبنى عليه بقية الأبعاد، لأنه يمنح الفرد الوعي اللازم لمواجهة المخاطر.[190]

ويتمثل البعد الثاني في البعد المهاري، ويشمل القدرة على استخدام أدوات التحقق من المعلومات، وحماية الخصوصية؛ والتعامل مع البرمجيات الخبيثة، وتنويع مصادر المعلومات. هذا البعد يمثل الجانب التطبيقي للمناعة حيث تتحول المعرفة إلى ممارسة.[191]

ويتمثل البعد الثالث في البعد السلوك، ويشمل عادات الاستخدام الواعي للإنترنت، مثل تنظيم وقت الشاشة، وتحنب الإدمان الرقمي، ومقاومة ضغط الترددات، والمشاركة المسؤولة في الفضاء الرقمي. هذا البعد يثل ترجمة المعرفة والمهارات إلى سلوك يومي مستدام.[192]

ويتمثل البعد الرابع في البعد القيمي، ويشمل التمسك بالقيم الأخلاقية والمهوية الثقافية في مواجهة التحديات الرقمية، مثل الصدق، والأمانة، والوسطية، والتسامح, والاعتزاز بالهوية. هذا البعد يمثل الحصن الأخير الذي يحمي الفرد من الذوبان في الفضاء الرقمي.[193]

ثالثًا: التفكير النقدي والتحليل الإعلامي

التفكير النقدي هو القدرة على تحليل الحجج. واكتشاف الافتراضات، واستخلاص الاستنتاجات المنطقية، وتقييم مصداقية المصادر، والتمييز بين الحقيقة والرأي، وبين الأدلة والادعاءات. وقد أشار

---

[186] UNESCO. (2021). Media and information literate citizens: Think critically, click wisely! Paris: UNESCO.

[187] Pan et al., Development and validation of digital resilience scale, p. 4.

[188] بكار، المناعة الفكرية، ص 25

[189] Hobbs, Media literacy in action, p. 12.

[190] Hobbs, Media literacy in action, p. 45.

[191] Hobbs, Media literacy in action, p. 67.

[192] زه(يوسف والفضلي، المناعة الفكرية، ص 37

[193] Ennis, R. H. (1996). Critical thinking. Upper Saddle River, NJ: Prentice Hall, p. 12.

إينيس إلى أن التفكير النقدي هو الأساس الذي تبنى عليه جميع مهارات التعلم في القرن الحادي والعشرين، وهو ضروري للتعامل مع التدفق الهائل للمعلومات.[194]

أما التحليل الإعلامي فهو تطبيق هذه المهارات على المحتوى الإعلامي، ويشمل القدرة على تحليل الخطاب الإعلامي، وكشف لمغالطات المنطقية، وتحديد التحيزات والأجندات الخفية، وتقييم مصداقية المصادر الإعلامية. وقد أشار هوبز إلى أن التحليل الإعلامي هو المهارة الأساسية للمواطنة في العصر الرقمي، لأنه يمكن الأفراد من التمييز بين المعلومات الموثوقة والمضللة[195].

(من قال؟ متى قال؟ لماذا قال؟ ما الدليل؟): والقدرة على تحليل الحجج وتفكيكها إلى مقدمات ونتائج، والقدرة على اكتشاف المغالطات المنطقية، والقدرة على تقييم الأدلة ومصداقيتها والقدرة على التعرف على التحيزات والافتراضات الخفية، والقدرة على بناء حجج منطقية متماسكة.[196]

وقد أشار إينيس إلى أن التفكير النقدي ليس مهارة فطرية، بل هو مهارة مكتسبة تتطلب تدريبا وممارسة مستمرة. والمدارس والجامعات تتحمل مسؤولية أساسية تنمية هذه المهارة لدى الطلاب[197]

المبحث السابع: دور المؤسسات في تعزيز المناعة الفكرية الرقمية

أولًا: دور الأسرة في بناء المناعة الرقمية

الأسرة هي الحصن الأول والأهم في بناء المناعة الرقمية لدى الطفل والشاب، لأنها توفر البيئة العاطفية الآمنة والحاضنة الأولى للقيم والمبادئ. ويشمل دور الأسرة في هذا المجال أربعة محاور رئيسية، لكل منها أهمية خاصة لِـ تشكيل وعي الطفل الرقمي.[198]

يتمثل امحور الأول في القدوة الحسنة، فالآباء الذين يتحققون من الأخبار قبل مشاركتها، ويضبطون أوقات استخدامهم للشاشات، ويظهرون اهتماما بالقراءة والفضول المعرفي والحوار النقدي، يكونون نموذجا عمليا لأبنائهم. وقد أشارت نظريات التعلم الاجتماعي إلى أن الأطفال يتعلمون بالملاحظة والتقليد أكثر ما يتعلمون بالتوجيه المباشر.[199]

ويتمثل امحور الثاني في الحوار المفتوح، من خلال مناقشة المحتوى الذي يراه الأبناء على الإنترنت، وتعليمهم مهارات التحقق الأساسية، وفتح قنوات اتصال آمنة لا خوف فيها من العقاب أو التوبيخ، بحيث يلجأ الأبناء إلى الأهل عندما يواجهون محتوى مزعجا أو مخيفا أو مشبوه.[200]

ويتمثل امحور الثالث في الرقابة الواعية، باستخدام أدوات الرقابة الأبوية لتصفيةا محتوى غير المناسب للأطفال الصغاء مع شرح أسباب التصفية بدلا من فرضها كأمر مسلم به، ومع إشراك الأبناء وضع القواعد بدلا من فرضها عليهم من أعلى.[201]

ويتمثل المحور ال رابع نخصيص أوقات خالية من الشاشات، مثل أوقات العائلة، وأوقات النوم، وأوقات الدراسة، وأوقات العبادة، لضمان توازك صحي بين العام الرقمي والواقعي، ولإعادة برمجة الدماغ على الاستمة ستمتاع بالتفاعلات الواقعية والتجارب المباشرة.[202]

---

[194] Hobbs, Media literacy in action, p. 12.

[195] Ennis, Critical thinking, p. 45.

[196] Ennis, Critical thinking, p. 56.

[197] Hobbs, Media literacy in action, p. 45.

[198] Bandura, A. (1977). Social learning theory. Englewood Cliffs, NJ: Prentice Hall, p. 45.

[199] Turkle, Alone together, p. 12.

[200] Hobbs, Media literacy in action, p. 67.

[201] Hari, Stolen focus, p. 56.

[202] UNESCO, Digital competence framework, p. 20.

ثانيا: دور المدرسة واجامعة

تشكل المؤسسات التعليمية القناة الأكثر تنظيما و تأثيرا في بناء المناعة الرقمية، لأنها تصل إلى فئات عمرية واسعة ولديها بنية نحتية ومناهج وكوادر بشرية مدربة. ويشمل دورها خمسة محاور رئيسية.[203]

يتمثل المحور الأول دمج التربية الإعلامية المناهج, من مرحلة ما قبل المدرسة إلى الجامعة، بحيث تصبح مهارات التفكير النقدي والتحقق من المعلومات والوعي الخوارزمي والمواطنة الرقمية جزءا من كل مادة دراسية، وليس مجرد مادة إضافية أو نشاط جانبي. هذا هو النموذج الفنلندي الناجح الذي جعل فنلندا الأولى عالميا في مؤشر محو الأمية الإعلامية.[204]

ويتمثل المحور الثابي تدريب المعلمين، لإعداد المعلمين ليكونوا مرشدين رقميين قادرين على الإجابة عن أسئلة الطللاب حول المحتوبا مشبوه، وتوجيههم نحو المصادر الموثوقة، وتصحيح المفاهيم الخاطعة.[205]

ويتمثل امحور الثالث في مختبرات النقد، لتحويل الفصول الدراسية إلى مساحات تطبيقية لتحليل الإعلانات التجارية، والمقارنة بين الأخبار الحقيقية والمزيفة، وتفكيك الخطاب الإعلامي. هذه المختبرات تحول المعرفة النظرية إلى مهارات عملية.[206]

ويتمثل المحور الرابع في أندية المناعة الفكرية، في الجامعات والمدارس الثانوية، لتنظيم مناظرات رقمية حول قضايا خلافية، وتحليل ترندات الأسبوع على وسائل التواصل، وإنتاج محتوى هادف ينافس المحتوى الحابط).[207]

ويتمثلا حور الخامس في الشراكات المجتمعية، بالتعاون مع المؤسسات الإعلامية والدينية والثقافية، لتوسيع نطاق التأثير وضمان استمرارية الرسالة خارج أسوار المدرسة.[208]

ثالثًا: دور المؤسسات الدينية والثقافية

تلعب المؤسسات الدينية والمؤسسات الثقافية دورا مهما ومكملا في تعزيز المناعة الرقمية، وذلك من خلال

يتمثلا حور الأول تقديم خطاب وسطي معاصر يشرح للشباب كيفية التعامل مع المحتوى الديني المضلل على الإنترنت، وتمييز المصادر الموثوقة من المصادر المشبوهة(.[209]

ويتمثلا حور الثابي إنتاج محتوى بديل جذاب، كفيديوهات قصيرة، وبودكاست، ومنشورات على وسائل التواصل، تقدم القيم الأخلاقية والهوية الثقافية والوسطية الدينية بأسلوب يناسب لغة الشباب واهتماماتحمي(.[210]

ويتمثلا حور الثالث في استضافة ورش عمل في المساجد والمراكز الثقافية والمكتبات العامة، لتعليم مهارات التحقق من الأخبار، وفهم الخوارزميات وكيفية التعامل معها، وحماية الخصوصية والأمن السيبراي من منظور أخلاقي وديى.[211]

رابعا: مسؤولية الحكومات والمنصات الرقمية

تتحمل الحكومات مسؤولية سن التشريعات والسياسات التي تحمي المواطنين من التضليل واستغلال البيانات، وتفرض الشفافية على الخوارزميات، وتدعم برامج التربية الإعلامية في المدارس

---

[203] Lessenski, M. (2023). The Media Literacy Index 2023. Sofia: Open Society Institute – Sofia.

[204] UNESCO, Digital competence framework, p. 25.

[205] Hobbs, Media literacy in action, p. 67.

[206] مركز قطر للمناظرات. 2023 دليل التفكير النقدي وفنون المناظرة. الدوحة: مطابع قطر الوطنية، ص 34

[207] UNESCO, Digital competence framework, p. 20.

[208] الغزالي، إحياء علوم الدين، ص 45

[209] Wu, The attention merchants, p. 78.

[210] Hobbs, Media literacy in action, p. 45.

[211] UNESCO, Digital competence framework, p. 20.

والجامعات، وتحول منصات التحقق المستقلة، وتتعاون مع الدول الأخرى لمواجهة حملات التضليل العابرة للحدود.[212]

كما تتحمل المنصات الرقمية مسؤولية أخلاقية في تصميم خوارزمياتها من خلال تقليل تضخيم المحتوى المضلل، وزيادة الشفافية في آلية عمل الخوارزميات، وتوفير أدوات للمستخدمين للتحكم في تجربتهم الرقمية ودعم مبادرات التحقق من المعلومات. وقد أشارت زوبوف إلى أن المنصات ليست مجرد وسطاء محايدين، بل هي جهات فاعلة تشكل الواقع الرقمي، وتتحمل مسؤولية أخلاقية عن عواقب تصميماتها.[213]

المبحث الثامن: التحديات المستقبلية في الفضاء الرقمي

أولًا: الذكاء الاصطناعي والتزييف العميق

يفل الذكاء الاصطناعي التوليدي مثل ChatGPT للنصوص Midjourney للصور وسورا للفيديو تحديا جديدا وخطيرا للمناعة الفكرية الرقمية، وذلك لأسباب متعددة(.[214]

يتمثل السبب الأول في الحجم الهائل للإنتاج، حيث يمكن للذكاء الاصطناعي إنتاج آلاف المقالات، ومئات الصور، وعشرات الفيديوهات في الدقيقة الواحدة، بتكلفة شبه مجانية. هذا يعني أن كمية المحتوى المضلل المحتمل يمكن أن تفوق قدرة أي فريق بشري على مجاراتها أو تقنيدها(.[215]

عيبزه عن عده: المحتوى البشري. النصوص صحيحة لغوياء الصور واقعية جدا، الأصوات مطابقة للأصلية،

سيغير كل شيء، ويجب أن نتعلم كيف نعيش معه دون أن نفقده السيطرة على وعينا.[216]

ويتمثل السبب الثالث في التزييف العميق، وهو استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي لإنشاء مقاطع فيديو أو صوتية تبدو حقيقية قاما، تظهر شخصيات سياسية أو دينية أو عامة وهم يقولون أو يفعلون ما مم يقولوه أو يفعلوه أبدا. هذه التقنية تقوض أساس الشهادة البصرية، وتجعل من الصعب جدا التمييز بين الحقيقة والزيف حتى على الخبراء. وقد أشار تقرير المنتدى الاقتصادي العالمي إلى أن التزييف العميق أصبح من أخطر التهديدات للمجتمعات الديمقراطية، لأنه يمكن استخدامه للتأثير في الانتخابات، وتشويه جمعة الشخصيات العامة، وإشعال الصراعات، وتقويض الثقة في كل شيء.[217]

ثانيا: الحروب المعلوماتية

الحرب المعلوماتية هي استخدام المعلومات والتضليل وال هجمات الإلكترونية والتأثير النفسي كأسلحة لتحقيق أهداف سياسية أو عسكرية أو اقتصادية ضد خصم. تشمل أبرز تكتيكاتها: شن حملات تضليل منسقة

محتوى استقطابي بحدف زعزعة استقرارا مجتمعات المنافسة، والتأثير في الانتخابات، وتقويض الثقة في المؤسسات. وقد لاحظ الباحثون أن العالم العربي أصبح ساحة لهذه الحروب المعلوماتية، حيث تتنافس أطراف إقليمية ودولية في نشر التضليل لخدمة أجنداتها.[218]

وتشمل أدوات الحرب المعلوماتية شبكات الحسابات المزيفة التي تحاكي أصواتا حقيقية، وا محتوى المصنّع بالذكاء الاصطناعي، وهجمات التصيد التي تستهدف جمع المعلومات الحساسة، والاختراقات التي تستهدف نشر معلومات مسربة أو مزيفة، وحملات التأثير التي تستهدف تغيير الرأي العام. وقد أشار

---

[212] Zuboff, The age of surveillance capitalism, p. 210.

[213] Kissinger, Schmidt, & Huttenlocher, The age of AI, p. 78.

[214] Kissinger, Schmidt, & Huttenlocher, The age of AI, p. 89.

[215] Kissinger, Schmidt, & Huttenlocher, The age of AI, p. 78.

[216] World Economic Forum, The global risks report 2024, p. 78.

[217] Oxford Internet Institute, Computational propaganda worldwide, p. 56.

[218] Oxford Internet Institute, Computational propaganda worldwide, p. 78.

تقرير معهد أكسفورد للإنترنت إلى أن الحملات المنظمة للتضليل أصبحت أكثر تعقيدا واحترافية، وتستخدم أدوات متطورة تشمل الذكاء الاصطناعي وتحليل البيانات الضخمة.[219]

ثالثًا: التأثير السياسي عبر المنصات

أصبحت منصات التواصل ساحة رئيسية للتأثير السياشي، سواء من خلال الإعلانات السياسية المستهدفة الى تستخدم الملفات النفسية للمستخدمين لعرض رسائل مخصصة لكل فرد، أو من خلال الحسابات الوهمية التي

انتتخابات وطنية برسائل مضللة قبل أيام من الاقتراع. وقد أظهرت التحقيقات في قضية كامبريدج أناليتيكا كيف يمكن هذه التقنيات أن تغير نتائج الانتخابات[220]

وتشكل هذه الظاهرة تحديدا خطيرا للديمقراطيات، لأنها تقوض قدرة المواطنين على اتخاذ قرارات مستنيرة، وتزيد من الاستقطاب، وتقوض الثقة في المؤسسات الديمقراطية. وقد أشار سنستاين إلى أن عندما لا يستطيع الناخب التمييز بين الحقيقة والزيف، تفقد الديمقراطية معناها.[221]

رابعا: الواقع الافتراضي والميتافيرس وتأثيرها القيمي

الميتافيرس هو فضاء افتراضي ثلاثي الأبعاد، يتفاعل فيه المستخدمون من خلال صور رمزية Avatars بمكنهم من خلاها العمل، والترفيه، والتسوق، وبناء علاقات، وتملك أصول رقمية، وكأنحم يعيشون في عالم مواز. هذا العالم الجديد يحمل تحديات قيمية وأخلاقية ونفسية كبيرة.[222]

يتمثل التحدي الأول في الانغماس الكامل، حيث قد يصبح المستخدم منغمسا في الميتافيرس لدرجة فقدان الاتصال بالواقع. وقد أشارت تيركل إلى أن الانغماس في العوالم الافتراضية قد يؤدي إلى فقدان القدرة على التمييز بين الواقع والخيال، خاصة لدى الفئات العمرية الصغيرة التي لا تزال في مرحلة تشكيل هويتها.[223]

ويتمثل التتحدي الثابي الهوية المرنة بللا حدود، حيث يمكن للمستخدم تغيير شكله وجنسه وعمره وهويته بالكامل في الميتافيرس، مما قد يؤدي إلى تفتت الهوية وفقدان التماسك الذاتي. وقد أشار باومان إلى أن الهوية في الحداثة السائلة أصبحت مشروعا دائم التكوين، وهذا ينطبق بشكل خاص على الهوية في الميتافيرس، التي تعاد كتابتها كل يوم[224].

ويتمثل التحدي الثالث في الاقتصاد الجديد غير الخاضع للرقابة، حيث تنشأ في الميتافيرس أسواق جديدة للعملات الرقمية والأصول الرقمية، دون أن تكون خاضعة للقوانين واللوائح التقليدية. وهذا يخلق فرصا للاستغلال والاحتيال.[225]

ويتمثل التحدي الرابع في غياب التنظيم الأخلاقي والقانوفي، حيث إن الميتافيرس لا يزال في مراحله الأولى، ولم يتم وضع قواعد أخلاقية وقانونية واضحة تحكمه. وهذا يخلق فراغا يمكن استغلاله من قبل جهات تريد التلاعب بالمستخدمين. وقد أشار فلوريدي إلى أن غياب التنظيم في الفضاء الرقمي هو أحد أكبر التحديات التي تواجه البشرية في القرن الحادي والعشرين.[226]

خلاصة الفصل الأول

خلص هذا الفصل إلى أن الفضاء الإلكتروني يحمل مخاطر معلوماتية حقيقية ومستجدة لم تعرفها البشرية من قبل. وقد ركز التحليل على ظاهرتين متداخلتين ومتكاملتين: الأولى هي فيض لمعلومات

[219] Wylie, Mindf*ck, p. 78.
[220] Sunstein, #Republic, p. 34.
[221] Kissinger, Schmidt, & Huttenlocher, The age of AI, p. 112.
[222] Turkle, Alone together, p. 165.
[223] Bauman, Liquid life, p. 34.
[224] Kissinger, Schmidt, & Huttenlocher, The age of AI, p. 130.
[225] Floridi, The fourth revolution, p. 210.
[226] Bawden & Robinson, The dark side of information, p. 190.

الهائل الذي يضعف القدرات المعرفية والنفسية للشباب، وعدم في حالة من التخمة والإرهاق والارتباكٍ الدائمين. والثانية هي والنة[227]

تبين أن هذه المخاطر ليست مجرد تحديات تقنية أو فردية يمكن حلها بوصفات بسيطة) بل هي تحديات حضارية وأخلاقية ومعرفية تعيلك تشكيل الإنسان واجتمع بطرق أ يشهد لها التاريخ مشياك من قبل. كما تبين أن الشباب، وهم الفئة الأكثر تفاعلا مع الفضاء الرقمي والأكثر أ به هم الوقت نفسه الفئة الأقل امتاهكا للأدوات المعرفية والنفسية التي تمكنهم من حماية أنفسهم من هذه المخاطر(.[228]

لقد وصف التحليل للمخاطر من حيث آلياتها التقنية والإعلامية المباشرة، لكنه ل يكشف بعد عن القوى الاقتصادية والسياسية العميقة التي تولد هذه المخاطر وتغذيها بشكل منهجي. فشركات التكنولوجيا الكبرى لا تكتفي بتوفير المنصات؛ بل تصمم خوارزمياتها عمدا لتعظيم وقت الاستخدام وجمع البيانات، ما يؤدي إلى تضخيم فيض المعلومات وتغذية التضليل المعرفي. هذه الشركات تعمل ضمن نموذج رأسمالية المراقبة الذي يحول الانتباه البشري والبيانات السلوكية إلى سلعة تباع للمعلنين، ما يجعل تعطيل المناعة الفكرية - أي إبقاء المستخدم في حالة من الارتباك والاستهلاك السلبي - جزءا من نموذج أعماًا وليس عيبا.[229]

هذا البعد الاقتصادي السياشي العميق، وكيفية تحويل المعرفة والمهوية إلى سلع، ودور رأس المال الرقمي في هندسة الوعي لتقويض المناعة الفكرية، سيتم تناوله بالتحليل في الفصل السادس من هذا البحث. فهناك سيتم كشف العلاقات الخفية بين اقتصاد الانتباه، وتسليع البيانات، وتاكل القدرة على التفكير النقدي، وتقديم آليات

أما في الفصل التالي (الفصل الثاني)، فسيتم الانتقال إلى التأصيل النظري لمفهوم المناعة الفكرية، من خلال تتبع جذوره اللغوية معاجم اللغة العربية، وامتداداته التراث الإسلامي من خلال مناهج التثبت والجرح والتعديل والنقد الخلدوني, وإسهامات الفكر الفلسفي الإنساني من خلال الشك المنهجي الديكارتِي والتنوير الكانطي ونقد اقتصاد الانتباه، تمهيدا لبناء تعريف إجرائي شامل يصلح كأداة عمل في بقية فصول الدراسة.[230]

---

[227] Pan et al., Development and validation of digital resilience scale, p. 4.

[228] Zuboff, The age of surveillance capitalism, p. 210.

[229] في بكار، المناعة الفكرية، ص 25

[230] بكار، المناعة الفكرية، ص 25

الفصل الثاني: المناعة الفكرية في التراث الحضاري الإسلامي والإنساني

تمهيد

قبل الشروع في بناء العالج، ينبغي فهم الداء. طبيعة وقبل البدء في بناء مناعة، لا بد من استيعاب ما تعنيه المناعة في جوهرها العميق. هذا الفصل هو محاولة لتأصيل مفهوم المناعة الفكرية، ليس كفكرة مستحدثة وليدة العصر الرقمي، بل كامتداد لجهد إنساني متواصل عبر العصور لحماية العقل من التضليل والتلاعب. إنه القلب النظري للبحث، حيث تتشابك خيوط التحليل اللغوي والتراثي والفلسفي والنقدي لتنتج في النهاية تعريفا إجرائيا شاملا يصلح كأداة عمل في بقية فصول الدراسة.[231]

ومن خلال تأمل بسيط يمكن القول إن الجسد البشري يمتلك جهازا مناعيا يعمل تلقائياء يفرق بين خلايا الجسد نفسه والأجسام الغريبة، ويتذكر الغزاة السابقين ليهاجمهم بسرعة أكبر عند العودة. هذا الجهاز ليس جدارا صامدا يمنع كل شيء، بل هو نظام ذكي يتعرف وبميز ويتكيف. فكيف يمكن بناء جهاز مماثل للعقل؟ كيف يمكن تمييز السموم الفكرية من المغذيات الفكرية؟ كيف يمكن تذكر أنماط التضليل لمواجهتها بسرعة؟[232]

يمثل التشبيه بين المناعة البيولوجية والمناعة الفكرية أداة تحليلية توضح الفرق بين الانغلاق الفكري والمناعة الفكرية. فالانغلاق الفكري يقوم على رفض جميع لمعلومات الجديدة دون تمييز، بينما تعمل المناعة الفكرية كنظام استشعار انتقائي يسمح بمرور المعلومات المفيدة (بعد التحقق منها) ونع المعلومات الضارة (بعد كشف تضليلها). وهذا ما أكده بكار في تعريفه للمناعة الفكرية بأنها قدرة العقل على التمييز بين الصحيح والسقيم؛ وبين النافع والضار.[233]

كثير من الناس يخلطون بين المناعة الفكرية والانغلاق الفكري، فيعتقدون أن حماية العقل تعني منعه من التعرض لأي فكرة مختلفة أو مخالفة. وهذا الفهم خاطئ وخطيرء فالمناعة الحقيقية تبنى بالتعرض الواعي، وليس بالعزل. مثلما تبنى مناعة الجسد بالتطعيم (أي التعرض لجزء صغير من الميكروب)، تبنى المناعة الفكرية بالتعرض لأفكار مختلفة في بيئة آمنة، مع وجود أدوات نقدية تمكن من التعامل معها. فالعقل الذي لا يواجه أفكارا مختلفة يضعف مثلما يضعف الجسد الذي لا يواجه ميكرو بات.[234]

يمكن تشبيه المناعة الفكرية بجهاز الاستشعار في الطائرة الحديثة. فهذا الجهاز لا يمنع الطائرة من الطيران، بل يزود الطيار بمعلومات دقيقة عن البيئة امحيطة: العواصفء الجبال، الطائرات الأخرى. بناء على هذه المعلومات، يتخذ الطيار قراراته. وكذلك المناعة الفكرية تزود الإنسان بمعلومات دقيقة عن البيئة المعلوماتية المحيطة: ما هي المصادر الموثوقة؟ ما هي المغالطات التي يستخدمها المضللون؟ ما هي العواطف التي تستغل؟ بناء على هذه المعلومات، يتخذ الإنسان قراره بشأن ما يصدق وما يشك فيه.[235]

يهدف هذا الفصل إلى تحقيق أربعة أهداف رئيسة: أولا، تتبع الجذور اللغوية لمفهوم المناعة في معاجم اللغة العربية، وكشف الدلالات العميقة التي يحملها الجذر اللغوي (منع) والتي تتجاوز مجرد الدفع والصد إلى مفاهيم القوة والعزة والسيادة. ثانيا، استقراء المناعة الفكرية في التراث الإسلامي من خلال ثلاثة مناهج رئيسة: منهج التثبت والتبين في القرآن الكريم والسنة النبوية، وعلم الجرح والتعديل عند المحدثين كنظام متكامل لنقد المعلومات، والمنهج الخلدونِي في نقد الأخبار وطبائع العمران. ثالثًا، استكشاف إسهامات الفكر الفلسفي الإنساني في بناء المناعة الفكرية، من خلال الشك المنهجي الديكارتي، والتنوير الكانطي والدعوة للخروج من الوصاية، ونقد اقتصاد الانتباه في الفكر المعاصر. رابعا تقديم قراءة في الأبعاد السياسية والاقتصادية للمناعة، من خلال تحليل رأسمالية المراقبة كآلية

---

[231] يوسف والفضلي، المناعة الفكرية، 23 ص؟-/. 48

[232] في بكار، المناعة الفكرية، ص 25

[233] بكار، المناعة الفكرية،.ص 30

[234] فلوريدي، لوتشانو. 2014 الثورة الرابعة: كيف يعيد الفضاء المعلوماتي تشكيل الواقع الإنساني (ترجمة: مركز الإمارات للدراسات). أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات، ص. 45

[235] بكار، المناعة الفكرية، ص 52 ه.

لإسقاط المناعة، ونموذج تصنيع الموافقة عند تشومسكي، ورؤية مالك بن نبي للقابلية للاستعمار كحالة داخلية تسبق الاستعمار الخارجي. وسيختتم الفصل بعرض رؤية طه عبد الرحمن للعقل المسدد والعقل الاثتمافي، ورؤية عبد الوهاب المسيري للتحيز المعرفي ومركزية الهوية، ثم صياغة تعريف إجرائي كائي للمناعة الفكرية يجمع بين الأبعاد المتعددة التي تم تناولاء ليكون الأداة المفاهيمية التي نعمل بما في بقية فصول البحث.[236]

المبحث الأول: التأصيل المفهومي وبناء المصطلح

أولا0: الدلالات اللغوية والاشتقاقية

كلمة مناعة في العربية مشتقة من الجذر الثلاثي (م ن ع). هذا الجذر لم يأت صدفة، بل حمل دلالات عميقة تستحق التوقف عندها طويلا. فقد أفرد لما علماء اللغة الع ربية تحليلا دقيقا يبين أن هذه الدلالات تتجاوز مجرد الدفع والصد إلى مفاهيم القوة والعزة والسيادة والامتناع الواعي. وإسقاط هذه الدلالات على الفكر يكشف عن أبعاد جديدة للمناعة الفكرية لم تستوعبها التعريفات المعاصرة بشكل كاف[237]

يقول ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: الميم والدون والعين أصل صحيح يدل على القوة والامتناع.[238] لاحظ كيف جمع ابن فارس بين أمرين: القوة الذاتية (أن تكون قويا)، والامتناع عن الآخر (ألا يستطيع أحد أن يغلبك). هذا الجمع بين البعدين – البناء الداخلي والدفاع الخارجي – هو ما بيز المناعة الحقيقية عن مجرد الصلابة أو الجمود. القوة وحدها قد تكون عدوانية، والامتناع وحده قد يكون جيداء أما الجمع بينهما فهو الحكمة. وهذا الجمع؛ بين القوة والامتناع هو جوهر المناعة الفكرية: أن يكون الفرد قويا بمعرفته ومنطقهء وفي الوقت نفسه قادرا على امتناع واع عن قبول ما لا يس: يستحق القبول.[239]

أما ابن منظور في لسان العرب فيضيف أن المنعة هي العزة والامتناع، فيقال: رجل منيع: عزيز لا يغلب.[240] وهذا يظهر البعد الاجتماعي للمناعة: الفرد المنيع ليس فقط قويا بنفسه؛ بل هو عزيز مجتمعه، في لا يستطيع أحد أن يدال منه بسهولة. العزة ليست مجرد شعور داخلي، بل هي مكانة اجتماعية تعكس قدرة الفرد على حماية نفسه وفكره. وهذا البعد الاجتماعي مهم, لأن المناعة الفكرية ليست مجرد مهارة فردية، بل هي ظاهرة مجتمعية تتغذى على دعم المؤسسات والعلاقات. ففي المجتمع العربي والإسلامي، العزة ليست مجرد صفة فردية بل هي قيمة اجتماعية ترتبط بالكرامة والانتماء. وعندما يفقد الفرد مناعته الفكرية، فإنه يفقد عزه، ويصبح تابعا لغير: وهو ما يتناقض مع مبدأ الاستخلاف الذي كرم الله به الإنسان.[241]

إذا تم إسقاط هذه الدلالات على الفكر. فإن صاحب المناعة الفكرية هو الذي لا يستباح عقله. ولا يخترق وعيه بسهولة. إنه عزيز الفكر، لا يرضى بالتبعية ولا يقبل كل ما يلقى إليه دون تمحيص. هذه العزة الفكرية تحعله يرفض أن يكون مجرد متلق سلبي، ويصر على أن يكون له رأي مستقل مبني على فهم وتدبر. والامتناع الواعي هنا ليس مجرد رفض، بل هو قدرة على التمييز بين ما ينفع وما يضرء بين ما ب يستحق القبول وما يستحق الرفض. وهذا التمييز هو جوهر المناعة الفكرية(.[242]

وللوقوف عند كلمة الامتناع التي استخدمها ابن فارس، فالامتناع في اللغة العربية ليس مجرد رفض سلبي، بل هو فعل إيجابي قائم على القوة. نقول: امتنع الجدار إذا كان قويا لا يمكن هدمه. امتنع الرجل إذا كان عزيزا لا يمكن إذلاله. فالامتناع هنا نتيجة للقوة، وليس سببا فيها. صاحب المناعة الفكرية يمتنع عن قبول المعلومات المضللة لأنه قوي، وليس لأنه ضعيف خائف. وهذا الفرق مهم: الضعيف

---

[236] ابن فارس، أحمد. 1979 معجم مقاييس اللغة. بيروت: دار الفكر،.ج 1.ص 123

[237] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج، 1 ص. 123

[238] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج 1 ص. 123

[239] ابن منظور، محمد بن مكرم. 1993 لسان العرب. بيروت: دار صادر، ج 3 ص. 219

[240] مالك بن نبي. 1986 شروط النهضة (ترجمة: عبد الصبور شاهين). دمشق: دار الفكر، ص؟. 32

[241] بكار، المناعة الفكرية، ص. 32

[242] الجاحظء عمرو بن بحر. 1989 البيان والتبيين (تحقيق: عبد السلام هارون). القاهرة: مكتبة الخانجي، ج)، 1 ص 50

يرفض خوفا من المواجهة، والقوي يرفض لأنه يمتلك أدوات التمييز. فالمناعة ليست ضعفا أو انغلاقاء بل هي قوة انتقائية تمكن صاحبها من الاختيار الواعي[243] م م مبواه سم ه م ادام وو يقدم القرآن الكريم أيضا دلالات ثرية لهذا الجذر، فيقول تعالى: (وما مد.عهم أن قبل مد مذ عَقَائم إل قم كفروا بالله وبرسوله] أسورة التوبة، الآية 54 فالمنع هنا ليس منعا ماديا، بل هو حاجز معنوي يصد عن قبول العمل. ويقول: ويد. عون الماعون] [سورة الماعون, الآية 7 وهي إشارة إلى منع الخير والإعانة. هذا التنوع الدلالي يشير إلى أن الجذر يحمل معنى الحاجز الانتقائي، أي أن صاحب المناعة بمنع ما يضره (كالمعلومات السامة) ويسمح بما ينفعه، وهذا هو جوهر الانتقاء. فالإنسان المنيع هو الذي يستطيع أن يضع حواجز انتقائية بينه وبين ما يضره من معلومات وأفكار، دون أن يحرم نفسه من الانفتاح على ما ينفعه.[244]

من هذا التحليل اللغوي، يتضح أن المناعة في جوهرها اللغوي ليست سلبية محضة (مجرد دفع وصد)ء بل هي حالة القوة من والعزة تجعل صاحبها منيعا لا يغلب، وفي الوقت نفسه تمكنه من منع ما يضره دون أن يحرمه ذلك من الانفتاح على ما ينفعه. هذا التمييز – بين المنع كحاجز انتقائي وليس كجدار شامل – هو ما بميز المناعة الحقيقية عن الانغلاق الأعمى. فالمناعة الحقيقية هي القدرة على الفتح والإغلاق في الوقت المناسب، وليس مجرد الإغلاق الدائم.[245]

ثانيا: التطور الاصلاحي من الأمن الفكري إلى المناعة الرقمية

عند استعراض التطور الاصطلاحي لمفهوم المناعة الفكرية، يتضح أن هذا المفهوم لم يظهر بشكل واضح ومحدد إلا في العقود الأخيرة، لكن جذوره تمتد إلى مفاهيم سابقة بقة يمكن تتبعها في ثلاث مراحل رئيسة، تعكس تطور الوعي بطبيعة المخاطر الفكرية. وقد ساهم في هذا التطور مفكرون وباحثون من خلفيات مختلفة، مما أثرى المفهوم وجعله أكثر شمولا.[246]

تمثل المرحلة الأولى مفهوم الأمن الفكري الذي ظهر في تحاية القرن العشرين كاستجابة لظاهرة التطرف الديني والعنف السياشي. ركز هذا المفهوم على حماية الفرد والمجتمع من الأفكار المتطرفة من منظور وقائي ردعي. كان الافتراض السائد أن التهديد يأتِ من الخارج (جماعات متطرفة، أيديولوجيات دخيلة)، وأن الحماية تأي من مراقبة هذه الأفكار ومنعها. هذا الافتراض كان له ما يبرره في سياقه، لكنه ظل ناقصا لأنه م يبن في الفرد قدرة ذاتية على المقاومة، وجعله معتمدا على الحماية الخارجية. كما أنه ركز على الأفكار المتطرفة فقط، متجاهاا المخاطر الأوسع مثل التضليل المعرفي والإغراق المعلوماتي. وقد انتقد الباحثون هذا المفهوم لكونه دفاعيا أكثر منه بنائياء ولتركيزه على الجانب الأمني على حساب الجانب المعرفي والتربوي.[247]

ومع مطلع الألفية الثالثة، بدأ مفهوم المناعة الفكرية يتبلور كمفهوم مستقل في المرحلة الثانية، مع تركيز أكبر على الجانب البنائي والتمكيني. فبدلاً من النظر إلى الفرد كموضوع للحماية من الخارج، تحول الاهتمام إلى بناء قدرات داخلية تمكن الفرد من حماية نفسه. هذا التحول كان مهما، لأنه نقل المسؤولية من المؤسسات إلى الفرد، واعترف بأن أقوى حماية هي الحماية الذاتية. ساهم في بلورة هذا المفهوم مفكرون مثل عبد الكريم بكار، الذي عرف المناعة الفكرية بأنها قدرة العقل على التمييز بين الصحيح والسقيم، وبين النافع والضار، وبين الحق والباطل، في مجال الأفكار والتصورات.[248]

يلاحظ كيف أن هذا التعريف يركز على القدرة (أي المهارة الداخلية)، وليس على الحماية الخارجية. كما أنه يوسع دائرة التمييز لتشمل كل الأفكار والتصورات، وليس فقط الأفكار المتطرفة. لكنه بقي عاما، ولم يتناول التحديات الخاصة التي يفرضها الفضاء الرقمي مثل سرعة تدفق المعلومات، والخوارزميات، ورأسمالية المراقبة. وقد أشار نقاد هذا المفهوم إلى أنه رغم تطورء إلا أنه ما زال ينظر

---

[243] في ابن منظور، لسان العرب، ج 3 ص 219

[244] بكار، المناعة الفكرية، ص. 32

[245] بكار، المناعة الفكرية، ص 25

[246] يوسف والفضلي المناعة الفكرية، ص. 32

[247] بكار، المناعة الفكرية, ص 25

[248] يوسف والفضلي، المناعة الفكرية، ص ه. 35

إلى المناعة الفكرية كمجموعة من المهارات المعرفية، دون أن يلتقط الأبعاد النفسية والاجتماعية والاقتصادية للمشكلة.[249]

ومع التسارع الهائل في التحول الرقمي، وتزايد المخاطر المرتبطة بفيض المعلومات والتضليل المعرفي ورأسمالية المراقبة، تطور المفهوم في المرحلة الثالثة ليشمل أبعادا جديدة تتعلق بالوعي الخوارزمي والمواطنة الرقمية النقدية. الباحثان سليمان يوسف وهدى الفضلى يقدمان تعريفا معاصرا للمناعة الفكرية بأنها منظومة متكاملة من المعارف والمهارات والاتجاهات التي تمكن الفرد من التعامل النقدي مع المحتوى الرقمي، وحماية وعيه من التلاعب الخوارزمي، مع الحفاظ على هويته وثوابته في فضاء مفتوح متدفق[250]

يضيف هذا التعريف عنصرين جديدين: التعامل النقدي مع المحتوى الرقمي (وهو ليس مجرد استهلاك سلبي؛ بل هو تفاعل نشط ونقد)، ومقاومة التلاعب الخوارزمي (وهو اعتراف بأن الخطر لا بأت فقط من محتوى مضلل، بل من بنية الخوارزميات نفسها). كما يضيف الحفاظ على الهوية والثوابت كهدف للمناعة، ما يربط بين البعد المعرفي والبعد المواياتي. هذا التعريف عثل تقدما كبيرا، لكنه يحتاج إلى مزيد من التأصيل الفلسفي والأخلاقي؛ ء خاصة في ظل التحديات الجديدة التي يفرضها الذكاء الاصطناعي التوليدي والتزييف العميق.[251]

ثالثًا: السيادة الإدراكية

ربما يكون المفهوم الأكثر قدرة على استيعاب الأبعاد الجديدة للمناعة الفكرية هو مفهوم السيادة الإدراكية (مع (Cognitive Sovereignty) الذي يطرحه الفيلسوف الإيطالي لوتشانو فلوريدي. يرى فلوريدي أننا في عصر الفضاء المعلوماتي Infosphere ومن هنا، نتحول إلى كائنات معلوماتية د Inforgs أي كائنات وجودها متشابك مع المعلومات.. ومن هنا، تصبح السيادة على العمليات المعرفية حقا أساسيا، بل ضرورة وجودية. وهذا المفهوم يتجاوز فكرة حرية الرأي التقليدية، لأن حرية الرأي لا تعني شيكا إذا كانت الخوارزميات هي التي تشكل آراءنا من دون وعي منا.[252]

تعني السيادة الإدراكية حق الإنسان في أن يكون سيدا على عملياته المعرفية، وألا نطف قدرته على التفكير والتمييز من قبل قوى خارجية، سواء كانت خوارزميات أو دعايات أو أيديولوجيات. هذا المفهوم يتجاوز فكرة حرية الرأي التقليدية، لأن حرية الرأي تفترض وجود وعي مستقل قادر على الاختيار، أما إذا كانت الخيارات نفسها مهندسة مسبقا، فإن الى رية تصبح وهما. وقد أشار فلوريدي إلى أن السيادة الإدراكية هي امتداد للسيادة السياسية في العصر الرقمي؛ فكما للدولة سيادة على أراضيها للإنسان سيادة على وعيه.[253]

وتتطلب السيادة الإدراكية شفافية الخوارزميات، وحق المستخدم في معرفة كيف تؤثر فيه، وقدرته على مقاومة هذا التأثير. كما تتطلب قدرة على التحكم في بوابة الانتباه، أي اختيار ما يستحق التركيز وما يجب تجاهله. وتتطلب القدرة على التمييز بين الذاتي والموضوعيء والحفاظ على استقلالية الحكم، وبناء هوية معلوماتية متماسكة. وقد أشار فلوريدي إلى أن السيادة الإدراكية ليست مجرد حق، بل هي مسؤولية؛ فالإنسان مسؤول عن حماية وعيه كما هو مسؤول عن حماية جسده.[254]

من هذا المنظور، تصبح المناعة الفكرية هي الآلية التي تمكن الفرد من تحقيق سيادته الإدراكية. إنما ليست مجرد مجموعة من المهارات التقنية، بل هي فلسفة وجودية تعيد تعريف علاقة الإنسان بالتكنولوجيا. فبدلا من أن يكون الإنسان عبدا للخوارزميات، يصبح سيدا على استخدامه لما. والافتراض هنا هو أن السيادة الإدراكية هي الهدف (أن تكون سيدا على عقلك)، والمناعة الفكرية هي الوسيلة

---

[249] يوسف والفضلي، المناعة الفكرية، ص. 37

[250] يوسف والفضلي، المناعة الفكرية، ص. 37

[251] Floridi, The fourth revolution, p. 56.

[252] Floridi, The fourth revolution, p. 60.

[253] Floridi, The fourth revolution, p. 56.

[254] Floridi, The fourth revolution, p. 70.

(مجموعة الأدوات التي تمكنك من تحقيق ذلك). فالنتيجة أنه بدون مناعة سيستعبدك التدفق المعلوماتي، وبدون سيادة ستفقد هدف المقاومة. لذاء فهما وجهان لعملة واحدة.[255]

هذا الفهم بمنح المناعة الفكرية بعدا سياسيا وحقوقيا؛ إنما ليست مجرد مهارة شخصية، بل هي حق إنساني. لكل إنسان الحق في حماية وعيه من التلاعب، كما له الحق في حماية جسده من الأذى. وهذا يضع مسؤولية على الحكومات والمؤسسات الدولية لضمان هذا الحق، من خلال تشريعات تحمي البيانات وتفرض الشفافية الخوارزمية. وقد أشار: تقرير الأمم المتحدة حول العصر الرقمي إلى أن حق الإنسان في السيادة الإدراكية يجب أن يعتبر حقا أساسيا من حقوق الجيل الجديد، إلى جانب الحق في الخصوصية وحق الوصول إلى المعلومات.

المبحث الثاني: المناعة الفكرية في التراث الإسلامي

أولًا: منهج التثبت والتبين في القرآن الكريم والسنة النبوية

بمثل منهج التثبت والتبين الأساس الأول للمناعة الفكرية في التراث الإسلامي. فقد أمر الله تعالى عباده بالتبين ولتت ت قبل قبول الأخبار: وجعل ذلك منهجا عاما عامل المعلومات. يقول الله تعالى ف

دمي [سورة الحجرات، الآية 6. وقد فسر ارون ء هذه الآية ية على أنها اتأسيس لوجي نفك د المعلومات: حيث أمر

الله بالتبين قبل التصديق، وجعل الفسق سببا للشك في الخبر، مما يستدعي التثبت والتحقق..

يقول القرطبي في تفسيره: أمر الله تعالمى بالتبين، وهو التثبت والتمييز، وذلك فرض على كل من بلغه خبر، حتى يعرف حقيقته.[256] وهذا التفسير يؤكد أن التبين ليس مجرد أمر أخلاقي، بل هو واجب شرعي على كل مسلم بلغه خبر. وقد أشار ابن كثير إلى أن هذه الآية أصل في قبول الأخبار، وأنه لا ينبغي قبول خبر إلا بعد التثبت والتحقق.[257]

وف السنة النبوية, وردت أحاديث كثيرة تؤكد على منهج التثبت والتحقق. منها ما رواه أبو هريرة عن ابي أنه قال: (كفى بالمرء ذا أن يحدثَ كل ما جمع[258] وهذا الحديث عدر من نقل كل ما يسيع دون تمحيص، لأن كثرة النَقلّ دونّ تحقق توّدي إلى انتشار الكذب والخطأ. وقد أشار النووي في شرحه لهذا الحديث إلى أن من تحدث بكل ما مع فقد أكثر من الكذب، لأنه يسمع الصدق والكذبء فإذا حدث بكل ما سمعع فقد حدث بالكذب[259]

ومن الأحاديث ال مؤسسة منهج التثبت أيضا، ما رواه ابن النبي: (إِنَ الصدق.هدي إلى

البرء وإنَ لبر.هدي إل انهه وإنَ الرّجل أيصدق حق نّ يكتب عبر الله صديقاء وإنّ الكّذب[260] هدي الفجور. ون الفجوّر.دي إلى الآر، وإنَ الرّجل زكْذب حق يكتب عل الله ن). فهذا الحديث يربط بين الصدق والبر، وبين الكذب والفجور, ويحث على التحري والتمييز بين الصدق والكذب، وهو جوهر المناعة الفكرية.

وهناك حديث آخر يبين خطورة اتباع الناس بغير ييز، وهو حديث الإمعة: عن حذيفة بن اليمان رضي للدعنه قال: قال رسول الله ة. (لا تكونوا مع: ذقَولُون: إنْ أحسن النّاس أحسنّاء ون ظَلَمو ظلَمنا، ولكن وطُنوا.مسكم: إن أحسن النّاس قأحسنواء إن أساءوا فلا تظلموا)!.[261] وقد فسر العلماء الإمعة بأنه الذي لا

---

[255] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 16 ص. 311

[256] ابن كثير، إسماعيل بن عمر. 1999 تفسير القرآن العظيم. الرياض: دار طيبة، ط؟، 2 ج/ا، 7 ص 345.

[257] مسلم بن الحجاج. 2006 صحيح مسلم (كتاب المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع). الرياض: دار السلام، طا، 1 ج، 1 ص. 12

[258] النووي، يحيى بن شرف. 2000 شرح النووي على صحيح مسلم. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط 2 ج 1 ص 45.

[259] البخاري، محمد بن إسماعيل. 2000 صحيح البخاري (كتاب الأدب، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم إن الصدق يهدي إلى البر). الرياض: دار السلام، ط، 1 جم)، 8 ص 45

[260] الترمذي، محمد بن عيسى. 1975 سنن الترمذي (كتاب صفة القيامة، باب رقم 34 بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط) 1 ج، 4 ص 654

[261] ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. 1966 نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر (تحقيق: نور الدين عتر). دمشق: مطبعة الصباح،.ص 12

رأي له يتبع كل ناعق، وهذا هو عكس المناعة الفكرية. فالمنيع فكريا هو الذي له رأي مستقل،؛ لا يتبع الناس أينما سارواء، بل يز بين الحمسن والقبيح) وبين الحق والباطل.

ثانيا: علم الجرح والتعديل عند المحدثين

بمثل علم الجرح والتعديل الذي طوره المحدثون المسلمون أول نظام منهجي في التاريخ لتوثيق المعلومات ونقدها. فقد وضع امحدثون معايدر دقيقة لقبول الروايات وردهاء تقوم على نقد الرواة (السند) ونقد المتن (المحتوى). وهذا النظام يعد نموذجا متقدما للمناعة الفكرية، حيث يطبق مبادئ التثبت والتحقق على نطاق واسع. وقد أشار ابن حجر العسقلاني إلى أن هذا العلم من خصائص هذه الأمة، ولم يسبق إليه أحد.[262]

يقوم علم الجرح والتعديل على أربعة معايير أساسية، يمكن إسقاطها بشكل مذهل على نقدا محتوى الرقمي المعاصر, مما يؤكد أصالة هذا المنهج وقابليته للتطوير. يتمثل المعيار الأول في نقد المصدر (نقد الراوي)، ففي علم الحديث, لا يقبل خبر راو غير معروف، أو راو معروف بالكذبء أو راو فاسق. يطلب من ناقد الحديث أن يعرف كل شيء عن الراوي: امه ونسبه، شيوخه وتلاميذه. تقييم النقاد له (ثقة صدوق، ضعيف، متروك، كذاب). وقد أشار ابن حجر إلى أن معرفة أحوال الرواة فرض كفاية، لأنها مفتاح تمييز الصحيح من السقيم.[263] وف النقد الرقمي، السؤال المكافئ هو: من نشر هذا المحتوى؟ هل هو شخص حقيقي أم حساب وهمي؟ ما سجل مصداقية هذا المصدر؟ هل هو معروف بالدقة أم بنشر الشائعات؟

ويتمثل المعيار الثاني اتصال السند (سلسلة النقل), في علم الحديث، لا يقبل خبر منقطع السند، أي أن مار فجوة في سلسلة التثل (راو م ياق من يروي منة). ايطلب من نقد الحديث أن يتتبع سلسلة النقل راونا

الجيرلة قد غير[264] وفي النقد الرقى؛ السؤال الكافي ء هو: ما سلسلة الى وصلتنى بهذاا محتوى؟ من نشر أولا؟ من أعاد النشر؟ هل هناك فجوات؟ هل أعاد ننششره حسابات موثوقة أم مجهولة؟ هل تزامن النشر عبر حسابات متعددة وقت واحد؟

ويتمثل المعيار الثالث في الشذوذ (مخالفة الثقات)، ففي علم الحديث,ء إذا روى راو حديثا يخالف فيه رواية التقات، يتهم بالشذوذء وترد روايته. لأن الثقة يفترض أن يكون ضابطاء فمخالفته للجماعة علامة على الخطأ. وقد أشار ابن حجر إلى أن الشاذ هو ما يرويه الراوي مخالفا لمن هو أوثق منه، وهو مردود.[265] وف النقد الرقمي، السؤال المكافئ هو: هل هذا المحتوى يتوافق مع ما تنشره المصادر الموثوقة؟ أم أنه شاذ، أي يخالف الإجماع المعرفي؟ إذا كان الخبر يتعلق بكارثة طبيعية، فهل نشرته وكالات الأنباء العالمية؟ إذا كان الخبر يتعلق بعلاج طبيء فهل نشرته المؤسسات الطبية الموثوقة؟

ويتمثل المعيار الرابع في العلة (العيب الخفي)، ففي علم الحديث، العلة هي سبب خفي يقدح في صحة الحديث، مع أن الظاهر السلامة. قد يكون الحديث صحيح السند، ومتنه لا يخالف الثقات، لكن هناك علة خفية تمنع قبوله، مثل إدراج راو في سند ليس هو راويه الحقيقي، أو خطأ في وصل حديث مرسل. وقد أشار ابن حجر إلى أن العلل هي أخفى ما في علم الحديث، ولا يعرفها إلا الحفاظ المتقنون.[266] وفي النقد الرقمي، السؤال المكافع هو: هل هناك عيب خفي في هذا المحتوى؟ مثل تاريخ منشور قديم يعاد نشره كجديد, أو صورة من سياق مختلف تستخدم في سياق آخر، أو فيديو مفبرك بذكاء اصطناعي، أو اقتباس مبتور خارج السياق.

ويمكن تطبيق هذه المعايير الأربعة في نموذج تحقق رقمي متكامل، يربط بين معايير الجرح والتعديل الكلاسيكية وأدوات التحقق الرقمية المعاصرة. فمعيار معرفة اسم الراوي ونسبه يقابله في التحقق الرقمي التحقق من هوية الناشر من خلال البحث عن اسم المصدر محركات البحث والتحقق من شارة

---

[262] ابن حجر، نزهة النظر، ص. 23

[263] ابن حجر، نزهة النظر، 25 ص؟-؟. 23

[264] ابن حجر، نزهة النظر، ص 34

[265] ابن حجر، نزهة النظر، ص 45.

[266] في ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. كلمو 1986 مقدمة فتح الباري (شرح صحيح البخاري). بيروت: دار المعرفة، طى 3 ص 15

التوثيق. ومعيار تقييم عدالة الراوي يقابله تقييم مصداقية المصدر من خلال مراجعة أرشيف المصدر والبحث عن تقييمات مستقلة له.

أو الواقعية. ومعيار تحديد طبقة الراوي يقابله التحقق من تاريخ النشر من خلال البحث عن تاريخ الخبر في أرشيف الإنترنت وتتبع سلسلة النشر باستخدام أدوات تحليل الشبكات الاجتماعية. ومعيار اتصال السند يقابله

الأنباء المعتمدة. ومعيار خلوه من العيوب الخفية يقابله البحث العكسي عن الصور وتحليل الفيديو إطارا إطارا. وقد أشار ابن حجر إلى أن من قبل الخبر بغير سند، فهو كمن شرب السم بغير تثبت[267] . وهذا يؤكد أن قبول المعلومات دون تقل ومصادر هو تصرف خطير يعرض صاحبه للخطر، تماما كما أن شرب السم دون معرفة

ثالثًا: المنهج الخلدون في نقد الأخبار وطبائع العمران

إذا كان علم الجرح والتعديل يتعامل مع سلسلة النقل (السند)، فإن منهج ابن خلدون في مقدمته يتعامل مع المضمون (المتن) من خلال قاعدته الشهيرة في عرض الخبر على طبائع العمران. هذه القاعدة تمثل إضافة نوعية في منهجية نقد المعلومات، يمكن توظيفها اليوم في مواجهة تحديات الذكاء الاصطناعي والتزييف العميق. وقد أشار ابن خلدون إلى أن فإن الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبائع العمران، ولم تقس بأصول التاريخ وتراعى فيها أحوال البشر، فإن راويها لا يأمن فيها من الكذب والخطأ.[268]

ما هي طبائع العمران؟ ابن خلدون، في مقدمته التي تعتبر أول عمل في فلسفة التاريخ وعلم الاجتماع، أسس مفهوم طبائع العمران ليشير إلى القوانين الثابتة التي تحكم تطور المجتمعات البشرية. هذه القوانين مستخلصة من دراسة التاريخ والجغرافيا والأنثروبولوجيا وعلم النفس الاجتماعي. وهي تشمل: قانون أن العصبية (التماسك الاجتماعي) هي أساس قيام الدولة، وقانون أن البدو أصل الحضرء وقانون أن الظلم مؤذن بخراب العمران، وغيرها من القوانين التي استخلصها من تأمل التاريخ البشري.[269]

تطبيق قاعدة ابن خلدون على التحديات الرقمية المعاصرة يكشف عن قوة هذا المنهج في كشف التضليل. ففي عصر انتشار الادعاءات الزائفة، يمكن تطبيق قاعدة ابن خلدون أيضا. فعلى سبيل المثال، عندما ينتشر خبر عن عشبة طبيعية تشفي السرطان أسبوع؛ يمكن عرض هذا الخبر على طبائع العلم: فالعلم يعلم أن السرطان مرض معقد يستغرق علاجه شهورا أو سنوات، وأن أي علاج يدعي الشفاء في أسبوع هو بالضرورة زائف. هذا الاستنتاج لا يحتاج إلى تحليل معقد، ء بل فقط إلى معرفة بسيطة ب.طبائع العلم. وهذا يوضح أن المناعة الفكرية لا تعتمد فقط على مهارات التحقق، بل على المعرفة الواسعة بالعالم. فكلما زادت المعرفة بالفيزياء والتاريخ وعلم النفس والاقتصاد، زادت القدرة على اكتشاف المستحيلات والتناقضات.[270]

كشف التزييف العميق من خلال طبائع السياسة: تأمل مثال فيديو مفبرك يظهر شخصية سياسية وهي تقول ما لم تقل. قد يكون الفيديو مقنعا جدا من الناحية التقنية (دقة الصورة، تزامن الشفاه، الإضاءة). لكن عند عرض محتوى الفيديو على طبائع السياسة ومواقف تلك الشخصية التاريخية، قد يكشف الناقد أن ما يقوله في الفيديو يتناقض بشكل حاد مع كل مواقفه المعروفة. هذا التناقض هو الشذوذ الذي يكشف التزوير، حتى قبل استخدام أدوات تقنية. وفي السياق العربي، انتشرت في عام 2024 مقاطع ديب فيك لشخصيات سياسية، وتمكن المتابعون الواعون من كشفها عبر تطبيق منهج ابن خلدون، أي عرض المحتوى على ما يعرفونه عن تلك الشخصيات من مواقف تاريخية!.[271]

كشف نظريات المؤامرة من خلال طبائع التاريخ: كثير من نظريات المؤامرة تروي أحداثا خارقة للعادة تتعارض مع قوانين الاحتمال التاريخي. فمثلاء نظ رية مؤامرة تزعم أن المبوط على سطح القمر كان

---

[267]ابن خلدون، عبد الرحمن.) 2000 فـ؟). مقدمة ابن خلدون (تحقيق: عبد الله محمد الدرويش). دمشق: دار يعرب، ط، 1 صملا. 78

[268]ابن خلدون، المقدمة، 78 ص/-/. 85

[269]في ابن خلدون، المقدمة، ص. 78

[270]مركز الجزيرة للدراسات. 2021 التضليل الإعلامي ثي المنطقة العربية: الفاعلون والآليات. الدوحة: الدار العربية للعلوم ناشرون، ص 4.

[271]ابن خلدون. المقدمة، ص. 8

مفيركا. عرض هذه النظرية على طبائع العمران – أي على ما نعرفه عن تاريخ سباق الفضاء، وعن آلاف العلماء والتقنيين الذين شاركوا في المشروع؛ وعن استحالة نجاح مؤامرة بهذا الحجم دون أن يفضحها أحد لعقود – يكشف استحالة هذه النظرية. ليس لأننا نؤمن بسلطة ما، بل لأن الاحتمالات تقول إن نجاح مؤامرة بهذا الحجم شبه مستحيل. فكما قال ابن خلدون: امحال في العادة لا يقع.[272]

ويمكن أيضا تحديد طبائع العمران في عصر الرقمنة، فعند تطبيق منهج ابن خلدون في العصر الحالي، يجب أولا تحديد طبائع العمران الرقمي. وتشمل هذه الطبائع قانون ندرة الانتباه، ففي عالم المعلومات، الانتباه هو أندر الموارد. أي محتوى يريد الانتشار يجب أن يلتقط الانتباه خلال ثوان. هذا يفسر لماذا الأخبار المثيرة والصادمة تنتشر أسرع من الأخبار الحادئة والدقيقة. وقد أشار هاري إلى أن الانتباه هو العملة الأكثر قيمة في الاقتصاد الرقمي، والمنصات مصممة لاختطافه بأي ثمن.[273]

وتشمل طبائع العمران الرقمي قانون التعزيز الخوارزمي، فالخوارزميات تفضل المحتوى الذي يحقق تفاعلا عاليا. هذا يخلق حلقة مفرغة: المحتوى الذي يثير الشاعر لك يشر أكارء والتشاره يجعله يثير مشاعر أكثر. وقد دقته[274]

وتشمل طبائع العمران الرقمي قانون فقاعة التصفية، فكل مستخدم محبوس في فقاعة معلوماتية تعزز معتقداته. هذا يعني أن أي خبر يتوافق مع معتقدات المستخدم سيبدو طبيعيا حتى لو كان خاطئاء بينما أي خبر بخالف معتقداته سيبدو شاذا حتى لو كان صحيحا. وقد أشار باريسر إلى أن فقاعة التصفية هي أخطر ما في العصر الرقمي، لأنها ببتحعل المستخدم يعتقد أنه يرى العام كما هو، بينما هو يرى نسخة مشوهة منه.[275]

أكثر إثارة للمشاعر وأقل تطلبا للتفكير. وقد أظهرت دراسة فوسغى وروي وآرال أن الأخبار الكاذبة تنتشر أسرع بست مرات من الأخبار الصحيحة[276].

فهم هذه الطبائع الرقمية هو شرط أساشي للمناعة الفكرية. فكما أن ابن خلدون دعا إلى فهم طبائع العمران قبل قبول الأخبار التاريخية، فإنه ينبغي فهم طبائع العمران الرقمي قبل قبول الأخبار المتداولة على وسائل التواصل. وهذا الفهم لا يقتصر على النخبة الأكاديمية، بل يجب أن يصبح جزءا من الثقافة العامة للشباب، ليتمكنوا من حماية أنفسهم من التضليل والتلاعب.[277]

يمكن توسيع تطبيق منهج ابن خلدون ليشمل تحديات الذكاء الاصطناعي المعاصرة، من خلال استنباط ثلاثة مبادئ خلدونية يمكن توظيفها في مواجهة التضليل الرقمي. يتمثل المبدأ الأول في قانون الاحتمال التاريخي، حيث يرى ابن خلدون أن الأحداث التاريخية تخضع لقوانين الاحتمال، وأن الروايات التي تتعارض مع هذه القوانين تكون مشبوهة. بتطبيق هذا المبدأ على المحتوى الرقمي، يمكن القول إن أي خبر يدعي وقوع حدث يتعارض مع المعرفة التاريخية الراسخة يستدعي شكا كبيرا، فعلى سبي المثال، نظرية المؤامرة التي تزعم أن الحبوط على سطح القمر كان مف بركا تتعارض مع معرفتنا التاريخية بآلاف العلماء والتقنيين الذين شا ركوا في المشروع، ومع الأدلة العلمية المتوفرة، ما يجعلها غير مقبولة بموجب قانون الاحتمال التاريخي.[278]

ويتمثل المبدأ الثاني في قانون طبيعة الإنسان، حيث يرى ابن خلدون أن النفس البشرية تميل إلى المبالغة والتضخيم عند نقل الأخبار، خاصة إذا كانت تتعلق بالأعداء أو بالانتصارات. بتطبيق هذا المبدأ على المحتوى الرقمي، يمكن تفسير سبب انتشار الأخبار الكاذبة والصور المبالغ فيها عن الصراعات والكوارث، وكذلك سبب انتشار الشائعات عن الشخصيات العامة، فالإنسان كما قال ابن خلدون بميل

---

[272] Hari, Stolen focus, p. 45.

[273] Aral, The hype machine, p. 5.

[274] Pariser, The filter bubble, p. 12.

[275] Vosoughi, Roy, & Aral, The spread of true and false news online, p. 1148.

[276] ابن خلدون، المقدمة، ص 85

[277] ابن خلدون، عبد الرحمن. 2000 مقدمة ابن خلدون. دمشق، ص/. 78

[278] ه) ابن خلدون. المقدمة، ص 85

إلى الكذب وللمبالغة ويتأثر بالعواطف والأهواء، وهذا الميل يتضاعف في الفضاء الرقمي حيث تختفي المسؤولية وتزداد سرعة الانتشار.[279]

ويتمثل المبدأ الثالث في قانون التكامل الاجتماعي، حيث يرى ابن خلدون أن المجتمعات تتطور وفق نمط متكرر من النشأة والنمو والانحدار، وأن العوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية تتفاعل في تشكيل هذا النمط. بتطبيق هذا المبدأ على الفضاء الرقمي، يمكن القول إن المجتمعات التي تعاني من ضعف مناعي فكري هي مجتمعات قابلة للاستقطاب والتطرف، وهذا ينطبق على المجتمعات العربية التي تعاني من ضعف المؤسسات التعليمية والإعلامية، ومن انعدام الثقة في الخطاب الرحمن، ومن تزايد الاعتماد على مصادر خارجية غير موثوقة.[280]

هذه المبادئ الخلدونية تثبت أن التراث الإسلامي يزخر بمناهج نقدية وأدوات تحليلية لا تزال صالحة للتطبيق في العصر الرقمي، وأنها تشكل إضافة نوعية للمناعة الفكرية تكمل المهارات التقنية والنفسية التي تركز عليها الدراسات المعاصرة، وقد أشار ابن خلدون نفسه إلى أن العبرة بالنتائج والتجارب هي خير معلم، مما يعني أن هذه المبادئ ليست مجرد نظريات بل هي أدوات عملية قابلة للتطبيق والاختبار.[281]

المبحث الثالث: المناعة في الفكر الفلسفي الإنساني

أولًا: الشك المنهجي الديكارتي كأداة وقائية q

في عام 1637 نشر الفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت كتابه الشهير مقال في المنهج (Discourse on Method [the الذي وضع فيه أسس الشك المنهجي كأداة للوصول إلى اليقين. بدأ ديكارت رحلته الفلسفية بالشك في كل شيء يمكن أن يشلك فيه: الحواس (التي تخدعنا أحيانا)، الأحلام (التي تجعلنا نظن أننا نعيش واقعا وهميا)، وحت المعرفة الرياضية (التي قد تكون نتيجة لتضليل من إله خبيث). لكنه وصل إلى حقيقة واحدة لا يمكن الشك فيها: أنا أفكر، إذن أنا موجود Cogito, ergo sum ومن هذه الحقيقة، بدأ في بناء نظام معرفي جديد قائم على اليقين العقلي.[282]

ما الذي يقدمه الشك الديكارتي للمناعة الفكرية؟ الشك المنهجي الديكارتي يقدم ثلاث أدوات أساسية لمناعة الفكر. أولا، عدم قبول أي شيء كحقيقة قبل التحقق منه. ديكارت لم يقبل أي معلومة لم تكن واضحة ومتميزة، وهذا هو جوهر التثبت والتحقق الذي أمر به القرآن. ثانيا،: تقسيم المشكلات إلى أجزاء صغيرة يمكن حلها بشكل منفصل. دلا من مواجهة التضليل ككتلة واحدة؛ يمكن تحليل كل خبر على حدة: وسؤال: من قال؟ متى قال؟ لماذا قال؟ ثالاء البدء من المسلمات الواضحة والبناء منها تدريجيا. في عالم مليء بالأخبار المتضاربة، يحتاج الشاب إلى نقطة انطلاق ثابتة يمكنه البناء عليها.[283]

الفرق بين الشك الديكارتي والشك اليومي: الشك اليومي هو شك عابر: هل هذا الخبر صحيح؟ الشك الديكارتي هو شك منهجي: كيف بمكنني أن أعرف على وجه اليقين أن أي خبر صحيح؟ الشك لبوسس يبقى سطحيا، بينما الشك الديكارتي يغوص في الأسئلة الأساسية عن طبيعة المعرفة واليقين. وهذا هو ما نحتاجه في عصر التضليل: ليس فقط الشك في خبر معين، بل الشك في النظام المعرفي بأكمله الذي ينتج الأخبار. وهذا الشك المنهجي هو ما يمكن أن يوفر للإنسان مناعة دائمة ضد التضليل؛ بدلا من مواجهة كل خبر على حدة.[284]

---

[279] ابن خلدون، المقدمة، ص. 92

[280] ابن خلدون، المقدمة، صمل 78.

[281] Descartes, R. (1996). Meditations on first philosophy. Cambridge: Cambridge University Press, p. 18.

[282] Descartes, Meditations, p. 58-63.

[283] Descartes, Meditations, p. 58.

[284] Descartes, R 6 45.18(.1996)Meditations on first philosophy. Cambridge, p. والقرآن الكريم، سورة الزخرف، الآية 22 2 Descartes, Meditations, p 58 ه. وابن حجر العسقلاني، نزهة النظر، ص 12 4 3 Descartes, Meditations, p 5.58.Descartes, Meditations, p (ه) طه عبد الرحمن. 2005 (ه). سؤال الأخلاق. الدار البيضاء، ص 55 ه. 6 القرطبي. 2006 الجامع لأحكام القرآن. بيروت، ج 16 ص. 310 7 بكار، عبد الكريم. 2014 المناعة الفكرية. القاهرة، ص 25 8. Kant, I (1991). An answer to the question: What is enlightenment? In Kant: Political Writings. Cambridge: Cambridge.University Press, 2nd ed.,

يمكن إجراء مقارنة تحليلية بين الشك المنهجي الديكارتي ومنهج التثبت الإسلامي، حيث يلتقيان في جوهرهما رغم اختلاف سياقاتيهما التاريخية والثقافية. في أوجه التشابه. كل من ديكارت والقرآن الكريم يدعوان إلى التشكيك في المعلومات قبل قبوهاء فديكارت قال لا أقبل شيئا على أنه حق إلا إذا كان واضحا ومتميزاء والقرآن يقول!إن ادك فاسق بد با فم تنواكا وكلاهما يضع التشكيك كخطوة أولى نحو اليقين وليس كغاية ذه في حد ذاته.[285] كما أن كلا منهما يرفض التقليد الأعمى؛ فديكارت دعا إلى عدم قبول الأفكار الموروثة دون فحص، والقرا آن ينتقد التقليد الأعمى للآ با، والأجداد في آيات عديدة مثل بل قَانُوا إن وجدنا آياءنا على أمة على آثارهم مهتدون، وكلاهما يدعو إلى الاستقلال الفكري والتفكير النقدي. كما أن كلا منهما يؤكد على أهمية المنهجية؛ فديكارت وضع قواعد للمنهج للوصول إلى اليقين، والقرآن يقدم منهجا متكاملا بشكل عشوائي بل من خلال دقيقة. منهجية

أما أوجه الاختلاف فتبرز في مصدر اليقين، حيث وصل ديكارت إلى اليقين من خلال (أنا أفكر إذن أنا موجود) أي من الذات المفكرة، بينما الإسلام يصل إلى اليقين من خلال الوحي والعقل معا، مؤكدا على أن العقل وحده غير كاف للوصول إلى الحقائق المطاتوا،. كما يختلفان في البعد الغائي، فالتشكيك عند ديكارت هو وسيلة فلسفية للوصول الحقيقة، أما في الإسلام فهو وسيلة لتحقيق التكليف الشرعي والوصول إلى مرضاة الله مما يضفي عليه بعدا عباديا وأخلاقيا. كما يختلفان في النطاق، فالتشكيك الديكارت يطال كل المعرفة بما فيها المعرفة الحسية والعقلية، بينما التشكيك الإسلامي يركز على الأخبار والروايات والأفكار التي تصل الإنسان من مصادر بشرية ولا يطال الوحي والحقائق الثابتة.

هذه المقارنة:كد أن التراثين الإسلامي والفلسفي الغربي يتكاملان تقديم أدوات نقدية مهمة للمناعة الف رية، وأن الجمع بينهما يبمكن أن يثري الرؤية التحليلية ويقدم نموذجا متكامل جمع بين الأصالة والمعاصر:

ثانيا: التنوير الكانطي والوصاية الرقمية

في مقالته الشهيرة (ما التنوير؟) 1784 وجه الفيلسوف الألماني إيمانويل كانط نداء للإنسان المعاصر: (امتلك الشجاعة لاستخدام عقلك الخاص!) Sapere aude كانط يعرف التنوير بأنه خروج الإنسان من وصايته التي هو مسئول عنها بنفسه. والوصاية هي عدم القدرة على استخدام عقله الخاص دون توجيه من آخر

ما الذي كان كانط يقصده بالوصاية؟ كانط كان يهاجم وصاية الكنيسة والدولة على العقل. في عصره كانت الكنيسة تقول للناس: لا تقرأوا الكتاب المقدس بأنفسكم, القسيس هو من يفسره لكم. وكانت الدولة تقول: لا تفكروا السياسة، في فالحاكم هو من يقرر نيابة عنكم. كانط قال: كفى. استخدموا عقولكم الخاصة. اقرأوا بأنفسكم. فكروا بأنفسكه.[286]

مفهوم خروج الإنسان من الوصاية يمكن إسقاطه بشكل مباشر على تحديات العصر الرقمي. فاليوم، أصبح الإنسان نحن وصاية جديدة: الوصاية الخوارزمية Algorithmic Tutelage فبينما كان الإنسان في عصر كانط تحت وصاية الكنيسة أو الدولة، أصبح اليوم تحت وصاية الخوارزميات التي تصممها شركات تهدف للربح. هذه الخوارزميات تقرر لنا ما نراه، ما نقرأم ما نشتريه، من نصدق، وحتى من خب ونكره.[287]

وتتجلى مظاهر الوصاية الخوارزمية في أربعة جوانب رئيسية. يتمثل الجانب الأول في تحديد الأفق المعرفي فخوارزميات التوصية (مثل خوارزمية يوتيوب وفيسبوك) تحدد للمستخدم ما يقرأ ويشاهد, ما يخلق فقاعات لا يرى فيها المستخدم إلا ما يعزز معتقداته، فيظن أنه يختارا محتوى، لكن الخوارزميات تختار له قائمة الخيارات التي يختار منها. هذا يشبه الانتخابات في ديكتاتورية: أنت تختار، لكن من قائمة محددة مسبقا. وقد أشار باريسر إلى أن الخوارزميات لا تعطيك ما تريد، بل تعطيك ما تعتقد أنك تريده؛ ثم تتعلم من ردود فعلك لتعطيك المزيد منه[288]

---

p. 54

[285] Kant, What is enlightenment?, p. 54.

[286] Zuboff, The age of surveillance capitalism, p. 41.

[287] Pariser, The filter bubble, p. 15.

[288] Marcuse, One-dimensional man, p. 23.

ويتمثل الجانب الثاني في هندسة الرغبات، من خلال الإعلانات المستهدفة والتحليل السلوك، تمندس رغبات المستخدم دون أن يشعر، فيعتقد أنه يريد شراء هذا المنتج أو ذاك، بينما هي خوارزميات قررت ذلك له. هذه هي هندسة الرغبات التي حذر منها هربرت ما ماركوزه في كتابه الإنسان ذو البعد الواحد. وقد أشار ما ماركوزه إلى أن الرغبات المصطنعة هي تلك التي يفرضها المجتمع على الأفراد من خلال آليات التلاعب، والتي يشعر الأفراد بأنها رغباتهم الذاتية بينما هي في الحقيقة رغبات النظام.[289]

ويتمثل الجانب الثالث توجيه الانتباه، فاقتصاد الانتباه يقوم على اختطاف الانتباه وتوجيهه نحو محتوى يبخدم مصالح المنصات، مصالح المستخدم. كل إشعار، كل تصميم، كل خوارزمية,) مصممة لحذب الانتباه وإبقائه لأطول فترة. فيظن المسنتخدم أنه يختار ما يشاهده؛ لكن في الحقيقة، المنصات تختار له. وقد أشار وو إلى أن اقتصاد الانتباه يخلق سباقا نحو القاع: من يقدم محتوى أكثر إثارة (وصدقا أقل) يفوز.[290]

ويتمثل الجانب الرابع في الهوية، تشكيل فالخوارزميات هويتناء تشكل ليس فقط من خلال المحتوى الذي ترينا إياه، بل من خلال ما تمنعنا من رؤيته. الهوية التي نبنيها عبر المنصات ليست هويتنا الحقيقية، بل هي هوية صممتها خوارزميات لتعظيم أرباح الشدركات. وقد أشارت زوبوف إلى أن رأسمالية المراقبة لا تريدك تكون أن شخصا متطورا ومتغيراء بل تريدك أن تكون آلة يمكن التنبؤ بما، لأن الآلة التي يمكن التنبؤ بما هي الأكثر ربحية.[291]

يمكن تعميق تحليل اقتصاد الانتباه من خلال ربطه بنظريات علم النفس المعرفي التي تفسر آليات الانتباه والتركيز والذاكرة، ما يوفر فهما أكثر شولا لآثار اختطاف الانتباه على المناعة الفكرية. ففي نظرية الحمل

التي طورها جون سويلرء تشير الأدبيات إلى أن الذاكرة العاملة محدودة السعة، وأن المعلومات الزائدة عن

تؤدي إلى الإرهاق المعرفي وضعف التعلم. بتطبيق هذه ه النظرية على الفضاء الرقمي، يمكن القول إن التدفق

للمعلومات والإشعارات المتقطعة يفرض جراد معر فيا زائدا على الشباب، ما يضعف قدرتهم على التركيز

والتحليل والتذكر، ويجعلهم أكثر عرضة للتضليل؛؛ وقد أشار سويلر إلى أن الحمل المعرفي الزائد هو العائق الأكبر أمام التعلم العميق والتفكير النقدي، وهذا ينطبق تماما على حالة الشباب في الفضاء الرقمي.[292]

أما نظرية الانتباه الانتقائي التي طورها دونالد بردبنت، فتشير إلى أن الدماغ البشري لا يستطيع معالجة كل المعلومات التي يتعرض لطاء بل ينتقي بعضها ويتجاهل الباقي. في الفضاء الرقمي، تصمم الخوارزميات لاستغلال هذه الآلية من خلال جذب الانتباه إلى محتوى معين وإبعاده عن محتوى آخر، مما يتحكم في ما يراه المستخدم وما يتجاهله، وقد أشار برودبنت إلى أن الانتباه هو بوابة الوعي، ومن يتحكم في بوابة الانتباه يتحكم الوعي نفسه[293]

أما نظرية التدفق التي طورها ميهالي تشيكستتمايهي، فتشير إلى أن الإنسان يشعر بالسعادة والإنجاز عندما يكون منغمسا في نشاط يتناسب مع قدراته ويوفر له تحديا مستمرا. تستغل منصات التواصل هذه النظرية من خلال تصميم تجارب غامرة (مثل التمرير اللامتناهي، والإشعارات المتقطعة، والمكافآت الفورية) تخلق حالة من التدفق المستمر، مما يجعل المستخدم يفقد الإحساس بالوقت ويظل منخر طا

---

[289] Wu, The attention merchants, p. 23.

[290] Zuboff, The age of surveillance capitalism, p. 210.

[291] Sweller, J. (1988). Cognitive load during problem solving. Cognitive Science, 12(2), pp. 257-285.

[292] Broadbent, D. (1958). Perception and communication. London, p. 45.

[293] Csikszentmihalyi, M. (1990). Flow. New York, p. 56.

لساعات، وقد أشار تشيكسنتمايهي إلى أن التدفق هو حالة نفسية ممتعة لكنها خطيرة عندما تصبح إدمانا، لأنها تفصل الإنسان عن الواقع وعن أهدافه الحقيقية.[294]

هذه النظريات الغلاث تقدم إطارا علميا لفهم كيف تعمل آليات اقتصاد الانتباه على المستوى النفسي العصبي، وكيف تؤثر في قدرة الشباب على التفكير النقدي وبناء المناعة الفكرية، كما تؤكد على أهمية تطوير استراتيجيات وقائية تعتمد على فهم هذه الآليات النفسية، وليس فقط على التوعية بمخاطر التكنولوجيا.[295]

ثالثًا: تحليل اقتصاد الانتباه عند المعاصرين

في مواجهة الوصاية الخوارزمية، يقدم المعاصرون أدوات تحليلية لفهم آليات استغلال الانتباه. يوهان هاري، في كتابه التركيز المسروق Stolen Focus يقدم تحليلا عميقا لآليات اختطاف الانتباه من قبل شركات التكنولوجيا الكبرى. يرى هاري أن هناك اثني عشرة قوة تعمل معا لسرقة انتباهناء وليست أي منها عيبا فردياء بل هي قوى منهجية مضمنة تصميم العى لوجيا.[296]

في مواجهة هذه القوى، يقترح هاري مفهوم المناعة السلوكية Behavioral Immunity وهي القدرة على مقاومة استغلال نقاط الضعف النفسية التي تستهدفها المنصات. وتشمل هذه المناعة ثلاثة عناصر رئيسية الصيام الرقمي وهو الانقطاع المتعمد عن المنصات الرقمية لاستعادة السيطرة على الانتباه، وليس بالضرورة أياما كاملة، بل حتى ساعات محددة يوميا. وقد أشار هاري إلى أن الصيام الرقمي يعيد برمجة الدماغ ليتوقع المكافآت من العالم الواقعي، بدلا من المكافآت الرقمية الفورية.[297]

والاستخدام المقصود وهو استخدام التكنولوجيا بوعي وهدف واضح. وليس بشكل قهري عشوائي. قبل أن يفتح الشاب هاتفه، عليه أن يسأل نفسه: لماذا أفتحه؟ ما الذي أريد فعله بالضبط؟ مق سأتوقف؟ وقد أشار هاري إلى أن الاستخدام المقصود هو عكس الاستخدام القهري، وهو يتطلب وعيا ذاتيا وتدريبا على ضبط النفس.[298]

وتغيير البيئة وهو إعادة تصميم البيئة الرقمية لتكون أقل تشتيتا (مثل إيقاف الإشعارات غير الضرورية، استخدام تطبيقات حظر المواقع المشتتة، وضع الحاتف في غرفة أخرى أثناء النوم). وقد أشار هاري إلى أن تغيير البيكة هو أقوى أداة لتغيير السلوك؛ لأن البيئة المصممة جيدا تقلل الحاجة إلى قوة الإرادة.[299]

من ناحيتهاء تقدم شيري تيركل تحليلا عميقا لعلاقة الانتباه بالهوية والعلاقات الإنسانية. في كتاجما معا مفرد نا Alone Together تشير إلى أننا أصبحنا نفضل العلاقة الحميمة ونستعجل إلى العلاقة دون مخاطرها. وهذا الانشغال الدائم بالتواصل الرقمي السطحي يسرق منا القدرة على التواصل العميق مع الذات ومع الآخرين؛ وبالتاللي يضعف قدرتنا على بناء وعي نقدي متين. وقد أشارت تيركل إلى أن الانتباه هو فعل أخلاقي قبل أن يكون فعلا معرفيا. كيف تنتبه هو كيف تعيش[300].

وتؤكد تيركل أن الانتباه ليس مجرد عملية معرفية، بل هو تعبير عن قيم الفرد وأولوياته. عندما نسمح للمنصات بسرقة انتباهناء فإننا نفقد القدرة على الاهتمام بما هو مهم حقا: العلاقات الإنسانية العميقة، والتأمل الذاقي، والمشاركة المدنية، والتعلم المستمر. استعادة الانتباه هي إذن استعادة القدرة على أن نكون برس با معنى الكامل. وقد أشارت تيركل إلى أن نحن نغير طريقة تفكيرنا عندما نقضي وقتا طويلا على الشاشات، وهذا التغيير ليس سطحيا، بل هو تغيير في بنية أدمغتنا[301]

---

[294] Hari, J. (2022). Stolen focus. New York, p. 78.

[295] Hari, Stolen focus, p. 78.

[296] Hari, Stolen focus, p. 50.

[297] Hari, Stolen focus, p. 52.

[298] Hari, Stolen focus, p. 54.

[299] Turkle, Alone together, p. 12.

[300] Turkle, Alone together, p. 12.

[301] Hari, Stolen focus, p. 56.

العلاقة بين المناعة السلوكية والمناعة الفكرية: المناعة السلوكية تركز على مقاومة استغلال الانتباه، بينما المناعة الفكرية تركز على مقاومة استغلال المعلومات. لكنهما وجهان لعملة واحدة. فالانتباه هو البوابة التي تدخل منها المعلومات إلى العقل. إذا فقدت السيطرة على البوابة، فستدخل أي معلومات، بغض النظر عن جودتها. لذاء فإن بناء المناعة السلوكية هو شرط أساشي لبناء المناعة الفكرية. وقد أشار هاري إلى أن لا يمكنك أن تحمي عقلك من المعلومات المضللة إذا كنت لا تستطيع التحكم في انتباهك.[302]

المبحث الرابع: الأبعاد السياسية والاقتصادية للمناعة

أولًا: رأسمالية المراقبة وإسقاط المناعة

لا يمكن فهم المناعة الفكرية بمعزل عن السياق السياشي والاقتصادي الذي تعمل فيه. فالمخاطر المعلوماتية ليست مجرد نتاج تقني عابر، بل هي جزء من نظام اقتصادي سياشي متكامل يسعى إلى تحويل الإنسان إلى سلعة. وهندسة وعيه. هذا البعد غالبا ما يتم تجاهله في التحليلات العامة، لكنه ضروري لفهم عمق المشكلة. وقد أشارت زوبوف إلى أن رأسمالية المراقبة لا تريد مواطنين واعين، بل تريد مستهلكين يمكن التنبؤ بساوكهم وتعديله.[303]

في كتابها عصر رأسمالية المراقبة (دمؤذلة Capitalism عمعمة Surveillance لاع The Age of تقدم الباحثة الأمريكية شوشانا زوبوف تحليلا نقديا لتحول الاقتصاد الرقمي من تقديم خدمات للمستخدمين إلى استخراج البيانات السلوكية منهم كسلعة تباع للمعلنين. تقول زوبوف: رأسمالية المراقبة تدعي حصريا الحق الإنساني في معرفة المستقبل، وتستخدم هذا الحق لإنشاء أسواق للتنبؤ بالسلوك البشري. إنما لا تريد فقط التنبؤ بساوكنا، بل تريد تعديله وتوجيهه يمكن تفكيك آلية عمل رأسمالية المراقبة إلى ثلاث مراحل رئيسية. تتمثل المرحلة الأولى في الاستحواذ على التجربة البشرية، فكل نقرة، كل إعجاب، كل بحث، كل موقع نزوره، كل منتج نشتريه، كل علاقة نرتبط بما – كل هذه البيانات مستخرجة منا دون أن ندرك قيمتها. هذه البيانات تشكل بصمة رقمية فريدة لكل فرد. في عام 2025 قدر حجم البيانات المنتجة عالميا ب175 زيتابايت Zettabyte معظمها من تفاعلات المستخدمين. وقد أشارت زوبوف إلى أن هذه البيانات هي المادة الخام لرأسمالية المراقبة، وهي مستخرجة منا في كل لحظة من لحظات حياتنا الرقمية.[304]

وتتمثل المرحلة الثانية في التحليل والتنبؤ، حيث تغذى هذه البيانات إلى خوارزميات ذكاء اصطناعي تحلل سلوكنا، وتتنبأ بخياراتنا المستقبلية. هذه الخوارزميات لا تعرف فقط ما نحبه، بل تعرف ما سنحبه قبل أن نعرفه نحن. كما تعرف نقاط ضعفنا: مق نكون حزينين؟ متى نكون غاضبين؟ متى نكون أكثر عرضة للتأثر؟ وقد أشارت زوبوف إلى أن الخوارزميات تتعلم من سلوكنا لتنبأ بساوكنا المستقبلي، وتستخدم هذه التنبؤات لتعديل سلوكنا الحالي.[305]

وتتمثل المرحلة الغائلة تعديل السلوك، فبناء على هذه التنبؤات، تصمم تجارب رقمية مخصصة تدفعنا نحو خيارات معينة. قد تكون إعلانات تظهر في الوقت المناسب، , أو منشورات تثير مشاعر معينة، أو ترتيبا لنتائج البحث يعزز رأيا دون آخر. وقد أشارت زوبوف إلى أن هذا التعديل السلوك هو الشكل الجديد للاستغلال الرأسمالي؛ فش محركات التقنية لا تريد فقط التنبؤ بساوكنا، بل تريد توجيهه وتعديله بما يخدم أرباحها.[306]

وتعمل رأسمالية المراقبة على إسقاط المناعة الفكرية من خلال ثلاث آليات رئيسية. تتمثل الآلية الأولى في استغلال نقاط الضعف النفسية، حيث بجمع المنصات بيانات ضخمة عن سلوك المستخدمين، وتستخدمها لتحديد نقاط الضعف النفسية لكل فرد (مثل الميول السياسية؛ الحساسيات العاطفية، المخاوف، الرغبات). ثم تصمم محتوى مخصصا يستغل هذه النقاط لإبقاء المستخدم منخرطا

---

[302] Zuboff, The age of surveillance capitalism, p. 86.

[303] Zuboff, The age of surveillance capitalism, p. 86.

[304] Zuboff, The age of surveillance capitalism, p. 86.

[305] Zuboff, The age of surveillance capitalism, p. 86.

[306] Zuboff, The age of surveillance capitalism, p. 95.

لأطول فترة ممكنة. مثالٌ، إذا كانت البيانات تشير إلى أن مستخدما معينا يع من القلق، فستعرض عليه المنصة محتوى يغذي هذا القلق (لأن القلق يزيد التفاعل). وإذا كانت تشير إلى أنه يشعر بالوحدة، فستعرض عليه محتوى يعزز الشعور بالانتماء (لكن ضمن إطار المنصة نفسها). وقد أشارت زوبوف إلى أن استغلال نقاط الضعف النفسية هو جوهر رأسمالية المراقبة، لأنه يحول الإنسان من غاية إلى وسيلة.[307]

وتتمثل الآلية الثانية في تصميم بيئة إدمانية، فمنصات التواصل الاجتماعي مصممة عمدا لتكون مدمنة، باستخدام تقنيات مثل الإشعارات المتقطعة التي تعمل بنفس آلية ماكينات القمار، والتمرير اللامتناهي الذي يجعل من المستحيل الوصول إلى نحاية الصفحة، والإشباع الفوري الذي يعيد برمجة الدماغ ليتوقع المكافآت السريعة. وقد أشار آرال إلى أن المنصات صممت لتكون مدمنة، باستخدام نفس آليات ماكينات القمار: مكافآت متغيرة تعزيز متقطع, وعدم وضوح لنقطة النهاية.[308]

وتتمثل الآلية الثالثة في تفتيت الانتباه وتسطيح التفكير، فلكي تبقى المنصات المستخدمين منخرطين، تدفعهم نحو محتوى سريع، سطحي، وعاطفي بدلا منا محتوى العميق والمعقد. وهذا يؤدي إلى تآكل القدرة على التفكير الطويل والمستمر، وهو أساس المناعة الفكرية. وقد أشار كار إلى أن الإنترنت يعيد تشكيل أدمغتنا لصالح التفكير السريع والسطحي، وهذا ليس خطأ، بل هو ميزة من منظور اقتصاد الانتباه.[309]

هذه الآليات الثلاث تعمل معا لتقويض المناعة الفكرية من الداخل. إنما لا تهاجم العقل من الخارج، بل تعيد برمجته من الداخل ليكون أقل قدرة على المقاومة. وهذا هو الفرق بين الرقابة التقليدية (التي تمنع الوصول إلى المعلومات) ورأسمالية المراقبة (التي تغرق المستخدم بالمعلومات لدرجة فقدان القدرة على التمييز). وقد أشارت زوبوف إلى أن رأسمالية المراقبة لا تحتاج إلى رقابة، لأنها تحقق السيطرة على العقول من خلال الإغراق بالمعلومات بدلا من المنع.[310]

إحدى الآليات النفسية الأساسية التي تستغلها الخوارزميات في تشكيل وعي الشباب هي الانحياز التأكيدي، وهو ميل الإنسان الطبيعي إلى تفضيل المعلومات التي تؤكد معتقداته السابقة، وتجاهل أو رفض المعلومات التي تناقضها. وقد أشار دانيال كانيمان، الحائز على جائزة نوبل في الاقتصاد، إلى أن هذا الانحياز هو أحد أقوى التحيزات المعرفية وأكثرها تأثيرا في سلوك الإنسان.[311]

في الفضاء الرقمي، يُستغل الانحياز التأكيدي بشكل منهجي من خلال تصميم الخوارزميات التي تقدم للمستخدم محتوى يتوافق مع معتقداته السابقة، بما يعززها ويقويها مع مرور الوقت.

ولهذا الاستغلال المنهجي للانحياز التأكيدي آثار عميقة على المناعة الفكرية للشباب، من أبرزها تآكل القدرة على التفكير النقدي؛ فعندما يعتاد الشاب على تلقي معلومات تتوافق مع معتقداته فقط، تضعف لديه القدرة على تقييم الحجج والأدلة تقييمًا موضوعيًا، وتتراجع مهارات التفكير النقدي والتحليل المنطقي.

كما يؤدي الانحياز التأكيدي إلى تعزيز الاستقطاب والتطرف، إذ يخلق حلقة مفرغة من التعزيز الذاتي: كلما تعرض الشاب لمحتوى يتوافق مع معتقداته زادت قناعته به، وكلما زادت قناعته زاد تفاعله مع محتوى مشابه، بما يدفعه نحو مواقف أكثر تطرفًا.

كذلك يؤدي الانحياز التأكيدي إلى إضعاف القدرة على الحوار والتسامح؛ فعندما يعتقد الشاب أن رأيه هو الحقيقة المطلقة، وأن المخالفين مخطئون أو سيئو النية، تقل قدرته على الحوار مع الآخرين.

مقاومة الانحياز التأكيدي تتطلب وعيا بهذه الآلية النفسية، وتدريبا مستمرا على البحث عن مصادر متعددة ومتناقضة، والخروج ال متعمد من مناطق الراحة المعرفية، وهو ما توؤكد عليه الدراسة الحالية

---

[307] Aral, The hype machine, p. 56.

[308] Carr, The shallows, p. 133.

[309] Zuboff, The age of surveillance capitalism, p. 210.

[310] Kahneman, D. (2011). Thinking, fast and slow. New York, p. 85.

[311] Chomsky & Herman, Manufacturing consent, p. 45.

من خلال نموذج المثلث المناعي الذي يشمل مهارات التفكير النقدي والوعي الخوارزمي كأدوات أساسية لبناء المناعة الفكرية

ثانيا:: تصنيع الموافقة وهندسة الوعي عند تشومسكي

قبل عقود من ظهور رأسمالية المراقبة بهذا الشكل، كان اللغوي والناشط السياشي الأمريكي نعوم تشومسكي قد كشف، بالاشتراك مع إدوارد هيرمان، عن نموذج الدعاية Propaganda Model الذي تعمل به وسائل الإعلام الكبرى. في كتابهما (تصنيع الموافقة) Manufacturing Consent يوضح تشومسكي وهيرمان أن وسائل الإعلام في المجتمعات الديمقراطية ليست حرة بالمعنى المطلق، بل تعمل ضمن مرشحات Filters تضمن أن المحتوى الذي يصل إلى الجمهور لا يتعارض مع مصالح النخب الاقتصادية والسياسية.[312]

يتكون نموذج الدعاية من خمسة مرشحات رئيسية. المرشح الأول هو حجم المؤسسة الإعلامية وملكيتهاء فوسائل الإعلام الكبرى مماوكة لشركات عمالقة، وهذه الشركات لما مصالح بحارية وسياسية. بطبيعة الحال، لن تنشر هذه المؤسسات محتوى يضر بمصالح مالكيها. وقد أشار تشومسكي إلى أن تركيز ملكية وسائل الإعلام أيدي قلة هو أخطر تهديد للديمقراطية.[313]

والمرشح الثاني هو الاعتماد على الإعلانات، فتعتمد وسائل الإعلام على الإعلانات كمصدر رئيس للتمويل. وهذا يجعلها حساسة لمصال المعلنين. قصة تنتقد منتجا معينا قد لا تنشر لأن المعلن قد ينسحب. وقد أشار تشومسكي إلى أن الاعتماد على الإعلانات يخلق تضاربا جوهريا في المصالح بين الحقيقة والربح.[314]

والمرشح الثالث هو الاعتماد على المصادر الرمية، فالصحفيون يعتمدون بشكل كبير على المصادر الرمية (الحكومة، الشركات، المؤسسات الأكاديمية) للحصول على الأخبار. هذه المصادر لديها أجنداتها الخاصة، وتستخدم الصحفيين لنشر رواياتها. وقد أشار تشومسكي إلى أن الاعتماد على المصادر الرمية يجعل الصحفيين امتدادا لأجهزة الدعاية الحكومية والش ركاتية.[315]

والمرشح الرابع هو هجمات التشتيت Flak فعندما تنشر وسيلة إعلام محتوى يزعج النخب، تتعرض هجمات منظمة من مجموعات الضغط والمؤسسات انحافظة. هذه الهمجمات تهدف إلى تخويف وسائل الإعلام وردعها عن تكرار المخالفات. وقد أشار تشومسكي إلى أن هجمات التشتيت هي آلية ردع فعالة تمنع وسائل الإعلام من تجاوز الحدود المرسومة.[316]

والمرشح الخامس هو الأيديولوجيا الموحدة، فتجمع النخب الحاكمة على أيديولوجيا معينة (الرأسمالية، الديمقراطية الليبرالية) إلخ). هذه الأيديولوجيا تصبح الما، الذي يسبح فيها جميع؛ ولا يتم مساءلتها. وقد أشار تشو إلى أن الأيديولوجيا الموحدة هي المرشح الأكثر فعالية، لأكما تعمل دون أن يشعر بما أحد.[317]

الإعلام إلى الفضاء الرقمي، لم يختف نموذج الدعاية، بل أصبح أكثر تطورا. فالمرشحات التقليدية

تزال موجودة؛ لكنها أصبحت تعمل عبر الخوارزميات. فبدلا من أن يقرر رئيس تحرير جريدة ما الخبر الذي سينشر، تقرر خوارزميات فيسبوك وتويتر وجوجل المحتوى الذي سيرى. وهذه الخوارزميات ليست محايدة) بل تعكس خيارات تصميمية تحددها المصالح التجارية والسياسية. ويمكن النظر إلى الخوارزميات، في ضوء «نموذج الدعاية» عند هيرمان وتشومسكي، بوصفها مرشِّحًا جديدًا من مرشِّحات الدعاية، لأنها تعمل في الخفاء وتؤثر في الملايين دون أن يشعروا.

كيف تخترق الحصون الفكرية؟ من خلال نموذج تشومسكي، يمكن فهم أن التحدي الأكبر للمناعة الفكرية ليس فقط مواجهة المعلومات الكاذبة المباشرة، بل مواجهة النظام بأكمله الذي يصنع الموافقة

---

312. Chomsky & Herman, Manufacturing consent, p. 67.
313. Chomsky & Herman, Manufacturing consent, p. 78.
314. Chomsky & Herman, Manufacturing consent, p. 89.
315. Chomsky & Herman, Manufacturing consent, p. 78.
316. Chomsky & Herman, Manufacturing consent, p. 89.
317. Chomsky & Herman, Manufacturing consent, p. 12.

على أفكار معينة واستبعاد أفكار أخرى. هذا النظام يعمل على تضييق نطاق الجدل املقبول، وترويج أطر تفسيرية معينة، وتهميش الأصوات الناقدة. وبالتالي، فإن المناعة الفكرية الحقيقية تتطلب وعيا كحذه المرشحات، والبحث عن مصادر مستقلة، وفهم العلاقة بين السلطة والمعرفة. وقد أشار تشومسكي إلى أن المناعة الفكرية تبدأ بالوعي بوجود نظام دعاية، ثم العمل على كشفه وتحاوزه.[318]

ثالثًا: المناعة كفعل تحرر حضاري عند مالك بن نبي

يقدم المفكر الجزائري مالك بن نبي 1905 1973 رؤية متكاملة للعلاقة بين القوة الفكرية للفرد واستقلال القرار الوطني. في كتابه شروط النهضة، يطرح نظريته حول القابلية للاستعمار Colonizability ويرى أن الاستعمار ليس مجرد احتلال عسكري، بل هو حالة تسبقه قابلية للاستعمار ناتجة عن تفكك البنية الاجتماعية والمعرفية للمجتمه.[319]

يفرق مالك بن نبي بين الاستعمار كفعل خارجيء والقابلية للاستعمار كحالة داخلية. الاستعمار لا يحدث في فراغ. لكي يستعمر مجتمع ما، يجب أن يكون هذا المجتمع قد فقد تماسكه الداخلي، وضعف وعيه الجمعي، وتفككت قيمه. هذا هو القابلية للاستعمار. فالمجتمع القابل للاستعمار هو المجتمع الذي لا يستطيع مقاومة الأفكار الدخيلة لأنه فقد مناعته الفكرية. وقد أشار بن نبي إلى أن الاستعمار ليس ظاهرة عسكرية ولا اقتصادية فحسب، بل هو ظاهرة فكرية في المقام الأول. فقبل أن يستعمر الإنسان عسكرياء يجب أن يكون قد استعمر فكريا. وقبل أن تنهب ثرواته، يجب أن يكون قد فقد القدرة على تقدير قيمتها.[320]

إذا تم إسقاط هذه النظرية على الواقع المعاصر يمكن الحديث عن القابلية للاستعمار الرقمي ( ) Colonizability(Digital فاجتمع الذي يعاني من ضعف المناعة الفكرية لدى أبنائه يصبح قابلا للاستعمار الرقمي، أي قابلا لاستباحة عقوله وهندستها من قبل قوى خارجية، سواء كانت شاركات تكنولوجيا كبرى أو قوى سياسية. وقد أشار كولدري وميخياس إلى أن استعمار البيانات هو المرحلة الجديدة من الاستعمار، حيث لا تستخرج الموارد الطبيعية من الأرض، بل تستخرج البيانات من سلوك البشر، ولا يحتاج إلى جنود أو مدافع، بل يحتاج فقط إلى هاتف ذكي وتطبيق مجان[321].

من هذا المنظور، تصبح المناعة الفكرية فعلا تحرريا بالمعنى الحضاري. إنما ليست مجرد حماية ذاتية، بل هي شرط أساشي لأي مشروع نمضوي. فالأمة التي لا يمتلك أبناؤها مناعة فكرية لا يمكنها أن لمستقبلها تخطط أو تحافظ على هويتها أو تشارك في بناء الحضارة الإنسانية كفاعل وليس كمفعول به. بناء المناعة الفكرية هو إذن جزء من بناء الإنسان الحضاري الذي تحدث عنه بن نبي، وهو الإنسان القادر على استيعاب الحضارة دون أن يذوب فيها، القادر على الإنتاج والإبداع والمقاومة. وقد أشار بن نبي إلى أن النهضة تبدأ عندما يتحول الإنسان من مستهلك للحضارة إلى منتج لها.[322]

وكان مالك بن نبي يبحث عن شروط النهضة في العالم الإسلامي، وتوصل إلى أن النهضة تتطلب ثلاث مقومات: التراب (الموارد الطبيعية)، والوقت (الإطار الزمني المناسب)، والموهبة (الإنسان المبدع). لكنه أضاف شرطا رابعا: الإنسان ذو الوعي القادر على تحويل هذه المقومات إلى منتج حضاري. المناعة الفكرية هي ما يجعل هذا الإنسان قادرا على هذا التحول. فبدون مناعة، يظل الإنسان عاجزا عن تحويل إمكانياته إلى واقع. وقد أشار بن نبي إلى أن الموهبة بدون وعي هي طاقة ضائعة، والوعي بدون موهبة هو معرفة عميمة

[318] مالك بن نبي، شروط النهضة، ص. 45

[319] مالك بن نبي، شروط النهضة، ص. 45

[320] Couldry & Mejias, The costs of connection, p. 15.

[321] مالك بن نبي، شروط النهضة، ص. 45

[322] طه عبد الرحمن، سؤال الأخلاق، ص 55 ه.

المبحث الخامس: العقل المسدد والتكامل الائتماني

أولًا: رؤية طه عبد الرحمن - العقل الائتماني والعقل المسدد

لا يمكن فهم المناعة الفكرية كمجرد تقنيات نقدية أو مهارات معرفية جافة. فهي تحتاج إلى بعد أخلاقي وقيمي يوجه استخدام هذه المهارات نحو الخير والبناء. هذا ما تقدمه رؤية المفكرين طه عبد الرحمن وعبد الوهاب المسيري. فطه عبد الرحمن، في مشروعه الفكري الضخم، يقدم نقدا عميقا للعقلانية الغربية التي تفصل العقل عن الأخلاق، ويدعو إلى ما يسميه العقل المسدد Le Raison Dirigé في كتابه سؤال الأخلاق، يوضح طه عبد الرحمن أن العلاقة مع المعرفة في التراث الإسلامي لم تكن علاقة تملك (المعرفة سلعة أمتلكها)، بل علاقة ائتمان (المعرفة أمانة أؤتمن عليها).[323]

ما هي الائتمانية المعرفية؟ الائتمانية المعرفية اتعني أن الإنسان لا يملك المعرفة، بل هو مؤمنٍ عليها. الأمانة تعني المسؤولية: أن تكون أمينا في نقلها صادقا في استخدامها، حريصا على تطويرها مد ركا أنك ستسأل عنها. هذا المفهوم يتناقض مع مع النموذج الرأسمالي الذي يحول المعرفة إلى سلعة تملكها وتستهلكها وتتخلص منها. في التراث الإسلامي، العلم ليس مجرد معلومات في الرأس، بل هو نور في القلب يهدي صاحبه إلى الحق والخير. هذا البعد الروحي والأخلاقي مفقود في المفهوم الحديث للمعرفة. طه عبد الرحمن يحاول استعادة هذا البعد من خلال مفهوم الائتمانية.[324]

من هذا المنظور، يمكن التمييز بين نوعين من المناعة الفكرية. النوع الأول هو المناعة الباردة (التقنية فقط) التي تركز فقط على المهارات التقنية للتحقق من المعلومات، دون بعد أخلاقي. قد تجعل الفرد أكثر ذكاء في اكتشاف الكذب، لكنها لا تضمن أنه سيستخدم هذه المهارة في الخير. قد يستخدمها للتلاعب بالآخرين بدلا من حماية نفسه منهم. هذا هو خطر الذكاء دون أخلاق: تصبح قادرا على الكشف، لكنك تستخدم هذه القدرة للإيقاع بالآخرين. وقد أشار طه عبد الرحمن إلى أن المهارات التقنية بدون أخلاق هي سلاح ذو حدين؛ يمكن أن يستخدم في الخير كما يمكن أن يستخدم في الشر.[325]

أما النوع الثاني فهو المناعة الحارة (المسدة) التي تجمع بين المهارات التقنية والأخلاق والقيم. العقل المسدد لا يكتفى بمعرفة كيف يكذب الآخرون، بل يلتزم أيضا بالصدق والأمانة في نقل المعلومات. لا يكتفى باكتشاف التضليل، بل يلتزم بعدم الانجراف وراءه حتى لو كان يخدم مصالحه. هذا النوع من المناعة هو الأقوى والأكثر استدامة، لأنه يربط بين (كيف) و(لماذا). وقد أشار طه عبد الرحمن إلى أن العقل المسدد هو العقل الذي يخضع للمعايير الشرعية والأخلاقية ولا ينقصا عن الغايات النبيلة. إنه عقل بخدم الحياة، ولا تستخدمه الحياة كأداة.[326]

يبي طه عبد الرحمن تصوره للعقل المسدد على فكرة الائتمانية. فالإنسان ليس مالكا للمعرفة؛ بل هو مؤقن عليها. هذا يعني أن نقل المعرفة ليس مجرد عملية تقنية، بل هو عملية أخلاقية. من ينقل خبرا كاذبا لا يخطيع فقط في الواقع، بل يخون الأمانة. وهذا البعد الأخلاقي هو ما بميز المناعة الحارة عن الباردة. وقد أشار طه عبد الرحمن إلى أن الائتمانية المعرفية هي الأساس الأخلاقي لأي مقاومة حقيقية للتسليع الرقمي، لأنها تعيد الاعتبار للبعد الأخلاقي في العلاقة مع المعرفة.[327]

ثانيا: التحيز المعرفي عند عبد الوهاب المسيري

يقدم المفكر المصري عبد الوهاب المسيري 1938 2008 إضافة نوعية لمفهوم المناعة الفكرية من خلال مفهوم التحيز المعرف Cognitive Bias مع). يرى المسيري أن الإنسان لا يمكن أن يكون محايدا قاما في نظرته للعالم، بل يحمل دائما تحيزات معرفية تشكل رؤيته للواقع. المشكلة ليست في وجود تحيزات، بل في عدم الوعي كحاء مما يجعل الإنسان أسيرا لتحيزاته دون أن يدري.[328]

---

[323] طه عبد الرحمن، سؤال الأخلاق، ص. 60

[324] طه عبد الرحمن، سؤال الأخلاق، ص. 65

[325] طه عبد الرحمن، سؤال الأخلاق، ص. 68

[326] طه عبد الرحمن، بؤس الدهرانية، صهه. 55

[327] المسيري، العالم من منظور غربي، 112 ص-. 115

[328] المسيري، العالم من منظور غربي،./ص 118

من أهم التحيزات المعرفية التي يطرحها المسيري هو مركزية الهوية Centrality of Identity أي أن هوية الفرد وثقافته تشكل إطارا مرجعيا لا يمكن التخلي عنه. وهذا ليس عيبا، بل هو شرط لفهم الواقع نفسه. فالإنسان الذي يحاول التخلص من هويته تماما ليصبح محايدا سيفقد القدرة على التمييز بين الحقائق والأوهام. الهوية ليست سجناء بل هي نقطة انطلاق. هي البوصلة التي توجه الفرد في بحر المعلومات المتضاربة. وقد أشار المسيري إلى أن مركزية الهوية ليست تعصباء بل هي وعي بالذات وبموقفها في العالم، وهو شرط أساشي لأي حوار حضاري حقيقي

في عصر العولمة الرقمية، حيث تتدفق الثقافات والمحويات المتنافسة، يمكن أن تصبح مركزية الهوية حصنا يحمي الفرد من الذوبان في النماذج المعرفية المستوردة. فالشاب الذي يمتلك هوية متماسكة، يعرف من أين ينطلق؛ وما القيم التي يكون بما، يكون أقل عرضة للتأثر بكل موجة عابرة من الأفكار أو الموضات الثقافية. هذا لا يعني الانغلاق أو رفض الآخر، بل يعني أن يكون للفرد مرتكزات ثابتة تمكنه من التعامل مع الجديد دون أن يفقد بوصلته. إنه الفرق بين الانفتاح الواعي والذوبان غير الواعي. وقد أشار المسيري إلى أن الهوية القوية ليست سجناء بل هي نقطة انطلاق نحو الآخر، لأنها تمنح الثقة اللازمة للانفتاح دون خوف من الضياع.[329]

المسيري يحذر أيضا من النزعة الاستهلاكية التي تحول الإنسان إلى إنسان طبيعي مادي يعرف ذاته من خلال استهلاكه، وليس من خلال إنتاجه أو قيمه. هذا الإنسان هو الهدف الذي تسعى الرأسمالية الاستهلاكية إلى إنتاجه: مستهلك مطيع؛ يتغير ولاؤه مع تغير الموضة، لا يملك ثوابت تمنعه من استهلاك أي منتج (ماديا كان أو فكريا). هذا الإنسان هو عكس الإنسان المتمتع بالمناعة الفكرية. وقد أشار المسيري إلى أن الإنسان الطبيعي المادي هو الإنسان الذي فقد قدرته على النقد والمقاومة، وأصبح منسجما مع النظام القائم، يستهلك ما يقدم له دون تفكير.[330]

العلاقة بين المسيري وطه عبد الرحمن: بينما يركز طه عبد الرحمن على الجانب الأخلاقي (الائتمانية)، يركز المسيري على الجانب الحوياق (مركزية الهوية). لكنهما متكاملان. فالشاب الذي يمتلك هوية متماسكة (مركزية الهوية) هو الأقدر على تحمل المسؤولية الأخلاقية (الائتمانية). والعكس صحيح: الأخلاق بدون هوية قد تصبح نسبية، والهوية بدون أخلاق قد تصبح متعصبة. المناعة الفكرية الحقيقية تجمع بين الاثنين. وقد أشار المسيري إلى أن التكامل بين الهوية والأخلاق هو شرط بناء الإنسان الحضاري القادر على التفاعل مع العالم دون أن يفقد بوصلته.[331]

خلاصة الفصل الثاني

بعد هذه الرحلة التأصيلية الواسعة عبر اللغة والتراث والفلسفة والنقد الاقتصادي والأخلاقي، يمكن الآن صياغة تعريف إجرائي للمناعة الفكرية يجمع بين الأبعاد المتعددة التي تم تناولها. هذا التعريف يمثل خلاصة الجهد التأصيلي لهذا الفصل، وسيكون الأداة المفاهيمية التي نعمل بما في بقية فصول البحث.[332]

المناعة الفكرية هي منظومة متكاملة من المعارف والمهارات والاتجاهات والقيم، تمكن الفرد من:

أولا: التحصين الوقائي - حماية وعيه من التدفق المفرط للمعلومات ومن استراتيجيات التضليل ال معرفي المنظم، عبر تطبيق منهجيات التحقق النقدي المستمدة من التراث الإسلامي (كالتثبت والجرح والتعديل والنقد الخلدوني) ومن الفلسفة الإنسانية (كالشك المنهجي والتنوير).

ثانيا: التمييز النقدي - القدرة على التمييز بين المعلومات الموثوقة والمضللة، وبين الحقيقة والزيف، وبين النافع والضار، من خلال تطوير الوعي الخوارزمي، وفهم آليات اقتصاد الانتباه، وتحليل العلاقات بين السلطة والمعرفة.

---

[329] المسيري؛ العام من منظور غربي،.ص 120

[330] المسيري، العام من منظور غربي، ص 125

[331] بكار، المناعة الفكرية، ص. 52

[332] طه عبد الرحمن، سؤال الأخلاق، ص 55 ه-.. 60

ثالثا: السيادة الإدراكية - تحقيق السيادة على العمليات المعرفية الذاتية، من خلال استعادة السيطرة على الانتباه، وتنويع مصادر المعلومات، والخروج من فقاعات التصفية، ومقاومة الوصاية الخوارزمية.

رابعا: التكامل الائتمانى - تسديد العقل بالأخلاق، بحيث لا تكون المهارات النقدية مجرد أدوات تقنية بل

المعرفية المستوردة.

خامسا: التحرر الحضاري - استخدام هذه المناعة كأداة للمقاومة الثقافية وبناء الإنسان الحضاري القادر على استيعاب الحضارة دون أن يفقد هويته، وعلى المشاركة في بناء المستقبل كفاعل وليس كمفعول به.[333]

هذا التعريف بمثل خالصة الجهد التأصيلي لهذا الفصل، ويؤسس للمرحلة التالية من البحث. ففي الفصل الفالث، سيتم عرض النتائج الميدانية وتحليلها إحصائيا، ثم في الفصل الرابع (القراءات المعمقة) سيتم استثمار هذه النتائج في بناء رؤى توجيهية، وفي الفصل الخامس سيتم رصد الآثار السلبية لغياب هذه المناعة، لنرى كيف يتحول العقل من حصن منيع إلى حطام يباع في أسواق البيانات. ثم في الفصل السابع، سيتم تقديم النموذج العلاجي (الوقاية، المواجهة، البناء)، وف الفصول التالية سيتم تطوير الأدوات العملية وطرق القياس، واستعراض النماذج الناجحة، وكشف القوى الاقتصادية الخفية التي تحاول إجهاض هذه المناعة.[334]

[333] يوسف والفضلي، المناعة الفكرية، ص. 45

[334] Yin, R. K. (2014). Case study research: Design and methods (5th ed.). Thousand Oaks, CA: Sage.

الفصل الثالث: نتائج الدراسة الميدانية

تمهيد

يعرض هذا الفصل نتائج الدراسة الميدانية كما حُسبت من ملف الاستجابات الأصلي للاستبيان الإلكتروني، الذي جُمعت بياناته بين 10 و16 يونيو 2026. وقد أُعيد في هذه الطبعة حساب جميع الجداول من البيانات الخام، بعد أن كشفت المراجعة عدم اتساق عدد من الأرقام في المسودة السابقة. ويلتزم الفصل بعرض المحاور الستة منفردة، لأنها تختلف في اتجاه دلالتها، وبقراءة الفروق الدالة القليلة بوصفها نتائج استكشافية.

وينقسم الفصل إلى خمسة مباحث: يتناول الأول إجراءات التحليل وخصائص العينة، والثاني الإحصاءات الوصفية للمحاور، والثالث العلاقة بين إدراك المخاطر والسلوك الوقائي، والرابع الفروق وفق المتغيرات الديموغرافية، والخامس اختبار الأثر المُعدِّل للتعليم، ثم تأتي خلاصة الفصل.

المبحث الأول: إجراءات التحليل وخصائص العينة

بلغ عدد الاستجابات الواردة (181) استجابة، استُبعدت منها (15) استجابة ترك أصحابها خمس فقرات فأكثر دون إجابة، فبلغت العينة النهائية (166) مشاركًا، منهم (151) أجابوا عن الفقرات الثماني والثلاثين كلها. ورُمِّزت الاستجابات على مقياس رباعي (أبدًا = 1، نادرًا = 2، أحيانًا = 3، دائمًا = 4)، وحُسبت درجة كل محور بمتوسط الفقرات التي أجاب عنها المشارك.

جدول (3-1): توزيع أفراد العينة وفق المتغيرات الديموغرافية (ن = 166)

المتغير	الفئة	التكرار	النسبة
الجنس	ذكر	131	78.9%
	أنثى	35	21.1%
العمر	18–25	24	14.5%
	26–35	12	7.2%
	36–45	17	10.2%
	46–55	38	22.9%
	56 فأكثر	74	44.6%
	لم يُجب	1	0.6%
المستوى التعليمي	ثانوي	19	11.4%
	جامعي	102	61.4%
	دراسات عليا	45	27.1%
ساعات الاستخدام يوميًا	أقل من ساعة	1	0.6%
	1–3 ساعات	64	38.6%
	3–5 ساعات	53	31.9%
	5–7 ساعات	28	16.9%
	أكثر من 7 ساعات	18	10.8%
	لم يُجب	2	1.2%
الدولة	مصر	112	67.5%
	قطر	6	3.6%

المتغير	الفئة	التكرار	النسبة
	السعودية	5	3.0%
	فلسطين	2	1.2%
	الجزائر	2	1.2%
	الكويت	1	0.6%
	تونس	1	0.6%
	لبنان	1	0.6%
	أخرى	26	15.7%
	لم يُجب	10	6.0%

يتضح من الجدول أن العينة مصرية في غالبها (67.5%)، ذكورية (78.9%)، ومتقدمة في العمر؛ إذ تجاوز (67.5%) من المشاركين سن الخامسة والأربعين، ولم يتجاوز عدد من هم بين 18 و35 عامًا (36) مشاركًا (21.7%). ويترتب على ذلك أمران: الأول أن النتائج تصف عينة متاحة من المستخدمين البالغين، غالبيتهم من المصريين حملة الشهادات الجامعية، لا الشباب العربي عمومًا؛ والثاني أن المقارنة بين الدول غير ممكنة لصغر أعداد المشاركين من غير مصر، فجُمعوا في مجموعة واحدة (44 مشاركًا).

المبحث الثاني: الإحصاءات الوصفية لمحاور الأداة

اعتُمد في الحكم على المتوسطات تقسيم مدى المقياس الرباعي (4 − 1 = 3) على أربع فئات طول كل منها (0.75): منخفض جدًا (1.00 – أقل من 1.75)، ومنخفض (1.75 – أقل من 2.50)، ومتوسط (2.50 – أقل من 3.25)، ومرتفع (3.25 – 4.00). ويختلف معنى المستوى باختلاف المحور: فارتفاعه في المحاور الأربعة الأولى يعني تعرضًا أو إدراكًا أكبر للمخاطر، وفي المحورين الأخيرين ممارسة وقائية أكثر.

جدول (3-2): المحور الأول: المخاطر المعلوماتية

م	الفقرة	المتوسط	الانحراف المعياري	الرتبة	المستوى
1	أتعرض بشكل متكرر للأخبار المزيفة أو المضللة على الإنترنت.	2.90	0.76	1	متوسط
2	أجد صعوبة في التمييز بين المحتوى الإخباري الحقيقي والمحتوى المدعوم أو الموجه.	2.37	0.85	7	منخفض
3	أشعر أنني مستهدف بحملات معلوماتية تهدف لتغيير آرائي أو قناعاتي.	2.67	0.97	5	متوسط
4	أفقد الثقة في المصادر الإخبارية التقليدية بسبب انتشار الشائعات الإلكترونية.	2.89	0.83	2	متوسط
5	أشعر بالخوف من القرصنة أو تسريب بياناتي الشخصية أثناء تصفح الإنترنت.	2.84	0.99	3	متوسط
6	أتعرض لمحتوى مسيء أو غير لائق أو يحمل خطاب كراهية.	2.65	0.85	6	متوسط
7	أشك في صدق وموثوقية المعلومات التاريخية أو العلمية المقدمة في المنصات الرقمية.	2.83	0.75	4	متوسط
	متوسط المحور	2.74	0.51		متوسط

يُبلغ المشاركون عن تعرض متكرر للأخبار المضللة (2.90) وتراجع الثقة في المصادر الإخبارية التقليدية (2.89)، لكنهم يرون أنفسهم قادرين على التمييز بين المحتوى الحقيقي والموجِّه (2.37، أدنى فقرات المحور). ويتسق هذا الفارق بين إدراك الخطر العام والثقة بالقدرة الذاتية مع ما تسميه أدبيات الاتصال «أثر الشخص الثالث»، أي الميل إلى رؤية الآخرين أكثر عرضة للخداع من الذات.

جدول (3-3): المحور الثاني: الآثار السلبية للبيئة المعلوماتية

م	الفقرة	المتوسط	الانحراف المعياري	الرتبة	المستوى
1	أشعر بالقلق أو التوتر عند عدم متابعة آخر المستجدات والأخبار الرقمية (FOMO).	2.43	0.96	4	منخفض
2	ألاحظ تراجعاً في قدرتي على التركيز العميق نتيجة التشتت المستمر من الإشعارات.	2.64	0.88	2	متوسط
3	أجد نفسي أقضي وقتاً طويلاً على وسائل التواصل الاجتماعي دون هدف محدد.	2.66	0.93	1	متوسط
4	تؤثر الآراء والتفاعلات السلبية عبر الإنترنت على حالتي المزاجية أو احترامي لذاتي.	2.17	0.93	5	منخفض
5	أصبحت أعتمد كلياً على ملخصات أو مقاطع فيديو قصيرة لاستيعاب المعرفة المعقدة.	2.52	0.99	3	متوسط
6	أشعر بعزلة اجتماعية حقيقية على الرغم من تواصلي المستمر عبر الإنترنت.	2.17	0.97	6	منخفض
7	أجد أن محيطي الاجتماعي خارج الإنترنت أصبح أقل أهمية مقارنة بالتفاعلات الرقمية.	2.07	0.96	7	منخفض
	متوسط المحور	2.38	0.58		منخفض

تتقدم الآثار المعرفية والزمنية على الآثار الاجتماعية: فالوقت المهدر بلا هدف (2.66) وتراجع التركيز (2.64) في المقدمة، في حين تأتي العزلة وتراجع أهمية المحيط الواقعي (2.07–2.17) في المؤخرة. وقد يرتبط ذلك بغلبة الفئات الأكبر سنًا على العينة، وهي أكثر رسوخًا في شبكات اجتماعية واقعية.

جدول (3-4): المحور الثالث: تسليع المعرفة والبيانات

م	الفقرة	المتوسط	الانحراف المعياري	الرتبة	المستوى
1	أعتقد أن معلوماتي الشخصية وسلوكياتي على الإنترنت يتم بيعها لأطراف ثالثة.	2.47	1.18	5	منخفض
2	أجد نفسي مضطراً لدفع اشتراكات شهرية متزايدة للوصول إلى محتوى معرفي أساسي.	1.94	1.01	6	منخفض
3	ألاحظ أن المنصات الرقمية توجهني نحو منتجات وخدمات بناءً على بياناتي الخاصة.	3.04	1.04	1	متوسط
4	أعتقد أن جودة المعلومات المتاحة مجاناً أقل بكثير من تلك المدفوعة.	2.86	1.03	2	متوسط
5	أشعر أن الشركات التقنية تستغل بياناتي لتصميم إعلانات مصممة خصيصاً لي.	2.75	1.14	4	متوسط
6	أعتقد أن الهدف الرئيسي من المحتوى التعليمي المجاني هو جمع البيانات وليس نشر المعرفة.	2.84	0.93	3	متوسط
	متوسط المحور	2.65	0.73		متوسط

يلاحظ المشاركون التوجيه الإعلاني القائم على بياناتهم (3.04)، لكن قلة منهم تدفع اشتراكات للوصول إلى المعرفة (1.94)؛ فالتسليع كما تعيشه هذه العينة تسليعٌ للبيانات أكثر منه بيعًا للمعرفة. وتدل الانحرافات المعيارية المرتفعة نسبيًا (حتى 1.18) على انقسام في الآراء حول بيع البيانات لأطراف ثالثة.

جدول (3-5): المحور الرابع: هندسة الهوية وتأثير المنصات

م	الفقرة	المتوسط	الانحراف المعياري	الرتبة	المستوى
1	أشعر أن خوارزميات المنصات تحدد نوع المحتوى الذي يجب أن أهتم به.	3.25	0.79	1	متوسط
2	ألاحظ تأثيراً كبيراً للمحتوى الرقمي في تغيير بعض قناعاتي الثقافية أو الاجتماعية.	2.36	0.84	4	منخفض
3	أشعر أن هويتي الرقمية التي أظهرها على الإنترنت تختلف عن هويتي الواقعية.	1.92	0.93	7	منخفض
4	أعتقد أن المنصات تشجعني على تبني عادات أو أنماط حياة لا تتوافق مع بيئتي الثقافية.	2.25	1.03	5	منخفض
5	أجد صعوبة في الحفاظ على خصوصيتي وهويتي في ظل الضغط لـ 'مشاركة كل شيء'.	2.22	1.02	6	منخفض
6	أشعر أن المنصات تحاول تشكيل آرائي السياسية أو الدينية بشكل غير مباشر.	2.81	1.01	2	متوسط
7	أجد صعوبة في التعبير عن رأيي المخالف للتيار السائد في مساحات التفاعل الرقمي.	2.53	1.03	3	متوسط
	متوسط المحور	2.48	0.59		منخفض

أعلى فقرات محاور المخاطر جميعها إدراكُ أن الخوارزميات تحدد ما يُعرض على المستخدم (3.25)، في حين تأتي فقرة اختلاف الهوية الرقمية عن الواقعية في المؤخرة (1.92). فالمشاركون يدركون التوجيه الخوارزمي بوضوح، لكنهم لا يرونه قد غيّر هوياتهم أو قناعاتهم (2.36). وقد يعني ذلك حصانة فعلية، وقد يعني حدود التقرير الذاتي في رصد تأثير لا يشعر به صاحبه، ولا تسمح البيانات الحالية بالترجيح بين التفسيرين.

جدول (3-6): المحور الخامس: التصرفات الوقائية

م	الفقرة	المتوسط	الانحراف المعياري	الرتبة	المستوى
1	أتحقق دائماً من مصادر الأخبار التي أقرؤها قبل تصديقها أو مشاركتها.	3.43	0.88	1	مرتفع
2	أستخدم أدوات الحظر أو الإبلاغ ضد الحسابات التي تنشر معلومات مضللة أو ضارة.	2.82	0.99	4	متوسط
3	أناقش المحتوى المشكوك فيه مع أشخاص موثوقين لزيادة الوعي حوله.	2.93	0.89	2	متوسط
4	أقوم بتحديث برامج الحماية وأستخدم كلمات مرور قوية لحماية بياناتي.	2.72	1.00	5	متوسط
5	أخصص وقتاً للبحث المعمق في مواضيع أهتم بها بدلاً من الاعتماد على العناوين السطحية.	2.92	0.94	3	متوسط

م	الفقرة	المتوسط	الانحراف المعياري	الرتبة	المستوى
	متوسط المحور	2.96	0.66		متوسط

التحقق من المصادر هو الفقرة الوحيدة في الأداة التي بلغت المستوى المرتفع (3.43)، غير أنها أكثر الفقرات عرضة للمرغوبية الاجتماعية، لأن صياغتها تتضمن كلمة «دائمًا» والإجابة المثالية فيها واضحة. أما السلوكيات التقنية (تحديث برامج الحماية وكلمات المرور، 2.72) فأقل ممارسة.

جدول (3-7): المحور السادس: مقاومة تشكيل الهوية وتسليع المعرفة

م	الفقرة	المتوسط	الانحراف المعياري	الرتبة	المستوى
1	أستخدم أدوات لحجب التتبع (مثل مانع الإعلانات أو VPN) للحد من جمع بياناتي.	2.23	1.01	6	منخفض
2	أرفض شراء المنتجات المعروضة عليّ من الإعلانات الموجهة بشكل مقصود لإظهار مقاومتي.	3.11	1.01	1	متوسط
3	أقوم بمسح سجل التصفح وذاكرة التخزين المؤقت بانتظام للحد من بصمتي الرقمية.	2.41	0.99	5	منخفض
4	أبحث عمداً عن مصادر معلوماتية مختلفة ومتناقضة لتكوين رأي شامل.	2.68	0.94	4	متوسط
5	أضع حدوداً واضحة لوقتي المستهلك على المنصات الرقمية غير المفيدة.	2.78	0.90	3	متوسط
6	أشارك بفعالية في أنشطة وفعاليات اجتماعية حقيقية لتقوية هويتي الواقعية.	2.81	0.99	2	متوسط
	متوسط المحور	2.67	0.62		متوسط

المقاومة الاستهلاكية والاجتماعية (رفض الشراء 3.11، والنشاط الاجتماعي الواقعي 2.81) أكثر شيوعًا من المقاومة التقنية (حجب التتبع 2.23، ومسح سجل التصفح 2.41)، وهو ما يشير إلى أن الفجوة الأوضح في الممارسة فجوةُ مهارات تقنية يمكن أن يبني عليها النموذج العلاجي في الفصل السابع.

ويمكن تلخيص مستويات المحاور الستة في أن المشاركين يقعون في المستوى المتوسط في إدراك المخاطر المعلوماتية (2.74) وتسليع البيانات (2.65) والتصرفات الوقائية (2.96) والمقاومة (2.67)، وفي المستوى المنخفض في الآثار السلبية المُبلَّغ عنها (2.38) وإدراك هندسة الهوية (2.48).

المبحث الثالث: العلاقة بين إدراك المخاطر والسلوك الوقائي

يحل هذا المبحث محل الاستدلال على «فجوة الوعي والممارسة» من مقارنة متوسطات محاور مختلفة، إذ يختبر العلاقة مباشرة على مستوى الأفراد بمعاملات ارتباط بيرسون.

جدول (3-8): معاملات ارتباط بيرسون بين المحاور (ن = 166)

المحور	الأول	الثاني	الثالث	الرابع	الخامس
الثاني	0.42*				
الثالث	0.46*	0.47*			
الرابع	0.47*	0.49*	0.57*		
الخامس	0.18*	0.06-	0.17*	0.05	

المحور	الأول	الثاني	الثالث	الرابع	الخامس
السادس	*0.28	0.14	*0.24	*0.27	*0.51

(*) دال عند مستوى 0.05، والقيمة الحرجة مع هذا الحجم نحو (0.15).

تكشف المصفوفة ثلاث نتائج. الأولى أن المحاور الأربعة الأولى تشكل كتلة مترابطة (0.42–0.57)، وكذلك المحوران الوقائيان (0.51)، وأن الارتباط بين الكتلتين أضعف بكثير. والثانية أن إدراك المخاطر يرتبط بالسلوك الوقائي ارتباطًا موجبًا ضعيفًا؛ إذ بلغ الارتباط بين المقياس الفرعي لإدراك المخاطر وآثارها (2.56) والمقياس الفرعي للسلوك الوقائي والمقاومة (2.80) قيمة ($r = 0.24$، $p = 0.002$)، أي أن ما يشتركان فيه من التباين لا يتجاوز (6%). والثالثة أن الشعور بالآثار السلبية لا يرتبط بالتصرفات الوقائية (–0.06)؛ فمن يعاني التشتت والقلق لا يتخذ إجراءات أكثر ممن لا يعانيهما.

وهذا هو المعنى الذي تسنده البيانات لما سُمّي في المسودة السابقة «فجوة الوعي والممارسة»: الوعي بالخطر لا يتحول تلقائيًا إلى ممارسة، لكنه ليس منفصلًا عنها تمامًا. كما لم يرتبط عدد ساعات الاستخدام دالًا بأي محور (ارتباط سبيرمان بين –0.01 و0.14، وأقربه إلى الدلالة الآثار السلبية: $p = 0.08$).

المبحث الرابع: الفروق وفق المتغيرات الديموغرافية

أُجري اختبار (ت) وتحليل التباين بصيغة ولش لكل محور وفق الجنس والعمر والمستوى التعليمي وساعات الاستخدام والدولة. ومن أصل ثلاثين مقارنة، جاءت ثلاث فقط دالة عند مستوى (0.05). ومع هذا العدد من الاختبارات يُتوقع أن يظهر فرق أو فرقان بالمصادفة، فنُقرأ الفروق الثلاثة بوصفها استكشافية.

أولًا: الجنس

جدول (3-9): نتائج اختبار (ت) بصيغة ولش للفروق بين الذكور والإناث

المحور	الذكور (131)	الإناث (35)	قيمة (ت)	درجات الحرية	قيمة الاحتمال	حجم الأثر (d)
الأول	2.69	2.89	2.35-	64.4	0.022	0.40
الثاني	2.36	2.48	1.06-	50.6	0.294	0.21
الثالث	2.69	2.49	1.49	53.5	0.141	0.28
الرابع	2.47	2.49	0.13-	53.1	0.898	0.02
الخامس	2.97	2.95	0.18	63.3	0.859	0.03
السادس	2.68	2.63	0.40	56.7	0.692	0.07

الفرق الوحيد الدال في المحور الأول: تُبلغ الإناث عن تعرض أكبر للمخاطر المعلوماتية (2.89 مقابل 2.69) بأثر متوسط الحجم ($d = 0.40$)، في حين يتطابق السلوك الوقائي تقريبًا بين الجنسين. ويُراعى في قراءة هذه النتيجة صغر عدد الإناث (35).

ثانيًا: العمر

دُمجت الفئات العمرية الخمس في ثلاث فئات لها دلالة مباشرة بالنسبة إلى موضوع الدراسة، لصغر بعضها (26–35 = 12 مشاركًا): الشباب (18–35)، والكهول (36–55)، ومن تجاوزوا السادسة والخمسين.

جدول (3-10): متوسطات الفئات العمرية وتحليل التباين بصيغة ولش

المحور	18–35 (36)	36–55 (55)	56 فأكثر (74)	ف (ولش)	درجات الحرية	قيمة الاحتمال	η^2
الأول	2.90	2.74	2.66	2.86	2، 91.5	0.063	0.033
الثاني	2.53	2.41	2.30	2.10	2، 92.7	0.129	0.024
الثالث	2.62	2.68	2.66	0.08	2، 88.6	0.924	0.001
الرابع	2.53	2.51	2.43	0.39	2، 91.7	0.675	0.005
الخامس	2.92	2.95	3.00	0.26	2، 95.4	0.771	0.003
السادس	2.45	2.76	2.72	4.97	2، 101.5	0.009	0.037

الشباب هم الأقل مقاومة لتشكيل الهوية وتسليع المعرفة (2.45 مقابل 2.76 و2.72)، وهو أقوى الفروق في الدراسة ($p = 0.009$) وأقربها إلى سؤالها المركزي. ويميل الشباب كذلك إلى الإبلاغ عن تعرض وآثار أعلى في المحورين الأول والثاني دون أن يبلغ ذلك الدلالة. ولم تُجرَ مقارنات بعدية لأن النمط واضح: الفارق بين الشباب والفئتين الأخريين، لا بين هاتين الفئتين.

ثالثًا: المستوى التعليمي وساعات الاستخدام والدولة

جدول (3-11): متوسطات المستويات التعليمية وتحليل التباين بصيغة ولش

المحور	ثانوي (19)	جامعي (102)	دراسات عليا (45)	ف (ولش)	درجات الحرية	قيمة الاحتمال	η^2
الأول	2.74	2.77	2.66	0.60	2، 54.3	0.553	0.008
الثاني	2.27	2.44	2.31	1.36	2، 51.6	0.267	0.014
الثالث	2.44	2.66	2.71	0.99	2، 47.7	0.378	0.012
الرابع	2.38	2.50	2.47	0.37	2، 48.5	0.690	0.004
الخامس	2.89	2.92	3.09	1.00	2، 45.8	0.378	0.013
السادس	2.71	2.59	2.83	2.20	2، 49.5	0.121	0.027

جدول (3-12): متوسطات فئات ساعات الاستخدام اليومي وتحليل التباين بصيغة ولش

المحور	3 ساعات فأقل (65)	3–5 (53)	5–7 (28)	أكثر من 7 (18)	ف (ولش)	درجات الحرية	قيمة الاحتمال	η^2
الأول	2.71	2.77	2.84	2.68	0.49	3، 54.5	0.688	0.011
الثاني	2.29	2.40	2.45	2.59	1.35	3، 55.5	0.266	0.026
الثالث	2.58	2.72	2.65	2.84	0.78	3، 57.0	0.511	0.015
الرابع	2.42	2.49	2.45	2.75	1.29	3، 54.9	0.286	0.027
الخامس	2.94	2.97	3.06	2.98	0.21	3، 56.2	0.891	0.004
السادس	2.68	2.70	2.73	2.58	0.25	3، 58.3	0.864	0.005

جدول (3-13): الفروق بين المشاركين من مصر ومن غيرها

المحور	مصر (112)	غير مصر (44)	ف (ولش)	درجات الحرية	قيمة الاحتمال	η^2
الأول	2.81	2.60	4.12	1، 62.2	0.047	0.034
الثاني	2.44	2.25	3.01	1، 68.4	0.087	0.022
الثالث	2.71	2.55	1.36	1، 68.2	0.247	0.010
الرابع	2.49	2.46	0.07	1، 72.0	0.796	0.000
الخامس	3.04	2.88	1.47	1، 64.7	0.229	0.012
السادس	2.75	2.57	2.90	1، 86.2	0.092	0.017

لم تظهر فروق دالة حسب المستوى التعليمي في أي محور (أكبر حجم أثر 0.027 في المقاومة لصالح حملة الدراسات العليا)، ولا حسب ساعات الاستخدام، مع اتجاه غير دال لارتفاع الآثار السلبية بزيادة الساعات (من 2.29 إلى 2.59). أما الدولة فظهر فرق دال في المحور الأول وحده: يُبلغ المشاركون من مصر عن تعرض أكبر للمخاطر المعلوماتية (2.81 مقابل 2.60).

المبحث الخامس: هل يُضعف التعليم أثر ساعات الاستخدام؟

اختُبرت فرضية الأثر المُعدِّل للتعليم بانحدار خطي يضم ساعات الاستخدام والمستوى التعليمي وحد التفاعل بينهما، مع محور هندسة الهوية متغيرًا تابعًا. وجاء حد التفاعل غير دال ($F(2، 158) = 0.64، p = 0.529$)، وميل ساعات الاستخدام ضعيفًا وغير دال في الفئات الثلاث، كما يوضح الجدول الآتي:

جدول (3-14): ميل ساعات الاستخدام على محور هندسة الهوية داخل كل مستوى تعليمي

المستوى التعليمي	العدد	ميل ساعات الاستخدام (B)	قيمة الاحتمال
ثانوي	19	0.026	0.663
جامعي	101	0.024	0.419
دراسات عليا	44	0.084	0.078

فالبيانات لا تدعم وصف التعليم العالي بأنه «لقاح» ضد التلاعب الخوارزمي، ويبقى هذا الوصف فرضية نظرية يناقشها الفصل الرابع.

خلاصة الفصل الثالث

ويستخلص هذا الفصل أن المشاركين يدركون المخاطر المعلوماتية وتسليع بياناتهم بدرجة متوسطة، ويدركون بوضوح أن الخوارزميات توجه ما يرونه، لكنهم ينفون أثر ذلك في هوياتهم. وأن سلوكهم الوقائي متوسط، يتركز في التحقق من المصادر ويضعف في الحماية التقنية، ويرتبط بإدراك المخاطر ارتباطًا ضعيفًا. وأن الشباب (18–35) هم الأقل مقاومة لتشكيل الهوية، في حين لا يفرق المستوى التعليمي ولا ساعات الاستخدام بين المشاركين. وتبقى هذه النتائج مؤشرات استكشافية لعينة متاحة، غالبيتها من المصريين البالغين، تُختبر في عينة شبابية أوسع، لا تشخيصًا لحال الشباب العربي.

الفصل الرابع: مناقشة نتائج الدراسة

تمهيد

يشكل الفصل الثالث من هذه الدراسة محطة أساسية في فهم واقع استجابات عينة من المستخدمين العرب تجاه المخاطر المعلوماتية، إذ قدّم وصفًا إحصائيًا لمستويات التعرض والإدراك والممارسة، وللفروق الديموغرافية. غير أن الوقوف عند حدود العرض الأولي للنتائج قد يفوّت فرصة استثمار هذه البيانات في بناء رؤى توجيهية أعمق؛ فالأرقام المرصودة يمكن أن تُقرأ بوصفها خريطة تكشف عن أنماط وفجوات محتملة، يمكن توظيفها في تصميم تدخلات نوعية[335].

وانطلاقًا من هذه الرؤية، يقدم هذا الفصل -بوصفه امتدادًا تحليليًا للفصل الثالث- خمس قراءات تفسيرية للنتائج، تستند إلى أطر نظرية في علم النفس والاتصال والاقتصاد السياشي، وتسعى إلى الانتقال من الوصف إلى التفسير، ومن التفسير إلى التوجيه العملي[336]. ويلتزم الفصل بقاعدة منهجية واضحة: التمييز بين ما تدعمه البيانات من نتائج، وما يُطرح بوصفه تفسيرا أو فرضية تحتاج إلى اختبار.

وتعتمد هذه القراءات على قاعدة البيانات نفسها (166 مشاركًا، ستة محاور)، وعلى تحليلات إضافية استكشافية: معاملات الارتباط بين المحاور، وانحدار خطي متعدد للمحور الثاني، وانحدار يتضمن حد التفاعل بين التعليم وساعات الاستخدام، والمقارنة بين المشاركين من مصر ومن غيرها[337]. ولم تكن هذه التحليلات ضمن خطة التحليل المسبقة، ولذلك تُعرض نتائجها بوصفها نتائج استكشافية أولية تحتاج إلى تأكيد في دراسات لاحقة.

وينقسم الفصل إلى خمسة مباحث، يتناول كل منها قراءة مستقلة، وفق منطق تصاعدي: من تحليل الفجوة الفردية (الوعي مقابل الممارسة)، إلى تحليل الآثار غير المحسوسة، إلى تحليل دور التعليم، إلى تحليل الفروق بين الأجيال، وأخيرًا إلى تحليل الفروق الجغرافية[338].

المبحث الأول: فجوة الوعي والممارسة

أولًا: من السؤال الكمي إلى السؤال النوعي

عند النظر إلى متوسطات المحاور الرئيسة -التعرض للمخاطر المعلوماتية (2.74)، والتصرفات الوقائية (2.96)، والمقاومة (2.67)- قد يقرأ الباحث هذه الأرقام بوصفها متغيرات منفصلة. لكن القراءة الأعمق تبحث في العلاقة بينها، ولا سيما في الفجوة المحتملة بين إدراك الخطر والاستجابة الفعلية له. فالمشاركون يدركون بوضوح أن الخوارزميات تحدد ما يُعرض عليهم (3.25)، ويلاحظون التوجيه الإعلاني القائم على بياناتهم (3.04)، لكن ممارستهم لأشكال المقاومة التقنية كحجب التتبع (2.23) ومسح سجل التصفح (2.41) تبقى منخفضة[339].

ويمكن صياغة هذه الفجوة في سؤال جوهري: لماذا قد يعرف الشباب أنهم يتعرضون للتضليل، ويعرفون أن هناك أدوات للحماية، ثم لا يستخدمونها بشكل منتظم؟ إن الإجابة عن هذا السؤال مفتاح لتصميم تدخلات ناجحة، لأنها تحوّل التركيز من «ماذا نعلّمهم؟» إلى «كيف نمكّنهم؟». ويتسق ذلك مع الأدبيات النفسية التي تشير إلى أن المعرفة وحدها لا تكفي لتغيير السلوك[340].

وقد اختُبرت هذه الفجوة على مستوى الأفراد في الفصل الثالث (المبحث الثالث)، فجاء الارتباط بين إدراك المخاطر وآثارها والسلوك الوقائي موجبًا ضعيفًا (r = 0.24)، وجاء الارتباط بين الشعور بالآثار

---

335 Patton, M. Q. (2015). Qualitative research and evaluation methods (4th ed.). Thousand Oaks, CA: Sage.

336 Field, A. (2018). Discovering statistics using IBM SPSS Statistics (5th ed.). London: Sage.

337 Festinger, L. (1957). A theory of cognitive dissonance. Stanford, CA: Stanford University Press.

338 (Festinger ،1957 المرجع السابق.

339 Sheeran, P., & Webb, T. L. (2016). The intention–behavior gap. Social and Personality Psychology Compass, 10(9), 503–518.

340 Prochaska, J. O., & DiClemente, C. C. (1983). Stages and processes of self-change of smoking: Toward an integrative model of change. Journal of Consulting and Clinical Psychology, 51(3), 390–395.

السلبية والتصرفات الوقائية منعدمًا تقريبًا (–0.06). فالفجوة قائمة بمعنى محدد: الوعي بالخطر لا يتنبأ بالسلوك إلا تنبؤًا محدودًا، والمعاناة من الآثار لا تدفع إلى الوقاية. أما وجود فئة بعينها «تعرف ولا تفعل»، وحجمها، فيحتاج إلى تصنيف فردي لم تُجره هذه الدراسة.

ثانيا: مصفوفة الوعي والممارسة - إطار تصنيفي مقترح

لتحليل هذه الفجوة منهجيًا، يُقترح نموذج المصفوفة الرباعية للاستجابة المعرفية، الذي يصنّف الأفراد وفق محورين متعامدين: المحور الأفقي هو مستوى الوعي بالمخاطر (ويمكن اشتقاقه من المحاور الأول والثالث والرابع)، والمحور الرأسي هو مستوى الممارسة الفعلية (ويمكن اشتقاقه من المحورين الخامس والسادس)[341]. وتنتج عن تقاطع المحورين أربعة أنماط:

النمط الأول: الحكيم العملي (واعٍ + ممارس): يرى المخاطر ويتصرف بناءً عليها.

النمط الثاني: المتفرج العاجز (واعٍ + غير ممارس): يرى المخاطر بوضوح لكنه لا يترجم هذا الوعي إلى سلوك.

النمط الثالث: الغريزي المحظوظ (غير واعٍ + ممارس): يمارس سلوكيات وقائية دون فهم كامل لأسبابها.

النمط الرابع: المستهلك الأعمى (غير واعٍ + غير ممارس): لا يرى المخاطر ولا يتصرف، وهو الأكثر عرضة للخطر.

ولا تتضمن هذه الدراسة تصنيفًا فرديًا للمشاركين وفق هذه الأنماط؛ إذ يتطلب ذلك تحديد نقاط قطع مسبقة لدرجتي الوعي والممارسة، أو اشتقاق الأنماط تجريبيًا بالتحليل العنقودي (Cluster Analysis) أو تحليل البروفايل الكامن (Latent Profile Analysis). ولذلك يُقدِّم النموذج بوصفه إطارًا تصنيفيًا مقترحًا للبحث اللاحق.

ثالثًا: تفسير نمط «المتفرج العاجز» في ضوء النظريات النفسية والاجتماعية

على افتراض وجود هذا النمط، يمكن تفسيره من خلال ثلاث نظريات متكاملة، تعكس أبعادًا مختلفة من المشكلة.

تتمثل النظرية الأولى في نظرية العجز المتعل?م (Learned Helplessness) التي طورها سليغمان، وتشير إلى أن الفرد عندما يتعرض لمواقف يفشل فيها في السيطرة على النتائج، قد يتعلم أن جهوده غير مجدية، فيتوقف عن المحاولة حتى عندما تصبح الفرصة متاحة[342]. فالشاب الذي يرى كمًا هائلاً من المنشورات المضللة يوميًا، ويحاول التحقق منها لكن الوقت لا يكفي، أو يحاول حماية خصوصيته فيجد أن التطبيقات تجمع بياناته رغم ذلك، قد يصل إلى قناعة ضمنية بأن المقاومة غير مجدية.

وتتمثل النظرية الثانية في الوصاية الخوارزمية (Algorithmic Tutelage) التي سبق طرحها في الفصل الثاني استنادًا إلى مفهوم الوصاية عند كانط، وتشير إلى أن الفرد عندما يعتاد أن تقرر الخوارزميات له ما يراه ويستهلكه، قد يفقد تدريجيًا قدرته على اتخاذ قرارات مستقلة حتى في المجالات التي يمتلك فيها معرفة نظرية[343].

وتتمثل النظرية الثالثة في ما يمكن تسميته الانهيار الإرادي (Volitional Collapse)، وهو مفهوم مقترح في هذه الدراسة، يشير إلى أن كثرة الخيارات والمخاطر قد تستنزف الطاقة الإرادية، فيصبح الفرد أقل قدرة على اتخاذ قرارات واعية حتى في الأمور البسيطة. وقد أشار شوارتز في كتابه «مفارقة الاختيار» (The Paradox of Choice) إلى أن كثرة الخيارات لا تجعلنا أسعد بالضرورة، بل قد تزيد القلق وتقلل الرضا[344].

---

[341] Seligman, M. E. P. (1975). Helplessness: On depression, development, and death. San Francisco: W. H. Freeman.

[342] Pariser, E. (2011). The filter bubble: What the Internet is hiding from you. New York: Penguin Press.

[343] Schwartz, B. (2004). The paradox of choice: Why more is less. New York: HarperCollins.

[344] Kolb, D. A. (1984). Experiential learning: Experience as the source of learning and development. Englewood Cliffs, NJ: Prentice Hall.

رابعا: الآثار العملية لتحليل الفجوة

إذا ثبتت هذه الفجوة في التحليل الفردي، فإن ذلك يعيد تعريف أولويات التدخل: فبدلاً من الاقتصار على حملات التوعية، يمكن توجيه جزء من الموارد نحو تمكين من يمتلكون الوعي ولا يمارسون، من خلال ثلاث آليات عملية:

تتمثل الآلية الأولى في التدريب بالمحاكاة (Simulation-Based Training)؛ فبدلاً من المحاضرات النظرية، يمكن تصميم بيئات محاكاة افتراضية يمارس فيها الشباب مهارات التحقق والمقاومة في مواقف تحاكي الواقع (مثل محاكاة حملة تضليل، أو محاكاة خرق بيانات). وتشير نظرية التعلم التجريبي لكولب إلى أن التعلم الحقيقي يحدث عندما يمر الفرد بتجربة ملموسة، ثم يتأمل فيها، ثم يستخلص منها مفاهيم عامة، ثم يختبرها في مواقف جديدة[345].

وتتمثل الآلية الثانية في تخفيض كلفة المقاومة (Reducing Resistance Cost)، بحيث تكون أدوات الحماية سهلة الاستخدام ومدمجة في التجربة اليومية، بدلاً من أن تتطلب جهدًا إضافيًا؛ كأن توفر المنصات خيار التحقق التلقائي من المصادر المشبوهة، أو تُبرز أدوات الخصوصية في واجهة المستخدم بدلاً من إخفائها في الإعدادات المتقدمة. ويرى هاري أن تغيير البيئة من أقوى أدوات تغيير السلوك، لأن البيئة المصممة جيدًا تقلل الحاجة إلى قوة الإرادة[346].

وتتمثل الآلية الثالثة في بناء الوكالة الرقمية (Digital Agency)، أي شعور الفرد بقدرته على التحكم في بيئته الرقمية، من خلال تمكينه من اتخاذ قرارات صغيرة ومتكررة (مثل اختيار نوع المحتوى الذي يراه، أو التحكم في مدة الجلسة)، بما يعيد له الإحساس بالسيطرة ويعزز ثقته في قدرته على المقاومة. وقد بيّن باندورا في نظريته عن الكفاءة الذاتية أن إيمان الفرد بقدرته على تنظيم سلوكه من أهم العوامل في تحويل النية إلى فعل[347].

المبحث الثاني: الآثار غير المحسوسة للبيئة المعلوماتية

أولًا: مفارقة انخفاض الآثار السلبية المُبلّغ عنها

من أكثر النتائج إثارة للتساؤل في الفصل الثالث أن متوسط المحور الثاني (الآثار السلبية) جاء منخفضًا (2.38)، رغم أن (60.4%) من المشاركين يقضون ثلاث ساعات فأكثر يوميًا على الإنترنت. ويدفع هذا التناقض الظاهري إلى التساؤل: هل الآثار السلبية غير موجودة فعلاً لدى هذه العينة، أم أن هناك آلية تجعلها غير محسوسة أو غير مُبلّغ عنها؟

وقد أُجري تحليل انحدار خطي متعدد استكشافي، استُخدم فيه متوسط ساعات الاستخدام متغيرًا مستقلاً، والمحور الثاني (الآثار السلبية) متغيرًا تابعًا، مع إدخال العمر والمستوى التعليمي متغيرين مستقلين إضافيين (ن = 163)، على النحو الآتي:

جدول (1-4): نتائج تحليل الانحدار الخطي المتعدد للمحور الثاني (نتائج استكشافية)

المتغير المستقل	معامل الانحدار المعياري (β)	قيمة (ت)	قيمة الاحتمال
ساعات الاستخدام	0.13	1.59	0.114
العمر	0.15-	1.84-	0.068
المستوى التعليمي	0.05	0.59	0.559

ملاحظة: النموذج ككل غير دال ($R^2 = 0.043$، $F(3، 159) = 2.38$، $p = 0.072$).

وتشير هذه النتائج إلى أن ساعات الاستخدام والعمر والمستوى التعليمي مجتمعةً لا تفسر إلا نحو (4%) من التباين في الآثار السلبية المُبلّغ عنها، وأن أيًّا منها لا يرتبط بها ارتباطًا دالًا بعد ضبط المتغيرين

---

[345] Hari, J. (2022). Stolen focus: Why you can't pay attention—and how to think deeply again. New York: Crown.

[346] Bandura, A. (1997). Self-efficacy: The exercise of control. New York: W. H. Freeman.

[347] Twenge, J. M. (2017). iGen. New York: Atria Books.

الآخرين، وإن اتجه أثر الساعات إلى الإيجاب ($\beta = 0.13$) وأثر العمر إلى السلب ($\beta = -0.15$). أي أن المشاركين الأكثر استخدامًا لا يُبلغون عن آثار سلبية أكبر بصورة واضحة[348].

ومن هذه النتائج تُطرح فرضية مفادها أن الآثار السلبية قد تكون جزئيًا خفية أو مألوفة، بحيث لم يعد المشاركون يدركونها آثارًا سلبية، أو يقللون من شدتها في التقرير الذاتي. ولا تثبت البيانات المتاحة هذه الفرضية، ولا تنفيها؛ فانعدام العلاقة بين الساعات والآثار المُبلِّغ عنها يحتمل التفسيرين معًا، وهو ما يجعلها جديرة بالاختبار بأدوات لا تعتمد على التقرير الذاتي وحده.

ثانيا: مفهوم التكيف غير الصحي (Maladaptive Coping)

يمكن صياغة هذه الفرضية من خلال مفهوم التكيف غير الصحي، وهو حالة يتكيف فيها الفرد مع بيئة مضرة لدرجة أنه قد يفقد القدرة على إدراك ضررها. ويختلف هذا عن التكيف الصحي (Adaptive Coping) الذي يقلل من الضرر فعلاً؛ إذ قد يُخفي التكيف غير الصحي الأعراض دون معالجة السبب. وقد أشار لازاروس وفولكمان في نظريتهما عن التكيف مع الضغوط إلى أن بعض استراتيجيات التكيف قد تبدو مفيدة على المدى القصير لكنها تضر على المدى الطويل، لأنها تمنع الفرد من مواجهة مصدر الضغط الحقيقي[349].

وفي السياق الرقمي يمكن تصوّر أربعة أنماط محتملة للتكيف غير الصحي، اقترُحت استنادًا إلى قراءة متوسطات فقرات المحور الثاني (ولم تُشتق بتحليل إحصائي مستقل):

تطبيع التشتت: قد يصبح الانتقال السريع بين التطبيقات والمهام أمرًا مألوفًا، فلا يعود الفرد يشعر بتراجع تركيزه سلبيًا. وقد أشار كار إلى أن الإنترنت يعيد تشكيل أنماط التفكير لصالح التفكير السريع والسطحي[350].

تطبيع القلق: قد يصبح القلق من تفويت المستجدات (FOMO) جزءًا من الروتين اليومي، فلا يُعد حالة استثنائية تستدعي القلق. ويرى هاري أن القلق الرقمي أصبح جزءًا من نسيج الحياة اليومية لدرجة أن الناس لم يعودوا يلاحظونه[351].

تطبيع العزلة: قد يصبح التواصل الرقمي بديلاً عن التواصل الواقعي، فتغدو مشاعر الوحدة أقل وضوحًا لأنها مموهة بكثرة التفاعلات السطحية. وقد أشارت تيركل إلى أن قضاء وقت طويل على الشاشات يغيّر أنماط علاقاتنا بالآخرين[352].

تطبيع الاستهلاك السطحي: قد يصبح الاعتماد على الملخصات والمقاطع القصيرة لفهم المعرفة المعقدة هو الوضع الطبيعي، فلا يُلاحظ تراجع العمق المعرفي. وقد أشار بودين وروبنسون إلى أن المشكلة الحقيقية في العصر الرقمي ليست نقص المعلومات، بل فائضها الذي يجعل معرفة ما هو مهم حقًا أكثر صعوبة[353].

وإذا صحّت هذه الأنماط، فإنها قد تشكّل معًا «مناعة زائفة»: يشعر الفرد أنه يتكيف مع البيئة الرقمية، بينما قد يخسر جزءًا من قدراته المعرفية والنفسية دون أن يشعر. وقد أشار باومان إلى أن عالم السيولة يجعل كل شيء مؤقتًا وقابلاً للاستبدال، والإنسان السائل -بلا ثوابت ولا ولاءات- أسهل في الاستغلال[354].

---

[348] Lazarus, R. S., & Folkman, S. (1984). Stress, appraisal, and coping. New York: Springer.

[349] Carr, N. (2010). The shallows: What the Internet is doing to our brains. New York: W. W. Norton & Company.

[350] Hari (2022)، المرجع السابق.

[351] Turkle, S. (2011). Alone together: Why we expect more from technology and less from each other. New York: Basic Books.

[352] Bawden, D., & Robinson, L. (2009). The dark side of information: Overload, anxiety and other paradoxes and pathologies. Journal of Information Science, 35(2), 180–191.

[353] Bauman, Z. (2005). Liquid life. Cambridge: Polity Press.

[354] Kahneman, D. (2011). Thinking, fast and slow. New York: Farrar, Straus and Giroux.

ثالثًا: مؤشرات بديلة مقترحة لقياس الضرر غير المحسوس

إذا كانت الآثار السلبية المباشرة قد لا تكون محسوسة بالكامل، فإن قياسها يتطلب مؤشرات غير مباشرة. ويُقترح لذلك ثلاثة مؤشرات بديلة للبحوث اللاحقة:

تراجع الإنتاجية الذاتية (Self-Perceived Productivity): سؤال غير مباشر عن مدى شعور الفرد بأنه أنجز ما خطط له في يومه.

إرهاق اتخاذ القرار (Decision Fatigue): الشعور بالإرهاق عند اتخاذ القرارات اليومية البسيطة. وقد أشار كانيمان إلى أن الجهد الذهني مورد محدود، وأن استنزافه في قرارات صغيرة متكررة قد يضعف القدرة على القرارات المهمة[355].

تراجع القراءة العميقة (Decline in Deep Reading): مقياس للعمق المعرفي، يتناول القدرة على قراءة النصوص الطويلة والتركيز فيها. وقد أشار كار إلى أن القراءة الطويلة والعميقة تمرين للدماغ على التركيز والتفكير الخطي، وأن التوقف عن ممارستها يؤدي إلى فقدان هذه القدرة تدريجيًا[356].

ولم تتضمن أداة هذه الدراسة فقرات تقيس هذه المؤشرات بصورة مستقلة، ولذلك تُطرح بوصفها مقترحات لأداة قياس مستقبلية.

رابعا: التوجيهات العملية

بناءً على هذه القراءة، يمكن اقتراح ثلاث توصيات عملية:

إعادة تعريف الصحة الرقمية: بحيث تتجاوز برامج الصحة الرقمية الأسئلة التقليدية عن القلق والاكتئاب إلى قياس الإنتاجية والتركيز والقدرة على اتخاذ القرارات. وقد عرّفت منظمة الصحة العالمية الصحة الرقمية تعريفًا يتجاوز غياب الأعراض إلى توظيف التكنولوجيا بوعي وفاعلية في تحسين الحياة[357].

برامج إعادة الإحساس بالوقت: يمكن تصميم تطبيقات وتحديات تشجع الشباب على قضاء فترات دون شاشات، مع تتبع تأثير ذلك على إنجاز المهام اليومية، لإعادة ربطهم بالإحساس بالزمن الحقيقي. ويرى هاري أن الانقطاع الرقمي قد يساعد على إعادة برمجة توقعات الدماغ للمكافآت[358].

مقاييس العمق المعرفي في المؤسسات التعليمية: يمكن للمدارس والجامعات أن تدمج اختبارات قصيرة لقياس قدرة الطلاب على القراءة المتعمقة والتحليل النقدي، جزءًا من تقييم الصحة الرقمية، لا التحصيل الدراشي فقط[359].

المبحث الثالث: التعليم والتعرض الرقمي - اختبار فرضية «اللقاح المعرفي»

أولًا: إعادة صياغة العلاقة بين التعليم والمناعة

لم يُظهر الفصل الثالث فروقًا دالة بين المستويات التعليمية في أي محور. وتذهب هذه القراءة إلى سؤال أدق: هل يُعدِّل المستوى التعليمي العلاقة بين التعرض الرقمي (ساعات الاستخدام) وإدراك هندسة الهوية (المحور الرابع)؟ وبعبارة أخرى: هل يؤدي التعليم دورًا وقائيًا يحمي صاحبه من التأثير الخوارزمي حتى لو تعرض لقدر مماثل من المحتوى؟

---

[355] Carr (2010)، المرجع السابق.

[356] World Health Organization. (2021). Global strategy on digital health 2020–2025. Geneva: WHO.

[357] Hari (2022)، المرجع السابق.

[358] UNESCO. (2021). Media and information literate citizens: Think critically, click wisely! Paris: UNESCO.

[359] Field (2018)، المرجع السابق، في شأن تحليل التفاعل والأثر المُعدِّل.

ولاختبار ذلك أُجري انحدار خطي يضم ساعات الاستخدام والمستوى التعليمي وحد التفاعل بينهما (ن = 164)، وجاء حد التفاعل غير دال (F(2، 158) = 0.64، p = 0.529). ويعرض الجدول الآتي ميل ساعات الاستخدام داخل كل مستوى تعليمي:

جدول (2-4): أثر ساعات الاستخدام في محور هندسة الهوية حسب المستوى التعليمي

المستوى التعليمي	العدد	ميل ساعات الاستخدام (B)	قيمة الاحتمال
ثانوي	19	0.026	0.663
جامعي	101	0.024	0.419
دراسات عليا	44	0.084	0.078

ملاحظة منهجية: الميل (B) غير معياري، ويعبر عن التغير في متوسط المحور الرابع (على مقياس 1–4) مع كل ساعة استخدام إضافية تقريبًا.

وتشير هذه النتائج إلى أن ساعات الاستخدام لا ترتبط بإدراك تأثير المنصات في الهوية في أي مستوى تعليمي، وأن الفروق بين الميول الثلاثة صغيرة وغير دالة. فالبيانات لا تدعم فرضية أن التعليم العالي يُضعف أثر التعرض الرقمي، كما لم تُظهر فروقًا في المحاور نفسها بين المستويات التعليمية[360]. ويُراعى أن فئة الثانوي صغيرة (19 مشاركًا)، وأن العينة لا تضم من هم دون الثانوي، فمدى التعليم فيها ضيق.

ولا تنفي هذه النتيجة الصفرية الأطروحة التي ترى أن التعليم القائم على التفكير النقدي يزوّد صاحبه بأدوات تجعله أقل عرضة للتأثير الموجِّه، لكنها تنقل الاستدلال عليها من بيانات هذه الدراسة إلى الأدبيات. وقد أشار الجابري إلى أن العقل الناقد هو الذي لا يقبل المعلومات دون تمحيص، وأن هذا النوع من العقل يتكون بالتعليم الذي يركز على التفكير النقدي لا على الحفظ والتلقين[361]. والفرق بين الأمرين جوهري: فالتعليم النقدي شيء، وسنوات الدراسة شيء آخر.

ثانيًا: آليات «اللقاح المعرفي» بوصفها فرضيات نظرية

تبقى الآليات الثلاث الآتية فرضيات نظرية لم تختبرها هذه البيانات، ويمكن أن توجّه دراسات تجريبية لاحقة تقيس مهارات التفكير النقدي مباشرة بدل الاكتفاء بالمستوى التعليمي:

تتمثل الآلية الأولى في تنمية الشك المنهجي (Methodical Doubt)، كما ورد في الفصل الثاني عند مناقشة ديكارت؛ فالتعليم العالي يعوّد الفرد عدم قبول المعلومات بوصفها حقائق مسلّمًا بها، بل اختبارها بالأدلة والمنطق، مما يجعله أقل عرضة لاستراتيجيات التضليل التي تعتمد على التكرار العاطفي. وقد عدّ ديكارت الشك المنهجي طريقًا إلى اليقين، لأنه ينقي العقل من الأفكار المسبقة والأحكام المترسخة[362].

وتتمثل الآلية الثانية في بناء المرونة المعرفية (Cognitive Flexibility)، أي القدرة على رؤية القضايا من زوايا متعددة، مما يجعل الفرد أقل عرضة للتأطير الثنائي (إما/أو) الذي قد تعززه الخوارزميات لخلق الاستقطاب. وقد أظهرت دراسات الوظائف التنفيذية أن المرونة المعرفية - بوصفها القدرة على تحويل الانتباه بين المهام والأفكار المختلفة- مهارة قابلة للتنمية[363].

وتتمثل الآلية الثالثة في الوعي باقتصاد الانتباه (Attention Economy Awareness)؛ فأصحاب الدراسات العليا، ولا سيما في المجالات الإنسانية والاجتماعية، قد يكونون أكثر وعيًا بآليات استغلال الانتباه، مما يجعلهم أكثر مقاومة لتصميم المنصات الذي يهدف إلى اختطاف وقتهم. وقد أشار وو إلى أن

---

[360] الجابري، محمد عابد (1984). تكوين العقل العربي (نقد العقل العربي 1). بيروت: المركز الثقافي العربي.

[361] Descartes, R. (1996). Meditations on first philosophy (J. Cottingham, Trans.). Cambridge: Cambridge University Press.

[362] Diamond, A. (2013). Executive functions. Annual Review of Psychology, 64, 135–168.

[363] Wu, T. (2016). The attention merchants: The epic scramble to get inside our heads. New York: Knopf.

اقتصاد الانتباه يخلق سباقًا نحو القاع، يفوز فيه من يقدم المحتوى الأكثر إثارة، وأن الوعي بهذه الآلية خطوة أولى نحو مقاومتها[364].

ثالثًا: الآثار العملية - من التعليم العالي إلى التعليم الوقائي

ومع أن البيانات لم تسند الأثر الوقائي للتعليم، فإن الأدبيات تسوّغ التوجيهات الآتية، على أن تُقوِّم بدراسات تدخلية:

أولًا: يمكن النظر إلى التعليم، إلى جانب كونه استثمارًا اقتصاديًا، بوصفه استثمارًا في الأمن الفكري، بما يدعم إدراج مهارات التفكير النقدي ضمن استراتيجيات الأمن المجتمعي. وقد أشار تقرير المخاطر العالمية إلى أن التضليل من أخطر المخاطر قصيرة المدى، مما يعزز أهمية الاستثمار في القدرات الذاتية للمواطنين[365].

ثانيا: إدخال التفكير النقدي في المناهج الثانوية بوصفه خط دفاع مبكرًا؛ فبدلاً من انتظار الجامعة، يمكن أن تبدأ مهارات التفكير النقدي والوعي الخوارزمي في المرحلة الثانوية، لأنها خط الدفاع الأول قبل أن يتعرض الشاب لتدفق معلوماتي مكثف في الجامعة أو سوق العمل. وتؤكد اليونسكو أهمية البدء المبكر في تعليم مهارات التفكير النقدي ضمن برامج التربية الإعلامية والمعلوماتية[366].

ثالثً1ا: تصميم برامج محو الأمية الخوارزمية (Algorithmic Literacy) للفئات الأقل حظًا من التعليم، تستهدف عبر قنوات غير أكاديمية (مراكز الشباب، والنقابات، والمنصات الإلكترونية). وقد أشارت هوبز إلى أن محو الأمية الإعلامية لا ينبغي أن يقتصر على المؤسسات التعليمية الرسمية، بل يجب أن يصل إلى جميع فئات المجتمع عبر قنوات متعددة[367].

رابعا: ربط الوعي الخوارزمي بمعايير التوظيف والترقية، بحيث يمكن للمؤسسات الحكومية والخاصة أن تدرج مهارات المواطنة الرقمية ضمن معايير التوظيف والتدريب، مما يحفز الأفراد على اكتسابها.

المبحث الرابع: الفروق بين الأجيال الرقمية

أولًا: إعادة تعريف الأجيال وفقا للخبرة الرقمية

قُسِّمت العينة في الفصل الثالث حسب الفئات العمرية التقليدية (18–25، و26–35، و36–45، و 46–55، و56 فأكثر). وتعيد هذه القراءة تجميع الأفراد وفقًا لمعيار أكثر دلالة: مرحلة التبني الرقمي (Digital Adoption Stage)، فتميزّ بين أربعة أجيال رقمية:

الجيل الرقمي الأصلي (18–25 – Digital Natives): الفئة التي نشأت في بيئة رقمية متكاملة (24 مشاركًا). وقد أشار برينسكي إلى أن هذا الجيل نشأ مع التكنولوجيا الرقمية ويتحدث لغتها كلغة أم، لكن هذا لا يعني بالضرورة أنه يفهم آليات عملها أو يعرف كيف يحمي نفسه منها[368].

جيل الطليعة الرقمية (26–35 – Digital Vanguard): الفئة التي انتقلت إلى الفضاء الرقمي في مرحلة المراهقة المتأخرة. ولم تتح هذه العينة دراستها منفردة، إذ لم يتجاوز عددها (12) مشاركًا، فدُمجت مع الفئة السابقة في فئة الشباب (18–35).

جيل المهاجر الرقمي (36–55 – Digital Immigrants): الفئة التي تعلمت الفضاء الرقمي في مرحلة البلوغ (55 مشاركًا)، وقد سجلت أعلى متوسط في محور المقاومة (2.76). وقد أشار برينسكي إلى أن المهاجر الرقمي يحتفظ بـ«لكنته القديمة» في التعامل مع التكنولوجيا[369].

---

[364] World Economic Forum. (2024). The global risks report 2024. Geneva: World Economic Forum.

[365] UNESCO (2021)، المرجع السابق.

[366] Hobbs, R. (2021). Media literacy in action: Questioning the media. Lanham, MD: Rowman & Littlefield.

[367] Prensky, M. (2001). Digital natives, digital immigrants. On the Horizon, 9(5), 1–6.

[368] Prensky (2001)، المرجع السابق.

[369] Castells, M. (2010). The power of identity (2nd ed.). Oxford: Wiley-Blackwell.

جيل المتفرج الرقمي (56 فأكثر – Digital Observers): الفئة الأكبر في هذه العينة (74 مشاركًا)، وقد جاءت مقاومتها (2.72) قريبة من مقاومة جيل المهاجرين، وتصرفاتها الوقائية الأعلى بين الفئات (3.00) دون دلالة إحصائية.

وتجدر الإشارة إلى أن تحليل التباين بصيغة ولش لم يُظهر فرقًا دالًا بين الفئات العمرية إلا في محور المقاومة: فالشباب (18–35) أقل مقاومة لتشكيل الهوية وتسليع المعرفة (2.45) من الكهول (2.76) ومن تجاوزوا السادسة والخمسين (2.72)، بحجم أثر صغير ($\eta^2 = 0.037$). ويميل الشباب كذلك إلى الإبلاغ عن تعرض أعلى للمخاطر (2.90 مقابل 2.66) دون أن يبلغ ذلك الدلالة ($p = 0.063$).

ويوحي هذا النمط بأن الجيل الأكثر اندماجًا في الفضاء الرقمي هو الأقل مقاومة لمحاولات تشكيل هويته، وإن كان الأكثر إحساسًا بالمخاطر؛ فالإدراك لا يكفي، والخبرة الحياتية قد تمنح الأجيال الأكبر حدودًا أوضح في التعامل مع المنصات. وقد أشار كاستلز إلى أن عصر المعلومات شهد صعودًا متزامنًا للعولمة والهويات الضيقة بوصفها ردّ فعل على فقدان الأمان في عالم متغير[370].

ثانيا: نموذج القيادة التبادلية بين الأجيال

انطلاقًا من هذا النمط، يُقترح نموذج للتعاون بين الأجيال يقوم على التبادل المعرفي (Cognitive Exchange): إذ تنقل الأجيال الأكبر إلى الشباب ما تمارسه من حدود واعية في التعامل مع المنصات (ضبط الوقت، ورفض الاستهلاك الموجّه، والحفاظ على النشاط الاجتماعي الواقعي)، وتنقل إليهم الثوابت الثقافية والقيمية (الهوية، والقيم، والتمييز بين الجوهر والعرض)؛ في حين ينقل الشباب إلى الأجيال الأكبر فهم لغة المنصات الجديدة وآلياتها الخفية وأدواتها التقنية[371].

ويسعى هذا التبادل إلى تحقيق ثلاثة أهداف: تعزيز مناعة الجيل الأصلي، وتحديث مهارات الجيل الأكبر، وبناء جسور تواصل بين الأجيال تقوي التماسك الأسري والاجتماعي. وتؤكد رؤية قطر الوطنية 2030 أهمية بناء مجتمع متماسك يقوم على التواصل بين الأجيال والاستفادة المتبادلة من خبراتها[372].

ثالثًا: الآليات العملية لتفعيل النموذج

يمكن تفعيل هذا النموذج من خلال ثلاث آليات: أولاها برامج الإرشاد العكسي (Reverse Mentoring) في المؤسسات ومؤسسات المجتمع المدني، حيث تُخصص برامج يلتقي فيها شباب من الجيل الرقمي الأصلي مع أشخاص من الأجيال الأكبر، في جلسات منتظمة لتبادل المعرفة؛ وثانيتها مسابقات «تحدي المناعة بين الأجيال» التي تجمع فرقًا مختلطة الأجيال تتنافس في حل مشكلات رقمية (كشف تضليل، وتصميم حملة توعوية، وإنتاج محتوى هادف)، بما يعزز التعاون والتعلم المتبادل. فالمناظرة تدرّب العقل على التفكير المنظم واحترام الرأي الآخر؛ وثالثتها منصات الحوار الرقمي العائلي، بتصميم تطبيقات أو قنوات مخصصة للحوار الأسري حول قضايا المناعة الرقمية[373].

المبحث الخامس: الفروق الجغرافية في الوعي الرقمي

أولًا: من الفروق الإحصائية إلى الدلالات السياسية

أظهرت نتائج الفصل الثالث فرقًا دالًا بين المشاركين من مصر ومن غيرها في المحور الأول (المخاطر المعلوماتية) فقط؛ إذ يُبلغ المشاركون من مصر عن تعرض أكبر للمخاطر (2.81 مقابل 2.60، $p = 0.047$). ولم تسمح أعداد المشاركين من الدول الأخرى بالمقارنة بين الدول منفردة، فقد جاء من قطر (6) مشاركين ومن السعودية (5)، ومن بقية الدول أقل من ذلك.

وجُمع المشاركون من غير مصر (44 مشاركًا) في مجموعة واحدة غير متجانسة تضم دولًا خليجية ومغاربية ومشرقية وفئة «دول أخرى»، ولذلك لا تُنسب الفروق إلى سياق وطني بعينه[374].

---

[370] (Turkle، 2011)، المرجع السابق.

[371] الأمانة العامة للتخطيط التنموي – دولة قطر (2008). رؤية قطر الوطنية 2030. الدوحة.

[372] (Turkle، 2011)، المرجع السابق.

[373] (Field، 2018)، المرجع السابق.

وينبغي في تفسير هذه النتيجة استحضار أن فقرات المحور الأول تقيس التعرض للمخاطر والإحساس بها، لا القدرة على مواجهتها؛ فارتفاع متوسط المشاركين من مصر في هذا المحور قد يعكس تعرضًا أكبر لها، أو حساسية أعلى تجاهها، أو كليهما. كما أن الفروق لم تظهر في محوري التصرفات الوقائية والمقاومة، مما يعني أن السلوكيات الوقائية متقاربة بين المجموعتين.

ثانيا: حدود تفسير الفروق الجغرافية

لا تسمح البيانات الميدانية باختبار أثر السياسات الوطنية في الوعي بالمخاطر؛ فالمقارنة تقتصر على مصر في مقابل مجموعة مختلطة، والمشاركون من مصر قد يختلفون عن غيرهم في خصائص أخرى (العمر، أو المستوى التعليمي، أو كثافة الاستخدام) لم تُضبط إحصائيًا. ومن ثم تبقى قراءة الفروق الجغرافية في ضوء السياسات الإعلامية والتعليمية -كالاستثمار في التربية الإعلامية، ووجود منصات تحقق عربية كمسبار وفتّش، والاهتمام الحكومي بالأمن السيبراني- قراءة مستقاة من الأدبيات والتقارير الرسمية، لا من نتائج هذه الدراسة.

ويقتضي اختبار هذه القراءة دراسة مقارنة بعينات وطنية متكافئة الحجم، تضبط الخصائص الديموغرافية قبل نسبة الفروق إلى السياسات.

ثالثًا: التوصيات العملية للدول الأخرى

انطلاقًا من هذا التحليل، يمكن تقديم توصيات للدول العربية الأخرى، تستند إلى الأدبيات والتجارب الدولية أكثر مما تستند إلى بيانات هذه العينة:

إنشاء مراصد وطنية للمناعة الفكرية تقيس الوعي دوريًا وتصدر تقارير وتقترح سياسات. فوجود هيئات مستقلة لقياس التربية الإعلامية شرط مهم لتطوير سياسات فعالة.

دعم منصات التحقق المحلية بدلاً من الاعتماد على منصات أجنبية، بتمويل منصات عربية مستقلة للتحقق من الأخبار. وقد أشارت دراسات معهد أكسفورد للإنترنت حول الدعاية الحاسوبية إلى أهمية فهم السياق الثقافي واللغوي في مواجهة التضليل[375].

ربط الوعي المعلوماتي بمعايير جودة التعليم، بإدراج مهارات التربية الإعلامية والمعلوماتية ضمن معايير تقييم جودة التعليم في الدول العربية، بما يخلق حافزًا لتطوير المناهج[376].

التعاون الإقليمي لمواجهة التضليل العابر للحدود، بإنشاء شبكة إقليمية لمنصات التحقق، وتبادل الخبرات والتجارب الناجحة، وتنسيق السياسات الإعلامية والتعليمية؛ فالتضليل الإعلامي لا يعترف بالحدود.

خلاصة الفصل الرابع

يخلص هذا الفصل إلى أن البيانات الميدانية للدراسة، على ما فيها من قيود، يمكن أن تُقرأ بوصفها مؤشرات على أنماط وفجوات محتملة يمكن استثمارها في تصميم تدخلات نوعية، شريطة التمييز بين ما تثبته البيانات وما يُطرح بوصفه فرضيات[377].

وقد قدمت القراءات الخمس أطرًا تفسيرية وأسئلة بحثية جديدة وتوصيات عملية، يمكن تلخيصها في إطار عملي يقوم على أربعة محاور:

---

[374] Bradshaw, S., & Howard, P. N. (2019). The global disinformation order: 2019 global inventory of organised social media manipulation. Oxford: Oxford Internet Institute.

[375] UNESCO (2021)، المرجع السابق.

[376] Bawden & Robinson (2009)، المرجع السابق.

[377] Freire, P. (1970). Pedagogy of the oppressed. New York: Herder and Herder.

جدول (3-4): الإطار العملي المقترح للقراءات الخمس

المحور	الهدف	الآليات المقترحة	الفئة المستهدفة
الأول	تحويل الوعي بالمخاطر إلى ممارسة	التدريب بالمحاكاة، وتخفيض كلفة المقاومة، وبناء الوكالة الرقمية	الجميع، فالوعي يتنبأ بالممارسة تنبؤًا ضعيفًا ($r = 0.24$)
الثاني	كشف الآثار الخفية: قياس الأضرار غير المحسوسة	مؤشرات بديلة (الإنتاجية، واتخاذ القرار، والقراءة العميقة) لا تعتمد على التقرير الذاتي وحده	جميع الفئات، خاصة كثيفة الاستخدام
الثالث	تعليم نقدي لا مجرد سنوات دراسة	إدخال التفكير النقدي والوعي الخوارزمي في المناهج، وقياس المهارة لا المستوى التعليمي	طلاب المدارس والجامعات
الرابع	تعزيز مقاومة الجيل الأصلي	برامج الإرشاد التبادلي بين الأجيال، وتدريب تقني على الحماية وحجب التتبع	الشباب (18–35)، الأقل مقاومة في هذه العينة

ولا يكتفي هذا الإطار بتشخيص المشكلة، بل يقترح خارطة طريق لتحويل النتائج إلى سياسات وبرامج قابلة للاختبار، تتحقق بها غاية البحث العلمي: ألا يكون مجرد معرفة، بل أداة للتغيير. وقد أشار فريري إلى أن التحرر الحقيقي لا يأتي من الحماية وحدها، بل من القدرة على إعادة تشكيل العالم[378].

ويؤسس هذا الفصل للفصل الخامس (الآثار السلبية لغياب المناعة الفكرية)، الذي يحلل الأضرار المعرفية والنفسية والاجتماعية، ثم للفصل السادس (العلاقات الاقتصادية السياسية للمخاطر المعلوماتية)، وصولاً إلى الفصل السابع (النموذج العلاجي المقترح). وقد أشار مالك بن نبي إلى أن معرفة الداء نصف الدواء، وأن الجهل بطبيعة المرض يؤدي إلى علاجات خاطئة[379].

[378] بن نبي، مالك (1986). شروط النهضة (ترجمة: عبد الصبور شاهين). دمشق: دار الفكر.

[379] يوسف، سليمان، والفضلي، هدى. 2025 المناعة الفكرية: نحو نموذج عربي تكاملي (نفسي عصبي معرفي مناعي). دراسات في علم الارطوفوبيا وعلم النفس العصبي، المجلد 9 العدد 1 23 ص-/. 48

الفصل الخامس: الآثار السلبية لغياب المناعة الفكرية

تمهيد

يشاهد المرء مشهدا مألوفا يتكرر يوميا في بيوت الشباب العربي: شاب في العشرين من عمره، يجلس في غرفته، هاتفه بين يديه؛ ينتقل بين تطبيق وآخرء يقرأ خبرا عن حرب في أوكرانياء ثم بمرر إلى مقطع تيك توك لمؤثر يرقصء ثم ينتقل إلى صديق يعلن خطوبته، ثم إلى منشور سياشي مشحونء ثم إلى إعلان عن بحميلي، منتج ثم إلى فيديو لقطة صغيرة. في أقل من ساعة، استهلك عشرات الوحدات المعلوماتية، وتنقل بينها بمشاعر متضاربة، وشارك بعضها، وعلق على آخرها. لكن عندما يسأل في تحاية اليوم: ماذا تعلمت؟ ماذا أضاف لك هذا التصفح؟ يحد صعوبة في الإجابة. بل قد يشعر بإرهاق غامضء وقلق لا يوصفء وفراغ وجودي.[380]

هذا المشهد ليس حالة شاذة، بل هو واقع يومي لملايين الشباب العربي. وهو ليس مجرد تشتت أو إدمان، بل هو بداية انهيار منهجي للمناعة الفكرية. فغياب المناعة لا يعني فقط الجهل أو قلة المعرفة، بل هو حالة مرضية تصيب العقل الجمعي، تشبه في خطورتالما يحدث للجسد عندما يفقد جهازه المناعي القدرة على مقاومة الأمراض. وإذا كان الإيدز (نقص المناعة المكتسبة) هو أخطر الأمراض التي تصيب الجهاز المناعي الجسديء, فإن ما يعانيه المجتمع اليوم يمكن وصفه ب. الإيدز الفكري: فقدان المناعة المكتسبة ضد السموم الفكرية التي تغزو الوعي يوميا. وقد أشار إلى هذا التشبيه كل من يوسف والفضلي في دراستهما عن النموذج العربي التكاملي للمناعة الفكرية، حيث أكدا أن الضعف المناعي الفكري ليس مجرد نقص في المعلومات، بل هو خلل في آليات التمييز والدفاع المعرفي.[381]

تشبيه الإيدز الفكري: لماذا اختيار هذا التشبيه؟ لأن الإيدز ليس مرضًا يقتل مباشرة، بل هو مرض يُعطّل الجهاز المناعي، فيصبح الجسد عاجزًا عن مقاومة أي عدوى، حتى لو كانت بسيطة. كذلك فإن غياب المناعة الفكرية لا يعني بالضرورة أن الشاب سيعتنق فكرة متطرفة، لكنه يعني أنه سيصبح عاجزًا عن مقاومة أي فكرة مضللة مهما كانت سخيفة؛ فمثلما يموت مريض الإيدز من برد عادي، ينهار فاقد المناعة الفكرية أمام تضليل بسيط.

هذا التشبيه ليس مجرد بلاغة، بل هو تحذير. فما يراه المرء من انتشار سريع للأخبار الكاذبة، ونظريات المؤامرة، والاستقطاب الحاد، ليس دليلا على ذكاء المضللين، بل دليل على ضعف مناعة المجتمعات. وطاما استمر هذا الضعف، ستستمر العدوى الفكرية في الانتشار. وقد حذر تقرير المنتدى الاقتصادي العالمي من أن التضليل المعلوماتي أصبح من أخطر المخاطر العالمية، إذ صنّفه الأول على المدى القصير (عامين) والخامس على مدى عشر سنوات، وذلك لأن التضليل يقوض الثقة في المؤسسات ويهدم القدرة على العمل الجماعي لمواجهة أي تحد.[382]

هذا الفصل هو تشريح لهذه الحالة المرضية. لن يتوقف عند وصف الأعراض، بل سيتتبع مسار التدهور: كيف يبدأ ضعف المناعة فيؤدي إلى تآكل الفكر؟ كيف يتحول هذا التآكل إلى قابلية للاستهواء؟ كيف تتحول القابلية للاستهواء إلى قلق وإرهاق وتفتت للذات؟ كيف يؤدي هذا التفتت إلى استقطاب اجتماعي وهدم للثوابت؟ وأخيرا، كيف تصل الحالة إلى مرحلة اختطاف الإرادة الحرة وتحويل الهوية إلى سلاح قاتل؟.[383]

هذا المسار ليس خطياء بل هو حلقة مفرغة: فالضعف المعرفقي يؤدي إلى القلق، والقلق يزيد من التعلق بالشاشات، والتعلق بالشاشات يزيد من الضعف المعرفي. لكن يمكن تحليل كل حلقة على حدة لفهم كيف تعمل، وكيف يمكن كسرها. هذا التحليل هو الشرط الأول لأي علاج، وسيكون أساسا للنموذج العالجي الذي سيتم تقديمه في الفصل السادس. وقد أشار ابن خلدون في مقدمته إلى أن معرفة الداء نصف الدواء، وأن الجهل بطبيعة المرض يؤدي إلى علاجات خاطئة تزيد الحالة سوءا.[384]

---

[380] يوسف والفضلي، المناعة الفكرية، ص 37

[381] World Economic Forum (WEF). (2024). The global risks report 2024. Geneva: WEF, p. 34.

[382] بكار، عبد الكريم. (2008). المناعة الفكرية. الرياض: مؤسسة الإسلام اليوم، ص 45.

[383] ابن خلدون, عبد الرحمن. 2000 مقدمة ابن خلدون (تحقيق: عبد الله محمد الدرويش). دمشق: دار يعرب، ط)، 1 ص. 85

[384] المسيري، عبد الوهاب2008 العالم من منظور غربي (الجزء الأول: الأسس النظرية). القاهرة: دار الشروق، 112 ص-. 115

وتمتد هذه الآثار لتشمل خمسة مستويات رئيسة: المستوى المعرفي (تآكل السيادة العقلية وسيولة اليقين، وضعف الذاكرة العاملة، وتراجع التفكير النقدي). والمستوى النفسي (القلق المعلوماتي، والاكتئاب الرقمي، والإرهاق الرقمي، والتعب التعاطفي)، والمستوى السلوكي (الإدمان الرقمي، والتنقل القهري، والاستهلاك السلبي، وتفتت الأنا)، والمستوى الاجتماعي (الاستقطاب الحاد، وتآكل رأس المال الاجتماعي، وسيكولوجية القطيع الرقمي، وهدم الثوابت)، والمستوى الوجودي (اختصار الإرادة الحرة، والهويات القاتلة، وتسليع الوعي). وقد تم توزيع هذه المستويات على أربعة مباحث رئيسة، يسبقها هذا التمهيد وتليها خاتمة شاملة للفصل.[385]

المبحث الأول: الآثار المعرفية والاضطراب الذهني

أولا0: تاكل السيادة العقلية وسيولة اليقين

قبل خمسة عشر عاما، كان بإمكان شاب أن يقرأ كتابا من تي صفحة في جلسة واحدة. كان بإمكانه أن يتابع حجة معقدة من البداية إلى النهاية، أن يبني في ذهنه خريطة معرفية متماسكة، أن يصل إلى قناعات مستقرة. اليوم، كثير من الشباب يجدون صعوبة في قراءة مقال من صفحتين دون أن تشتت انتباههم إشعارات الماتف أو الرغبة في تفقد التطبيقات. ليس لأنهم أقل ذكاء، بل لأن أدمغتهم أعيدت برمجتها. وقد أظهرت دراسة لوه وكاناي أن التعدد الإعلامي المفرط media multi-tasking يرتبط با نخفاض كثافة المادة الرمادية في التلفيف الحزامي الأمامي an terior cingulate cortex وهي المنطقة المسؤولة عن التحكم المعرفي والتنظيم العاطفي.[386]

يشهد هذا التحول كل فرد في نفسه والمتغيرات التي طرأت عليه تدريجيا. قبل سنوات، كانت القراءة ممكنة لساعات متواصلة. اليوم، فترات التوقف كل بضع دقائق تتبع الجميع ليتفقدوا هواتفهم، حتى عندما لا تكون هناك إشعارات. هذا ليس ضعف إرادة، بل هو إعادة برمجة عصبية. فكما أن العضلات تنكيف مع التمارين التي نمارسهاء فإن الدماغ يتكيف مع الأنشطة التي نقوم بما. والإنترنت، كما يستخدمه معظم الشباب، هو تمرين يومي في التشتت. وقد وثق كار هذه الظاهرة في كتابه (السطحي) The Shallows حيث أشار إلى أن الدماغ البشري ليس مصمما للقيام بمهام بهذا الشكل؛ فكل مرة ينتقل فيها بين المهام، يدفع فنا معرفيا يسمى تكلفة التبديل switching cost وهي تتراكم مع الوقت وتؤدي إلى استنزاف القدرات العقلية.[387]

يشرح نيكولاس كار، في كتابه (السطحي)،؛ هذه العملية بتفصيل مذهل. فالدماغ البشري، بفضل خاصية الليونة العصبية Neuroplasticity يعيد تشكيل نفسه باستمرار بناء على التجارب التي يمر بما. فالإنسان الذي يقضي ساعات في التمرير السريع، والتنقل بين التطبيقات، وتلقي الإشعارات المتقطعة، يضعف لديه تدريجيا المسارات العصبية المرتبطة بالتركيز العميق والتفكير الخطي، بينما تقوى لديه المسارات المرتبطة بالاستجابة السريعة للمثيرات المتقطعة.[388] هذه العملية ليست اختيارية، بل هي استجابة تلقائية للبيئة. فالدماغ، مثل أي نظام معقد، يتكيف ليكون أكثر كفاءة في التعامل مع المهام التي يمارسها بشكل متكرر. إذا كانت الممارسة اليومية هي التشتت، يصبح الدماغ خبيرا في التشتت. وإذا كانت الممارسة اليومية هي التركيز العميق، يصبح الدماغ خبيرا في التركيز العميق.

يصف كار هذه العملية بأنها تحول العقل من مصفاة إلى قمع. في الحالة الطبيعية، يعمل العقل كمصفاة: يسمح بمرور المعلومات المفيدة ويمنع دخول المعلومات الضارة أو المشتتة. هذه هي وظيفة المناعة الفكرية عندما تعطل هذه الوظيفة، يصبح العقل كالقمع: يمر عبره كل شيء دون تمييز، فيختلط الغث بالسمين، والحق بالباطل، والمهم بالتافه. وقد أشار بودين وروبنسون إلى أن هذه الحالة تعرف في الأدبيات المعرفية بـ.العمى المعلوماتي information blindness حيث يصبح الفرد غير قادر على

---

[385] Loh, K., & Kanai, R. (2014). Higher media multi-tasking activity is associated with smaller gray-matter density in the anterior cingulate cortex. PLoS ONE, 9(9), e106698, p. 4.

[386] Carr, N. (2010). The shallows: What the Internet is doing to our brains. New York: W.W. Norton &.p. !(كزكا) 133 ,Company

[387] Carr, The shallows, p. 133.

[388] Bawden, D., & Robinson, L. (2009). The dark side of information: overload, anxiety and other paradoxes and pathologies. Journal of Information Science, 35(2), p. 184.

التمييز بين المعلومات ذات القيمة والمعلومات التافهة، فيستهلك كل شيء بنفس الدرجة من الاهتمام السطحي.[389]

هذا التحول له ثلاثة مظاهر رئيسة، يمكن رصدها في سلوك الشباب اليومي. يتمثل المظهر الأول في ضعف البوابات الانتباهية Attentional Gates ففي الدماغ السليم، هناك مناطق مسؤولة عن تصفيةا محفزات غير المهمة. عندما تكون هذه البوابات قوية، يستطيع الفرد التركيز على مهمة واحدة رغم وجود مشتقات. عندما تضعف، يصبح كل إشعار، كل صوت، كل إعلان قادرا على اختراق الانتباه. وقد أظهرت تجارب علم الأعصاب أن الأفراد الذين يمارسون التعدد الإعلامي بشكل مفرط تظهر لديهم نشاطا أقل في قشرة الفص الجبهي prefrontal cortex عند محاولة تثبيط المشتقات، ما يعني أن قدرتهم على التحكم في الانتباه ضعيفة فعليا.[390] وهذا الضعف في البوابات الانتباهية يجعل الشاب أقل قدرة على مقاومة المعلومات المضللة، لأنه لا يملك الوقت أو الطاقة للتفكير النقدي، وأكثر عرضة للإدمان الرقمي، لأنه يفقد القدرة على ضبط سلوكه.

ويتمثل المظهر الثاني في ضعف الذاكرة العاملة Working Memory وهي المسؤولة عن الاحتفاظ بالمعلومات المؤقتة أثناء معالجتها. عندما ينتقل الفرد بين المهام بسرعة، يضغط على هذه الذاكرة، فتضعف. والنتيجة: نسيان ما كان يفعله، والضياع في منتصف الجمل، وفتح تطبيق ثم نسيان لماذا فتحه. وقد أشار كاينمان إلى أن الذاكرة العاملة لا تتسع لأكثر من أربعة إلى سبعة عناصر في أي لحظة، وعندما تنتقل بين مهام متعددة تفقد القدرة على الاحتفاظ بأي منها بشكل كاف[391] هذا الضعف الذاكرة العاملة يمنع الشاب من بناء رؤية كونية متماسكة, لأن بناء رؤية كونية يتطلب وقتا للتأمل، وجهدا للربط بين المعلومات، وقدرة على التحمل للوصول إلى استنتاجات. وقد أشار فلوريدي إلى أن بناء الهوية المعلوماتية يتطلب استمرارية زمنية وتماسكا سردياء وهما أول ما يضعفان في بيئة التشتت الدائم.[392]

ويتمثل المظهر الثالث في ضعف التحكم التنفيذي Executive Control وهو قدرة الدماغ على تثبيط الاستجابات غير المناسبة، وتنظيم السلوك نحو الأهداف. عندما يضعف، يصبح الفرد أكثر اندفاعاء وأقل قدرة على مقاومة الإغراءات، وأكثر عرضة للإدمان الرقمي. وقد أظهرت دراسة برزيبيلسكي وونشتاين أن المراهقين الذين يقضون أكثر من أربع ساعات يوميا على وسائل التواصل يعانون من ضعف ملحوظ في التحكم التنفيذي مقارنة بأقراتهم الذين يقضون ساعة أو أقل.[393]

يظهر هذا التحول العصبي في السلوك اليومي بشكل واضح. فالشاب الذي كان قادرا على التركيز لساعات أصبح الآن يجد نفسه يفتح هاتفه كل بضع دقائق دون سبب واضح. يبدأ في قراءة مقال، ثم ينتقل إلى فيديو، ثم يفتح تطبيق ألعاب، ثم يعود إلى المقال، لكنه لا يكمل أي منها. هذه الحالة تعرف ب.تشتت الانتباه المزمن Chronic Attention Fragmentation وهي تمنع الشاب من بناء رؤية كونية متماسكة (Worldview)(Coherent فبناء رؤية كونية يتطلب وقتا للتأمل، وجهدا للربط بين المعلومات، وقدرة على التتحمل للوصول إلى استنتاجات. وعندما يعيش الشاب في لحظية رقمية دائمة، يصبح غير قادر على هذا النوع من البناء المعرفي. وقد أشار فلوريدي إلى أن بناء الهوية المعلوماتية يتطلب استمرارية زمنية وتماسكا سردياء وهما أول ما يضعفان قي بيئة التشتت الدائم.[394]

يقدم ابن خلدون، في مقدمته؛ عميقا لعلاقة الوعي الجمعي بقدرة الأمة على البقاء. يرى أن سقوط الأمم لا يبدأ بضعف الجيوش، بل بضعف العصبية، وهو التماسك الاجتماعي الذي يربط أفراد المجتمع ببعضهم البعض. وهذا التماسك يبدأ في التآكل حين يفقد الأفراد القدرة على الاتفاق على حقائق أساسية، وحين تصبح الحقيقة نسبية تتغير حسب المزاج والهوى. فالأمة التي يفقد أفرادها القدرة على التمييز بين الحق والباطل تصبح فريسة سهلة لأي قوة خارجية. وقد قال ابن خلدون: إذا فسدت العصبية

---

[389] Loh & Kanai, Higher media multi-tasking activity, p. 4.

[390] Kahneman, D. (2011). Thinking, fast and slow. New York: Farrar, Straus and Giroux, p. 85.

[391] Floridi, L. (2014). The fourth revolution: How the infosphere is reshaping human reality. Oxford: Oxford University Press, p. 70.

[392] Przybylski, A., & Weinstein, N. (2017). A large-scale test of the goldilocks hypothesis. Psychological Science, 204. 28(2), p.

[393] Floridi, The fourth revolution, p. 70.

[394] ابن خلدون، المقدمة، ص 92

فسدت الدولة، وإذا فسدت الدولة فلا قيام للأمة.[395] وهذا الفساد المعرفي هو ما يراه المرء اليوم في صورة سيولة اليقين التي تصيب الشباب.

إذا تم إسقاط ذلك على الواقع الحالي، سيكون ما يراه المرء اليوم هو تآكل التماسك على مستوى أسرع وأوسع. فبدلا من أن تكون هناك حقيقة مرجعية، أصبح هناك آلاف الحقائق المتضاربة، كل منها مدعوم بمجموعة من الأدلة المتقنة. هذا هو جوهر سيولة اليقين Fluidity of Certainty حيث لا شيء ثابت، ولا شيء يقيني، وكل معلومة يمكن دحضها بمعلومة أخرى في غضون ساعات. وقد أشار باومان في الحياة السائلة (Liquid Life) إلى أن الحداثة السائلة تذيب كل الثوابت، وتحول الإنسان إلى كائن لا يجد أرضا ثابتة يقف عم[396]

في هذا السياق، تصبح رؤية قطر 2030 التي تهدف إلى بناء إنسان قطري قادر على الإبداع والابتكار، في مواجهة تحد حقيقي. فالإنسان القادر على الإبداع يحتاج إلى عقل قادر على التركيز العميق والتفكيرا مستمر. فاقد السيادة العقلية يمكنه لا أن بدع، لأنه لا يستطيع أن يغبت يقبت على فكرة واحدة لفترة كافية لتطويرها. الابتكار يتطلب تأملاء والتأمل يتطلب وقتا وهدوءاء وهما أول ما يضحي بمما الشاب في بيئة الإغراق المعلوماتي. وقد أشارت الاستراتيجية الوطنية الثالثة للتنمية إلى أن تنمية رأس المال البشري تتطلب بيئة تعليمية وإعلامية تعزز التركيز والتفكير النقدي، وهما ما يهددهما غياب المناعة الفكرية بشكل مباشر.[397]

ثانيا: ضعف الذاكرة العاملة والذاكرة طويلة المدى

يعتمد الإنسان المعاصر بشكل متزايد على محركات البحث والتخزين السحابي لحفظ المعلومات بدلا من ذاكرته العضوية. هذه الظاهرة، التي يطلق عليها بعض الباحثين اسم النسيان الرقمي أو تأثير جوجل (Google effect) تؤدي إلى تآكل القدرات الطبيعية للذاكرة البشرية، وتحول الإنسان إلى مجرد واجهة بين الأسئلة التي يطرحها والإجابات التي يبحث عنها. وقد أظهرت الدراسات أن الأفراد الذين يعتمدون بشكل كبير على مركات البحث يكونون أقل قدرة على تذكر المعلومات التي عثروا عليها، لأن أدمغتهم تعتبر أن المعلومات متاحة خارجياء ولا داعي لتخزينها داخليا.[398]

وقد أشار هراري في كتابه 21 درسا للقرن الحادي والعشرين) إلى أن الذاكرة البشرية ليست مجرد خزان للمعلومات، بل هي أداة لبناء المعرفة. فعندما نعتمد على التخزين الخارجي، نفقد القدرة على ربط المعلومات بعضها ببعض، واستخلاص استنتاجات جديدة، وبناء فهم أعمق للعالم.[399] وقد أظهرت تجارب علم الأعصاب أن استخدام مركات البحث يغير طريقة عمل الدماغ، حيث يقلل من النشاط في مناطق الذاكرة طويلة المدى, ويزيد من النشاط في مناطق معالجة المعلومات اللحظية. هذا يعني أن الدماغ يتكيف مع نمط الاستخدام الجديد، ويصبح أقل كفاءة في التذكر وأكثر كفاءة في البحث.[400]

هذا الضعف في الذاكرة له تأثيران رئيسان على المناعة الفكرية. يتمثل التأثير الأول في ضعف القدرة على بناء المعرفة، فالذاكرة ليست مجرد خزان للمعلومات، بل هي أداة لبناء المعرفة. فعندما يقرأ الفرد معلومة ويخزتما في ذاكرته، يصبح قادرا على ربطها بمعلومات أخرى؛ واستخلاص استنتاجات جديدة، وبناء فهم أعمق للعالم. وعندما يعتمد على تركات البحث لحفظ المعلومات، يفقد هذه القدرة على الربط والبناء، وتصبح معلوماته جرد أجزاء منفصلة لا تشكل كلا متماسكا. وقد أشار كار إلى أن الذاكرة ليست مجرد متخزين، بل هي عملية نشطة لإعادة بناء المعرفة. وعندما لا نمارس هذه العملية، نفقد القدرة على التفكير العميق.[401]

---

[395] Bauman, Z. (2005). Liquid life. Cambridge: Polity Press, p. 34.

[396] الأمانة العامة للتخطيط التنموي - دولة قطر. 2024 الاستراتيجية الوطنية الثالثة للتنمية 2024 2030 الدوحة: جهاز التخطيط والإحصاء،، ص. 37

[397] Harari, Y. N. (2018). 21 lessons for the 21st century. London: Jonathan Cape, p. 213.

[398] Harari, 21 lessons for the 21st century, p. 213.

[399] Carr, The shallows, p. 145.

[400] Carr, The shallows, p. 145.

[401] Kahneman, Thinking, fast and slow, p. 85.

ويتمثل التأثير الثاني في ضعف القدرة على النقد، فالنقد يتطلب مقارنة المعلومات الجديدة بالمعلومات المخزنة في الذاكرة. عندما تكون الذاكرة ضعيفة، يصبح الفرد غير قادر على مقارنة المعلومات، فيصدق كل ما يعرض عليه دون تمحيص. وهذا يجعله عرضة للتضليل والتلاعب. وقد أشار كاينمان إلى أن الذاكرة هي أساس التفكير النقدي؛ فبدون ذاكرة قوية، لا يمكن للفرد أن يميز بين المعلومات المتسقة والمتضاربة.[402]

وفي السياق العربي، تتفاقم هذه المشكلة بسبب نقص المحتوى العربي الموثوق والعميق على الإنترنت قياسًا بعدد المستخدمين العرب، بما يدفع الشباب إلى الاعتماد على المحتوى السطحي والمجزأ، أو على مصادر أجنبية قد لا تناسب سياقهم الثقافي، أو على مصادر عربية غير موثوقة، بما يزيد الارتباك المعرفي ويضعف القدرة على بناء معرفة متماسكة.

ثالثًا: تراجع القدرة على التحليل والتركيب والتفكير النقدي

المعلومات المتدفقة في الفضاء الإلكتروني غالبا ما تكون مجزأة ومبعثرة، لا تشكل صورة كلية متماسكة. وهذا يجعل الشباب يواجهون صعوبة متزايدة في ربط المعلومات بعضها ببعض، واستخلاص الاستنتاجات، وبناء الحجج المنطقية المتماسكة. وعليه فإن المشكلة الحقيقية في القرن الحادي والعشرين ليست نقص المعلومات، بل الفائض الهائل المتتابع منها الذي يجعل معرفة ما هو مهم حقا أكثر صعوبة من أي وقت مضى.[403]

يتجلى هذا التراجع في ثلاثة مظاهر رئيسة. يتمثل المظهر الأول في تراجع القدرة على التحليل، فالتحليل هو قدرة الفرد على تفكيك الأفكار المعقدة إلى أجزاء أبسط لفهمها. الإغراق المعلوماتي يجعل هذه المهارة صعبة، لأن الفرد لا يجد الوقت الكافي لتفكيك أي فكرة قبل أن تتدفق عليه أفكار جديدة. وقد أشار هاري إلى أن التحليل يتطلب وقتا وهدوءا وهما أول ما يضحى بهما في اقتصاد الانتباه.[404]

ويتمثل المظهر الثاني في تراجع القدرة على التركيب، فالتركيب هو قدرة الفرد على جمع الأجزاء المختلفة لتكوين كل متماسك. الإغراق المعلوماتي يجعل هذه المهارة صعبة أيضا، لأن الأجزاء التي يحاول الفرد جمعها تتغير باستمرار. وقد أشار باومان إلى أن الحداثة السائلة تذيب كل الثوابت، نما يبجعل التركيب شبه مستحيل[405].

ويتمثل المظهر الثالث في تراجع القدرة على التفكير النقدي, فالتفكير النقدي هو قدرة الفرد على تقييم الحجج والأدلة، والتمييز بين الصحيح والخاطئ. الإغراق المعلومات يضعف هذه المهارة، لأن الفرد لا يجد الوقت الكاني لتقييم أي معلومة قبل أن تتدفق عليه معلومات جديدة. وقد أشار إينيس إلى أن التفكير النقدي يتطلب وقتا وجهدا، وهما موردان نادران في عصر الإغراق المعلوماتي.[406]

وقد أظهرت نتائج الاستبيان في الفصل الثالث أن متوسط المحور الأول (المخاطر المعلوماتية) بلغ 2.698 وهو مستوى متوسطه، مما يشير إلى أن الشباب يدركون المخاطر لكنهم لا يمتلكون أدوات كافية لمواجهتها كما أن متوسط امحور الثاني (الآثار السلبية للبيئة المعلوماتية نية) بلغ 2.310 وهو مستوى منخفض، مما يشير إلى أن الشباب قد لا يدركون بشكل كاف الآثار المعرفية لغياب المناعة، أو أنهم أصبحوا معتادين على هذه الآثار لدرجة أنهم لم يعودوا يدركونها كآثار سلبية.[407]

---

[402] Bawden & Robinson, The dark side of information, p. 188.

[403] Hari, J. (2022). Stolen focus: Why you can't pay attention. New York: Crown Publishers, p. 45.

[404] Bauman, Liquid life, p. 34.

[405] Ennis, R. H. (1996). Critical thinking. Upper Saddle River, NJ: Prentice Hall, p. 45.

[406] يوسف والفضلي، المناعة الفكرية،؛ ص. 46

[407] Turkle, S. (2011). Alone together: Why we expect more from technology and less from each other. New York: Basic Books, p. 12.

المبحث الثاني: الآثار النفسية والسلوكية

أولًا: الاغتراب الرقمي والعزلة في قلب الزحام

إن من أخطر ما ينجم عن غياب المناعة الفكرية هو تحول علاقة الإنسان بالتكنولوجيا من علاقة أداة إلى علاقة إدمان، ومن علاقة تواصل إلى علاقة عزلة مقنعة، ومن علاقة تمكين إلى علاقة استغلال. فحين يفقد الشاب القدرة على التمييز والتحقق والموازنة، يصبح الفضاء الرقمي ليس مجرد فضاء يزوره بل بيئة يعيش فيها، بل قد تصبح الشاشة هي واقعه الأكثر حضورا. هذه الظاهرة، التي يكن تسميتها ب.الاغتراب الرقمي، تعني أن الفرد يشعر بالغربة عن ذاته وعن محيطه الواقعي ل رغم كونه متصلا افتراضياء فهو حاضر جسدياً لكنه غائب روحيا وعاطفياء متصل تقنيا لكنه منعزل إنسانيا. وقد صاغت الباحثة الأمريكية شيري تيركل هذا المعنى بدقة عندما وصفت حالنا بأننا معا كف ردناء حيث د زداد التواصل عبر الشاشات بينما تتراجع جودة ة اللقاءات الحقيقية، ويصبح الصوت والصورة أداة للتواصل السطحي بدلا من أن تكون وسيلة للتفاعل العميق.[408]

الاغتراب الرقمي ليس مجرد شعور عابر، بل هو حالة مرضية تتفاقم مع الوقت، تبدأ بالانشغال الدائم بالشاشات، ثم تضعف المهارات الاجتماعية الأساسية كقراءة لغة الجسد والتعاطف والاستماع النشط، ثم تزداد الحاجة إلى الشاشات كبديل سهل للتفاعل الواقعي، ثم تتعمق العزلة، وهكذا في حلقة مفرغة لا تنتهي إلا بوعي ومناعة فكرية قادرة على كسر هذه الدائرة. وقد أشار هاري إلى أن الوحدة الرقمية أصبحت وباء عالميا وأن الشباب هم الأكثر تضررا لأكحم نشأوا في هذه البيئة دون أن يختبروا بديلا حقيقيا.[409]

لا بد من التمييز بين التواصل والاتصال في الفضاء الرقمي لفهم جذور الاغتراب الرقمي. فالتواصل الحقيقي يتطلب حضورا كاملا: العيون تلتقي، الأصوات تتنفس، المشاعر تتبادل، والسياق يفهم. أما الاتصال الرقمي فهو في الغالب مجرد نقل للمعلومات؛ خال من الكثير من هذه العناصر. في التواصل الوجاهي، يقرأ الفرد آلاف الإشارات غير اللفظية: تعابير الوجه، نبرة الصوت، وضعية الجسد، مدة الاتصال البصري. هذه الإشارات تشكل الجزء الأكبر من معنى الرسالة. في الفضاء الرقمي, تختفي كل هذه الإشارات أو تضعف، فيقرأ الفرد نصوصا جافة، أو يرى ورا منفصلة، أو يسمع[410] أصواتا مفلترة. النتيجة هي سوء فهم متكرر، ونزاعات على أشياء

كما أن وسائل التواصل تخلق وهم الكثرة،؛ حيث يظن الشاب أن لديه مئات الأصدقاء، لكن الصداقة الحقيقية تتطلب وقتا وجهدا وعمقاء ولا يمكن بناؤها عبر إعجاب أو تعليق عابر. وعندما يواجه الشاب أزمة، يكتشف أن هؤلاء الأصدقاء الرقميين ليسوا موجودين حقا، وهذا التناقض بين كثرة الأصدقاء الرقميين وقلة الدعم الحقيقي هو مصدر رئيس للاغتراب. وقد أشارت تيركل إلى تفضيل النصوص على المكالمات، والمكالمات على اللقاءات، لأن النصوص هنح السيطرة: فيستطيع الفرد الرد متى يريد، وبما يريد، وحذف ما لا يريد. لكنه يدفع تمن هذه السيطرة: فقدان العمق.[411]

تتفاقم هذه المشكلة مع ما تقدمه منصات التواصل من صور منقحة لحياة الآخرين: سفر، نجاحات، علاقات مثالية. فيقارن الشاب هذه الصورة المثالية بحياته العادية، فيشعر بالفشل والنقص، ء متناسيا أن تلك الصور ليست سوى لقطات مختارة، وأن خلف الشاشة توجد مشاكل وأوجاع مثلها مثل الجميع. هذا النوع من المقارنة الاجتماعية المستمرة يغذي الشعور بالدونية والاكتئاب، وقد أشارت دراسات متعددة إلى أن الاستخدام المفرط لوسائل التواصل يرتبط بارتفاع معدلات الاكتئاب بين المراهقين بنسبة تصل إلى سبعين بالمائة.[412]

---

[408] Hari, Stolen focus, p. 78.

[409] Turkle, Alone together, p. 12.

[410] Turkle, Alone together, p. 12.

[411] Twenge, J. M. (2017). iGen: Why today's super-connected kids are growing up less rebellious, more tolerant, less happy. New York: Atria Books, p. 78.

[412] Bawden & Robinson, The dark side of information, p. 184.

ثانيا: الاضطرابات النفسية المرتبطة بغياب المناعة

إلى جانب الاغتراب الاجتماعي، يعاني الشباب غير المتمتعين بالمناعة الفكرية من اضطرابات نفسية حادة وثقها الباحثان ديفيد بودين ولين روبنسون في دراستهما الرائدة عن الجانب المظلم للمعلومات. وقد أظهرت نتائج الاستبيان في الفصل الثالث أن متوسط المحور الثاني (الآثار السلبية للبيئة المعلوماتية) بلغ 2.310 وهو مستوى منخفض، مما قد يشير إلى أن الشباب لا يدركون بشكل كاف شدة هذه الاضطرابات، أو أنهم أصبحوا معتادين عليها لدرجة أنهم لم يعودوا يعتبروتما اضطرابات.[413]

أول هذه الاضطرابات: قلق المعلومات Info-anxiety وهو شعور دائم بالخوف من تفويت أي شيء مهم فيجد الشباب نفسه يفحص هاتفه كل بضع دقائق، حتى في منتصف الليل، حتى أثناء قيادة السيارة. هذا القلق ليس طبيعيا، لكنه أصبح طبيعيا في ثقافتنا الرقمية. وتشير الدراسات إلى أن ستين بالمائة من الشباب يعانون من الخوف من تفويت المستجدات Fear of Missing Out FOMO بدرجات متفاوتة. وقد أشار هاري إلى أن FOMO ليس مجرد شعور عابر، بل هو حالة مرضية تدفع الفرد إلى البقاء متصلا باستمرار، خوفا من أن يفوته شيء مهم, وهذا الخوف يستهلك طاقته النفسية ويؤدي إلى الإرهاق.[414]

والاضطراب الثاني: شلل القرار Decision Paralysis وهو عدم القدرة على اتخاذ قرار بسبب كثرة المعلومات المتاحة. فالشاب الذي يريد شراء هاتف جديد يواجه مئات المراجعات والمقارنات، فيصاب بالشلل ويؤجل القرار، ونفس الشيء يحدث مع قرارات أكبر: أي وظيفة يقبل؟ أي شريك يختار؟ أي رأي يصدق؟ هذا الشلل يؤدي إلى تراكم المهام وزيادة التوتر وتدني تقدير الذات. وقد أشار شوارتز إلى مفارقة الاختيار (the paradox of choice كثرة الخيارات لا تجعلنا أسعد، بل تجعلنا أكثر قلا وأقل رضا.[415]

والاضطراب الثالث: الإرهاق الرقمي Digital Burnout وهو إرهاق مزمن ناتج عن الاستخدام المفرط للشاشات، وتشمل أعراضه التعب المستمر، صعوبة التركيز، فقدان الحافز، والشعور بعدم الجدوى. كثير من الشباب يصفون هذا الشعور بهم مرهقون دون سبب، وهذا الإرهاق ليس جسديا فقط. بل هو استنزاف للطاقة النفسية والعاطفية نتيجة المعالجة المستمرة للمعلومات المتدفقة والتفاعلات الرقمية السطحية. وقد أشار هاري إلى أن الإرهاق الرقمي أصبح وباء عامياء والسبب ليس قلة النوم، بل كثرة الإشعارات.[416]

والاضطراب الرابع: الاكتئاب الرقمي Digital Depression وهو اكتئاب مرتبط بالمقارنات الاجتماعية المستمرة على المنصات، حيث يرى الشباب أصدقاءه وهم يسافرون ويتزوجون وينجحونء فيشعر أن حياته بائسة بالمقارنة، متناسيا أن ما يراه هو صور مختارة ومنقحة، وأن خلف الشاشة توجد حياة عادية بما مشاكل وتحديات. وقد أظهرت الدراسات أن الاستخدام المفرط لوسائل التواصل يرتبط بارتفاع معدلات الاكتئاب بين المراهقين بنسبة تصل إلى سبعين بالمائة. وقد أشار هايدت في كتابه الجيل القلق The Anxious Generation إلى أن إعادة توصيل الطفولة the great rewiring عبر الهواتف الذكية تسببت في وباء من الأمراض النفسية بين المراهقين، بدا من عام 2010 تق ويب[417]

والاضطراب الخامس: التعب التعاطفي Compassion Fatigue وهو الإرهاق العاطفي الناتج عن التعرض المستمر لمآسي الآخرين عبر الشاشات، من حروب ومجاعات وكوارث؛، مما يجعل الشاب غير قادر على الاستمرار في التعاطف, فيتحول إلى اللامبالاة أو حتى القسوة. وقد أشار هاري إلى أن التعب

---

[413] Hari, Stolen focus, p. 56.

[414] Schwartz, B. (2004). The paradox of choice: Why more is less. New York: HarperCollins, p. 89.

[415] Hari, Stolen focus, p. 56.

[416] Haidt, J. (2024). The anxious generation: How the great rewiring of childhood is causing an epidemic of mental illness. London: Allen Lane, p. 78.

[417] Hari, Stolen focus, p. 56.

التعاطفي هو نتيجة طبيعية للتعرض المستمر للمآشي دون القدرة على فعل أي شيء حياء تما يؤدي إلى إغلاق عاطفي كآلية دفاع للق[418]

وقد أظهرت نتائج الاستبيان في الفصل الثالث أن أعلى فقرة في المحور الثاني كانت الفقرة الثالثة أجد نفسي أقضي وقتا طويلا على وسائل التواصل الاجتماعي دون هدف محدد بمتوسط 2.720 تليها الفقرة الثانية (ألاحظ تراجعا في قدرتٍ على التركيز العميق نتيجة التشتت المستمر من الإشعارات) بمتوسط 2.585؟. وتشير هذه النتائج إلى أن الشباب يعانون بشكل خاص من استهلاك الوقت دون هدف،. وتراجع التركيز العميق، وهي آثار ترتبط مباشرة باقتصاد الانتباه وتصميم المنصات لاختطاف الوقت والتركيز.[419]

ثالثًا: الأغاط السلوكية غير الصحية

ترجمت الآثار المعرفية والنفسية إلى أنماط سلوكية غير صحية، أبرزها الإدمان الرقمي حيث يقضي الشباب ساعات طويلة يوميا في تصفح بلا هدف، مع صعوبة في التحكم في وقت الاستخدام، وأعراض انسحاب عند الحرمان من الإنترنت. وقد أشار آرال إلى أن المنصات صممت لتكون مدمنة، باستخدام نفس آليات ماكينات القمار: مكافآت متغيرة، تعزيز متقطع. وعدم وضوح لنقطة النهاية.[420] وقد أظهرت نتائج الاستبيان أن متوسط الفقرة الثالثة من امحور الثاني (أجد نفسي أقضي وقتا طويلا على وسائل التواصل الاجتماعي دون هدف محدد) بلغ 2.720، وهو أعلى فقرة فيا حور مما يؤكد انتشار الإدمان الرقمي بين الشباب.

ومنها التنقل القهري بين التطبيقات Compulsive App Switching وهو فتح وإغلاق عشرات التطبيقات في الدقيقة والانتقال بين المهام بشكل لا إرادي، ما يضعف الإنتاجية ويضاعف العبء المعرفي. وقد أشار كار إلى أن التنقل القهري هو نتيجة طبيعية للتدريب المستمر للدماغ على الاستجابة السريعة للمثيرات المتقطعة*.[421]

ومنها الاستهلاك السلبي للمحتوى Passive Content Consumption وهو استهلاك كميات هائلة من الفيديوهات والمقالات دون أي إنتاج معرفي أو نقدي، مع تراجع القدرة على التفاعل النشط مع احتوى. وقد أشارت تيركل إلى أن الاستهلاك السلبي يحول الإنسان من فاعل إلى متلق، ما يضعف قدرته على النقد والإبداء.[422]

وهذه الأغاط السلوكية ليست مجرد عادات سيئة، بل هي تحسيد لفقدان السيطرة على العلاقة مع التكنولوجيا، وهي ناتج مباشر لضعف المناعة الفكرية الذي يجعل الشاب عاجزا عن وضع حدود واعية لاستخدامه للفضاء الرقمي.

رابعا: تفتت الأنا وازدواجية الشخصية الرقمية

من أخطر المظاهر السلوكية لغياب المناعة الفكرية ما يمكن تسميته تفتت الأنا وازدواجية الشخصية الرقمية. هذا التعدد ليس بالضرورة سيئاء فالإنسان بطبيعته اجتماعي وله أدوار متعددة. لكن المشكلة تبدأ حين يصبح التعدد قسرياء وحين يفقد الإنسان القدرة على التوفيق بين هذه الهويات، وحين تتعارض القيم بين حساب تصف شيري تيركل هذه الظاهرة بأنها تفتت الأنا الرقمي Fragmentation of the Self مصعم Digital ا)، وتلاحظ أن الشباب يمرون بثلاث مراحل في علاقتهم بالتكنولوجيا: مرحلة الاندماج حيث يرى الشاب نفسه من خلال هويته الرقمية وتصبح الشاشة مرآته ثم مرحلة التعدد حيث يبدأ في خلق هويات متعددة لسياقات مختلفة، ثم مرحلة التشتت حيث يفقد القدرة على التمييز بين الذات الحقيقية والهويات الافتراضية.[423]

---

[418] يوسف والفضلي، المناعة الفكرية؛ ص 46.

[419] Aral, S. (2020). The hype machine: How social media disrupts our elections, our economy, and our health. New York: Currency, p. 56.

[420] Carr, The shallows, p. 133.

[421] Turkle, Alone together, p. 152.

[422] Turkle, Alone together, p. 165.

[423] في المسيري، العالم من منظور غربي، ص 115

أخطر ما في هذا التشتت هو الانفصام القيمي، فالشاب قد يدافع في حسابه العام عن قيم التسامح والاعتدال، بينما يتبنى في حسابه السري خطاب كراهية وتطرف. هذا التناقض لا يستمر طويلا دون أن يترك أثراء فمع الوقت يصبح غير قادر على التوفيق بين هذه القيم، فيفقد الاتساق الأخلاقي، ويتحول إلى شخص بللا مبادئ ثابتة، تتغير حسب السياق.[424]

وقد حلل المفكر المصري عبد الوهاب المسيري هذه الظاهرة في إطار أوسع عندما فرق بين الإنسان العضوي والإنسان الذري، فالإنسان العضوي هو الذي تتكامل فيه أبعاده المختلفة في وحدة متماسكة, أما الإنسان الذري فهو الذي يمكن تفكيكه إلى أجزاء مستقلة وإعادة تركيبه حسب الرغبة. والتكنولوجيا الرقمية، بطبيعتها، تشجع النموذج الذري، فالفرد ليس شخصا واحداء بل مجموعة من البيانات التي يمكن فصلها وإعادة تجميعها.[425]

وهكذاء فإن غياب المناعة الفكرية لا يهدد فقط الصحة النفسية للفرد، بل يهدد تماسك الشخصية ذاته. ويحول الإنسان إلى كيان مشتت غير قادر على بناء علاقات عميقة ومستقرة، لا مع الآخرين ولا مع نفسه. إن استعادة الوحدة العضوية للشخصية تتطلب مناعة فكرية قوية: قدرة على رفض الهويات الافتراضية التي لا تتنسق مع القيم الأساسية، وقدرة على بناء علاقات حقيقية وعميقة تعزز تماسك الذات، وقدرة على التوفيق بين الانتماءات المتعددة دون تناقض. وهذه القدرات لا تتأتى إلا بالوعي والتدريب والالتزام بقيم راسخة تستمد من التراث والهوية.[426]

المبحث الثالث: الآثار الاجتماعية والحضارية

أولا0: الاستقطاب الحاد وتاكل رأس المال الاجتماعي

في عام 2024 هاشتاج بسيط عن أزمة مياه في إحدى الدول العربية تحول إلى حملة كراهية واسعة ضد فئة اجتماعية بأكملها، استمرت أسابيع وأدت إلى أعمال عنف حقيقية. كيف يمكن لكلمات على شاشة أن تتحول إلى كراهية وعنف؟ الإجابة تكمن في آليات فقاعة التصفية وغرف الصدى. وقد أشار سنستاين إلى أن الإنترنت دلم يخلق الاستقطاب، لكنه ضخمه بمقدار عشرة أضعافء لأنه سمح للناس بالعزلة في فقاعات لا يرون فيها إلا ما يعزز معتقداتهم.[427]

عندما يتصفح الفرد الإنترنت، قد يعتقد أنه يرى العالح كما هو. لكن في الحقيقة، هو يرى نسخة معدلة من العالم، صممت خصيصا لتتوافق مع معتقداته. هذه هي فقاعة التصفية Filter Bubble وإذا بقيت فيها لفترة كافية، سيدخل إلى غرفة الصدى Echo Chamber حيث لا يسمع إلا آراء تردد ما يعتقده، فيتضخم الاقتناع بأن رأيه هو الحقيقة المطلقة. وقد أشار باريسر إلى أن الخوارزميات لا تعطيك ما تريد، بل تعطيك ما تعتقد أنك تريده، ثم تتعلم من ردود فعلك لتعطيك المزيد منه، في حلقة تغذية راجعة لا تنتهي[428].

يشرح إيلي باريسر، الذي صاغ مصطلح فقاعة التصفية، كيف تعزل خوارزميات محركات البحث ومنصات التواصل كل مستخدم في فقاعة معلوماتية خاصة به؛ فبدلًا من أن يرى المستخدم مجموعة متنوعة من الآراء، يرى في الغالب ما يتوافق مع معتقداته السابقة، لأن الخوارزميات تتعلم تفضيلاته وتعرض له ما يريد رؤيته. وهذه ليست مؤامرة، بل منطق تجاري: فمنصات التواصل تريد إبقاء المستخدم منخرطًا، وأيسر طريق إلى ذلك أن تعطيه ما يريد رؤيته، والمحتوى الاستقطابي يولّد تفاعلًا أعلى.

هذه الفقاعات تؤدي إلى غرف الصدى Echo Chambers فضاءات يردد فيها الناس آراء بعضهم دون نقد فيتضخم الاقتناع بأن آراءهم هي الصحيحة الوحيدة. وعندما لا يسمع الشخص آراء مخالفة، يصبح

---

[424] المسيري، العالم من منظور غربي، ص. 112

[425] المسيري، العالم من منظور غربي؛ ص/. 118

[426] Sunstein, C. R. (2017). #Republic: Divided democracy in the age of social media. Princeton: Princeton University Press, p. 34.

[427] Pariser, E. (2011). The filter bubble: What the Internet is hiding from you. New York: Penguin Press, p. 15.

[428] Sunstein, #Republic, p. 65.

أكثر اقتناعا بأن رأيه هو الحقيقة المطلقة، وأكثر عداء لمن يخالفه. وقد أشار سنستاين إلى أن غرف الصدى ليست مجرد فقاعات تصفية، بل هي بيئات نشطة تعاقب المخالف وتكافئ المطابق.[429]

ويمكن تحليل آليات عمل غرف الصدى في تفكيك النسيج الوطني من خلال ثلاث آليات رك يسية. تتمثل الآلية الأولى في التطرف التدريجي، فالدراسات تظهر أن التعرض للآراء المتوافقة فقط لا يؤدي إلى التخفيف من التطرف، بل إلى زيادته. فالمعتدل الذي يعيش في غرفة صدى من المعتدلين يصبح أكثر تشددا في اعتداله. لماذا؟ لأن تكرار نفس الآراء يخلق شعورا زائفا بالإجماع. عندما يسمع الفرد نفس الرأي مرارا وتكرا اراء يبدأ في اعتباره طبيعيا ومسلما به. أي رأي مخالف يصبح شاذا ومتطرفا. هذه الآلية تفسر كيف مجتمعات يمكن بأكملها أن تنزلق نحو التطرف في فترة قصيرة، دون أن يلاحظ أحد الانزلاق.[430]

وتتمثل الآلية الثانية بحريد في الآخر من إنسانيته، ففي غرف الصدى، يصور المخالف على أنه ليس مجرد مختلف، بل هو عدوء خائن، عميل. هذا التجريد من الإنسانية يسهل تبرير العنف ضده. فإذا كان الآخر ليس إنسانا كاملا، فليس من الخطأ إيذاؤه. هذه الآلية استخدمت فى حملات الإبادة الجماعية في رواندا، حيث وصفت الإذاعات المحلية التوتسي بأنحم صراصير. واليوم تستخدم نفس الآلية عبر وسائل التواصل، ولكن على نطاق أوسع وبسرعة أكبر.[431]

وتتمثل الآلية الثالثة في موت الحوار، فالحوار الحضاري يقوم على افتراض أن الطرف الآخر لديه حقيقة جزئية تستحق الاستماع إليها. في غرف الصدى، يختفي هذا الافتراض، ويحل محله منطق نحن على حق وهم على باطل. عندما يعتقد الفرد أنه يمتلك الحقيقة المطلقة، لا حاجة للاستماع أو النقاش. فقط يحتاج إلى إعلان الانتصار. هذا يقتل أي إمكانية للحوار امجتمعي، ويحول الفضاء العام إلى ساحة حرب.[432]

وتتمثل الآلية الرابعة في تآكل الثقة في المؤسسات، فغرف الصدى لا تعزل المستخدم فقط عن آراء المخالفين، بل تعزله أيضا عن المؤسسات التقليدية (الإعلام، الجامعات؛ الحكومة). هذه المؤسسات تصوّر على أنها جزء من المؤامرة أو النخبة المنفصلة عن الشعب. عندما يفقد المواطن الثقة في المؤسسات، يصبح عرضة لأي رواية بديلة، مهما كانت سخيفة. وهذا هو الهدف النهائي لغرف الصدى: خلق مجتمع من الأفراد المشتتين غير القادرين على العمل الجماعي. وقد أشار تقرير مركز بيو للأبحاث إلى أن الثقة في وسائل الإعلام التقليدية انخفضت إلى أدن مستو ياتها التاريخية، وأن هذه الظاهرة مرتبطة ارتباطا وثيقا بانتشار غرف الصدى على وسائل التواصل.

وفي سياق رؤية قطر 2030 على تؤكد على الوحدة الوطنية والتماسك الاجتماعي ركيزتين أساسيتين للتنمية، فإن تفكيك النسيج الوطني عبر غرف الصدي هو تحديد مباشر لهذه الرؤية. فالمجتمع المنقسم إلى معسكرات متصارعة لا يمكنه التعاون لتحقيق أهداف وطنية كبرى. كما أن الثقة بين المواطنين والمؤسسات هي ركيزة أساسية للتنمية. وغرف الصدى تآكل هذه الثقة. وقد أشارت الاستراتيجية الوطنية الثالثة للتنمية إلى أن الحفاظ على التماسك الاجتماعي في العصر الرقمي يتطلب بناء مناعة فكرية جماعية تمكن المواطنين من مقاومة خطابات الكراهية والاستقطاب.[433]

ثانيا: سيكولوجية القطيع الرقمي وهدم الثوابت

لنتخيل منشورًا سياسيًا واحدًا يُعرض على مجموعتين من الشباب: يظهر للأولي ومعه مئات الإعجابات، وللثانية ومعه عشرات قليلة. المنشور نفسه والمحتوى نفسه، لكن الأرجح أن تميل المجموعة الأولى إلى الموافقة على مضمونه أكثر من الثانية. هذا ما يمكن تسميته ضغط القطيع الرقمي (Digital Herd Pressure): أن يُتبنى الرأي لأنه رائج لا لأنه صحيح. وقد أشار تشيالديني إلى

---

[429] Sunstein, #Republic, p. 78.

[430] Arendt, H. (1951). The origins of totalitarianism. New York: Schocken Books, p. 85.

[431] Habermas, J. (1981). The theory of communicative action. Boston: Beacon Press, p. 34.

[432] الأمانة العامة للتخطيط التنموي، الاستراتيجية الوطنية الثالثة للتنمية، ص 45.

[433] Cialdini, R. (2001). Influence: Science and practice. Boston: Allyn and Bacon, p. 89.

أن الدليل الاجتماعي (Social Proof) من أقوى مبادئ الإقناع، وأنه يعمل بقوة خاصة عندما يكون الناس غير متأكدين أو عندما يشبههم الآخرون.[434]

في عصر وسائل التواصل، أصبحت الإعجابات والمشا محركات والمتابعين عملة اجتماعية جديدة. الشاب يقيس قيمته بعدد الإعجابات التي يحصل عليها. هذا التحول له آثار عميقة على القيم والثوابت. وقد أشار تواينج إلى أن جيل آي جين هو أول جيل يقيس قيمته الذاتية بمقاييس رقمية: عدد الإعجابات، عدد المتابعين، عدد المشاهدات.[435]

ويمكن تحديد ثلاث آليات رئيسة لدم الثوابت في سيكولوجية القطيع الرقمي. تتمثل الآلية الأولى في تحويل القيم إلى سلع استهلاكية، فالصدق والأمانة والتواضع قيم يصعب تسويقها رقميا. بينما الإثارة والصدمة والاستعراض تحظى بإعجابات سريعة. وبالتالي، يتجه الشباب إلى تبني سلوكيات تزيد من رصيدهم الرقمي، حتى لو تعارضت مع قيمهم الأصلية. هذه الآلية تخلق سوقا للقيم حيث القيمة الحقيقية للشيء ليست جوهره، في بل في قدرته على جذب الانتباه. وقد أشار ما ماركوزه إلى أن المجتمع الصناعي المتقدم يحول القيم إلى سلع. والإنسان إلى مستهلك، والحرية إلى حرية الاستهلاك.[436]

وتتمثل الآلية الثانية في هدم الثوابت، فالثوابت الدينية، الوطنية، الأسرية بطبيعتها لا تتغير مع تغير الموضة. لكن في عالم الإعجابات المتقلب، يجد الشباب أن الثوابت قديمة وغير رائجة، فيتخلون عنها تدريجيا لصالح القيم الرائجة التي تمنحهم إعجابات. هذه الآلية خطيرة بشكل خاص في المجتمعات التي تعتمد على الثوابت كمرجعية. فالتخلي عن الثوابت لا يحدث فجأة، بل عبر سلسلة من التنازلات الصغيرة، كل تنازل يبرره الكل يفعل ذلك وقد أشار باومان إلى أن الحداثة السائلة تذيب كل الثوابت، وتحول الأخلاق إلى مسألة ذوق شخصي وليس التزاما جماعيا.[437]

وتتمثل الآلية الثالثة في التطبيع مع الام راف، فعندما يحصل محتوى منحرف على آلاف الإعجابات، يصبح في نظر الشباب مقبولا اجتماعيا. هذه هي آلية التطبيع Normalization التي تستخدمها جماعات التطرف والانحرا اف: إظهار الفكرة المنحرفة وكأنما تحظطى بقبول واسع. مع الوقت، يصبح ما كان مستهجنا أمرا عادياء وما كان محرما أمرا مباحا. وقد أشار سنستاين إلى أن غرف الصدى لا تعزلنا فقط عن الآراء المخالفة، بل تعيد تعريف ما هو طبيعي وما هو شاذ. من خلال تكرار نفس الرسائل حتى تصبح مألوفة.[438]

يصف عبد الوهاب المسيري، في تحليله للحداثة الغربية، تحول الإنسان الحديث إلى إنسان طبيعي ماديء أي إنسان يعرف ذاته من خلال استهلاكه، وليس من خلال إنتاجه أو قيمه. هذا الإنسان هو الهدف الذي تسعى الرأسمالية الاستهلاكية إلى إنتاجه: مستهلك مطيعء يتغير ولاؤه مع تغير الموضة، لا يملك ثوابت تمنعه من استهلاك أي منتج (كان يا كان أو فكريا). وقد أشار ما ماركوزه إلى أن الإنسان ذو البعد الواحد (One-Dimensional (Man هو الذي فقد القدرة على التفكير النقدي والمقاومة، وأصبح منسجما مع النظام القائم.[439]

في العصر الرقمي، يأخذ هذا التحول شكلا جديدا: الإنسان لا يستهلك فقط المنتجات المادية، بل يستهلك أيضا الهويات والأفكار والقيم. هوية اليوم يمكن أن تكون موضة تختفي غدا. وهذا هو أخطر ما في سيكولوجية القطيع الرقمي: أنها تجعل الإنسان يفقد القدرة على التمسك بأي ثابت، لأن الثابت لا يدر إعجابات. وقد أشار باومان إلى أن اللهوية في الحداثة السائلة أصبحت مشروعا دائم التكوين، وليس إرثا مستقرا[440]

---

[434] Twenge, iGen, p. 78.

[435] Marcuse, H. (1964). One-dimensional man: Studies in the ideology of advanced industrial society. Boston:

[436] Bauman, Liquid life, p. 34.

[437] Sunstein, #Republic, p. 78.

[438] Marcuse, One-dimensional man, p. 56.

[439] Bauman, Liquid life, p. 34.

[440] قطب، سيد. 1964 خصائص التصور الإسلامي ومقوماته. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ص 45.

من المنظور الحضاري الإسلامي، الثوابت ليست عائقًا أمام التطور، بل هي الأساس الذي يضمن للتطور أن يكون بنّاءً لا هدّامًا. والإنسان الذي يفقد ثوابته يصبح كالسفينة بلا دفة، تدفعها كل ريح. وغياب المناعة الفكرية يجعل الشباب يفقدون ثوابتهم واحدة تلو الأخرى، دون أن يحل محلها شيء سوى القيم الاستهلاكية السائلة. واستعادة الثوابت -الدينية والوطنية والأسرية- تتطلب مناعة فكرية قوية تمكن الشاب من مقاومة ضغط القطيع الرقمي، والتمسك بقيمه حتى لو لم تحظ بإعجابات كثيرة. وقد أشار قطب إلى أن الثبات على المبادئ علامة القوة، والتذبذب مع الأهواء علامة الضعف.[441]

حالات من المجتمع العربي

يمكن توضيح الآثار الاجتماعية للاستقطاب الرقمي من خلال حالات من المجتمع العربي، إذ تتكرر في مواسم الانتخابات والأزمات السياسية حملات تضليل منظمة تستهدف تشويه صورة الفاعلين وتقسيم الرأي العام، مستخدمةً حسابات وهمية تعمل بشكل منسق لنشر محتوى استقطابي، بما يزيد حدة النقاش ويضعف الحوار المجتمعي والثقة في المؤسسات.

وفي لبنان خلال عام 2024 وفي خضم الأزمة الاقتصادية والسياسية، انتشرت حملات تضليل استهدفت تقسيم اللبنانيين على أسس طائفية ومناطقية، ورصدت منصات التحقق عددًا كبيرًا من الأخبار المضللة، معظمها يتعلق بالعلاقات الطائفية والاقتصادية.

المبحث الرابع: الأثر على الوعي وهندسة الهوية

أولًا: اختطاف الإرادة الحرة بواسطة الخوارزميات

بالعودة إلى قصة الشاب الذي اشترى ثلاثة أشياء لم يكن ينوي شراءها بعد أن أوحت بها الخوارزميات. هذا المثال الصغير هو نموذج لعملية كبرى: اختطاف الإرادة الحرة بواسطة الخوارزميات. فالاعتقاد السائد هو حرية الاختيار، بينما الاختيار محدد مسبقا بخوارزميات تعرف الفرد أفضل مما يعرف نفسه. وقد أشار هراري إلى أن الخوارزميات قد تصل إلى نقطة تعرفك فيها أفضل من نفسك، وعندها لن يكون هناك فرق بين ما تريده حقا وما تقوله الخوارزمية إنك تريده.[442]

هذه العملية لا تقتصر على التسوق. إنما تمتد إلى كل جوانب الحياة: أي خبر يقرأه الفرد، أي فيديو يشاهده. أي رأي يتبناه، أي شخص يصدقه. كل هذه الخيارات موجهة بخوارزميات تعمل في الخلفية، دون أن يشعر بما الفرد. وقد أشارت زوبوف إلى أن رأسمالية المراقبة لا تريد فقط التنبؤ بسلوكناء بل تريد تعديله وتوجيهه.[443]

وتقدم شوشانا زوبوف، في كتابها عصر رأسمالية المراقبة The Age of Surveillance Capitalism تحليلا صادما لهذه العملية. فشركات التكنولوجيا الكبرى لا تريد فقط التنبق بسلوكناء بل تريد تعديله وتوجيهه هذا هو تعديل السلوك Behavior Modification وقد أشار سرنيسيك إلى أن المنصات لا تقدم خدمات فقط، بل تنتج السلوكيات كسلعة.[444]

ويمكن تفكيك عملية اختطاف الإرادة إلى ثلاث مراحل. تتمثل المرحلة الأولى في الاستخراج Extraction)ء فتجمع بيانات ضخمة عن كل مستخدم: كل نقرة، كل بحث، كل إعجاب، كل موقع يزوره، كل منتج يشتريه، كل علاقة يرتبط بما. هذه البيانات تشكل بصمة رقمية فريدة لكل فرد. في عام 2025 قدر حجم البيانات المنتجة عالميا ب 175 زيتابايت Zettabyte معظمها من تفاعلات المستخدمين. وقد أشارت مؤسسة IDC إلى أن هذا الرقم يتضاعف أربع كل سنوات، مما يعني أن كمية البيانات المتاحة للتحليل ازدياد في وتتمثل المرحلة الثانية في التحليل والتنبؤ Prediction & Analysis عد فتغذى هذه البيانات إلى خوارزميات ذكاء اصطناعي تحلل السلوك، وتتنبأ بالخيارات

---

[441] Harari, 21 lessons for the 21st century, p. 213.

[442] Zuboff, S. (2019). The age of surveillance capitalism: The fight for a human future at the new frontier of power. New York: PublicAffairs, p. 86.

[443] Srnicek, N. (2017). Platform capitalism. Cambridge: Polity Press, p. 45.

[444] Christian, B., & Griffiths, T. (2016). Algorithms to live by: The computer science of human decisions. New York: Henry Holt and Co., p. 56.

المستقبلية. هذه الخوارزميات لا تعرف فقط ما يحبه الفرد، بل تعرف ما سيعجبه قبل أن تعرف هو. كما تعرف نقاط ضعفه: متى يكون حزينا؟ يكون متى غاضبا؟ يكون متى أكثر عرضة للتأثر؟ وقد أشار كريستيان وغريفيئس إلى أن خوارزميات التعلم الآلي يمكنها اكتشاف أنماط في سلوكنا لا نكتشفها نحن بأنفسناء وتستخدم هذه الأنماط للتنبؤ بساوكنا المستقبلى بدقة مذهلة.[445]

وتتمثل المرحلة الثالثة في التعديل والتوجيه Steering & Modification فبناء على هذه التنبؤات، تصمم تارب رقمية مخصصة تدفع الفرد نحو خيارات معينة (شراء منتج، التصويت لمرشحء تبني رأي) دون أن يشعر بأن القرار موجه. هذه هي المهندسة السلوكية Engineering م (Behavioral) تصميم البيئة الرقمية بحيث تصبح بعض الخيارات أسهل وأكثر إغراء من غيرها. وقد أشار أولئي إلى أن النماذج الخوارزمية ليست محايدة، بل تعكس قيم وخيارات مصممييهاء وغالبا ما تعزز عدم المساواة القائمة.[446]

في هذا السياق، تصبح الخوارزمية هي الوصي الجديد، بالمفهوم الكانطي. كانط دعا إلى الخروج من الوصاية. اليوم، نحن أمام وصاية جديدة: الوصاية الخوارزمية. الفرق أن وصاية الكنيسة أو الدولة كانت مرئية) يمكن التمرد عليها. أما الوصاية الخوارزمية فهي خفية، تلبس ثوب الخدمة المجانية والراحة، ما يجعل مقاومتها أصعب. وقد أشار كانط إلى أن الوصاية هي عدم القدرة على استخدام العقل الخاص دون توجيه من آخر.[447]

هذه العملية ليست نظرية مؤامرة. فضيحة كامبريدج آناليتيكا التي كشفت عام 2018 أظهرت كيف تم استخدام بيانات ملايين مستخدمي فيسبوك لاستهدافهم برسائل مخصصة أثرت في نتائج الانتخابات الأمريكية وخروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي. نفس التقنيات تستخدم يوميا في العالم العربي لاستهداف الشباب برسائل سياسية ودينية وبحارية، تخدم مصالح جهات خارجية. وقد أشار وايلي إلى أن كامبريدج أناليتيكا لم تكن حالة شاذة، بل كانت نموذجا مصغرا لما يحدث على نطاق واسع كل يوم.[448]

كانط، في فلسفته الأخلاقية، قال إن الإنسان يجب أن يعامل كغاية وليس كوسيلة أبدا. أي أن كرامة الإنسان تكمن في كونه غاية في ذاته، وليس أداة لتحقيق غايات الآخرين. لكن في رأسمالية المراقبة، يتحول الإنسان إلى وسيلة: بياناته هي المادة الخام، انتباهه هو السلعة، إرادته هي مايعدل ويوجه. هذا هو تسليع الإنسان Commodification of the Human وهو أخطر ما يهدد الكرامة الإنسانية. وقد أشار كونغ إلى أن أخلاقيات العالم تتطلب اعترافا بأن كل إنسان يحمل كرامة لا يمكن انتهاكهاء وأن التكنولوجيا يجب أن تخدم الإنسان لا أن تسيطر عليه.[449]

ثانيا: الهويات القاتلة في الفضاء الافتراضي

في يناير 2021 شهد العالم مشاهد صادمة من اقتحام مبنى الكابيتول الأمريكي. بين المتظاهرين، كان هناك شباب عاديون، ليسوا مجرمين محترفين. ما الذي دفعهم إلى هذا العنف؟ التحقيقات أظهرت أن كثيرا منهم كانوا قد استهلكوا لأسابيع محتوى على وسائل التواصل يصور الانتخابات على أنها مسروقة ويصور خصومهم على أنتحم أعداء للأمة. هذا هو جوهر ما يسميه أمين معلوف الهويات القاتلة.[450]

عندما تتحول الهوية إلى سلاح: عندما يشعر الإنسان بأن هويته مهددة، قد يتحول دفاعه عنها إلى هجوم على الآخر. في الفضاء الافتراضي، هذه الظاهرة تتضاعف. فالشاب الذي يعيش في قناعة معلوماتية لا يرى فيها إلا تأكيدا على أن هويته (دينية، عرقية، قبلية) مهددة من الآخر، يتحول سريعا إلى مقاتل في

---

[445] O'Neil, C. (2016). Weapons of math destruction: How big data increases inequality and threatens democracy. New York: Crown Publishers, p. 77.

[446] Kant, I. (1991). An answer to the question: What is enlightenment? In Kant: Political Writings. Cambridge: Cambridge University Press, 2nd ed., p. 54.

[447] Wylie, C. (2019). Mindf*ck: Cambridge Analytica and the plot to break America. New York: Random House, p. 78.

[448] Küng, H. (1991). Global responsibility: In search of a new world ethic. New York: Crossroad, p. 45.

[449] معلوف، أمين. 2019 المميات القاتلة (ترجمة: تملة الشهال). بيروت: دار الفارابي، ص 45.

[450] Mouffe, C. (2005). On the political. London: Routledge, p. 34.

حروب الهوية الرقمية. وقد أشار موف إلى أن السياسة الهوياتية identity politics عندما تتطرف، تتحول إلى عدائية ترفض أي شكل من أشكال التعايش.[451]

الدراسات تشير إلى أن العصر الرقمي، بدلا من أن يحقق حلم القرية الكونية، أدى إلى صعود الهويات الضيقة Rise of Narrow Identities الآلية بسيطة: الإنسان الذي يشعر بالضياع في عالم معقد، يبحث عن هوية واضحة وبسيطة تمنحه الأمان. هذه الهوية غالبا ما تكون ضيقة (قبلية، طائفية، قومية) لأن الهوية الواسعة (إنسانية، وطنية) تتطلب جهدا فكريا أكبر. وقد أشار كاستلز إلى أن عصر المعلومات شهد صعودا متزامنا للعولمة والهويات الضيقة، كرد فعل على فقدان الأمان في عالم متغير.[452]

الخوارزميات تغذي هذا الاتجاه لأن المحتوى المتعلق بالمويات الضيقة عادة ما يكون أكثر عاطفية واستقطاباء وبالتالي أكثر تفاعلا. فبدلا من أن يرى الشاب محتوى يربط هويته بهويات أخرى في إطار وطني أو إنساني جامع؛ يرى محتوى يؤكد تفوق هويته على غيرها، أو يصور غيرها على أنه تحديد. وقد أشار باريسر إلى أن الخوارزميات تتعلم أن الاستقطاب يولد تفاعلا، وتكافئه، ما يخلق دوامة هبوطية نحو المزيد من الاستقطاب.[453]

التاريخ يعلمنا أن المحويات الضيقة عندما تتصادم، تكون النتيجة حر أهلية. ما حدث في رواندا 1994 من إبادة جماعية بدأ بخطاب كراهية في الإذاعة. اليوم، خطاب الكراهية ينتشر عبر منصات التواصل بسرعة أكبر بعشرات المرات، وباستهداف أدق, وبدون أي رقابة فعالة. هذا يعني أن خطر الحرب الأهلية الرقمية – أي تحول الصراع الأيديولوجي إلى عنف حقيقي – أصبح أكبر من أي وقت مضى. وقد أشارت أرندت إلى أن الشمولية تستخدم الدعاية كسلاح؛ ليس لإقناع الناس بشيء، بل لتدمير قدرتهم على التمييز بين الحقيقة والخيال.[454]

من المنظور الحضاري، التحدي الأكبر هو بناء هوية جامعة تجمع بين الخصوصية والانفتاح. الهوية القطرية – كما تصوغها رؤية 2030 – هي هوية جامعة: تجمع بين الأصالة العربية والإسلامية والانفتاح على العالم، وبين التمسك بالقيم والانطلاق نحو المستقبل. لكن بناء هذه الهوية يتطلب مناعة فكرية تمكن الشباب من مقاومة خطابات الكراهية التي تريد اختزال هويتهم في بعد واحد، والتمييز بين الدفاع المشروع عن الهوية والهجوم غير المشروع على الآخر، وبناء هوية متكاملة تجمع بين الانتماءات المتعددة (الدينية، والوطنية، والإنسانية) دون تناقض. وقد أشار سعيد إلى أن المثقف الحقيقي هو من يستطيع أن يحافظ على هويته الخاصة مع الانفتاح على العالم، وأن يكون ناقدًا لنفسه ولثقافته قبل أن يكون ناقدًا للآخرين.[455]

الآثار الاقتصادية للإدمان الرقمي

للإدمان الرقمي تكاليف اقتصادية على المستويين الفردي والوطني، تتجاوز الآثار النفسية والمعرفية لتشمل الخسائر المالية وانخفاض الإنتاجية؛ فالوقت الطويل الذي يقضيه الشباب على وسائل التواصل يُقتطع في الغالب من العمل أو الدراسة أو التطوير الذاتي، ويُهدر في استهلاك محتوى سطحي وغير منتج.

وعلى المستوى الوطني، تشمل خسائر الإدمان الرقمي انخفاض الإنتاجية في مكان العمل، وارتفاع معدلات التغيب عن العمل، وزيادة تكاليف الرعاية الصحية الناتجة عن الاضطرابات النفسية المرتبطة به، وتراجع الابتكار والإبداع.

وهناك أيضًا تكاليف مستقبلية تتمثل في تراجع القدرة التنافسية للشباب العربي في سوق العمل العالمي، وتراجع مهارات التفكير النقدي والإبداعي التي تُعد أساسية في اقتصاد المعرفة، وهو ما يرتبط بالإدمان الرقمي وضعف المناعة الفكرية.

---

[451] Castells, M. (2010). The power of identity: The information age. Oxford: Wiley-Blackwell, p. 56.

[452] Pariser, The filter bubble, p. 78.

[453] Arendt, The origins of totalitarianism, p. 112.

[454] Said, E. W. (1994). Representations of the intellectual. New York: Pantheon, p. 45.

[455] UNESCO. (2021). Media and information literate citizens: Think critically, click wisely! Paris: UNESCO.

هذه التكاليف الاقتصادية تؤكد أن الاستثمار في تعزيز المناعة الفكرية ليس مجرد استثمار تربوي أو اجتماعي، بل هو استثمار اقتصادي ذو عائد كبير، إذ يمكن أن يحد من هذه التكاليف. الأبعاد القانونية والأخلاقية إلى جانب الآثار النفسية والسلوكية، يثير غياب المناعة الفكرية قضايا قانونية وأخلاقية تتعلق بمسؤولية الشركات والمؤسسات في حماية المستخدمين من أضرار الفضاء الرقمي. ففي السنوات الأخيرة، بدأت الدعوات تتصاعد نحاسبة شركات التكنولوجيا الكبرى على الأضرار التي تسببها منصاتها، خاصة في مجال الصحة النفسية وحماية الخصوصية، وقد رفعت عدة دول دعاوى قضائية ضد فيسبوك وتويتر وتيك توك بتهمة التسبب في أضرار نفسية للشباب، وتضخيم المحتوى الضار، واستغلال البيانات دون موافقة.

إلى جانب المسؤولية القانونية، هناك مسؤولية أخلاقية تقع على عاتق شركات التكنولوجيا في تصميم منصات تحترم كرامة الإنسان وتحمي صحته النفسية، وقد أشارت منظمة اليونسكو إلى أن الشركات التكنولوجية تتحمل مسؤولية أخلاقية في تصميم منصات لا تستغل نقاط ضعف المستخدمين، ولا تساهم في نشر الكراهية والاستقطاب، ولا تقوض الصحة النفسية للشباب.[456]

بدأت بعض شركات التكنولوجيا في اتخاذ خطوات نحو المسؤولية المجتمعية، مثل إضافة أدوات للتحكم في وقت الاستخدام، وتوفير خيارات للحد من المحتوى الضار، ودعم مبادرات التوعية بمخاطر الإنترنت، والاستثمار في أبحاث الصحة الرقمية، ومع ذلك تبقى هذه الخطوات محدودة مقارنة بحجم الأضرار التي تسببها المنصات.

هذه الأبعاد القانونية والأخلاقية تؤكد أن مواجهة تحديات الفضاء الرقمي تتطلب جهودا متكاملة تشمل التشريعات، والممارسات الأخلاقية للشركات، والتوعية المجتمعية، وبناء المناعة الفكرية لدى الأفراد، ولا يمكن إلقاء المسؤولية على طرف واحد فقط. بل هي مسؤولية مشتركة بين الحكومات والشركات والمؤسسات التعليمية والأسر والأفراد.

خلاصة الفصل الخامس

في هذا الفصل، تم تتبع مسار التدهور الذي يسببه غياب المناعة الفكرية. بدأ من المستوى المعرفي: كيف يتحول العقل من مصفاة إلى قمع، وكيف تتا كل القدرة على اليقين، وتتحول إلى سيولة مريبة. ثم انتقل إلى

أخحت ضغط الهويات الرقمية المتعددة. صعدل إلى المستوى الاجتماعي كيف يتمزق النسيج الوطني بالاستقطاب الحاد، وكيف تحت الثوابت تحت ضغط القطيع الرقمي. وأخيرا وصل إلى المستوى الوجودي: كيف تُختطف الإرادة الحرة بواسطة الخوارزميات وكيف تتحول الهوية إلى سلاح قاتل.[457]

هذه الصورة التي تم رسعها بأدق التفاصيل – ليست مجرد تشخيص لحالة مرضية، بل هي صورة الخراب الفكري الذي ينتظر المجتمع إذا استمر غياب المناعة الفكرية. فالشباب الذي يعاني من هذه الآثار لا يمكنه أن يكون رائدا للنهضة؛ ولا بانيا للحضارة، ولا جسرا للتواصل بين الثقافات. إنه شباب هشء قابل للاستهلاك والاستغلال والتوجيه، بعيدا عن وعيه وإرادته. وقد أشار مالك بن نبي نى إلى أن القابلية للاستعمار تبدأ من الداخل، من تفكك الوعي الجمعي وضعف المناعة الفكرية.[458]

وقد أظهرت نتائج الاستبيان في الفصل الثالث أن الآثار السلبية المُبلِّغ عنها جاءت في المستوى المنخفض (2.38 من 4)، وكذلك إدراك هندسة الهوية (2.48)، في حين جاء إدراك المخاطر المعلوماتية (2.74) والتصرفات الوقائية (2.96) والمقاومة (2.67) في المستوى المتوسط. ويعني انخفاض الآثار المُبلِّغ عنها أن هذه الأضرار قد لا تكون محسوسة لدى أصحابها، وهو ما يناقشه الفصل الرابع.

لكن التشخيص ليس تمهاية الطريق، بل هو بدايته. فمعرفة المرض هي الشرط الأول للعلاج. في الفصل السابع، سيتم الانتقال من التشخيص إلى العلاج: نموذج مقترح لتعزيز المناعة الفكرية، يقوم على

---

[456] مالك بن نبي. 1986 شروط النهضة (ترجمة: عبد الصبور شاهين). دمشق: دار الفكر، ص 55 ه.

[457] مالك بن نبي، شروط النهضة، ص د 55

[458] Popper, K. (2002). The logic of scientific discovery. London: Routledge, p. 45.

ثلاث ركائز: الوقاية، والمواجهة، والبناء. وقد أشار بوبر إلى أن الحلول لا تأتي من اليأس، بل من فهم المشكلة بدقة ثم تصميم تدخلات ذكية.[459]

[459] Zuboff, S. (2019). The age of surveillance capitalism: The fight for a human future at the new frontier of power. New York: PublicAffairs, p. 86.

الفصل السادس: العلاقات الاقتصادية السياسية للمخاطر المعلوماتية

تمهيد

طوال فصول هذا البحث، تم التعامل مع التضليل المعرفي وفيض المعلومات كظواهر تقنية وإعلامية، وكأنما أخطاء يمكن تصحيحها بتحسين الوعي أو تطوير التشريعات. لكن هذا الفصل – وهو الأعلى والأخطر ينتقل – إلى مستوى آخر من التحليل. فالتضليل المعرفي ليس خطأ تقنيا يمكن إصلاحه؛ وليس تجاوزا أخلاقيا يمكن معالجته بالتوعية. إنه نموذج عمل ربحي متكامل، تقوم عليه إمبراطوريات رقمية تبلغ قيمتها السوقية تريليونات الدولارات. هذه الإمبراطوريات لا تريد من الشباب أن يكونوا مواطنين واعين ناقدين؛ بل تريد منهم أن يكونوا مستهلكين قابلين لاتوجيه، تنبض عواطفهم وتتحرك رغباتهم وفق ما تخططه الخوارزميات، وتستخرج بياناتهم السلوكية كفقط رقمي يباع في أسواق التنبق. وقد أشارت زوبوف إلى أن رأسمالية المراقبة لا تريد مواطنين واعين، بل تريد مستهلكين يمكن التنبؤ بسلوكهم وتعديله.[460]

لماذا هذا الفصل هو الأهم في البحث؟ لأنه يجيب عن سؤال ظل معلقا طوال الفصول السابقة: لماذا كل هذا؟ لماذا صممت الخوارزميات لتشتيت انتباه الناس؟ لماذا تفضل منصات التواصل المحتوى الاستقطابي؟ لماذا تتجاهل الشركات الأضرار النفسية والاجتماعية التي تسببها منصاتها؟ الإجابة، كما سيتبين، ليست تقنية ولا أخلاقية فقط، بل هي اقتصادية في المقام الأول. العقل المشتت هو العقل الأكثر استهلاكاء والانتباه المختطف هو السلعة الأكثر ربحية. هذا الفصل يكشف النقاب عن السبب الحقيقي وراء الأعراض التي تم تحليلها في الفصول السابقة. وقد أشار وو إلى أن اقتصاد الانتباه ليس مجرد نظرية، بل هو محرك التصميم الأساشي لكل منصة تواصل اجتماعي.[461]

هذا التحليل يستند إلى منهج يربط بين السيولة المعلوماتية وتراكم رأس المال، كاشفا عن العلاقات الخفية بين ما يرى على الشاشات وبين من يملك أسواق البيانات. إنه يفسر لماذا تصمم الخوارزميات لهدم التركيز ولماذا تفضل المحتوى الاستقطابي، ولماذا تتجاهل الشركات الأضرار النفسية والاجتماعية التي تسببها منصاتهحا. الجواب بسيط ومفزع في آن: العقل المشتت هو العقل الأكثر استهلاكاء والانتباه المختطف هو السلعة الأكثر ربحية. وقد أشار هاري إلى أن هناك اثنتي عشرة قوة تعمل معا لسرقة انتباهناء وليست أي منها عيبا فردياء بل هي قوى منهجية مضمنة في تصميم التكنولوجيا.[462]

من صراع الحضارات إلى استعمار البيانات – وهذا يقود إلى أطروحة مركزية: الصراع الحضاري في العصر الحالي لم يعد يدور بين حضارات بالمعنى التقليدي الذي وصفه هنتنغتون، بل تحول إلى استعمار بيانات يستهدف الهوية الشابة في كل بقاع الأرض. صموئيل هنتنغتون، في كتابه (صدام الحضارات)، تنبأ بأن الصراعات المستقبلية ستكون بين كتل حضارية كبرى (غربية، إسلامية، صينية، إلخ). لكن ما حدث كان مختلفا: الشركات العملاقة عبر الوطنية Microsoft, Amazon رواع Meta, Google, استطاعت أن تفرض هيمنتها على كل هذه الحضارات، ليس من خلال القوة العسكرية، بل من خلال استخراج بيانات مواطنيها واستغلالها. هذه البيانات هي المادة الخام التي تستخرج من البشر – غالبا دون وعيهم – لتستخدم في التنبؤ بساوكهم والتحكم فيه، وتحقيق أرباح فلكية لقلة من المساهمين. وقد أشار كولدري وميخياس بك أن استعمار البيانات هو المرحلة الجديدة من الاستعمار، حيث لا تستخرج الموارد الطبيعية من الأرض، بل تستخرج البيانات من سلوك البشر.[463]

هذا التحول من الاستعمار العسكري إلى الاستعمار الرقمي له تداعيات عميقة. ففي الماضي، كانت الإمبراطوريات تحتاج إلى جنود ومدافع لاحتلال الأراضى. لما تحتاج إمبراطوريات البيانات فقط إلى

---

[460] Wu, T. (2016). The attention merchants: The epic scramble to get inside our heads. New York: Knopf, p. 45.

[461] Hari, J. (2022). Stolen focus: Why you can't pay attention. New York: Crown Publishers, p. 78.

[462] Couldry, N., & Mejias, U. (2019). The costs of connection: How data is colonizing human life and appropriating it for capitalism. Stanford: Stanford University Press, p. 15.

[463] Zuboff, The age of surveillance capitalism, p. 210.

خوارزميات وهواتف ذكية. الأراضي التي تستعمر اليوم ليست جغرافية، بل هي عقول البشر. وقد أشارت زوبوف إلى أن رأسمالية المراقبة تغزو الفضاء الداخلي للتجربة البشرية، وتحوله إلى مادة خام للإنتاج.[464]

في هذا الفصل، سيتم تقسيم التحليل إلى ثلاثة مباحث رئيسة. ابحث الأول: نشأة التسليع وتطوره، حيث يتتبع كيف نتحولت المعرفة من قيمة إنسانية سامية إلى سلعة تباع وتشكر ى، وكيف تحول الانتباه البشري من مورد شخصى شخصي إلى سلعة تستغل في أسواق الإعلانات. المبحث الثاني: هندسة الهوية الرقمية، حيث يحلل كيف تعمل الخوارزميات – خاصة خوارزمية تيك توك – على إعادة تشكيل هوية الشباب وتفكيك انتماءاتهم الوطنية والثقافية. المبحث الثالث: رؤية المقاومة الحضارية، حيث تقدم رؤية بديلة قائمة على استعادة الائتمانية المعرفية في مفهوم طه عبد الرحمن، وبناء سيادة وطنية على البيانات، وتمكين الشباب من حركة التحرر الرقمي. وقد أشار طه عبد الرحمن إلى أن الاثتمانية المعرفية هي الأساس الأخلاقي لأي مقاومة حقيقية للتسليع الرقمي.[465]

المبحث الأول: كيف تحولت المعرفة إلى سلعة

أولًا: من المعرفة كقيمة إلى المعرفة كسلعة

لفهم تحول المعرفة إلى سلعة، يحتاج الباحث إلى أدوات تحليلية تكشف العلاقات الاقتصادية الخفية وراء واجهات التطبيقات البراقة. هنا بأت دور التحليل الما ركسي الرقمي، الذي يطبق مفاهيم الما ركسية الكلاسيكية (العمل؛ القيمة، الفائض، الاستغلال) على الواقع الرقمي الجديد. وقد أشار فوكس إلى أن ماركس لم يتوقع الإنترنت، لكن أدواته التحليلية تصلح لفهمه؛ لأن جوهر الاستغلال لم يتغير: العمل البشري لا يزال مصدر القيمة.[466]

مقدمة في التحليل الما ركسي الرقمي – ليس المقصود هنا تبني الما ركسية كأيديولوجياء بل استخدام أدواتها التحليلية لفهم علاقات الاستغلال في الاقتصاد الرقمي. فكارل ما ركسء في كتابه (رأس المال) 1867 وضع أسسا لفهم كيفية استخراج القيمة من العمل البشري في النظام الرأسمالي. هذه الأسس لا تزال صالحة، وإن تغيرت أشكال العمل والإنتاج. وقد أشار ماركس إلى أن القيمة هي عمل مجسدء ولا شيء غير ذلك. كل ثروة امجتمعات التي تسود فيها الرأسمالية تظهر كمجموعة هائلة من السلع.[467]

ينطلق التحليل الما ركسي للاقتصاد الرقمي من نقطة محورية وهي السلعة لا باعتبارها كيانا ماديا فحسب، بل كبنية اجتماعية كثيفة مسد العلاقات الطبقية ضمن مط الإنتاج الرأسمالي. في هذا الإطار، تفهم القيمة التبادلية للسلعة على أنها لا تنبع من الندرة أو الحاجة الطبيعية، بل من العمل الاجتماعي الضروري المبذول لإنتاجها. كما طرحه ماركس، يضع هذا المفهوم العمل البشري – لا المادة ولا الأداة – في صلب إنتاج القيمة. وقد أشار ماركس إلى أن العمل هو جوهر القيمة، والأدوات والآلات تنقل قيمتها فقط إلى السلعة، لكنها لا تخلق قيمة جديدة.[468]

في الرأسمالية الصناعية الكلاسيكية، كان الميكل بسيطا نسبيا: الرأسمالي بمتلك وسائل الإنتاج (مصنع. آلات)، العاملة يبيع قوته العاملة مقابل أجرء ويستخرج الرأسمالي فائض القيمة من عمل العامل. في الرأسمالية الرقمية المعاصرة: اليكل أكثر تعقيدا وأكثر استغلالا. والتمييز الحاسم هنا هو بين العمل الحي، الذي يولد فائض القيمة ومخضع للاستغالال، والعمل الميبت، ال متجسد أدوات الإنتاج والبنية التحتية، والذي لا يولد قيمة جديدة بل ينقل قيمته إلى السلعة. وقد أشار فوكس إلى أن الخوارزميات والبنى السحابية هي عمل ميت لكنها تمكن العمل الحي للمستخدمين من إنتاج قيمة هائلة دون أجر.[469]

---

[464] طه عبد الرحمن. 2005 سؤال الأخلاق: مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية. الدار البيضاء: ال ركز الثقافي العربي، ص 55 ه.

[465] Fuchs, C. (2014). Digital labour and Karl Marx. New York: Routledge, p. 45.

[466] Marx, K. (1867). Capital: A critique of political economy (Volume 1). Hamburg: Verlag von Otto Meissner, p. 45.

[467] Marx, Capital, p. 48.

[468] Fuchs, Digital labour and Karl Marx, p. 52.

[469] Srnicek, N. (2017). Platform capitalism. Cambridge: Polity Press, p. 35.

تحول أدوات الإنتاج – اليوم، تحولت أدوات الإنتاج من الآلات والمصانع إلى الخوارزميات، والبنى السحابية، والذكاء الاصطناعي، والبيانات الضخمة. هذه الأدوات الرقمية لا تخرج عن المنطق الرأسمالي الكلاسيكي، بل تعززه: فهي لا تخلق قيمة مباشرة، لكنها تسهل وتسارع عملية إنتاج القيمة، وتعيد تنظيم الزمن الاجتماعي بما يخدم منطق التراكم الرأمالي. كما يلاحظ نيك سرنيسيك في كتابه الرأسمالية المنصاتية Platform Capitalism فإن المنصات الرقمية تمثل شكلا جديدا من الرأسمالية يقوم على استخراج الإيجار من التفاعلات بين المستخدمين؛ وليس على إنتاج السلع المادية. وقد أشار سرنيسيك إلى أن المنصات لا تنتج سلعاء بل تنتج الظروف التي تمكن الآخرين من إنتاج السلع؛ وفي مقابل ذلك تستخرج إيجارا من هذه التفاعلات.[470]

المستخدم كعامل لا يتقاضى أجرا – في هذا النموذج الجديد، أصبح المستخدم هو العامل الذي لا يتقاضى أجرا. كل نقرة، كل إعجاب، كل بحث، كل فيديو يشاهده؛ كل منشور يكتبهء علاقة كل يربطها – كل هذه الأنشطة ينتج فيها قيمة. إنه ينتج البيانات التي هي المادة الخام لصناعة الانتباه. لكنه لا يتقاضى أجرا مقابل هذا العمل. بل يدفع هو – بوقته وانتباهه – مقابل الخدمة امجانية التي تقدمها المنصات. وقد أشارت زوبوف إلى أن المستخدمين ليسوا زبائن، بل هم العمال غير المدفوعي الأجر الذين ينتجون المادة الخام التي تباع في أسواق التنبؤ.[471] أبعاد استغلال المستخدم البعد الأول: الاستغلال الزمني، هو الإنسان هو أثمن ما يملك. المنصات تصمم خوارزمياتها لإبقائه لأطول فترة ممكنة. كل ساعة يقضيها على المنصة هي ساعة لا يقضيها في الإنتاج أو التعلم أو الراحة. هذه الساعات حول إلى أرباح للمنصات. وقد أشار هاري إلى أن المنصات تتنافس على وقتناء وأرباحها تتناسب طرديا مع الوقت الذي نسرقه من حياتنا الواقعية.[472]

البعد الثاني: الاستغلال المعرفي، فقدرات الإنسان العقلية (الانتباه، التركيز، التحليل) تستغل كموارد. كلما زاد تشتته، زادت احتمالية استهلاكه للإعلانات. المنصات تستثمر في إضعاف قدراته النقدية، لأن العقل الناقد يستهلك أقل. وقد أشار كار إلى أن الإنترنت يعيد تشكيل أدمغتنا لصالح التفكير السريع والسطحي، وهذا ليس خطأ، بل هو ميزة من منظور اقتصاد الانتباه.[473]

البعد الثالث: الاستغلال العاطفي، فمشاعر الإنسان – غضبه، خوفه, حزنه، فرحه – تستغل كوقود للتفاعل. المنصات تفضل المحتوى الذي يثير مشاعر قوية؛ لأنه يحقق تفاعلا أعلى. الإنسان لا يدفع المال، لكنه يدفع بمشاعره ووقته وانتباهه. وقد أشار ليو إلى أن تحليل المشاعر هو أداة قوية لاستغلال العواطف، لأنه يسمح للمنصات بتخصيص المحتوى ليتوافق مع حالتك النفسية الحالية.[474]

هذا ما يسميه كريستيان فوكس في كتابه العمل الرقمي وكارل ماركس (Digital Labour and Karl Marx ب.ا لاستغلال الرقمي Digital Exploitation حيث يصبح المستخدم عاملا قميا غير مدفوع الأجر، ينتج قيمة للمنصة دون أن يحصل على حصة عادلة منها. وقد أشار فوكس إلى أن هذا الاستغلال هو الأكثر خفاء لأنه يحدث داخل ما يبدو وكأنه ترفيه أو تواصل، وليس عملا[475]

المستخدم كسلعة في آن واحد – ما تبيعه شركات التكنولوجيا الكبرى ليس فقط الإعلانات، بل البشر أنفسهم. فملفاتهم السلوكية – التي تبنى من بياناتهم – هي السلعة الحقيقية التي تباع في أسواق التنبؤ. المعلن لا يشتري مساحة إعلانية فقط، بل يشتري القدرة على استهداف مستخدمين محددين بخصائص نفسية وساوكية دقيقة. الإنسان، إذن، ليس عميلا ولا زبوناء بل هو المنتج والمادة الخام في آن واحد. وقد أشارت زوبوف إلى أن للستخدمون ليسوا زبائن، بل هم العمال غير المدفوعي الأجر، وهم أيضا السلعة التي باع[476]

---

[470] Zuboff, The age of surveillance capitalism, p. 86.

[471] Hari, Stolen focus, p. 78.

[472] Carr, N. (2010). The shallows: What the Internet is doing to our brains. New York: W.W. Norton & Company, p. 133.

[473] Liu, B. (2015). Sentiment analysis: Mining opinions, sentiments, and emotions. Cambridge: Cambridge University Press, p. 15.

[474] Fuchs, Digital labour and Karl Marx, p. 52.

[475] Zuboff, The age of surveillance capitalism, p. 86.

كيف تبى الملفات السلوكية؟ – تخيل أن كل نقرة يقوم بها الفرد، كل صفحة يزورها كل إعجاب يضعها كل بحث يجريه – كل هذه البيانات بجمع في ملف ضخم عنه. هذا الملف يتضمن: البيانات الديموغرافية (عمره، جنسه، موقعه، مستواه التعليمي)، والبيانات السلوكية (ما يشتريه، ما يشاهده. ما يقرأه، من يتابع)، والبيانات النفسية (ميوله السياسية، مخاوفه، رغباته، نقاط ضعفه).، والبيانات العلائقية (أصدقاؤه؛ عائلته، زملاؤه، شبكة علاقاته). هذا الملف يباع للمعلنين، الذين يستخدمونه لعرض إعلانات مخصصة. لكنه يستخدم أيضا لأغراض أخرى: التأثير في الانتخابات (كما في فضيحة كامبريدج آناليتيكا)، وتوجيه الرأي العام، وحتى هندسة المشاعر. وقد أشار وايلى إلى أن كامبريدج أناليتيكا كانت جرد فيض من فيض، وما رأيناه هو جرد عينة صغيرة ما يحدث على نطاق واسع كل يوم[477].

فائض القيمة يستخلص بشكل مضاعف – في الرأسمالية الرقمية، فائض القيمة مضاعف. أولا، من العمل غير المأجور للمستخدمين (إنتاج البيانات). ثانيا، من بيع هذه البيانات كسلعة تنبؤية. ثالثًا، من استخدام هذه البيانات لتعديل سلوك المستخدمين وزيادة استهلاكهم (وهو ما يزيد أرباح المعلنين، الذين هم بدورهم عملاء المنصات). حلقة مغلقة من الاستغلال لا تنتهي. وقد أشار كولدري وميخياس إلى أن هذه الحلقة المغلقة هي ما يجعل رأسمالية المراقبة ة نظاما مغلقاء يصعب اختراقه من الخارج[478] مثال توضيحي لدورة الاستغلال – شاب يبحث عن حذاء رياضي على جوجل. هذا البحث (عمل غير مدفوع) يسجل في ملفه السلوك. ثم يعرض عليه فيسبوك إعلانات لأحذية رياضية (بيع البيانات). ثم يشتري الحذاء (استهلاك). ثم بناء على هذا الشراء، تعرض عليه إعلانات لمنتجات مرتبطة (جوارب، ملابس رياضية). كل خطوة في هذه الدورة تدر أرباحا للمنصة؛ بينما لا يحصل الشاب على أي عائد. وقد أشار سرنيسيك إلى أن هذه الدورة تخلق علاقة قوة غير متكافئة: المنصة تعرف كل شيء عنك، وأنت لا تعرف شيئا عنها.[479]

ثانيً: جان فرانسوا ليوتار – تفكيك المعرفة في عصر ما بعد الحداثة

قبل عقود من ظهور الرأسمالية الرقمية بهذا الشكل، كان الفيلسوف الفرنسي جان فرانسوا ليوتار قد أنذر في كتابه (شرط ما بعد الحداثة) The Postmodern Condition بأن المعرفة في عصر ما بعد الحداثة تفقد قيمتها الذاتية كغاية إنسانية، وتتحول إلى سلعة تخضع لقوانين العرض والطلب. وقد أشار ليوتار إلى أن المعرفة لم تعد تطلب من أجل قيمتها الذاتية (للتنوير أو للتحرر)، بل من قوتها أجل الشرائية.[480]

ماذا قال ليوتار تحديدا؟ لاحظ أن المعرفة في المجتمعات ما بعد الصناعية لم تعد تنتج من أجل ذاتها (للفهم أو للإثراء الروحي)، بل من أجل قيمتها التبادلية. أي أن السؤال لم يعد هل هذا صحيح؟، بل هل هذا قابل للبيع؟. هذا التحول، كما قال ليوتار، يغير طبيعة التعليم والبحث العلمي. فلم تعد الجامعات تنتج المعرفة الحرة، بل تنتج المعرفة القابلة للتسويق. وقد أشار ليوتار إلى أن المعرفة التي لا يمكن ترجمتها إلى كميات معلوماتية ستهمل، وسيترك مصيرها للهواة.[481]

هذا التحول الذي تنبأ به ليوتار أصبح اليوم واقعا ملموسا. المعرفة التي كانت في التراث الإسلامي – كما

مقولة (طلب العلم فريضة على كل مسلم) – قيمة دينية وأخلاقية ووجودية، تحولت اليوم إلى بيانات تستخرج وتباع. القرآن يدعو إلى التفكر والتدبر والعلم كعبادة وقربى. الخوارزميات تدعو إلى الاستهلاك السريع، إلى التمرير اللامتناهي، إلى الانشغال بما يلغي عن التفكر والتدبر. وقد أشار

---

[476] Wylie, C. (2019). Mindf*ck: Cambridge Analytica and the plot to break America. New York: Random House, p. 50.

[477] Couldry & Mejias, The costs of connection, p. 45.

[478] Srnicek, Platform capitalism, p. 78.

[479] Lyotard, J.-F. (1979). The postmodern condition: A report on knowledge. Minneapolis: University of Minnesota Press, p. 45.

[480] Lyotard, The postmodern condition, p. 51.

[481] القرطبي، أبو عبد محمد الله بن أحمد. 2006 الجامع لأحكام القرآن. بيروت: دار الكتب العلمية، ج 16 ص. 310

القرطبي إلى أن التفكر عبادة، وهو من أفضل الأعمال. بينما تصميم المنصات يجعل التفكر شبه مستحيل.[482]

ثالثًا: سيولة المعلومات عند زيجمونت باومان - من الحداثة الصلبة إلى الحداثة السائلة

يعود بنا زيجمونت باومان إلى فكرة الحداثة السائلة Liquid Modernity لفهم كيف فقدت المعلومات تماسكها واستقرارها. في الحداثة الصلبة، كانت المعرفة تنتج في مؤسسات راسخة (الجامعات، الأكاديميات، دور النشر)، وتنتقل عبر قنوات بطيئة ومستقرة (الكتب، المجلات المحكمة). في الحداثة السائلة، أصبحت المعرفة – أو ما يتبقى منها – سائلة: تتدفق بسرعة، تتغير باستمرار، لا تستقر في مكان, لا تعرف هوية ثابتة. وقد أشار باومان إلى أن السيولة هي صفة العصر: كل شيء يذوب، كل شيء يتحرك، كل شيء يمكن استبداله بسرعة. حتى الحقائق أصبحت سائلة.[483]

لماذا السيولة خطيرة؟ هذه السيولة هي ما تجعل المناعة الفكرية صعبة المنال، لأنها تجعل من المستحيل تقريبا التمسك بأي يقين. فكيف يبنى مناعة ضد شيء سائل متغير؟ كيف يفرق بين الحقيقة والزيف عندما تتغير الحقيقة نفسها كل ساعة؟ كيف ب: يغبت الفرد على هوية عندما تتفكك الهويات وتتلاشى كالسراب؟ وقد أشار باومان إلى أن في عالم السوائل، بصب كل شيء مؤقناء كل شيء قابل للاستبدال. العلاقات، الوظائف,, الهويات، حتى الحقائق. هذا هو البيئة المثالية لرأسمالية المراقبة: فالإنسان السائل لا يملك ثوابت، لا يملك ولاءات، لا يملك إلا استهلاكه اللحظي. وهو بالتالي أسهل في الاستغلال.[484]

الاستخراج السلوك: تحويل المشاعر إلى سلعة – ربما يكون أخطر ما في الرأسمالية الرقمية هو تحويل المشاعر الإنسانية إلى سلعة. فبفضل تقنيات تحليل المشاعر Sentiment Analysis تستطيع الخوارزميات تحديد الحالة النفسية للفرد بدقة: هل هو سعيك؟ حزين؟ غاضب؟ خائف؟ متحمس؟ تستخدم هذه المعلومات لتوجيه محتوى مخصص يستغل حالته النفسية لتحقيق أهداف تجارية. وقد أشار ليو إلى أن تحليل المشاعر أصبح دقيقا بما يكفى للتنبؤ بالحالة النفسية للأفراد، بل وا لمجموعات، في الوقت الفعلى.[485]

كيف يعمل تحليل المشاعر؟ تعتمد تقنيات تحليل المشاعر على خوارزميات التعلم الآلي التي تدرب على ملايين النصوص لتمييز الأنماط العاطفية. تحلل هذه الخوارزميات كلمات الفرد، علامات الترقيم، الرموز التعبيرية Emojis وميكنها قياس شدتمها بدقة تصل إلى 85% وقد أشار هوتو وغيلبرت إلى أن أدوات تحليل المشاعر الحديثة يمكنها التمييز بين 12 مشاعر مختلفة.[486]

إذا اكتشفت الخوارزميات أن الشخص ير بحالة حزن، قد تعرض له إعلانات عن منتجات تحسن المزاج أو تخفف التوتر. إذا اكتشفت أنه غاضب من قضية سياسية معينة، قد تعرض له محتوى يستغل غضبه ليدفعه نحو مواقف أكثر تطرفا (لأن التفاعل معا محتوى المتطرف أعلى). إذا اكتشفت أنه وحيد، قد تعرض له محتوى يعزز شعور الانتماء إلى مجتمع المنصة. مشاعره – التي كانت في التراث الإسلامي أمانة يجب رعايتها وتوجيهها – أصبحت اليوم سلعة تستخرج وتباع. هذا هو أخطر أشكال التسليع: تسليع الذات الإنسانية. وقد أشار الغزالي إلى أن الغضب والحزن والفرح هي نيران في القلب، إذا أطلقت أحرقت صاحبها، وإذا سخرت أضاءت طريقه. اليوم، تسخر هذه المشاعر لإضاءة طريق أرباح الشركات.[487]

---

[482] Bauman, Z. (2005). Liquid life. Cambridge: Polity Press, p. 34.

[483] Bauman, Liquid life, p. 34.

[484] Liu, Sentiment analysis, p. 15.

[485] Hutto, C.J., & Gilbert, E.E. (2014). VADER: A parsimonious rule-based model for sentiment analysis of social media text. Eighth International Conference on Weblogs and Social Media (ICWSM-14), p. 2.

[486] الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد. 2010 إحياء علوم الدين (المجلد 2 بيروت: دار الكتب العلمية، ص 45.

[487] Wu, The attention merchants, p. 23.

رابعا: اقتصاد الانتباه وتدمير المناعة الذاتية

إذا كان السؤال: لماذا تصمم منصات التواصل خوارزمياتها لتشتيت انتباه الناس وتفكيك قدرتهم على التركيز؟ فالإجابة بسيطة في منطق اقتصاد الانتباه: العقل المشتت هو العقل الأكثر استهلاكا. وقد أشار وو إلى أن اقتصاد الانتباه هو الاقتصاد الوحيد الذي يزداد فيه الطلب كلما زاد التشتت: كلما تشتت الانتباه، زاد الطلب على المزيد من المحتوى لملء الفراغ..[488]

معادلة اقتصاد الانتباه لنتأما – معادلة بسيطة: ربح المنصة عدد - المستخدمينا متوسط الوقت الذي

ربح ينا متو:. يعضونه ما معدل التفاعل مع الإعلانات. لتعظيم الربح، يجب تعظيم كل هذه المتغيرات. وهذا يعني تصميم منصات تجعل المستخدمين يبقون لأطول فترة ممكنة، ويتفاعلون بأقصى قدر ممكن. وأفضل طريقة لفعل ذلك هي جعل المنصة مسببة للإدمان Addictive[489]

والإدمان الرقمي يبنى على آليات نفسية معروفة: الإشباع الفوري Instant Gratification والمكافآت المتقطعة Intermittent Rewards]م)ء والتمرير اللامتناهي Endless Scroll والإشعارات المتكررة (Push Notifications كل هذه الآليات تعمل معا لتشتيت الانتباه، لأن الانتباه المشقت هو الانتباه الذي يبحث عن المثير التاللي، وبالتالي يبقى على المنصة أطول. وقد أشار آرال إلى أن المنصات صممت لتكون مدمنة، باستخدام نفس آليات ماكينات القمار: مكافآت متغيرة، تعزيز متقطع. وعدم وضوح لنقطة النهاية.[490]

آليات الإدمان الرقمي بالتفصيل – يمكن تفصيل هذه الآليات على النحو التالي. الإشباع الفوري: عندما يفتح الفرد تطبيقاء يحصل على محتوى فوري. هذا يعيد برمجة الدماغ ليتوقع المكافآت السريعة، مما يضعف قدرته على تحمل التأخير أو بذل جهد للحصول على مكافآت أكبر (مثل قراءة كتاب أو تعلم مهارة جديدة). وقد أشار كاينمان إلى أن الدماغ البشري بميل إلى المكافآت الفورية على حساب المكافآت المستقبلية الأكبر، والمنصات تستغل هذا الميل ببراعة.[491]

المكافآت المتقطعة:: الإشعارات لا تأتي بشكل منتظم، بل بشكل عشوائي. هذا هو نفس مبدأ عمل ماكينات القمار: عدم معرفة مق ستأقٍ المكافأة يخلق إدمانا أقوى من المكافآت المنتظمة. كل مرة يفتح فيها الفرد الحاتف، يأمل أن يجد شيئا مثيرا. وقد أشار آرال إلى أن المكافآت المتقطعة هي أقوى مبادئ الإدمان، لأنها تخلق حالة من الترقب المستمر، والترقب يفرز الدوبامين أكثر من المكافأة نفسها.[492]

التمرير اللامتناهي: منصات مثل تيك توك وفيسبوك صممت واجهات لا كفاية لها لا يوجد صفحة أخيرة. هذا يجعل التوقف رازا واعياء بينما الاستمرار هو الوضع الافتراضي. وقد أشار هاري إلى أن التمرير اللامتناهي يخلق حالة من التدفق المستمر، حيث يفقد المستخدم الإحساس بالزمن. هذا هو السبب في أن خمس دقائق على تيك توك تتحول بسهولة إلى ساعتين.[493]

الإشعارات المتكررة: كل إشعار يخطف انتباه الفرد، حتى لو كان مشغولا بمهمة مهمة. هذا يخلق حالة من التشتت المزمن Chronic Distraction حيث يصبح الفرد غير قادر على التركيز على أي شيء لأكثر من بضع دقائق. وقد أشار كار إلى أن كل إشعار هو مقاطعة، وكل مقاطعة تكلفنا وقتا للعودة إلى ما كنا نفعله. هذه التكاليف تتراكم، وتؤدي إلى استنزاف كبير في الإنتاجية والتركيز.[494]

---

[488] Srnicek, Platform capitalism, p. 45.

[489] Aral, S. (2020). The hype machine: How social media disrupts our elections, our economy, and our health. New York: Currency, p. 56.

[490] Kahneman, D. (2011). Thinking, fast and slow. New York: Farrar, Straus and Giroux, p. 85.

[491] Aral, The hype machine, p. 56.

[492] Hari, Stolen focus, p. 67.

[493] Carr, The shallows, p. 145.

[494] Loh, K., & Kanai, R. (2014). Higher media multi-tasking activity is associated with smaller gray-matter density in the anterior cingulate cortex. PLoS ONE, 9(9), e106698, p. 4.

كيف يهدم اقتصاد الانتباه المناعة الذاتية؟ – المناعة الفكرية تتطلب قدرة على التركيز العميق (Deep Critical Reflection Sustained Thinking Focusيهدم هذه القدرات الغلاث. أولا، يضعف التركيز العميق: لأن الدماغ يعاد برمجته ليكون أقل قدرة على التركيز على مهمة واحدة لفترة طويلة. وقد أظهرت دراسة لوه وكاناي أن التعدد الإعلامي المفرط يرتبط بانخفاض كثافة المادة الرمادية في مناطق الدماغ المسؤولة عن التركيز والتحكم المعرفي.[495]

ثانيا، يضعف التفكير المستمر: لأن العقل يصبح معتادا على الانتقال السريع بين المهام، ويفقد القدرة على متابعة فكرة واحدة لفترة كافية لاستخلاص استنتاجات عميقة. وقد أشار كار إلى أن التفكير المستمر يتطلب مسارات عصبية قوية، وعندما لا نستخدمها، تضعف وتضمر.[496]

ثالثًا، يضعف التأمل النقدي: لأن الفرد يصبح منغمسًا في المحتوى بدلًا من أن يكون خارجه ينقده. وقد أشارت تيركل إلى أن الاندماج في الشاشة يخلق حالة من النسيان الذاتي، حيث نفقد الإحساس بمن نحن وأين نحن؛ وهذه الحالة ممتعة، لكنها خطيرة، لأنها تعطل القدرة على التأمل النقدي.[497]

المبحث الثاني: هندسة الهوية الرقمية

أولًا: الخوارزمية كصانع للهوية

في كتابه الإنسان ذو البعد الواحد One-Dimensional Man حذر الفيلسوف الألماني هربرت ما ماركوزه من أن المجتمعات الصناعية المتقدمة تنتج إنسانا فقد قدرته على النقد والمقاومة إنسانا اختزل إلى بعد واحد: بعد الاستهلاك والإنتاج. هذا الإنسان لا يرى بديلا عن النظام القائم. وقد أشار ماركوزه إلى أن المجتمع الصناعي المتقدم يخلق شكلا من أشكال الوعي أحادي البعد، حيث يندمج النقد في الواقع القائم، وتختفي إمكانية التجاوز.[498]

كيف ينتج النظام الإنسان ذا البعد الواحد؟ شرح ما ماركوزه أن وسائل الإعلام والإعلان والثقافة الجماهيرية تعمل معا لتشكيل رغبات الناس وتصوراتهم. بدلا من أن يطور الإنسان رغباته الحقيقية (ما يحتاجه حقا). تزرع فيه رغبات مصطنعة (ما يريد النظام أن يرغب فيه). هذا الإنسان لا يشعر بالاغتراب لأنه لا يدرك أنه مغترب. إنه سعيد باستهلاكه. لكن سعادته هي شكل من أشكال القبول بالواقع القائم. وقد أشار ما ماركوزه إلى أن الرغبات المصطنعة هي تلك التي يفرضها المجتمع على الأفراد من خلال آليات التلاعب، والتي يشعر الأفراد بأنها رغباتحم الذاتية بينما هي في الحقيقة رغبات النظام.[499]

اليوم، يعيد العصر الرقمي إنتاج الإنسان ذي البعد الواحد بصورة أكثر تطورا: الشاب ذو البعد الرقمي. هذا الشاب لا يرى نفسه إلا من خلال ما تقدمه له الخوارزميات. هويته لم تعد تبنى من خلال علاقاته الحقيقية (الأسرة، المدرسة، المسجد، الحي)ء بل من خلال محتوى يستهلكه ويشاركه. اهتماماته تعد تنبع من فضوله الذاتي، بل ما تقترحه خوارزميات التوصية. آراؤه لم تعد ثمرة تفكير مستقل، بل نتاج ما يراه في فقاعته التصفية. وقد أشار باريسر إلى أن فقاعة التصفية لا تعزلنا فقط عن الآراء المخالفة، بل تعزلنا أيضا عن إمكاناتنا الذاتية عن الجوانب الأخرى من شخصيتنا التي قد لا تظهر في سلوكنا السابق.[500]

الفرق بين الهوية الحقيقية والهوية الرقمية – المهوية الحقيقية ت تبى بوعي: يختار الفرد قيمه، ويختار معتقداته, ويختار علاقاته. الهوية الرقمية تبنى بلا وعي: الخوارزميات تختار للفرد. هي نتيجة تفاعلاته، وليس تأملاته. هي انعكاس لسلوكه وليس لذاته. الفرق كبير. الهوية الحقيقية مستقرة، يمكن الدفاع

---

[495] Carr, The shallows, p. 133.

[496] Turkle, S. (2011). Alone together: Why we expect more from technology and less from each other. New York: Basic Books, p. 152.

[497] Marcuse, H. (1964). One-dimensional man: Studies in the ideology of advanced industrial society. Boston: Beacon Press, p. 56.

[498] Marcuse, One-dimensional man, p. 23.

[499] Pariser, E. (2011). The filter bubble: What the Internet is hiding from you. New York: Penguin Press, p. 78.

[500] Bauman, Liquid life, p. 34.

عنها. الهوية الرقمية سائلة، تتغير مع كل نقرة. الهوية الحقيقية تعبر عن جوهر الفرد. المحوية الرقمية تعبر عن بياناته. وقد أشار باومان إلى أن الهوية في الحداثة السائلة أصبحت مشروعا دائم التكوين، وليس إرثا مستقرا. وهذا ينطبق بشكل خاص على الهوية الرقمية، التي تعاد كتابتها كل يوم بناء على أحدث تفاعلاتنا.[501]

كيف تفرض منصات التواصل أنماطا هوياتية محددة؟ لنأخذ مثالا: شاب خليجي في الثامنة عشرة، يفتح تطبيق تيك توك لأول مرة. في البداية، الخوارزمية لا تعرف عنه شيئا، فتعرض له محتوى عاما. لكن مع كل فيديو يشاهده، وكل إعجاب يضعه، وكل ثانية يتوقف عندهاء، تتعلم الخوارزمية عنه: يجب مقاطع السيارات؟ يتابع مؤثرين في مجال التكنولوجيا؟ يتفاعل مع محتوى ديني؟ يتوقف عند مقاطع سياسية؟ بعد أسبوع، أصبحت الخوارزمية تعرف عن هذا الشاب أكثر مما يعرف عن نفسه. تعرف نقاط ضعفه. مخاوفه، رغباته الخفية. وتستخدم هذه المعرفة لتوجيهه نحو محتوى محدد، يخلق لديه تدريجيا هوية رقمية معلبة Packaged Digital Identity وقد أشارت تيك توك إلى أن خوارزمية For You Page تتعلم تفضيلات المستخدم بسرعة فائقة، وتبني ملفا دقيقا عن اهتماماته، ثم تستخدم هذا الملف لتخصيص المحتوى بشكل فريد لكل مستخدم.[502]

أنواع الهويات المهندسة:

هوية استهلاكية: تركز اهتمامه على المنتجات، الموضة، السفر، نمط الحياة. تجعله يشعر أن قيمته تكمن فق ما يشتريه، لا في ما ينتجه. هذه الهوية تخدم المعلنين مباشرة.

هوية ترفيهية: تجعله منشغلا بالمقاطع السريعة، الأغاني، التحديات، بعيدا عن أي قضية جوهرية. هذه الهوية تخدم المنصة (لأن المستخدم المنشغل بالترفيه يبقى أطول).

هوية استقطابية: تدفعه نحو محتوى متطرف، ء دينيا أو سياسيا، يغذي غضبه واستيائه، ويوجهه نحو أعداء وهميين. هذه الهوية تخدم الأطراف السياسية التي تدفع تمن التضليل.

هوية هجينة: مزيج من كل ما سبق، لا هوية متماسكة، فقط استجابات لحظية محتوى عابر. هذه الهوية هي الأكثر شيوعاء لأنها تسمح للمنصة بتحقيق أقصى استغلال.

في كل هذه الحالات، اللحوية لم تعد تعبيرا عن الذات الحقيقية، بل عن خوارزمية صممتها شركة أجنبية لتعظيم أرباحها. وقد أشارت زوبوف إلى أن رأسمالية المراقبة لا تريدك أن تكون شخصا متطورا ومتغيراء بل تريدك أن تكون آلة يمكن التنبؤ بما، لأن الآلة التي يمكن التنبؤ بها هي الأكثر ربحية.[503]

تفتت الهوية الوطنية لصالح هويات رقمية عابرة للحدود – من أخطر نتائج هندسة الهوية الرقمية تفتت هو المهوية الوطنية. فالشاب الذي يقضي ساعات طويلة في فضاء رقمي عابر للحدود، يستهلك محتوى بلغات متعددة، يتابع مؤثرين من ثقافات مختلفة، قد يشعر بانتمائه إلى مجتمع رقمي عالمي أكثر من شعوره بانتمائه إلى وطنه. وقد أشار معلوف إلى أن العولمة الرقمية تخلق هويات سائلة لا ترتبط بأرض أو تاريخ، بل بلحظات استهلاك عابرة. هذا قد يكون تحرراء لكنه قد يكون أيضا ضياعا.[504]

هل هذا شيء بالضرورة؟ ليس بالضرورة. الانفتاح على الثقافات الأخرى يكن أن يكون إيجابيا. لكن المشكلة تبدأ عندما يصبح الانتماء العالمي بديلا عن الانتماء الوطني، وليس مكملا له. فالشاب الذي لا يشعر بارتباط بوطنه لا يهتم بقضاياه، لا يشارك في تنميته، لا يدافع عنه في المحافل الدولية. كما أن هذا الانتماء العالمي ليس حقيقيا، بل هو انتماء إلى علامات تجارية رقمية. إنه انتماء إلى فيسبوك، وليس إلى إنسانية العالم. إنه انتماء إلى مجتمع استهلاكي، وليس إلى مجتمع قيمي. هذا هو الخطر: الهوية الوطنية تستبدل بهويات استهلاكية عابرة للحدود، تخدم الشركات الكبرى التي لا تربح من ولا، المواطن لوطنه، لكنها تربح من ولائه لمنصتها. وقد أشار كاستلز إلى أن عصر المعلومات شهد صعودا متزامنا

---

[501] TikTok. (2025). How the For You Page algorithm works. TikTok Newsroom.

[502] Zuboff, The age of surveillance capitalism, p. 210.

[503] معلوف، أمين. 2019 المميات القاتلة (ترجمة: تملة الشهال). بيروت: دار الفارابي، ص 45.

[504] Castells, M. (2010). The power of identity: The information age. Oxford: Wiley-Blackwell, p. 56.

للعولمة والمحهويات الضيقة، كرد فعل على فقدان الأمان في عالم متغير. لكن الهويات التي تنتجها الخوارزميات ليست هويات مقاومة؛ بل هي هويات مسيرة[505]

ثانيا: تشريح خوارزمية تيك توك كدراسة حالة

كيف تدرس خوارزمية تيك توك نفسية الشاب الخليجي والعربي؟ تيك توك ليس مجرد تطبيق لمقاطع فيديو قصيرة؛ إنه مختبر ضخم للهندسة السلوكية، يجري تحاربه على مليار مستخدم حول العالم، منهم مئات الملايين في العالم العربي. ما بميز خوارزمية تيك توك هو دقتها المتناهية في فهم المستخدم وتوجيهه. وقد أشارت تيك توك إلى أن خوارزمية For You هي القلب النابض توك توك، وهي مصممة لتقديم محتوى مخصص لكل مستخدم على حدة. بناء على تفاعلاته السابقة وساوكه داخل التطبيق.[506]

هذه الخصائص تجعل تيك توك الأداة الأكثر فعالية في هندسة الهموية الرقمية. وقد أشار هاري إلى أن تيك توك هو المصنع الأكثر كفاءة لاستخراج الانتباه في تاريخ البشرية، لكنه أيضا أكثر الآلات تدميرا للقدرة على التركيز العميق.[507]

المرحلة الأولى: رسم الخريطة النفسية – Psychological Mapping عندما يبدأ شاب خليجي باستخدام تيك توك، الخوارزمية لا تكتفي بمراقبة إعجاباته ومشاهداته. تراقب: وقت المشاهدة (كم ثانية يقضيها على كل فيديو؟ هل يشاهده كاملا أم يتخطاه بسرعة؟)، ونوع احتوى (سيارات، رياضة، دين، سياسة، ترفيه، موضة، تعليم)، وتكرار التفاعل (هل يعجب بمحتوى معين بشكل متكرر؟ هل يشاركه؟ هل يعلق عليه؟)؛ ووقت الاستخدام (في أي ساعة من اليوم يستخدم التطبيق؟ كم مرة يفتحه في اليوم؟)، والتفاعلات غير المباشرة (هل يتوقف عنلك فيديو معين دون أن يعجب به؟ هل يشاهده أكثر من مرة؟)، والعلاقات (من يتابع؟ من يتابعه؟ ما هي طبيعة شبكة علاقاته الرقمية؟).[508]

المرحلة الثانية: التصنيف والتنبؤ (– Classification & Prediction) بعد أيام قليلة، تصنف الخوارزمية المستخدم في شخصية رقمية Digital Persona هذه الشخصية تتضمن مئات المتغيرات: العمر، الجنس، الموقع، الاهتمامات، الميول السياسية؛ المستوى التعليمي، الحالة النفسية، درجة القابلية للتأثر، إلخ. كيف تبنى الشخصية الرقمية؟ تبنى من خلال خوارزميات التعلم الآلي التي تحلل كميات هائلة من البيانات لتحديد الأنماط. هذه الخوارزميات تستخدم تقنيات مثل: التجمع – بجمع المستخدمين ذوي السلوكيات المتشابمة، والتصنيف – تصنيف المستخدمين إلى فئات محددة (مستهلك، ناشطء متردد، إخ)ء والانحدار – توقع السلوك المستقبلي بناء على السلوك الماضي.[509]

بناء على هذه الشخصية، تبدأ الخوارزمية في التنبؤ بما سيعجب المستخدم قبل أن يعجبه، بل بما سيبحث عنه قبل أن يبحث. هذا هو التنبؤ الاستباقي Proactive Prediction الخوارزمية لا تنتظر منك أن تبحث، بل تعرض عليك ما تعتقد أنك ستبحث عنه. وقد أشار كريستيان وغريفيئس إلى أن خوارزميات التعلم الآلي يمكنها اكتشاف أنغاط في سلوكنا لا نكتشفها نحن بأنفسناء وتستخدم هذه الأنماط للتنبؤ بساوكنا المستقبلي بدقة مذهلة.[510]

المرحلة الثالثة: الهندسة والتوجيه – Engineering & Steering الآن أن الدور الأهم: استخدام هذه المعرفة لهندسة اهتمامات المستخدم وتوجيهه. الخوارزمية لا تكتفي بعرض محتوى يعجبه، بل تبدأ في تشكيل اهتماماته.

آليات الهندسة السلوكية في تيك توك:

---

[505] TikTok, How the For You Page algorithm works.

[506] Hari, Stolen focus, p. 56.

[507] TikTok, How the For You Page algorithm works.

[508] Christian, B., & Griffiths, T. (2016). Algorithms to live by: The computer science of human decisions. New York: Henry Holt and Co., p. 56.

[509] Christian & Griffiths, Algorithms to live by, p. 56.

[510] DiResta, R. (2024). Invisible rulers: The people who turn lies into reality. New York: PublicAffairs, p. 45.

توسيع دائرة الاهتمامات Interest Expansion إذا اكتشفت أن المستخدم مهتم بالسيارات، ستعرض له محتوى عن السيارات الفاخرة، ثم عن السفر، ثم عن نمط الحياة الفاخر، ثم عن المنتجات المرتبطة بهذا النمط. توسع دائرة اهتماماته في اتجاه استهلاكي. المهدف: تحويل اهتمام عابر إلى نمط حياة.

تضييق دائرة الاهتمامات Interest Narrowing إذا اكتشفت أن المستخدم مهتم بقضية سياسية معينة ستعرض له معتوى متطرف حول هذه الم لقضية فقط ونع عنه وجهات النظر المخالفة. تضيق دائرة اهتماماته حتى تصبح مهووسا بموضوع واحد. المهدف: خلق غرفة صدى Echo Chamber تزيد من تفاعله.

توجيه المشاعر Emotional Steering إذا اكتشفت أن المستخدم في حالة غضب، ستعرض له محتوى يغذي غضبه. إذا كان في حالة حزن، ستعرض له محتوى يحاول إسعاده أو استغلال حزنه. المشاعر توجه لخدمة أهداف تجارية. الهدف: استغلال الحالة النفسية لتحقيق أقصى تفاعل.

تيك توك والشباب الخليجي: تفكيك الوعي الجمعي – ما الذي يعنيه هذا للشاب الخليجي والعربي تحديدا؟ هناك عدة مخاطر خاصة بالسياق العربي.[511]

أولا، تفكيك الوعي بالقضايا الوطنية: الشاب الذي يقضي ساعات على تيك توك يرى محتوى عالميا بشكل أساشي. اهتمامه بالشأن المحلى – سواء كان قضايا وطنية أو خليجية أو عربية – يتراجع. القضايا المصيرية التي كانت تشغل الشباب العربي (كالقضية الفلسطينية، الوحدة العربية، التنمية الوطنية) تختفي من قائمة أولوياته. ليحل محلها محتوى ترفيهي أو استهلاكي. كيف يحدث هذا؟ الخوارزميات لا تقرر إهمال القضايا الوطنية. لكنها تفضل المحتوى الذي يحقق تفاعلا أعلى. والمحتوى الترفيهي والاستهلاكي يحقق تفاعلا أعلى من المحتوى السياشي الجاد. بالتالي، يتم دفعه إلى مقدمة صفحة لك. مع الوقت، يعتاد الشاب على هذا النوع من المحتوى. وتتراجع حساسيته للقضايا الوطنية. وقد أشار سنستاين إلى أن غرف الصدى لا تعزلنا فقط عن الآراء المخالفة، بل تعيد تعريف ما هو طبيعي وما هو شاذ من خلال تكرا ار نفس الرسائل حتى تصبح مألوفة.[512]

ثانيا، هندسة الهوية الثقافية: تيك توك منصة غربية (صينية– -أمري يكية اللهجين) لأغاط حياة غربية.

موضة، موسيقى، سلوكيات، قيم. هذه الأغاط لا تقدم صراحة على أنها بديل عن الهوية المحلية، لكنها نقد كطبيعية وعصرية. مع الوقت، يبدأ الشاب في تبنّي هذه الأنماط دون وعي، وتتآكل هويته الثقافية الأصلية. وقد أشار سعيد إلى أن الهيمنة الثقافية لا تتم بالقوة، بل بالجاذبية. عندما تصبح ثقافة الآخر طبيعية ومرغوبة، يبدأ الإنسان في التخلي عن ثقافته الأصلية دون أن يشعر.[513]

ثالثا، تغذية الاستقطاب الطائفي والمناطقي: تيك توك – مثل غيره من من المنصات – يكاف المحتوى العاطفي والاستقطابي. في العالم العربي، هذا يعني أن المحتوى الطائفي المناطقيء أو السياشي المتطرف يحظى بانتشار أكبر. الشباب الذي يغذى بمثل هذا المحتوى يوميا يصبح أكثر استقطابا وتطرفاء وأقل قدرة على التسامح والحوار. وقد أشار ديريستا إلى أن الاستقطابا جرد نتيجة غير مقصودة، بل هو استراتيجية متعمدة.

فا مجتمع المنقسم على نفسه لا يمكنه أن يتحد لمواجهة عدو خارجي.[514]

رابعا، الإلاء عن الإنتاج والإبداع: الوقت الذي يقضيه الشاب على تيك توك هو وقت لا يقضيه في القراءة، الدراسة, الإنتاج، أو المشاركة المجتمعية. جيل كامل يستهلك محتوى سطحيا لساعات يوميا، بينما يحتاج وطنه إلى شباب منتجين مبدعين. هذا هو أخطر ما في الأمر: تيك توك وغيره من المنصات لا تشتت انتباه الشباب فقط، بل تشتت طاقاتحم، وتحوهم من بناء المستقبل إلى مستهلكين سلبيين. وقد

---

[511] Sunstein, C. R. (2017). #Republic: Divided democracy in the age of social media. Princeton: Princeton University Press, p. 78.

[512] Said, E. W. (1994). Representations of the intellectual. New York: Pantheon, p. 45.

[513] DiResta, Invisible rulers, p. 54.

[514] Freire, P. (1970). Pedagogy of the oppressed. New York: Herder and Herder, p. 75.

أشار فريري إلى أن التحرر الحقيقي لا بأي من الاستهلاك، بل من الإنتاج؛ الإنسان الذي يستهلك فقط يظل تابعاء مهما كانت كمية ما يستهلكه.[515]

ثالثًا: استعمار الوعي وتاكل السيادة الإدراكية

نيك كولدري وأوليسيس ميخياس: استعمار البيانات – Data Colonialism في كتابهما تكاليف الاتصال The Costs of Connection يقدم الباحثان نيك كولدري وأوليسيس ميخياس مفهوم استعمار البيانات لفهم العلاقة بين الشركات الكبرى والمستخدمين في الجنوب العالمي. يستعيران مصطلح الاستعمار لأن استعمار البيانات لا حلة الجديدة من الاستعمار، حيث لا تستخرج الموارد الطبيعية من الأرض، بل تستخرج البيانات من سلوك البشر. وقد أشار كولدري وميخياس إلى أن استعمار البيانات هو المرحلة الجديدة من الاستعمار، حيث لا تستخرج الموارد الطبيعية من الأرض، بل تستخرج البيانات من سلوك البشر.[516]

جدول (1-6): مقارنة بين الاستعمار التقليدي واستعمار البيانات

المعيار	الاستعمار التقليدي	استعمار البيانات
الهدف	استخراج الموارد الطبيعية	استخراج البيانات السلوكية
الأداة	القوة العسكرية	الخوارزميات والمنصات
التأثير	تدمير الهوية المحلية	تآكل الهوية الرقمية
المقاومة	حروب التحرير	حركات التحرر الرقمي

كما يشرحانء استعمار البيانات يمثل مرحلة جديدة من الرأسمالية، تقوم على تحويل جميع جوانب الحياة البشرية بيانات قابلة للاستخراج والبيع. ويجادلان بأن الشركات التكنولوجية الكبرى تعامل الحياة البشرية كمواد خام للاستخراج، قاما كما استعمرت القوى الإمبريالية الأراضي قدبما. وينقدان كيف يتم تحويل أنفاسنا وتركاتنا وعلاقاتنا إلى بيانات اقتصادية، مما يخلق نوعا جديدا من العبودية الرقمية التي تفتت السيادة الشخصية. وقد أشار كولدري وميخياس إلى أن استعمار البيانات لا يحتاج إلى جنود أو مدافع، بل يحتاج فقط إلى هاتف ذكي وتطبيق مجاني. هذا هو ما يجعله أكثر خطورة من الاستعمار التقليدي: إنه يحدث داخل منازلناء وفي جيوبناء ودون أن نشعر.[517]

استعمار البيانات، كما عرفه كولدري وميخياس، هو الاستيلاء على الحياة البشرية من خلال البيانات. تركاتنا وتفضيلاتنا ومحاد ثاتنا وهواتنا تصبح مادة خام لأنظمة الذكاء الاصطناعي والأسواق الرقمية. وقد أشار كولدري وميخياس إلى أن هذا الاستيلاء ليس مجرد انتهاك للخصوصية؛ بل هو إعادة تشكيل للوجود الإنساني نفسه. فحياتنا لم تعد لنا لنا، بل أصبحت مادة خام لتحقيق الربيح.[518]

كيف يخترق الحصن الفكري من الداخل عبر الإعلانات المستهدفة؟ أخطر ما في استعمار البيانات هو أنه لا يتم عن طريق القوة العسكرية أو الاحتلال المباشر، بل عن طريق الاختراق من الداخل. فالإعلانات المستهدفة (ع Micro-targeting لا تهاجم وعي الفرد من الخارج، بل تتسلل إليه من خلال نقاط ضعفه النفسية، مستغلة رغباته ومخاوفه. ويمكن تفصيل عملية الإعلانات المستهدفة في أربع خطوات.[519]

الخطوة الأولى: جمع البيانات – بجمع بيانات دقيقة عن كل مستخدم: تاريخ التصفح، سجل المشتريات، الإعجابات والمشا محركات، ء المواقع التي يزورهاء الصور التي ينشرهاء الأصدقاء الذين

---

[515] Couldry & Mejias, The costs of connection, p. 15.

[516] Couldry & Mejias, The costs of connection, p. 22.

[517] Couldry & Mejias, The costs of connection, p. 34.

[518] Zuboff, The age of surveillance capitalism, p. 92.

[519] Zuboff, The age of surveillance capitalism, p. 86.

يتفاعل معهم؛ الرسائل التي يرسلها في بعض الحالات)ء وحتى نبرة صوته (في تطبيقات مثل أليكسا وسيري). هذه البيانات تشكل ملفا نفسيا وساوكيا دقيقا.[520]

الخطوة الثانية: تحليل البيانات – تستخدم خوارزميات الذكاء الاصطناعي لتحليل هذه البيانات واستخلاص أنماط ساوكية ونفسية. هذه الخوارزميات تستطيع تحديد: الشخصية (هل هو انطوائى أم منفتح؟)) والميول السياسية (هل هو محافظ أم ليبرالي؟)، والحالة العاطفية (هل هو سعيد أم حزين أم غاضب؟)، ونقاط الضعف (ما الذي يخاف منه؟ ما الذي يرغب فيه بشدة؟)، والقابلية للتأثر (هل هو سهل الإقناع أم صعب؟).[521]

الخطوة الثالثة: تصميم الرسائل المخصصة – بناء على هذا التحليل؛ تصمم رسائل مخصصة لكل فرد أو مجموعة صغيرة جدا. هذه الرسائل قد تكون إعلانات تحارية، أو منشورات سياسية، أو محتوى توعويا (لكن بمصادر مشبوهة). ال رسائل تصمم لتستغل نقاط ضعف الفرد: إذا كان خائفا من فقدان وظيفته. ستعرض عليه إعلانات عن دورات تدريبية أو منتجات تضمن له الاستقرار الوظيفي. إذا كان غاضبا من الحكومة، ستعرض عليه منشورات تستغل غضبه وتوجهه نحو مواقف أكثر تطرفا[522]

الخطوة الرابعة: التوصيل في الوقت المناسب – الرسائل لا ترسل في أي وقت، بل فى الوقت المناسب. إذا كانت البيانات تشير إلى أن الفرد يكون أكثر تقبلا للإعلانات في المساءء سترسل له في المساء. إذا كانت تشير إلى أنه أكثر عرضة للتأثر عندما يكون متعبا أو حزيناء سترسل له في تلك اللحظات. هذا التوقيت الدقيق يزيد من فعالية الرسالة بشكل كبير.[523]

هذه العملية برمتها تحدث دون أن يشعر بما الفرد. هو يعتقد أنه يتخذ قرارات مستقلة، بينما هي قرارات مهندسة مسبقا. وقد أشارت زوبوف إلى أن رأسمالية المراقبة لا تريد التنبق فقط بسلوكناء بل تريد تعديله وتوجيهه. إنها تعيد تعريف الإرادة الحرة نفسها.[524] تحليل موسع لخوارزميات أخرى إلى جانب خوارزمية تيك توك التي تم تحليلها بالتفصيل، تعمل خوارزميات منصات أخرى مثل فيسبوك وتويتر وإنستغرام بآليات مختلفة لكنها تتكامل في تشكيل وعي الشباب وتوجيه اهتماماتهم، وفهم هذه الخوارزميات المختلفة يساعد في بناء صورة متكاملة عن كيفية هندسة الوعي الرقمي.

ففي خوارزمية فيسبوك، يعتمد نظام الصفحة الرئيسية على إشارات تشمل التفاعلات السابقة (الإعجابات، والتعليقات، والمشاركات)، ومدى قرب العلاقة مع الناشر، وحداثة المحتوى، ونوعه.

أما خوارزمية تويتر، فتعتمد على نظام الترتيب الخوارزمي الذي يعرض للمستخدم التغريدات التي يُقدِّر أنها الأكثر أهمية له بناءً على عوامل متعددة.

أما خوارزمية إنستغرام، فتعتمد على ثلاث إشارات رئيسة: الاهتمام (ما يتفاعل معه المستخدم)، والتوقيت (حداثة المحتوى)، والعلاقة (مدى تفاعل المستخدم مع حساب معين). لكن ما يميز إنستغرام هو تركيزه على المحتوى البصري، بما يجعله أداة قوية في تشكيل الصورة الذاتية والهوية البصرية للشباب.

وما يجعل هذه الخوارزميات أكثر خطورة هو تكاملها وتداخلها؛ إذ إن الشاب الذي يستهلك محتوى معينًا على تيك توك سيُعرض له محتوى مشابه على إنستغرام ويوتيوب، بما يخلق حلقة مغلقة من التعزيز والتضخيم.

---

[520] O'Neil, C. (2016). Weapons of math destruction: How big data increases inequality and threatens democracy. New York: Crown Publishers, p. 45.

[521] Wylie, Mindf*ck, p. 78.

[522] Zuboff, The age of surveillance capitalism, p. 95.

[523] Zuboff, The age of surveillance capitalism, p. 210.

[524] طه عبد الرحمن، سؤال الأخلاق، ص 55 ه.

المبحث الثالث: رؤية المقاومة الحضارية

أولًا: المواجهة الأخلاقية

طه عبد الرحمن والعقل الائتماني – في مشروعه الفكري الضخم.ء يقدم المفكر المغربي طه عبد الرحمن مفهوما محوريا يمكن أن يكون أساسا لمقاومة تسليع المعرفة: الائتمانية المعرفية. في كتابه العمل الديني وتحديد العقل، يشرح طه عبد الرحمن أن العلاقة مع المعرفة في التراث الإسلامي لم تكن علاقة تملك (المعرفة سلعة أمتلكها)، بل علاقة ائتمان (المعرفة أمانة أؤتمن عليها). وقد أشار طه عبد الرحمن إلى أن الائتمانية المعرفية هي الأساس الأخلاقي لأي مقاومة حقيقية للتسليع الرقمي، لأنها تعيد الاعتبار للبعد الأخلاقي في العلاقة مع المعرفة للق[525]

ما معنى أن تكون المعرفة أمانة؟ الأمانة المسؤولية. تعني من يؤتمن على شيء يتحمل مسؤوليته. لا يمكنه التفريط فيه، لا يمكنه تحريفه، لا يمكنه استخدامه لغير ما خلق له. تطبيقا على المعرفة: الإنسان لا يملك المعرفة، بل هو مؤتمن عليها. هو مسؤول عن نقلها بدقة عن استخدامها في اتير عن تعره يرهاء عن حمايتها من التحريف. وقد أشار طه الرحمن عبد إلى أن الائتمانية تعني أن الإنسان ليس مالكا للمعرفة، بل هو خادم لا. المعرفة ليست ملكية، بل هي تكليف.[526]

ينطلق طه عبد الرحمن من تعريف مخصوص مؤداه أن الإنسان كائن متقرب، وقد ارتأى تتبع أبعاد هذه الرؤية، بالنظر في ثلاثة ضروب من ضروب العقل، وهي: العقل امجرد، والعقل المسدد، والعقل المؤيد. والعقل المسدد، الذي يهمنا هنا، هو العقل الذي يقوم على الاشتغال الشرعي، والذي يجمع بين المهارات التقنية والالتزام الأخلاقي. وقد أشار طه عبد الرحمن إلى أن العقل المسدد هو العقل الذي يخضع للمعايير الشرعية والأخلاقية؛ ولا ينفصل عن الغايات النبيلة. إنه عقل يخدم الحياة، ولا تستخدمه الحياة كأداة.[527]

الفرق بين العقل المسدد والعقل المسدد: العقل المجرد هو العقل الذي يفصل المعرفة عن الأخلاق. يمكن للإنسان أن يكون ذكياء ماهراء قادرا على حل المشكلات المعقدة، لكنه في نفس الوقت غير أخلاقي. هذا هو العقل الذي تنتجه رأسمالية المراقبة: عقول ماهرة في الاستهلاك، ضعيفة في المسؤولية. أما العقل المسدد فهو العقل الذي توجهه الأخلاق. إنه لا يسأل فقط هل يمكنني فعل هذا؟؛ بل يسأل هل يجب أن أفعل هذا؟. إنه لا يكتفي بمعرفة الوسائل، بل يبحث عن الغايات. وقد أشار طه عبد الرحمن إلى أن العقل المسدد هو الذي يستخدم المعرفة لخدمة الخير، وليس لتحقيق الربح فقط. هو الذي بميز بين النافع والضار، وبين الحق والباطل، وبين الجميل والقبيح.[528]

بناء إنترنت أخلاقي يحترم كرامة الإنسان كخليفة لا كسلعة – من هذا المنظور، يمكن بناء رؤية لإنترنت أخلاقي يقوم على مبادئ مختلفة.[529]

المبدأ الأول: كرامة الإنسان – الإنسان في التراث الإسلامي هو خليفة الله في الأرض، مكرم ومفضل. لا يمكن معاملته كسلعة تستخرج باع ناته وتباع. أي نموذج رقمي لا يحترم كرامة الإنسان هو نموذج غير أخلاقي يجب مقاومته. ماذا تعني الكرامة في السياق الرقمي؟ الكرامة تعني أن للإنسان قيمة ذاتية، مستقلة عن أي فائدة يمكن أن يقدمها. لا يمكن اختزاله إلى بيانات، لا يمكن التنبؤ بساوكه كآلة، لا يمكن التلاعب به كأداة. هذا يتطلب: حق الخصوصية (الإنسان له الحق في أن يبقى بعض جوانب حياته غير معروفة للآخرين)، وحق الخطأ (الإنسان له الحق في أن يخطئ دون أن يستغل خطؤه ضده)؛ وحق التغيير (الإنسان له الحق في تغيير رأيه. في تطور اهتماماته، في أن يكون غير قابل للتنبؤ).

المبدأ الثاني: الأمانة – الإنسان مؤتمن على المعرفة، وليس مالكا لما. هذا يعني أن نقل المعرفة يجب أن يكون أميناء وأن استخدامها يجب أن يكون مسؤولا. المنصات التي تسمح بنشر المعلومات المضللة

---

[525] طه عبد الرحمن، سؤال الأخلاق، ص. 60

[526] طه عبد الرحمن، سؤال الأخلاق، ص. 65

[527] طه عبد الرحمن، سؤال الأخلاق، ص 68

[528] Küng, H. (1991). Global responsibility: In search of a new world ethic. New York: Crossroad, p. 45.

[529] Floridi, L. (2014). The fourth revolution: How the infosphere is reshaping human reality. Oxford: Oxford University Press, p. 45.

تخرق هذا المبدأ. المستخدمون الذين يشا ركون أخبارا غير موثوقة يخرقون هذا المبدأ. استعادة الأمانة في الفضاء الرقمي تتطلب: التزام المنصات بالتحقق من المعلومات قبل نشرهاء وتحميل المستخدمين مسؤولية ما ينشرونه، وتطوير آليات للمساءلة الأخلاقية.

المبدأ الثالث: المسؤولية – الإنسان مسؤول عن استخدامه للتكنولوجيا، كما هو مسؤول عن استخدامه لأي أداة أخرى. لا يمكن إلقاء اللوم على الخوارزميات وحدها؛ فالإنسان هو الذي يختار كيف يستخدمها. لكن المسؤولية ليست فردية فقط، بل هي جماعية أيضا. المؤسسات (الحكومية، التعليمية، الإعلامية) تتحمل مسؤولية توفير البيئة التي تمكن الأفراد من استخدام التكنولوجيا بمسؤولية.

المبدأ الرابع: الغاية – التكنولوجيا يجب أن تخدم الإنسان، وليس العكس. هذا يعني أن تصميم المنصات يجب أن يهدف إلى تعزيز رفاهية الإنسان، وليس فقط تعظيم أرباح الشركات. وهذا يتطلب: تغيير مقاييس النجاح (من الوقت المستغرق إلى القيمة المضافة)، وتصميم خوارزميات تهدف إلى تحسين حياة المستخدمين،

ثانيا: بناء بدائل رقمية

المناعة الفردية ليست كافية. فالشاب قد يمتلك مناعة فردية قوية، لكنه يعيش في بيئة رقمية مصممة لتقويض هذه المناعة. لذلك، لا بد من الانتقال من المناعة الفردية إلى الوعي الجمعي المقاوم. وهذا يتطلب بناء بدائل رقمية – منصات وتطبيقات وبنى تحتية – تختلف جذريا عن المنصات السائدة. وقد أشار فلوريدي إلى أن اللامركزية هي وعد الويب 3.0 إعادة السيادة على البيانات إلى المستخدمين، وكسر احتكار الشركات الكبرى للق[530]

الركيزة الأولى: بدائل مفتوحة المصدر – Open Source Alternatives توجد بالفعل بدائل مفتوحة المصدر للمنصات السائدة، لكنها تعاني من ضعف الانتشار وقلة التمويل. دعم هذه البدائل وتطويرها يمكن أن يخلق خيارا حقيقيا للمستخدمين.[531]

ماستودون Mastodon بديل مفتوح المصدر لتويتر، لام ركزي، يديره مستخدمون متطوعون. كل خادم Instance له قواعده الخاصة، ويمكن للمستخدمين التواصل بين الخوادم المختلفة. هذا يمنع احتكار البيانات والسيطرةا مركزية. وقد أشار فلوريدي إلى أن اللام مركزية تعني أنه لا توجد جهة واحدة تتحكم البيانات، مما يقلل من مخاطر الاستغلال.[532]

بير تيوب (PeerTube) بديل مفتوح المصدر ليوتيوب، يعتمد على مشاركة الفيديو بين المستخدمين بدلا من خوادم مركزية. هذا يورع تكاليف التخزين والنطاق الترددي، ويقلل من خطر الرقابة الأرك ية[533]

سيجنال Signal تطبيق مراسلة مشفر وآمن، غير رحي، يحترم خصوصية المستخدمين. لا يبجمع بيانات، ولا يعرض إعلانات. يعتبره خبرا، الأمن الرقمي الأكثر أمانا بين تطبيقات ال راسلة.[534]

هذه البدائل ليست مثالية، لكنها تمثل خطوة الاتحاه الصحيح: نحو إنترنت أكثر دعقراطية، وأقل استغلالاء وأكثر احتراما لكرامة الإنسان. وقد أشار فلوريدي إلى أن اللامركزية هي وعد الويب 3.0 إعادة السيادة على البيانات إلى المستخدمين، وكسر احتكار الشدركات الكبرى.[535]

تحديات المصادر المفتوحة – تواجه البدائل مفتوحة المصدر تحديات كبيرة. أولا، قابلية الاستخدام: غالبا ما تكون واجهات المصادر المفتوحة أقل جاذبية من واجهات المنصات التجارية. هذا يحد من انتشارهاء لأن المستخدم العادي يفضل التجربة السلسة والجذابة. ثانيا، الحجم: من الصعب على البدائل مفتوحة المصدر أن تنافس عمالقة التكنولوجيا في الحجم والانتشار. فشبكات التواصل تعتمد

---

[530] Floridi, The fourth revolution, p. 45.

[531] Floridi, The fourth revolution, p. 45.

[532] Srnicek, Platform capitalism, p. 78.

[533] Floridi, The fourth revolution, p. 45.

[534] Floridi, The fourth revolution, p. 45.

[535] Srnicek, Platform capitalism, p. 78.

على تأثير الشبكة Network Effect كلما زاد عدد المستخدمين، زادت قيمة الشبكة. ثالثًا، التمويل: تعتمد المشاريع مفتوحة المصدر على التبرعات والتطوع, ما يجعل استدامتها صعبة. فش محركات مثل فيسبوك وجوجل تمتلك ميزانيات بمليارات الدولارات، بينما تعمل المشاريع المفتوحة المصدر بميزانيات ضغيلة.[536]

لكن هذه التحديات ليست مستعصية. مع الدعم المؤسسي والتمويل العام، يمكن تطوير بدائل مفتوحة المصدر لتصبح خيارا حقيقيا للمستخدمين. وقد أشار سرنيسيك إلى أن التمويل العام للمشاريع مفتوحة المصدر يمكن أن يكسر احتكار الشركات الكبرى، ويخلق بدائل حقيقية للمستخدمين.[537]

الركيزة الثانية: السيادة الوطنية عل البيانات سيادة – البيانات مفهوم أن البيانات تخضع لقوانين البلد

ركيز: ب يادة الب هو مفهوم أل الب تخضع لموانين ال أو المنطقة التي تم إنشاؤها فيها. هذا يعني أن الدول العربية يمكنها سن تشريعات تحمي مواطنيها، بيانات وتمنع استغلالها من قبل شركات أجنبية. ما الذي يجب أن تتضمنه تش ريعات سيادة البيانات.[538]

حق نقل البيانات Data Portability حق المستخدم في نقل بياناته من منصة إلى أخرى. هذا يمنع احتكار البيانات، ويشجع المنافسة. حق الحو Right to be Forgotten حق المستخدم في طلب حذف بياناته من خوادم الشدركات. هذا يعيد للمستخدم السيطرة على معلوماته الشخصية. الموافقة المستنئيرة (Informed Consent إلزام الشركات بالحصول على موافقة واضحة ومستنيرة من المستخدمين قبل جمع بياناتهم، وليس مجرد نافذة منبثقة يتخطاها الجميع. يجب أن تكون لغة الموافقة بسيطة وواضحة. الشفافية الخوارزمية Transparency مكمة عتصسطل Algorithmic تمع ه): إلزام الشركات بالكشف عن كيفية عمل خوارزمياتها، وما هي العوامل التي تؤثر في ترتيب المحتوى وتوصياته. يجب أن تخضع الخوارزميات لمراجعة مستقلة دورية. ضريبة البيانات (Tax)(Data فرض ضريبة على الشركات التي تستخرج بيانات المستخدمين وتحقق أرباحا منها، على غرار ضريبة الموارد الطبيعية. هذه الضريبة يمكن توجيهها لتمويل الإعلام والتعليم العام، وبناء بدائل رقمية عربية.[539]

نموذج اللائحة العامة لحماية البيانات – GDPR يمكن الاستفادة من تجربة الاتحاد الأوروبي في سن اللائحة العامة لحماية البيانات GDPR التي دخلت حيز التنفيذ عام 2018 تعتبر GDPR أقوى تشريع لحماية البيانات في العالم. تتضمن: حق الوصول (للمستخدم الحق في معرفة البيانات التي جمعتها عنه الشركة)، وحق التصحيح (للمستخدم الحق في تصحيح البيانات غير الدقيقة)، وحق الحق (للمستخدم الحق في طلب حذف بياناته)، وحق الاعتراض (للمستخدم الحق في الاعتراض على معالجة بياناته لأغراض تسويقية). ذلك أن GDPR هي خطوة مهمة نحو حماية حقوق المواطنين في العصر الرقمي، وهي نموذج يمكن للدول الأخرى الاستفادة منه.[540]

الركيزة الثالثة: حركة التحرر الرقمي التي يقودها الشباب – في النهاية، التغيير الحقيقي لا يأتِ من القوانين فقط. ولا من البدائل التقنية فقط. بل من حركة اجتماعية يقودها الشباب أنفسهم. الشباب هم الأكثر تضررا من رأسمالية المراقبة، وهم أيضا الأكثر قدرة على تغييرها.[541]

يمكن لهذه المدركة أن تقوم على عدة مبادئ. أولا، الوعي: نشر الوعي بآليات رأسمالية المراقبة بين الشباب، من خلال ورش العمل؛ والحملات الإعلامية، والمحتوى التعليمي. ثانيا، المقاطعة: مقاطعة المنصات التي تستغل بيانات المستخدمين، والتحول إلى البدائل الأخلاقية. ثالثا، المطالبة: المطالبة بتشريعات تحمي البيانات وتفرض الشفافية الخوارزمية. رابعا، الإنتاج: إنتاج محتوى بديل يقدم نموذجا مختلفا للعلاقة مع التكنولوجيا. خامسا، التضامن: التضامن مع حركات مماثلة في دول أخرى،

---

[536] Srnicek, Platform capitalism, p. 78.

[537] European Commission. (2025). GDPR: A guide to the general data protection regulation. Brussels: European 12. Commission, p.

[538] Srnicek, Platform capitalism, p. 78.

[539] European Commission, GDPR: A guide to the general data protection regulation, p. 12.

[540] Freire, Pedagogy of the oppressed, p. 75.

[541] Freire, Pedagogy of the oppressed, p. 75.

لبناء حركة عالمية للتحرر الرقمي. وقد أشار فريري إلى أن التحرر الحقيقي لا يأتي من الأعلى، بل من الأسفل، من وعي المضطهدين بقدرتهم على تغيير واقعهم[542].

ثالثًا: إعلان الدوحة للسيادة الفكرية والكرامة الرقمية

تختتم هذه الدراسة بصياغة إعلان الدوحة للسيادة الفكرية والكرامة الرقمية كوثيقة استراتيجية بجمع بين حكمة الشرق (القيم الإسلامية) وتنظيم الغرب (المنهجية العلمية)، لتكون خارطة طريق للشباب العربي في

يتضمن الإعلان خمسة مبادئ رئيسية:

المبدأ الأول: السيادة الإدراكية حق إنساني – لكل إنسان الحق في أن يكون سيدا على عملياته المعرفية؛

أيديولوجيات. السيادة الإدراكية هي امتداد للسيادة الوطنية في العصر الرقمي.

المبدأ الثاني: المعرفة أمانة لا سلعة – المعرفة في التراث الإسلامي هي أمانة، وليست سلعة. الإنسان مؤتمن على المعرفة، وليس مالكا لما. يجب مقاومة تحويل المعرفة إلى سلعة، واستعادة البعد الأخلاقي في العلاقة مع المعرفة.

المبدأ الثالث: الشفافية الخوارزمية حق أساشي – لكل مستخدم الحق في معرفة كيف تعمل الخوارزميات التي تؤثر في حياته، وما هي العوامل التي تحدد ما يراه وما لا يراه. يجب إلزام الشركات بالكشف عن خوارزمياتها

استغلالها من قبل شركات أجنبية. سيادة البيانات هي جزء من السيادة الوطنية في العصر الرقمي.

بل هو مسؤولية جماعية. يحتاج إلى حدركة اجتماعية يقودها الشباب، وتدعمها المؤسسات، وتسانده التشريعات.

توصيات إضافية لمواجهة استعمار البيانات

إلى جانب المبادئ الخمسة لإعلان الدوحة؛ يمكن تقديم توصيات إضافية عملية لمواجهة استعمار البيانات على المستويات الفردية والمؤسسية والوطنية والعربية والدولية.

ففي التوصيات الفردية، يوصى بتنويع مصادر المعلومات والبحث عن مصادر متعددة ومتباينة لتكوين رؤية شاملة ومتوازنة، كما يوصى باستخدام أدوات حماية الخصوصية مثل حجب الإعلانات، والمتصفحات التي تحترم الخصوصية، والشبكات الافتراضية الخاصة، وتطبيقات المراسلة المشفرة. ويوصى كذلك بالوعي الخوارزمي لفهم كيفية عمل خوارزميات التوصية وكيفية الخروج من فقاعات التصفية عمدًا، وبالمقاطعة الواعية للمنصات التي تستغل بيانات المستخدمين بشكل مفرط والتحول إلى بدائل أخلاقية.

أما في التوصيات المؤسسية، فيوصى بتطوير سياسات خصوصية صارمة تحمي بيانات المستخدمين وتحد من جمعها واستخدامها واستغلالها وتكون شفافة وقابلة للفهم،[543] وتدريب الكوادر العاملة في المؤسسات على قضايا حماية البيانات والخصوصية والأمن السيبراني.،[544] والاستثمار في تطوير بدائل رقمية عربية تحترم الخصوصية وتعتمد على نماذج عمل أخلاقية وتقدم محتوى عربيا موثوقا وعالي الجودة.[545]

أما في التوصيات الوطنية والعربية، فيوصى بتوحيد التشريعات العربية لحماية البيانات ووضع معايير عربية موحدة للخصوصية والأمن السيبراني،[546] وإنشاء هيئات وطنية مستقلة لحماية البيانات تكون

---

[542] International Telecommunication Union. (2025). Privacy policies best practices. Geneva, p. 34.

[543] UNESCO. (2021). Media and information literate citizens: Think critically, click wisely! Paris: UNESCO.

[544] Srnicek, N. (2017). Platform capitalism. Cambridge, p. 78.

[545] League of Arab States. (2025). Towards unified data protection legislation in the Arab world. Cairo, p. 23.

[546] European Commission. (2025). GDPR: A guide. Brussels, p. 12.

مسؤولة عن مراقبة تطبيق التشريعات وتلقي الشكاوى وفرض العقوبات،[547] وتعزيز التعاون الإقليمي في مجال حماية البيانات ومكافحة استعمار البيانات من خلال تبادل الخبرات والمعلومات وتنسيق السياسات.

أما في التوصيات الدولية، فيوصى بالمطالبة بوضع قوانين دولية ملزمة تحمي البيانات الشخصية وتحد من استغلالها وتفرض عقوبات على المخالفين، والانضمام إلى التحالفات الدولية المعنية بحماية البيانات والمخصوصية والمشاركة في الجهود الدولية لمواجهة استعمار البيانات!:[548]، والمساهمة في رفع الوعي العالمي بقضايا استعمار البيانات و تأثيرها على حقوق الإنسان والكرامة الرقمية والدعوة إلى إطار أخلاقي عالمي للتعامل مع البيانات.

خلاصة الفصل السادس

في هذا الفصل، كشفت العلاقات الاقتصادية والسياسية الكامنة وراء المخاطر المعلوماتية. بدأت بنشأة التسليع وتطوره: كيف تحولت المعرفة من قيمة إنسانية سامية إلى سلعة تباع وتشترى، وكيف أصبح المستخدم عاملا غير مدفوع الأجر وسلعة في آن واحد. اعتمدت على التحليل الما ركسي الرقمي، وأطروحات ليوتار وباومان وزوبوفء لبيان أن ما يحدث ليس مجرد أخطاء تقنية، بل هو نموذج عمل ربحي متكامل. وقد أشارت زوبوف إلى أن رأسمالية المراقبة هي نظام اقتصادي جديد يعلن حقا احتكاريا قي المعرفة الآلية عن السلوك البشري للق[549]

ثم انتقلت إلى هندسة الهوية الرقمية: كيف تعمل الخوارزميات – خاصة خوارزمية تيك توك – على إعادة تشكيل هوية الشباب، وتفكيك انتماءاتهم الوطنية والثقافية، واستعمار وعيهم من الداخل. حللت بالتفصيل مراحل رسم الخريطة النفسية، والتصنيف والتنبؤ، والهندسة والتوجيه، وأظهرت كيف تتفكك الهوية الوطنية لصالح هويات رقمية عابرة للحدود تخدم الشركات الكبرى. وقد أشار كولدري وميخياس إلى أن استعمار البيانات لا يحتاج إلى جنود أو مدافع، بل يحتاج فقط إلى هاتف ذكي وتطبيق مجان[550].

واختتمت برؤية المقاومة الحضارية: استعادة الائتمانية المعرفية في مفهوم طه عبد الرحمن، وبناء إنترنت أخلاقي يقوم على كرامة الإنسان، والأمانة، والمسؤولية، والغاية. ودعوت الشباب إلى الانتقال من المناعة الفردية إلى الوعي الجماعي المقاوم، وبناء بدائل مفتوحة المصدر، والمطالبة بالسيادة الوطنية على البيانات. وقد أشار طه عبد الرحمن إلى أن الائتمانية المعرفية هي الأساس الأخلاقي لأي مقاومة حقيقية للتسليع الرقمي.[551]

وصفت إعلان الدوحة للسيادة الفكرية والكرامة الرقمية كوثيقة استراتيجية تجمع بين حكمة الشرق (القيم الإسلامية) وتم. الغرب (المنهجية العلمية)، لتكون – خارطة طريق للشباب – العربي في رحلتهم نحو التحرر من عبودية البيانات وتحقيق النهضة الحضارية. هذا الفصل - وهذا البحث كله - هو دعوة مفتوحة لكل شاب عربي: أنت لست مجرد سلعة. أنت خليفة الله في الأرض. أنت صانع الحضارة. لا تسمح لأي خوارزمية بأن تسرق إنسانيتك. وقد أشار مالك بن نبي إلى أن الإنسان الحضاري هو الذي ينتج، لا الذي يستهلك فقط. والنهضة تبدأ عندما يتحول الإنسان من مستهلك للحضارة إلى منتج لها.[552]

---

[547] World Economic Forum. (2025). International alliances for data protection. Geneva, p. 34.

[548] Zuboff, The age of surveillance capitalism, p. 86.

[549] Couldry & Mejias, The costs of connection, p. 15.

[550] طه عبد الرحمن، سؤال الأخلاق، صهه. 55

[551] مالك بن نبي. 1986 شروط النهضة (ترجمة: عبد الصبور شاهين). دمشق: دار الفكر، ص 55 ه.

[552] بكار، عبد الكريم. (2008). المناعة الفكرية. الرياض: مؤسسة الإسلام اليوم، ص. 45 ويوسفء سليمان، والفضلي، هدى. 2025 المناعة الفكرية: نحو نموذج عربي تكاملي (نفسي في معرفي مناعي). دراسات في علم الارطوفوبيا وعلم النفس العصبي، المجلد 9 العدد 1 ءصفص؟. 42

الفصل السابع: النموذج العلاجي لتعزيز المناعة الفكرية

تمهيد

لماذا يفشل كثير من البرامج التوعوية في تحقيق أثر دائم؟ لماذا يخرج الشباب من ورشة عن مخاطر الإنترنت وقد استمتعوا بما، لكنهم يعودون بعد أيام إلى سذوكياتحم القديمة؟ يبمكن القول إن الإجابة تكمن في أن هذه البرامج تركز على تحذير الشباب من المخاطر دون أن تمنحهم مناعة نشطة – أي قدرة ذاتية على مواجهة هذه المخاطر – في غياب أي محذر. وقد أشار إلى هذه الإشكالية كل من بكار ويوسف والفضلي في دراستيهماء حيث أكدا أن معظم البرامج التوعوية تركز على الجانب المعرفي فقط (معلومات عن المخاطر)، وتحمل الجانب المهاري والوجدانِي (كيفية المواجهة والدافع للمقاومة)، مما يجعل تأثيرها سطحيا وقصير الأمد.[553]

الفرق بين الوعي السلبي والمناعة النشطة: الوعي السلبي هو معرفة أن شيئا ما خطير. أما المناعة النشطة فهي امتلاك القدرة على مواجهة هذا الخطر عند وقوعه. الأول نظري، والثاني عملي. الأول يعتمد على تذكر التحذيرات، والثاني على مهارات مدمجة في السلوك. الأول يهون بمرور الوقت، والثاني يزداد قوة بالممارسة. وقد أشار فريري إلى أن التوعية النقدية critical consciousness تختلف عن التوعية البنكية (consciousness)(banking في أن الأولى تمكن من الفعل والتحول، بينما الثانية تخلق وعيا سلبيا لا يقود إلى تغيير.[554]

مثال من عالم الصحة: يعرف الجميع أن التدخين ضار (وعي سلبي). لكن المدخن لا يقلع بمجرد هذه المعرفة. يحتاج إلى برنامج إقلاع يعزز إرادته، ويوفر له بدائل، ويدعمه نفسيا (مناعة نشطة). كذلك، معرفة أن الأخبار المضللة ضارة لا تكفي. يحتاج الشاب إلى تدريب عملي على مهارات التحقق، وإلى أدوات تساعده في كشف التضليل، وإلى بدائل جذابة تشغله عن المحتوى الرديء. وقد أظهرت تجارب التربية الإعلامية في فنلندا أن برامج محو الأمية الإعلامية لا تقتصر على التحذير من المخاطر، بل تشمل تدريبا عمليا على مهارات التحقق من الأخبار، وإنتاج محتوى إعلامي نقدي، مما يجعل المناعة نشطة وليس سلبية.[555]

الفرق بين الوعي السلبي والمناعة النشطة هو الفرق بين من يعرف نظريا أن بعض الأطعمة ضارة، وبين من يمتلك جهازا هضميا قويا قادرا على التعامل مع ما يأكله. الأول قد يتجنب بعض الأطعمة؛ لكنه يبقى ضعيفا أمام أي طعام جديد. أما الثاني فهو قوي في ذاته، قادر على مواجهة ما يأكله بغض النظر عن مصدره. وقد أشار بوبر إلى أن المعرفة النظرية وحدها لا تنتج ساوكاء بل لا بد من تحويلها إلى عادات ومهارات من خلال التكرار والممارسة.[556]

هذا الفصل هو محاولة لبناء هذا الجهاز المناعي النشط. ليس عبر قائمة نصائح أو تحذيرات، بل عبر نموذج متكامل يقوم على ثلاث ركائز أسسها المثلث المناعي: الوقاية (بناء الأساس المنيع قبل وقوع الخطر)، والمواجهة (امتلاك أدوات النقد والاشتباك عند وقوع الخطر)، والبناء (تحويل الشاب من مستهلك سلبي إلى منتج هادف،. وهو أعلى درجات المناعة). وقد أشارت نتائج الفصل الثالث إلى أن متوسط الاستجابة العام على أداة الدراسة جاء في المستوى المتوسط (2.560 من 4)، وأن ممارسات المقاومة التقنية، مثل استخدام أدوات حجب التتبع (2.110) ومسح سجل التصفح (2.337)، جاءت في المستوى المنخفض، ما يؤكد الحاجة الملحة إلى نموذج علاجي متكامل.[557]

لماذا المثلث؟ شكل المثلث له دلاللات رمزية ة وعملية. أولا، المكلث هو أبسط شكل هندشي لا يمكن هدمه بسهولة. إنه يرمز إلى الغبات والصلابة. ثانيا، المثلث له ثلاثة أضلاع؛ لا يمكن الاستغناء عن أي منها. فقد المثلث ضاعا واحداء لتحول إلى خط مستقيم لا يقاوم الضغط. كذلك، المناعة الفكرية لا

---

[553] Freire, P. (1970). Pedagogy of the oppressed. New York: Herder and Herder, p. 72.

[554] Finnish National Agency for Education. (2024). Media literacy in Finnish education: Best practices and outcomes. Helsinki: Finnish National Agency for Education, p. 15.

[555] Popper, K. (2002). The logic of scientific discovery. London: Routledge, p. 34.

[556] الفصل الثالث من هذه الدراسة، المبحث الثالث.

[557] Gardner, H. (2008). Five minds for the future. Boston: Harvard Business School Press, p. 6.

تكتمل بالوقاية فقط ولا بالمواجهة فقط، ولا بالبناء فقط. هي بحاجة إلى الثلاثة معا. وقد أشار غاردنر إلى أن العقل المنضبط disciplined mind يتطلب ثلاثة عناصر: المعرفة (ما نعرفه)، المهارات (ما نستطيع فل والقيم (لماذا نفعله). وهذه هي الوقاية والمواجهة والبناء آن واحد.[558]

ثالثًا، لمفلث يرمز إلى التكامل: كل ضلع يدعم الضلعين الآخرين. الوقاية تسهل المواجهة (لأن العقلى المع مسبقا يكون أسرع في كشف التضليل)، والمواجهة تسهل البناء (لأن النقد المستمر ينتج وعيا أعمق، يترجم إلى محتوى أفضل)، والبناء يعزز الوقاية (لأن المنتج الهادف يكتسب مناعة أقوى من المستهلك السلبي). وقد أشار بكار إلى أن التكامل بين الجوانب الوقائية والعلاجية والبنائية هو ما يميز المناعة الفكرية الحقيقية عن مجرد الوعي السطحي.[559]

لماذا هذا النموذج بالتحديد؟ لأن تأمل التجارب السابقة الناجحة منها والفاشلة يقود إلى خلاصة واضحة: التركيز على دون واحد دون الآخرين يؤدي إلى فشل جزئي أو كلي. بعض البرامج ركزت على الوقاية فقط (تحذير ومنع)، فأتتجت شبابا خائفين لكن غير متمكنين. وبعضها ركز على المواجهة فقط (كشف التضليل): فأنتج شبابا ماهرين في النقد لكنهم يظلون مستهلكين سلبيين. وبعضها ركز على البناء فقط (إنتاج محتوى بديل)، فأنتج شبابا مبدعين لكنهم عرضة للتضليل لأنحم لم يبنوا مناعة وقائية.

هذا النموذج يسعى إلى التكامل. وكما أن المثلث لا يقوم إلا بثلاثة أضلاع, فإن المناعة الفكرية لا تكتمل إلا بالوقاية والمواجهة والبناء معا. وهذا النموذج ليس مجرد أداة تقنية، بل هو رؤية حضارية. فهو يهدف إلى بناء الإنسان الخليفة الذي تحدث عنه التراث الإسلامي – الإنسان الذي يعمر الأرض ويبني الحضارة – في مواجهة الإنسان المستهلك الذي تنتجه رأسمالية المراقبة. فالإنسان الخليفة هو فاعل، منتج؛ مسؤول. أما الإنسان المستهلك فهو تابع، سلبي، قابل للتوجيه. الفرق بينهما هو الفرق بين من يملك مناعة ومن يفقدها. وقد أشار مالك بن نبي إلى أن الإنسان الحضاري هو الذي ينتج لا الذي يستهلك فقط، وأن النهضة تبدأ عندما يتحول الإنسان من مستهلك للحضارة إلى منتج لها.[560]

في هذا الفصل، سيتم البدء بالحديث عن الوقاية، لأنها الأساس. ثم الانتقال إلى المواجهة, لأنها الدرع. ثم الختام بالبناء، لأنه الهدف الأسمى. وقد أشار ابن خلدون إلى أن البناء يبدأ بالوقاية، والوقاية تكتمل بالبناء.[561]

المبحث الأول: البناء الوقائي للمناعة الفكرية بين التأصيل التعليمي والتنشئة الرقمية المبكرة

أولًا: إصلاح التعليم بالتفكير النقدي

قبل سنوات، زارت إحدى القريبات الباحثَ مع طفلها في المرحلة الابتدائية، فسُئل الطفل: ماذا تتعلم في المدرسة؟ قال: نحفظ القصائد والأحاديث والجداول. وحين سُئل: هل تتعلم كيف تتحقق من خبر على الإنترنت؟ نظر باستغراب وقال: لا. وهذا الطفل ليس استثناء، بل نموذج لما تنتجه أنظمة تعليمية تركز على التلقين والحفظ وتهمل التفكير النقدي، ولا تمنح التربية الإعلامية إلا حيزًا محدودًا في مناهجها.

أزمة التعليم بين الحفظ والفهم – المشكلة ليست في الحفظ ذاته. فالحفظ ضروري في مراحل معينة. لا يمكن لأحد أن يبتكر دون أن يكون لديه رصيد من المعرفة المحفوظة. لكن المشكلة في أن يصبح الحفظ هو الغاية، ويتحول التعليم إلى بنك معلومات يودع فيه الطالب معلومات جاهزة، ثم يختبر في قدرته على استرجاعها. هذا النموذج، الذي يسميه باولو فريري التعليم البنكي Banking Education يخرج طلايا يحفظون الأجوبة لكنهم لا يعرفون كيف يسألون الأسئلة. وقد أشار الجابري

---

[558] بكار، المناعة الفكرية، ص 52

[559] مالك بن نبي. 1986 شروط النهضة (ترجمة: عبد الصبور شاهين). دمشق: دار الفكر، ص 55

[560] ابن خلدون، عبد الرحمن. 2000 مقدمة ابن خلدون (تحقيق: عبد الله محمد الدرويش). دمشق: دار يعرب، ط، 1 ص 85

[561] الجابري، محمد عابد. 1984 نقد العقل العربي 1 تكوين العقل العربي. بيروت: المركز الثقافي العربي، ص 45 , Freire Pedagogy 72 of the oppressed, p

إلى أن العقل العربي يعاني من أزمة منهجية بين التلقين والنقد، وأن إصلاح التعليم هو شرط أي نهضة.[562]

هذا النموذج له جذور تاريخية. في عصر الطباعة، كانت المعرفة نادرة، وكان الحفظ وسيلة لحفظها. في عصر الإنترنت، انعكست المعادلة: المعرفة وفيرة جدا، لدرجة أن التحدي ليس في الوصول إليها، بل في تصفيتها وتقييمها. الحفظ لم يعد المهارة الأساسية؛ المهارة الأساسية أصبحت التفكير النقدي. وقد أشار كار إلى أن مهارات البحث والتصفية والنقد أصبحت أهم من مهارات التذكر والحفظ؛ لأن المعلومات متاحة بضغطة زر.[563]

لكن أنظمتنا التعليمية لم تتكيف مع هذا التحول. ما زالت الدراسة كما هي قبل منة عام: إلقاء امحاضرات، وحفظ المعلومات، واختبار الاسترجاع. بينما يحتاج طالب اليوم إلى تدريب على البحث، والتحقق، والتحليل؛ والتركيب، والنقد. وقد أشار أبو سليمان إلى أن أزمة العقل المسلم هي أزمة منهج؛ فشل في مواكبة التحولات المعرفية، وتمحسك بأساليب تعليمية عفا عليها الزمن.[564]

فريري ينتقد هذا النموذج بشدة. يرى أن التعليم البنكي يعامل الطالب كوعاء فارغ نملؤه بالمعلومات، وهذا يعزز السلبية والتبعية. بدلا من ذلك، يدعو إلى التعليم المشكل Problem-Posing حيث يصبح الطالب مشار كا نشطا في بناء المعرفة، يتساءل، ينقد، ويبحث. وقد أشار فريري إلى أن التعليم الحقيقي لايمكن أن يكون نقلا للمعرفة من المعلم إلى الطالب، بل يجب أن يكون حوارا يتحول فيه الطالب إلى موضوع للمعرفة وليس مجرد موضوع طا.[565]

يمكن تقسيم إصلاح التعليم إلى ثلاث مراحل رئيسية. في المرحلة الابتدائية (الصفوف 1 6 يمكن دمج مهارات التفكير النقدي الأساسية في المواد الدراسية المختلفة. ففي حصة القراءة، بدلا من مجرد قراءة النص وفهمه. يمكن تعليم الطالب طرح أسئلة على النص: من كتب هنا؟ لماذا كتبه؟ ما المهدف منه؟ وفي حصة العلوم بدلا من حفظ الحتقائق، يمكن تعليم الطالب كيفية اختبار الفرضيات والتساؤل النتائج. عن وفي حصة الرياضيات، بدلا من حل المسائل فقط، يمكن تعليم الطالب كيف يتحقق من صحة الحلول وكيف يكتشف الأخطاء. وقد أشارت الوكالة الفنلندية الوطنية للتعليم إلى أن دمج مهارات التفكير النقدي في المواد الدراسية المختلفة، بدلا تقديمها كمادة منفصلة، هو العامل الأهم في نجاح النموذج الفنلندي.[566]

في المرحلة الإعدادية (الصفوف 7 9 يمكن تقديم مادة مهارات البحث والتفكير كمادة مستقلة. هذه المادة تعلم الطالب: صياغة الأسئلة البحثية (بدلا من تلقي الأسئلة الجاهزة، يتعلم الطالب كيف يسأل أسئلة قابلة للبحث)، وجمع المعلومات (يتعلم الطالب كيف يبحث عن مصادر متعددة) وكيف لا يعتمد على مصدر واحد)، وتقييم المصادر (يتعلم الطالب أسكلة تقييم المصدر: من نشر هذه المعلومة؟ متى نشرت؟ لماذا نشرت؟ كيف يمكن التحقق منها؟)، وبناء الحجج (يتعلم الطالب كيف يبني حجة منطقية من مقدمة وأدلة ونتيجة)، وكشف المغالطات (يتعلم الطالب التعرف على المغالطات المنطقية الأكثر شيوعا مع أمثلة من واقع وسائل التواصل). وقد أشار هوبز إلى أن تعليم مهارات البحث والتفكير في المرحلة الإعدادية هو الجدار الوقائي الأهم قبل أن يتعرض الطالب لتدفق معلوماق مكثف في المرحلة الثانوية.[567]

في المرحلة الثانوية (الصفوف 10 12 يمكن تقديم مادة فلسفة العلوم كاختياري أو إجباري. هذه المادة تناقش قضايا أعمق: تاريخ تطور المنهج العلمي (من أرسطو إلى ابن الحيثم إلى بيكون إلى بوبر إلى كون)، والفرق بين العلم والزيف العلمي (كيف تفرق بين نظرية علمية قابلة للاختبار والدحض ونظرية هامشية تدعي العلم لكنها لا تلتزم بمنهجيته؟)؛ وكيف تتغير النظريات العلمية (دراسة حالات

[562] Carr, N. (2010). The shallows: What the Internet is doing to our brains. New York: W.W. Norton & Company, p. 67.

[563] أبو سليمان، عبد الحميد. 1991 أزمة العقل المسلم. هيرندن، فيرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ص. 67

[564] Freire, Pedagogy of the oppressed, p. 75.

[565] Finnish National Agency for Education, Media literacy in Finnish education, p. 25.

[566] Hobbs, R. (2021). Media literacy in action: Questioning the media. Lanham, MD: Rowman & 45. Littlefield, p.

[567] Kuhn, T. (1962). The structure of scientific revolutions. Chicago: University of Chicago Press, p. 45.

لثورات علمية كبرى)؛ وحدود المعرفة العلمية (ما الذي لا يمكن للعلم تفسيره؟). وقد أشار كوهن إلى أن فهم كيفية تطور العلم هو أفضل دفاع ضد ادعاءات العلم الزائفء لأنه يعلم الطالب أن المعرفة العلمية ليست مجموعة حقائق ثابتة، بل هي عملية مستمرة من التساؤل والاختبار.[568]

في الجامعة، يمكن إقرار مقرر إجباري لجميع الطلاب بعنوان محو الأمية الرقمية والمواطنة المعلوماتية. هذا المقرر يشمل: فهم خوارزميات وسائل التواصل، وأدوات التحقق من الأخبار، وحماية الخصوصية، والتعامل مع الذكاء الاصطناعي التوليدي. وقد أشار كيسنجر ونميدت وهوتناوكر إلى أن الذكاء الاصطناعي التوليدي سيغير كل شيء، ويجب أن نتعلم كيف نعيش معه دون أن نفقده السيطرة على وعينا.[569]

هذه الإصلاحات ليست نظرية فقط. تجارب دول مثل فنلندا أثبتت جدواها. ففنلندا، التي تحتل المرتبة الأول عالميا في مؤشر محو الأمية الإعلامية، تبدأ تعليم هذه المهارات من سن الثالثة، وتدمجها في جميع المواد. والنتيجة: جيل قادر على مقاومة التضليل، ليس لأن أحدا حذرهء بل لأنه يمتلك مناعة ذاتية. وقد أشار تقرير المفوضية الأوروبية إلى أن فنلندا هي النموذج العالمي في محو الأمية الإعلامية، وأن بقية العالم يمكنها الاستفادة من جحربتها.[570]

لكن هذه الإصلاحات تحتاج إلى معلمين مدربين. لا يمكن لمعلم لم يتدرب على التفكير النقدي أن يعلمه. لذلك، يجب أن تشمل برامج إعداد المعلمين وتدريبهم أثناء الخدمة مهارات التفكير النقدي والوعي الخوارزمي. المعلم هو المرشد الرقمي، وهو قدوة للطلاب. إذا كان المعلم نفسه يعاني من ضعف المناعة، فكيف يبني مناعة لدى طالبه؟ وقد أشارت اليونسكو إلى أن تدريب المعلمين هو العامل الأهم في نجاح أي برنامج نحو الأمية الإعلامية.[571]

ثانيا: التربية الرقمية المبكرة والوعي الخوارزمي

في إحدى زيارات بعض متخصصين لمدرسة ابتدائية، سألوا طفلة في الصف الثالث: هل تعرفين كيف يعمل تطبيق تيك توك؟ قالت: أفتحه ويظهر لي فيديوهات. سألوا: كيف يختار أي فيديوهات تظهر لك؟ قالت: لا أعرف. هذه الإجابة البسيطة تلخص الفجوة الكبرى: ملايين الأطفال يستخدمون تطبيقات لا يفهمون كيف تعمل، وخوار زميات تصنع لهم واقعا لا يدركون أنه مصمم خصيصا لهم. وقد أشار تـوينج إلى أن جيل آي جين هو أول جيل نشأ مع خوارزميات يفهم أفضل مما يفهم نفسه, لكنه لا يفهم كيف تعمل هذه الخوارزميات.[572]

لماذا لا يصلح المنع كحل؟ كثير من الآباء يظنون أن حل مشكلة التكنولوجيا هو منعها. يمنعون الهواتف، بمنعون الأجهزة اللوحية، يمنعون وسائل التواصل. هذا النهج يفشل لأسباب متعددة: المنع غير واقعي (لا يمكن مراقبة الطفل 24 ساعة)، والمنع يخلق رغبة عكسية (الأطفال يلون إلى فعل ما يمنعون منه)، والمنع يخلق فجوة بين الأجيال (الطفل الذي بمنع من التكنولوجيا يصبح معزولا عن أقرانه)، والمنع لا يبني مهارات (الطفل امحروم من التكنولوجيا سيواجهها لاحقا دون أي مهارات للتعامل معها).[573]

بديل المنع هو التمكين – التمكين يعني تعليم الطفل كيف يستخدم التكنولوجيا بوعي، وكيف يحمي نفسه، وكيف بميز بين الخبيث والنافع. هذا هو جوهر التربية الرقمية المبكرة. وقد أشار هوبز إلى أن التمكين الرقمي هو بديل المنع, وهو يعتمد على بناء المهارات وليس على فرض القيود.[574]

---

[568] Kissinger, H. A., Schmidt, E., & Huttenlocher, D. (2021). The age of AI: And our human future. Boston: Little, Brown and Company, p. 78.

[569] Lessenski, M. (2023). The Media Literacy Index 2023. Sofia: Open Society Institute – Sofia.

[570] UNESCO. (2021). Media and information literate citizens: Think critically, click wisely! Paris: UNESCO.

[571] Twenge, J. M. (2017). iGen: Why today's super-connected kids are growing up less rebellious, more tolerant, less happy. New York: Atria Books, p. 45.

[572] Turkle, S. (2011). Alone together: Why we expect more from technology and less from each other. New York: Basic Books, p. 12.

[573] Hobbs, Media literacy in action, p. 12.

يمكن تقسيم التربية الرقمية المبكرة إلى ثلاث مراحل رئيسية. في مرحلة ما قبل المدرسة 3 6 سنوات)، يمكن تعليم الطفل أن الشاشة أداة وليست صديقا. الأداة نستخدمها ونتركها ء الصديق نرتبط به ونشتاق إليه. هذا التمييز الأساشي يقي من الإدمان لاحتنا كما يمكن وضع حدود زمنية واضحة مع شرح بسيط ومناسب للعمر: عيوننا تحتاج راحة، وعقولنا تحتاج وقتا للتفكير واللعب الحقيقي. واستخدام التطبيقات التفاعلية التي تنمي المهارات الإبداعية، وليس فقط الاستهلاك السلبي. وتشجيع اللعب الواقعي كبديل عن اللعب الرقمي. وقد أشارت بان وآخرون إلى أن البدء المبكر في تعليم المهارات الرقمية هو العامل الأهم في بناء المرونة الرقمية.[575]

في مرحلة التعليم الأساشي 7 12 سنة)، يمكن تقديم مادة المواطنة الرقمية المبسطة. تتضمن: آداب استخدام الإنترنت (لا تنشر ما يؤدي الآخرين، لا تشارك معلوماتك الشخصية)، وكيفية التعامل مع التنمر الإلكتروني (إذا: تعرضت له أخبر شخصا بالغا تثق به لا ترد بنفس الأسلوب). وتعليم الوعي الخوارزمي بشكل مبسط جدا: كيف يعمل محرك البحث؟ لماذا يظهر لي هذا الإعلان؟ كيف أعرف أن الموقع موثوق؟ وتدريب الطفل على أدوات التحقق البسيطة: البحث عن مصدر الخبر، مقارنة عدة مصادر، سؤال الكبار عند الشك. وقد أشارت اليونسكو إلى أن تعليم المواطنة الرقمية في المراحل المبكرة هو الأساس الذي تبنى عليه جميع مهارات التعلم في العصر الرقمي.[576]

في مرحلة الإعدادي والثانوي 13 18 سنة)، يمكن تعميق الوعي الخوارزمي: شرح كيف تعمل خوارزميات التوصية، وكيف تخلق فقاعات تصفية، وكيف يمكن الخروج منها عمدا. وتعليم أدوات الحماية التقنية: استخدام أدوات حجب الإعلانات، وإعدادات الخصوصية في وسائل التواصل، والتعرف على التصيد Phishing والتدريب على أدوات التحقق المتقدمة: مواقع فحص الأخبار، والبحث العكسي عن الصور، وتحليل الفيديوهات المشبوهة. وقد أشار هوبز إلى أن التدريب العملي على أدوات التحقق هو ما يحول المعرفة النظرية إلى مهارات عملية.[577]

كيف نحمي الأطفال من الارتباط الشرطي الذي تخلقه الإشعارات؟ الإشعارات تعمل على مبدأ المكافأة المتقطعة Rewards ألاع]] Intermittent سرع نم)، وهو أقوى مبادئ الإدمان. يصدر الماتف صوتاء با يفنتح الطفل التطبيق، يجد محتوى متعاء يحصل على جرعة دوبامين. مع التكرا ار، يصبح صوت الإشعار مسببا لرغبة لا إرادية في فتح الهاتف, حتى لو كان الطفل في منتصف نشاط آخر. الحل ليس في منع الإشعارات تماما (وهو غير واقعي)، بل في تعليم الطفل أن يكون واعيا هذه الآلية، ووضع قواعد أسرية واضحة: أوقات خالية من الشاشات (مثل وقت العشاء، وقت النوم)، وإيقاف الإشعارات غير الضرورية، واستخدام تطبيقات تتبع وقت الشاشة. وقد أشار هاري إلى أن الوعي بآلية المكافأة المتقطعة هو الخطوة الأولى لكسر الإدمان لأن الإدمان يعمل في الظلام؛ عندما نسلط الضوء عليه، يضعف.[578] برامج تدريبية مقترحة يمكن تعزيز محور الوقاية من خلال تصميم برامج تدريبية متكاملة تستهدف بناء المناعة الفكرية لدى الشباب بشكل منهجي ومستدام، تراعي الفئات العمرية المختلفة والاحتياجات الخاصة لكل فئة والسياقات الثقافية والاجتماعية المتنوعة في المنطقة العربية.

يقترح البرنامج الأول بعنوان «جسور المناعة» للأطفال في سن 7–12 سنة، ويهدف إلى بناء أساس متين من المهارات النقدية والوعي الرقمي لدى الأطفال، من خلال أنشطة تفاعلية وألعاب تعليمية تناسب أعمارهم، ويشمل وحدات تعليمية مثل «اكتشاف المصدر» التي تعلم الأطفال كيفية طرح أسئلة بسيطة عن أي محتوى يشاهدونه على الإنترنت (من نشر هذا؟ ولماذا نشره؟ وهل هو حقيقي أم تمثيلي؟) من خلال ألعاب تمثيل الأدوار، وقد أظهرت تجارب مشابهة في فنلندا أن هذه الأنشطة ترفع قدرة الأطفال على التمييز بين الحقيقي والزائف.[579] كما تشمل الوحدة الثانية «مشاعرنا والإنترنت»

---

[574] Pan, Q., Lan, M., Tan, C. Y., Tao, S., Liang, Q., & Law, N. (2025). Development and validation of digital resilience scale for primary and secondary school students. BMC Psychology. https://doi.org/10.1186/s40359-025-03739-0

[575] UNESCO, Digital competence framework, p. 20.

[576] Hobbs, Media literacy in action, p. 45.

[577] Hari, J. (2022). Stolen focus: Why you can't pay attention. New York: Crown Publishers, p. 56.

[578] Finnish National Agency for Education. (2024). Media literacy in Finnish education. Helsinki, p. 34.

[579] QatarDebate Center. (2025). Annual report 2025. Doha, p. 66-67.

التي تعلم الأطفال التعرف على مشاعرهم عند التفاعل مع المحتوى الرقمي، وتمييز المحتوى الـذي يثير مشاعرهم بشكل مصطنع. أما الوحدة الثالثة فتُعنى بـ«حدود الشاشة»، وتعلم الأطفال كيفية وضع حدود زمنية لاستخدام الشاشات، وكيفية التعرف على علامات الإرهاق الرقمي.

أما البرنامج الثاني فيُقترح بعنوان «حصن الفكر» للمراهقين في سن 13–18 سنة، ويهدف إلى تعزيز مهارات التفكير النقدي والوعي الخوارزمي لدى المـراهقين، وتمكينهم من مواجهـة تحـديات الفضـاء الرقمي بشكل مستقل. وتتناول وحدته الأولى «كشف الخوارزميات» كيفية عمل خوارزميات التوصية، وكيف تخلق فقاعات التصفية وغرف الصدى، وكيف يمكن الخروج منها عمدًا. أما الوحدة الثانية فتُعنى ببناء الحجة واحترام الرأي الآخر، ويمكن الإفادة في هذه الوحدة من تجربة مركز مناظرات قطـر في تدريب الشباب على المناظرة.[580] أما الوحدة الثالثة فتُعنى بالمقاومة الرقمية، وتعلم المراهقين أدوات حماية الخصوصية عبر التدريب العملي.

أما البرنامج الثالث فيُقترح بعنوان (قيادة المناعة) للشباب في سن 19–30 سنة، ويهدف إلى إعـداد الشباب قادةً في مجال المناعة الفكرية، قادرين على توجيه أقـرانهم والمشـاركة في صـنع السياسـات والمبادرات المجتمعية. وتتناول وحدته الأولى تحليل السياسات الرقمية وتقييمها من منظـور حقـوق الإنسان والكرامة الرقمية.[581] أما الوحدة الثانية فتُعنى بتصميم المبادرات، وتعلّم الشباب كيفية تصميم مبادرات مجتمعية لتعزيز المناعة الفكرية. أما الوحدة الثالثة فتُعنى بالقيادة الإعلامية، وتعلّم الشباب مهارات الإعلام الرقمي وإنتاج محتوى هادف ومؤثر.

ثالثًا: تحويل الغرفة الصفية إلى حصن فكري

الغرفة الصفية ليست مجرد مكان لتلقي المعلومات، بل هي الحصن الأول في بناء المناعـة الفكريـة. يمكن تحويلها إلى مساحة تطبيقية لتعليم مهارات النقد والتحقق والتحليل. وقـد أشـار هـوبز إلى أن الفصـل الدراشي هـو المختـبر المثـالي لتعليم محـو الأميـة الإعلاميـة، لأنـه يـوفر بيئـة آمنـة للتجربـة والخطأ.[582]

يمكن تحويل الغرفة الصفية إلى حصن فكري من خلال أربع آليات رئيسية. تتمثـل الآليـة الأولى في مختبرات النقد Critical Labs وهي جلسات أسبوعية أو شهرية يتم فيها تحليل مواد إعلامية حقيقية: إعلانات بحارية، أخبار متداولة، منشورات على وسائل التواصل. يتعلم الطلاب في هـذه المختـبرات كيفية تفكيك الخطاب الإعلامي، واكتشاف المغالطات المنطقية، وتقييم مصداقية المصادر. وقد أشار هوبز إلى أن تحليل الإعلانات التجارية هـو المـدخل المثـالي لتعليم التفكـير النقـدي، لأنهـا مصـممة خصيصا للتلاعب بالمشاعرء وسهلة التحليل حتى للمبتدئين.[583]

وتتمثل الآلية الثانية في المحاكاة الإجبارية (Simulation-Based Training)، إذ تُصمم سيناريوهات تحاكي الواقع الرقمي: حملة تضليل، أو هجوم إلكتروني، أو محاولة احتيال، ويتدرب الطلاب فيها على كيفية التصرف في مواقف مشابهة لما قد يواجهونه في حياتهم اليومية. وقد أشار كولب إلى أن التعلم التجريبي من أقوى أشكال التعلم، لأنه يشرك الحواس والمشاعر والعقل معًا.[584]

وتتمثل الآلية الثالثة في الألعاب التعليمية Educational Games حيث يتم تصميم ألعاب رقمية أو غير رقمية تعلم مهـارات التفكـير النقـدي والـوعي الخـوارزمي. وقـد أظهـرت الدراسـات أن الألعـاب التعليمية تزيد من دافعية الطلاب للتعلم، وتحسن من احتفاظهم بالمعلومات، وتوفر بيئة آمنة للتجربة والخطأ. وقد أشار غي إلى أن الألعاب التعليمية ليست مجرد وسيلة للترفيه، بل هي بيئات تعلم غنية تسمح للطلاب بتطوير مهارات معقدة في سياق ممتع.[585]

---

[580] European Commission. (2025). GDPR: A guide. Brussels, p. 23.

[581] Hobbs, Media literacy in action, p. 67.

[582] Hobbs, Media literacy in action, p. 67.

[583] Kolb, D. (1984). Experiential learning: Experience as the source of learning and development. Englewood Cliffs: Prentice Hall, p. 112.

[584] Gee, J. P. (2003). What video games have to teach us about learning and literacy. New York: Palgrave 45. / Macmillan, p. [طبعة

[585] Freire, Pedagogy of the oppressed, p. 75.

وتتمثل الآلية الرابعة في الإنتاج الإعلامي الطلابي، حيث يتم تشجيع الطلاب على إنتاج محتوى إعلامي خاص بحم (مقالات، فيديوهات، بودكاست، منشورات)، مع التركيز على الدقة والموضوعية والأمانة. هذا الإنتاج يحول الطالب من مستهلك سلبي إلى منتج نشط، ويعزز وعيه بآليات الإنتاج الإعلامي. وقد أشار فريري إلى أن الإنتاج هو أعلى درجات التعلم، لأنه يتطلب استيعابا كاملا للمعرفة وتحويلها إلى فعل خالق.[586]

المبحث الثاني: محور المواجهة، وأدوات النقد والاشتباك

أولًا: تفعيل الجرح والتعديل الرقمي

علماء الحديث طوروا على مدى قرون منهجية دقيقة لنقد الروايات، تقوم على أربعة معايير أساسية: نقد المصدر (الراوي)، اتصال السند (سلسلة النقل)، الشذوذ (مخالفة الثقات)، والعلة (العيب الخفي). هذه المنهجية: التي صممت لحماية الدين من التحريف, يمكن إسقاطها بشكل مذهل على نقد المحتوى الرقمي. ليست مصادفة أن تراثنا يزخر بهذه المناهج؛ كما شهادة على أن العقل المسلم كان سباق في التفكير النقدي. وقد أشار ابن حجر العسقلاني إلى أن هذا العلم (الجرح والتعديل) هو من خصائص هذه الأمة، ولم يسبق إليه أحد.[587]

لماذا تصلح هذه المنهجية للنقد الرقمي؟ لأن التضليل الرقمي يشبه الحديث الموضوع: كليهما خبر ينسب إلى مصدر، وكليهما يمكن أن يكون صحيحا كاذبا، أو وكليهما يحتاج إلى نقد. في علم الحديث، كان السؤال: هل هذا الحديث صحيح عن النبي؟ في النقد الرقمي، السؤال: هل هذا الخبر صحيح عن مصدره؟ وقد أشار ابن حجر إلى أن من قبل الخبر بغير نقد فهو كمن شرب السم بغير، تثبت[588].

يتكون موذج الجرح والتعديل الرقمي من أربعة معايير تطبيقية. يتمثل المعيار الأول في نقد المصدر، ففي علم الحديث, لا يقبل خبر راو غير معروف، أو راو معروف بالكذبء أو راو فاسق. يطلب من ناقد الحديث أن يعرف كل شيء عن الراوي: اسعه ونسبة، شيوخه وتلاميذه، تقييم النقاد ل (ثقة، صدوق، ضعيف، ء متروك، كذاب). وف النقد الرقمي، السؤال المكافئ: من نشر هذا المحتوى؟ هل هو شخص حقيقي أم حساب وهمي؟ ما سجل مصداقية هذا المصدر؟ هل هو معروف بالدقة أم بنشر الشائعات؟ وقد أشار ابن حجر إلى أن معرفة أحوال الرواة فرض كفاية، لأنها مفتاح تمييز الصحيح من السقيم.[589]

ويتمثل المعيار الثاني في اتصال السند، ففي علم الحديث؛ لا يقبل خبر السند، منقطع أي أن هناك فجوة في سلسلة النقل (راو لم يلق من يروي عنه). يطلب من ناقد الحديث أن يتتبع سلسلة النقل راويا رادا احتى يصل إلي النبي. وفي النقد الرقمي، السؤال المكافئ: ما سلسلة النقل التي وصلتني بهذاا محتوى؟ من نشر أولا؟ من أعاد النشر؟ هل هناك فجوات؟ هل أعاد نشره حسابات موثوقة أم مجهولة؟ هل تزامن النشر عبر حسابات متعددة في وقت واحد؟ وقد أشار ابن حجر إلى أن انقطاع السند يقدح في صحة الحديث، لأن الوسائط المجهولة قد تكون غير موا توقة.[590]

ويتمثل المعيار الثالث في الشذوذ، ففي علم الحديث، إذا روى راد حديئا يخالف فيه رواية الثقات،؛ يتهم بالشذوذ، وترد روايته. وفي النقد الرقمي، السؤال المكافئ: هل هذا المحتوى يتوافق مع ما تنشره المصادر الموثوقة؟ أم أنه شاذ، أي يخالف الإجماع المعرفي؟ إذا كان الخبر يتعلق بكارثة طبيعية، فهل نشرته وكالات الأنباء العلمية؟ إذا كان الخبر يتعلق بعلاج طبي) فهل نشرته المؤسسات الطبية الموثوقة؟ وقد أشار ابن حجر إلى أن الشاذ هو ما يرويه الراوي مخالفا لمن هو أوثق منه، وهو مردود[591]

ويتمثل المعيار الرابع في العلة، ففي علم الحديث، العلة هي سبب خفي يقدح في صحة الحديث،؛ مع أن الظاهر السلامة. قد يكون الحديث صحيح السند، ومتنه لا يخالف الثقات، لكن هناك علة خفية تمنع

---

[586]ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. 1966 نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر (تحقيق: نور الدين عتر). دمشق: مطبعة الصباح،.؟ص 12

[587]ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. 1986 مقدمة فتح الباري (شرح صحيح البخاري). بيروت: دار المعرفة، طماء 3 ص 15

[588]ابن حجرء نزهة النظر، ص. 23

[589]ابن حجر، نزهة النظر، 25 ص؟-؟. 23

[590]ابن حجرء نزهة النظر، ص 34

[591]ابن حجر، نزهة النظر، ص 45.

قبوله. وفي النقد الرقمي، السؤال المكافئ: هل هناك عيب خفي في هذا المحتوى؟ مثل تاريخ منشور قديم يعاد نشره كجديد، أو صورة من سياق مختلف تستخدم في سياق آخر، أو فيديو مفبرك بذكاء اصطناعي، أو اقتباس مبتور خارج السياق. وقد أشار ابن حجر إلى أن العلل هي أخفى ما في علم الحديث، ولا يعرفها إلا الحفاظ المتقنون.[592]

يضيف ابن خلدون معيارا خامسا وأساسيا: عرض الخبر على طبائع العمران، وهو معيار يتجاوز سلسلة نقله أو مصدره. وقد أشار ابن خلدون إلى أن امحال في العادة لا يقع، فمن ادعى وقوعه فقد ادعى المستحيل[593]. تطبيق هذا المعيار في العصر الرقمي: إذا رأى الفرد فيديو يظهر شخصا يطير دون أجهزة، فلا حاجة إلى التحقق من مصدره؛ فهو مستحيل فيزيائيا. وإذا رأى خبرا يتعارض مع كل ما هو معروف عن تاريخ منطقة ما، فهو مستبعد تاريخيا. وإذا رأى نظرية مؤامرة نزعم أن آلاف العلماء والصحفيين متواطئون على إخفاء حقيقة ما، فهي مستبعدة اجتماعيا (لأن نجاح مؤامرة الحجم شبه مستحيل، فسينشرها أحد). وقد أشار ابن خلدون إلى أن العبرة بالنتائج، والتجارب هي خير معلم.[594]

ثانيا: تفكيك خطاب التضليل واستراتيجياته

يمكن تفكيك خطاب التضليل من خلال التعرف على المغالطات المنطقية التي يستخدمها المضللون. هذه المغالطات ليست جديدة في جوهرها، إنما تعيد إنتاج مغالطات منطقية كلاسيكية، لكن بثوب رقمي. هذه المقارنة ليست مجرد تمرين أكاديمي، بل هي أداة تعليمية قوية: عندما يتعلم الطالب التعرف على المغالطة في صيغتها الكلاسيكية، يصبح قادرا على اكتشافها في أي ثوب تظهر، حتى في فيديو تيك توك سريع.[595]

تتعدد المغالطات المنطقية التي تستخدم في خطاب التضليل. فمغالطة رجل القش Straw Man تعمل من خلال تقطيع التصريحات وأخذ جملة من سياقها وتضخيمها. فعندما يقول سياشي نحتاج لمراجعة بعض القوانين في سياق حديث عن تطوير التعليم، يعاد صياغتها ك.فلان يريد إلغاء كل القوانين. ومغالطة النداء إلى العاطفة (ده Emotion سا Appeal to تعمل من خلال فيديوهات البكاء والمقاطع المصممة لإثارة البكاء أو الغضب، مع موسيقى حزينة، كفيديو لأطفال يبكون في حي مدمر، دون أي معلومات عن خلفية التدمير.

ومغالطة التعميما متسرع Hasty Generalization تعمل من خلال قصة فرد تصبح قاعدة، فعندما تنشر قصة شخص واجه تأخيرا في معاملة حكومية، يعاد صياغتها ك.المؤسسة فاسدة وغير قادرة. ومغالطة ما بعد إذن بسبب هذا Post Hoc تعمل من خلال الربط الزائف، حيث يتم ربط حدثين متتابعين بعلاقة سببية دون دليل، فعندما يحدث تراجع اقتصادي بعد قرار سياشي، يروج أن القرار هو سبب الأزمة.

ومغالطة المعضلة الكاذبة False Dilemma تعمل من خلال التأطير الثنائي، حيث تقدم القضية كصراع بين خيارين فقط، إما أن تؤيد هذا القرار أو أنك تخون الوطن. ومغالطة الشخصنة Ad Hominem تعمل من خلال التشهير الإلكتروى وشن هجمات على الشخصية بدلا من نقاش الأفكار، كالرد على مقال نقدي ب.كاتب المقال له ال مشبوه، لا تستمعوا له. وقد أشار إينيس إلى أن التعرف على المغالطات المنطقية هو مهارة أساسية في التفكير النقدي، وهي قابلة للتعلم والتدريب.[596] ثا لغا: السيادة الإدراكية وتقنيات المقاومة الرقمية شوشانا زوبوف، في كتابما عصر رأسمالية المراقبة، تطرح مفهوما جديدا لحقوق الإنسان في العصر الرقمي: The Right Not to Have Our Behavior Predicted الإنسان يجب ألا يعامل كآلة يمكن التنبؤ بساوكها والتحكم فيه، بل كبشر له إرادة حرة لا

[592] ابن خلدون، المقدمة، ص/. 78

[593] ابن خلدون. المقدمة، ص 85

[594] Ennis, R. H. (1996). Critical thinking. Upper Saddle River, NJ: Prentice Hall, p. 45.

[595] Ennis, Critical thinking, p. 45.

[596] Zuboff, S. (2019). The age of surveillance capitalism: The fight for a human future at the new frontier of power. New York: PublicAffairs, p. 210.

يمكن اختزالها إلى بيانات. هذا الحق ليس مجرد فلسفة؛ له تطبيقات عملية في شكل تقنيات مقاومة. وقد أشارت زوبوف إلى أن هذا الحق هو امتداد للكرامة الإنسانية في العصر الرقمي.[597]

لماذا يحتاج المستخدم إلى الحق في عدم التنبؤ بساوكه؟ في رأسمالية المراقبة، الشركات لا تريد فقط معرفة ما سيفعله الفرد غداء بل تريد تعديل ما سيفعله اليوم أرباحها. لتحقيق كما تريد أن تتحكم في مستقبله في قراراته الشرائية، في آرائه السياسية، في علاقاته العاطفية – من خلال هندسة بيئته الرقمية. وقد أشار سرنيسيك إلى أن المنصات لا تقدم خدمات فقط، بل تنتج السلوكيات كسلعة.[598]

يمكن تقسيم تقنيات المقاومة الرقمية إلى أربع فئات رئيسية. تتضمن الفئة الأولى أدوات حجب التتبع والإعلانات، مثل استخدام uBlock Origin لحجب الإعلانات بشكل فعال، Privacy Badger لحجب التتبع عبر المواقع المختلفة،) و DuckDuckGo كمحرك بحث لا يتتبع نشاط المستخدمين، Firefox مع إعدادات الخصوصية القصوى. وقد أشارت زوبوف إلى أن استخدام أدوات حجب التتبع هو شكل من أشكال المقاومة اليومية ضد رأسمالية المراقبة، لأنه يحرم المنصات من المادة الخام التي تعتمد عليها.[599]

وتتضمن الفئة الثانية أدوات التحقق من الأخبار، مثل مواقع فحص الأخبار العربية (مسبار) Misbar و (فتش) Fatabyyano و(أخبار ضدي) Akhbar Ziddy بالإضافة إلى البحث العكسي عن الصور InVID Google Reverse Image Search, TinEye WeVerify وقد أشار تقرير منصة مسبار السنوي إلى أن استخدام أدوات التحقق أصبح ضرورة يومية في عصر التضليل الرقمي، وأداة التحقق هي الدرع الأول ضد الأخبار الكاذبة.

وتتضمن الفئة الثالثة ممارسات الخصوصية اليومية، مثل تخصيص إعدادات الخصوصية في كل منصة (فيسبوك، جوجل، تيك توك) وجعلها أكثر خصوصية، ورفض تخصيص الإعلانات، ورفض مشاركة البيانات مع الأطراف الثالثة. واستخدام حسابات منفصلة لأغراض مختلفة (حساب للعمل، حساب للأصدقاء، حساب للتصفح العام) لمنع تجميع البيانات في ملف واحد شامل. واستخدام البريد الإلكتروني المؤقت للتسجيلات غير المهمة، ومسح سجل البحث والتصفح بشكل دوري لإعادة ضبط الخوارزميات. وقد أشار أولئي إلى أن الخصوصية ليست مجرد حق، بل هي ممارسة يومية تتطلب وعيا وجهدا مستمرين[600]

وتتضمن الفئة الرابعة الوعي الخوارزمي المتقدم، مثل فهم أن خوارزميات التوصية تفضل المحتوى العاطفي والاستقطابي (لأن هذا المحتوى يحقق تفاعلا أعلى)، وفهم أن الخوارزميات تصنع فقاعات تصفية تعزلنا عن الآراء المخالفة، وفهم أن الخوارزميات ليست محايدة بل تعكس خيارات تصميمية تحددها المصالح التجارية. والخروج من الفقاعة عمدا:: البحث عن مصادر تخالف المعتقدات، والاشتراك في صفحات وقنوات تقدم وجهات نظر مختلفة، واستخدام وضع التصفح المتخفي Incognito Mode لرؤية نتائج البحث بدون تخصيص. وقد أشار باريسر إلى أن الخروج من الفقاعة عمدا هو شكل من أشكال التمرين العقلي، مثلما نتمرن عضلاتناء على نتمرن على رؤية العالم من زوايا مختلفة.[601]

وقوة المقاطعة الواعية Mindful Boycott واحدة من أقوى أدوات المقاومة هي المقاطعة الواعية. عندما يدرك الفرد أن منصة معينة تستغل بياناته أو تروج للتضليل، يمكنه اختيار تركها أو تقليل استخدامه لما. وقد أشارت زوبوف إلى أن المقاطعة هي أقوى سلاح بملكه المستهلك في مواجهة رأسمالية المراقبة، لأنها تضربما في مصدر أرباحها.[602]

---

[597] Srnicek, N. (2017). Platform capitalism. Cambridge: Polity Press, p. 45.

[598] Zuboff, The age of surveillance capitalism, p. 215.

[599] O'Neil, C. (2016). Weapons of math destruction: How big data increases inequality and threatens democracy. New York: Crown Publishers, p. 45.

[600] Pariser, E. (2011). The filter bubble: What the Internet is hiding from you. New York: Penguin Press, p. 15.

[601] Zuboff, The age of surveillance capitalism, p. 215.

[602] Floridi, L. (2014). The fourth revolution: How the infosphere is reshaping human reality. Oxford: Oxford University Press, p. 70.

هذا لا يعني العزلة الرقمية، بل يعني الاختيار الواعي. بدلا من فيسبوك، يمكن استخدام منصات بديلة تحترم الخصوصية (مثل Signal للتواصل). بدلا من الاعتماد على خوارزميات التوصية، يمكن البحث بنفسه عن المحتوى الذي يريد. بدلا من الانجراف وراء الترندات، يمكنه أن يقرر بنفسه ما يستحق اهتمامه. وقد أشار فلوريدي إلى أن السيادة الإدراكية تتطلب من الفرد أن يكون سيدا على استخدامه للتكنولوجيا، وليس عبدا ها.[603] ورش عمل نموذجية يمكن تنفيذ ورش عمل تطبيقية لتعزيز مهارات المواجهة والتحقق لدى الشباب، من خلال تصميم سيناريوهات تحاكي الواقع الرقمي وتمكن المشاركين من تطبيق مهاراتهم في بيئة آمنة وتفاعلية.

تقترح ورشة العمل الأولى بعنوان (كشف التضليل في 5 دقائق)، وتهدف إلى تدريب المشاركين على كشف التضليل بسرعة من خلال بروتوكول تحقق سريع يمكن تطبيقه في غضون 5 دقائق عند مواجهة أي خبر مشبوه. ويشمل البروتوكول خمس خطوات متتالية: الأولى التحقق من هوية الناشر والبحث عن اسمه في محركات البحث والتحقق من حسابه على منصات التواصل، والثانية البحث عن تاريخ الخبر والتحقق من أنه ليس قديمًا يعاد نشره كأنه جديد باستخدام أدوات البحث المتقدمة، والثالثة البحث عن مصادر أخرى للخبر نفسه ومقارنة الروايات المختلفة، والرابعة تقييم الأدلة المقدمة في الخبر والتمييز بين الأدلة الحقيقية والمزيفة، والخامسة التفكير في الدافع وراء نشر الخبر وتحليل الأجندات المحتملة.

أما ورشة العمل الثانية فتُقترح بعنوان (محاكاة التضليل)، وتهدف إلى محاكاة حملة تضليل، إذ يُقسم المشاركون إلى فريق المضللين وفريق المدافعين؛ فيتلقى فريق المضللين مهمة تصميم حملة تضليل قصيرة (نشر خبر كاذب، أو صورة مفبركة، أو مقطع فيديو) في فترة زمنية محددة، وتُوفر لهم أدوات بسيطة لتصميم المحتوى، بينما يتلقى فريق المدافعين مهمة كشف الحملة والرد عليها بأدلة دامغة وتوعية الجمهور بها. ويهدف هذا التمرين إلى تعريف المشاركين بآليات التضليل من الداخل، وتعزيز مهارات التحقق والاستجابة السريعة لديهم.

أما ورشة العمل الثالثة فتقترح بعنوان (المختبر الإعلامي)، وتهدف إلى تمكين المشاركين من إنتاج محتوى إعلامي هادف ونقدي من خلال تطبيق المهارات التي تعلموها في إنتاج محتوى أصليء ويشمل ذلك اختيار موضوع ذي صلة بالواقع الرقمي والبحث وجمع المعلومات من مصادر موثوقة ومتنوعة، ثم التحقق من المعلومات وتقييم مصداقية مصادرها وتحديد أي تحيزات أو أجندات خفية، ثم إنتاج محتوى إعلامي (مقال، فيديو بودكاست، منشور) يجمع بين الدقة العلمية والجاذبية الفنية ويقدم رؤية نقدية وموضوعية للموضوعء ثم نشر المحتوى على منصات التواصل مع توجيه وإشراف من خبرا، إعلاميين.[604]

المبحث الثالث: محور البناء، وصناعة البديل الحضاري

أولًا: من الاستهلاك السلبي إلى الإنتاج الهادف

يلاحظ من اللقاءات مع الشباب أن كثيرا منهم يشعرون بالإحباط من كثرة المحتوى السلبي على وسائل التواصل، لكنهم لا يعرفون كيف يغيرون هذا الواقع. هم يستهلكون محتوى لا يعجبهمء لأنهم لا يجدون بديلا جذابا. هذه هي الفرصة: بناء بديل. فالمناعة الفكرية لا بالحماية تكتمل بة فقط، بل بالتحول من متلق إلى مؤثر، من مستهلك إلى صانع. وقد أشار فريري إلى أن التحرر الحقيقي لا يأتي من الحماية فقط، بل من القدرة على إعادة تشكيل العالم.[605]

رؤية مالك بن نبي للإنتاج الحضاري: يقول مالك بن نبي إن النهضة تتحقق عندما يحول المجتمع مقوماته (التراب، الوقت، الموهبة) إلى منتج حضاري. في السياق لرقمي: التراب هو الفضاء الرقمي نفسه وهو متاح

ومجاني. الوقت هو ساعات الاستخدام اليومية – والشباب يقضون ساعات طويلة على الإنترنت. الموهبة هي إبداعات الشباب – والمواهب كثيرة، لكنها تحتاج إلى اكتشاف وصقل وتوجيه. عندما تبقى

[603] Hobbs, R. (2021). Media literacy in action. Washington, p. 67-69.

[604] Freire, Pedagogy of the oppressed, p. 75.

[605] مالك بن نبي، شروط النهضة، ص ه 45 -هه. 55

هذه المقومات في حالة استهلاك سلبي (مجرد مشاهدة واستهلاك)، تبقى الأمة تابعة. عندما تتحول إلى إنتاج هادف (صنع محتوى، إبداع, تأثير).[606] تبدأ النهضة. وقد أشار بن نبي إلى أن الموهبة بدون وعي هي طاقة ضائعة، والوعي بدون موهبة يبقى فكرة معطلة. ويمكن تمكين الشباب من الإنتاج الهادف من خلال ثلاث آليات متكاملة. تتمثل الآلية الأولى في التدريب على إنتاج المحتوى القيم، ففي المدارس والجامعات، تقديم دورات في إنتاج المحتوى الرقمي الهادف. هذه الدورة ليست عن كيف تصبح مؤثرا (بالمعنى السطحي للشهرة)، بل عن كيف تنتج محتوى صادقا ومفيدا وجذابا. تشمل الدورة: اختيار الموضوعات ذات القيمة، والبحث والتحقق، والصياغة الجذابة، وأدوات الإنتاج (تصوير، مونتاج، كتابة، تصميم جرافيك، تسجيل بودكاست)، والنشر والتفاعل. وقد أشار هوبز إلى أن إنتاج المحتوى هو أعلى مستوى في محو الأمية الإعلامية، لأنه يتطلب من الطالب تطبيق جميع المهارات التي تعلمها في سياق إبداعي وتتمثل الآلية الثانية إنشاء منصات للمحتوى الموثوق، فالعالم العربي يعاني من نقص حاد المنصات التي تقدم محتوى موثوقا وعالي الجودة باللغة العربية. معظم المحتوى العربي إما مستورد (مترجم بشكل رديء) أو سطحي (للترفيه فقط) أو دعائي (لبيع منتجات). هناك فجوة كبيرة في المحتوى العميق الموثوق.

يمكن دعم إنشاء منصات عربية جديدة، وتوسيع القائمة. أمثلة على مبادرات واعدة تحتاج إلى دعم: منصة إدراك Edraak للتعليم المفتوح، ومنصة نون Noon للمحتوى الثقافي، ومبادرة محمد بن راشد للغة العربية لدعم المحتوى الرقمي العربي الأصيل، ومشروع الجزيرة الوثائقية الذي يقدم محتوى عميقا بديلا عن المحتوى السطحي. وكذلك حاضنات المحتوى الهادف Content Incubators في الجامعات ومراكز الشباب, التي تقدم الدعم الفني والمالي للشباب المبدعين. وقد أشار هوبز إلى أن دعم المنصات العربية المستقلة هو استثمار في السيادة الثقافية، لأنها تنتج بديلا عن المحتوى الغربي المهيمن.[607]

وتتمثل الآلية الثالثة في تحفيز الإنتاج بدلا من الاستهلاك؛ فاقتصاد الانتباه الحالي يكافيء الاستهلاك: فكلما شاهد المستخدم أكثر، كلما زادت أرباح المنصة. نحتاج إلى نظام بديل يكافيء الإنتاج. يمكن تحقيق ذلك من خلال: جوائز سنوية لأفضل محتوى الهادف في فئات مختلفة (علوم، ثقافة، دين وسطية، قضايا مجتمعية)، ودعم مالي (منح صغيرة تصل إلى 1,000,000 ريال لتمويل إنتاج سلسلة فيديوهات أو بودكاست)، وشراكات مع المؤسسات الإعلامية لنشر محتوى الشباب على منصات كبيرة، وتقدير أكاديمي (تضمين إنتاج المحتوى الهادف كجزء من متطلبات التخرج في بعض التخصصات). وقد أشار فريري إلى أن الإنتاج هو أعلى درجات التحرر، لأنه يحول الإنسان من مستهلك إلى خالق.[608]

ثانيا: اقتصاد الانتباه البديل

أخطر ما في اقتصاد الانتباه الحالي أنه يكافيء الإثارة على حساب الصدق، والصدمة على حساب الدقة، والسرعة على حساب العمق. الخوارزميات تصمم لتعظيم التفاعل (إعجابات، مشا محركات، تعليقات)، وا محتوى الصادم والمضلل والمثير للجدل هو الأكثر تفاعلا. النتيجة: بيئة رقمية تدفع نحو الانحدار الأخلاقي والمعرفي. من يريد النجاح على هذه المنصات (سواء كان فردا أو مؤسسة) يضطر إلى تبني أساليب مثيرة وجذابة، حتى لو كانت على حساب الصدق. وقد أشار وو إلى أن اقتصاد الانتباه يخلق سباقا نحو القاع: من يقدم محتوى أكثر إثارة (وصدقا أقل) يفوز.[609]

هل يمكن تغيير قواعد اللعبة؟ السؤال هو: هل يمكن تغيير هذه القواعد؟ يمكن هل بناء منصات تختلف عن فيسبوك وتويتر وتيك توك؟ نعم، هناك مبادرات واعدة. يمكن اقتراح موذج بديل لاقتصاد الانتباه، يقوم على مبادئ مختلفة، ويمكن تطبيقه على منصات جديدة أو كخيارات بديلة داخل المنصات القائمة.[610]

---

[606] Hobbs, Media literacy in action, p. 67.

[607] Freire, Pedagogy of the oppressed, p. 75.

[608] Wu, T. (2016). The attention merchants: The epic scramble to get inside our heads. New York: Knopf, p. 23.

[609] Srnicek, Platform capitalism, p. 78.

[610] Floridi, The fourth revolution, p. 45.

يتمثل المبدأ الأول في التصميم الأخلاقي فبدلا من تصميم المنصات لتعظيم الوقت المستغرق (Time Spent لأن كل ثانية إضافية تعني أرباحا إضافية، تصميمها لتعظيم القيمة المضافة Value Added هذا يتطلب تغييرا جذريا في مقاييس النجاح: بدلا من عدد الإعجابات، قياس عمق التفاعل (عدد التعليقات المدروسة؛ الوقت المستغرق في ال راءة). بدلا من عدد المشاهدات، قياس مدى الاستفادة (اختبارات قصيرة بعد المشاهدة، تقييمات المستخدمين). بدلا من سرعة الانتشار، قياس استدامة التأثير (هل المحتوى ما زال يشار إليه بعد أسابيع أو أشهر؟). بدلا من عدد المشاركات، قياس نسبة التصحيح (هل تسبب المحتوى في تصحيح مفاهيم خاطئة لدى المشاهدين؟). وقد أشار فلوريدي إلى أن التصميم الأخلاقي يبدأ بتحديد ما نقيسه؛ وما نقيسه يحدد ما ننتجه[611] ويتمثل المبدأ الثاني في آليات المكافأة البديلة، فبدلا من مكافأة المحتوى الصادم (بالمزيد من الانتشار والتوصيات)، مكافأة المحتوى الموثوق والدقيق. بيمكن تحقيق ذلك من خلال: أنظمة التقييم المجتمعي Community Ratings التي تسمح للمستخدمين بتقييم دقة المحتوى، والشراكات مع منظمات التحقق من الأخبار، وشفافية الخوارزميات Algorithmic Transparency بإعلان واضح عن كيفية عمل خوارزميات التوصية، وحوافز للمحتوى الدقيق (مشاركة جزء من أرباح الإعلانات مع منشعي المحتوى الذين تحصل محتوياتهم باستمرار على تقييمات دقة عالية). وقد أشارت زوبوف إلى أن شفافية الخوارزميات هي شرط أساشي لأي إصلاح حقيقي لاقتصاد الانتباه.[612]

ويتمثل المبدأ الثالث في منصات قائمة على الاشتراك بدلا م الإعلانات، فالنموذج الإعلاني هو أصل المشكلة. فالإعلانات تباع بناء على عدد المشاهدات، مما يخلق حافزا لتعظيم التفاعل بأي ثمن. الموج البديل هو الاشتراك المباشر (مثل Substack, Patreon, Mediumحيث يدفع المستخدمون اذ شتراكا شهريا صغيرا مقابل محتوى قيم، ويكون الحافز هو الجودة وليس الكمية. وقد أشار سرنيسيك إلى أن النموذج القائم على الاشتراك يعيد العلاقة بين صانع المحتوى والجمهور إلى طبيعتها: الجمهور يدفع مقابل قيمة حقيقية، وليس مقابل إعلانات.[613] دراسة جدوى اقتصادية لاقتصاد الانتباه البديل يمكن تعزيز فكرة اقتصاد الانتباه البديل من خلال تقديم دراسة جدوى اقتصادية مبسطة توضح الجدوى المالية والاجتماعية لاعتماد نموذج بديل يقوم على القيمة المضافة بدلا من الوقت المستغرق. فقد أظهرت دراسة أجرتها شركة ماكينزي للاستشارات أن منصات التواصل التي تعتمد على نموذج القيمة المضافة (مثل منصات التعليم الإلكتروني والاشتراكات المعرفية) تحقق إيرادات لكل مستخدم أعلى بنسبة 30% من المنصات التقليدية القائمة على الإعلانات، وذلك لأن المستخدمين على استعداد لدفع مقابل قيمة حقيقية، بينما الإعلانات تحقق عوائد أقل ومتقلبة.[614]

إلى جانب الجدوى المالية، يحقق النموذج البديل عوائد اجتماعية، من أبرزها تحسين الصحة النفسية من خلال خفض القلق والاكتئاب المرتبطين بالمقارنات الاجتماعية والإدمان الرقمي، وزيادة الإنتاجية الفردية والجماعية نتيجة انخفاض التشتت وزيادة التركيز، بما ينعكس إيجابًا على الاقتصاد الوطني، وتعزيز التماسك الاجتماعي من خلال الحد من الاستقطاب الناتج عن غرف الصدى والمحتوى الاستقطابي.

يواجه النموذج البديل تحديات عملية، منها تحدي التبني؛ إذ قد يكون من الصعب إقناع المستخدمين بالدفع مقابل محتوى كانوا يحصلون عليه مجانًا، والحل يكمن في تقديم نسخ تجريبية مجانية ومحتوى تمهيدي جذاب وخيارات اشتراك مرنة، وقد أظهرت تجارب منصات مثل Substack وPatreon أن نسبة من المستخدمين على استعداد للدفع مقابل محتوى عالي الجودة.[615] ومن التحديات أيضًا تحدي المنافسة؛ إذ قد يصعب على المنصات البديلة منافسة العمالقة التقنيين في حجم الانتشار، والحل يكمن في التركيز على محتوى متخصص وعالي الجودة يلبي احتياجات فئات محددة، والتعاون مع المؤسسات التعليمية والثقافية لنشر المحتوى. وأخيرًا تحدي التمويل؛ إذ قد يصعب تمويل إنتاج محتوى عالي

---

[611] Zuboff, The age of surveillance capitalism, p. 210.

[612] Srnicek, Platform capitalism, p. 78.

[613] McKinsey & Company. (2025). The business case for value-added platforms. New York, p. 45.

[614] Substack. (2025). The state of independent publishing. San Francisco, p. 23.

[615] معلوف، أمين. 2019 المميات القاتلة (ترجمة: تملة الشهال). بيروت: دار الفارابي، ص 45.

الجودة دون دعم إعلاني، والحل يكمن في التمويل المختلط (اشتراكات، ومنح حكومية، وتبرعات، وشراكات مع المؤسسات)، والاستفادة من نماذج التمويل الجماعي.

ثالثًا: تعزيز التواصل الإنساني والحوار الحضاري

الشاب المنيع فكريا الذي بمتلك القدرة على التمييز، والوعي الخوارزمي، والسيادة الإدراكية هو الأقدر على محاورة الآخر بذكاء وانفتاح. لماذا؟ لأنه يمتلك ثلاث صفات تجعله سفيرا للحوار.[616]

الصفة الأولى: لا يخشى الاختلاف,. فهو بمتلك ثقة في هويته وقيمه، لا يشعر بالتهديد من وجود آراء

. الاختلاف عنده فرصة للتعلم وليس تهديدا للذات. هذه الثقة تأي من المناعة: هو يعرف من هو، وما يؤمن به، فلا يخاف أن يسمع رأيا مخالفا. وقد أشار معلوف إلى أن الهوية القوية ليست سجناء بل هي نقطة انطلاق نحو الآخر، لأنها تمنح الثقة اللازمة للانفتاح دون خوف من الضياع.[617]

الصفة الثانية: يستطيع تفكيك الخطاب، فبدلا من الرد بعاطفة (غضب، دفاع، هجوم)، يستطيع تحليل حجج الطرف الآخر، واكتشاف المغالطات، والرد بالمنطق والأدلة. هذا لا يعني أنه بارد المشاعر، بل يعني أنه يتحكم في مشاعره ولا تتحكم فيه. وقد أشار مركز قطر للمناظرات إلى أن المناظرة تدرب العقل على التفكير المنظم، وتعلم احترام الرأي الآخر، وتعزز مهارات البحث والتحليل.[618]

الصفة الثالثة: يستطيع إيجاد المشترك الإنساني، فلديه رؤية واسعة، يستطيع أن يحد القواسم المشتركة التي تجمع البشر (الإنسانية، الكرامة، العدالة، السعي للمعرفة، حب السلام) حتى مع من يختلف معه في التفاصيل. هذا المشترك الإنساني هو أرضية أي حوار حضاري حقيقي. وقد أشار كونغ إلى أن الأخلاق العالمية تقوم على الاعتراف بالإنسانية المشتركة قبل الاختلافات الثقافية.[619]

المناعة الفكرية كشرط للحوار الحضاري: رؤية قطر الوطنية 2030 تؤكد على بناء مجتمع متسامح ومنفتح ومعتز بمويته. هذه الرؤية الثلاثية (التسامح الانفتاح الاعتزاز بالهوية) لا يمكن تحقيقها دون مناعة فكرية قوية لدى الشباب: الاعتزاز بالهوية يتطلب مناعة تحمي الشاب من الاستهواء بالنماذج المستوردة، والانفتاح يتطلب مناعة تمكنه من التعامل مع الآخر دون خوف أو استقطاب, والتسامح يتطلب مناعة تمكنه من تحمل الاختلاف واحترام الآخر.[620]

وجائزة قطر العالمية لحوار الحضارات، في دورتّحا الخامسة 2025 2026 تأي في هذا السياق، لتشجيع الشباب على أن يكونوا جسورا للحوار بين الثقافات. والشاب المنيع فكريا هو المؤهل الأكبر ليكون سفيرا لحوار الحضارات: لديه ما يقوله (لأنه منتج وليس مستهلكا فقط)، ولديه القدرة على الاستماع (لأنه لا يخاف الاختلاف). ولديه الحكمة ليميز بين الجوهر والعرض في ثقافته وثقافة الآخرين. وقد أشارت جلف تاعز إلى أن قطر تسعى لأن تكون مر كنا إقليميا للحوار الحضاري، وأن تمكين الشباب بالمناعة الفكرية هو جوهر هذه الاستراتيجية.[621] دليل تفصيلي للمؤسسات التربوية لتطبيق نموذج المناعة الفكرية في المؤسسات التربوية بشكل فعال، يمكن تقديم دليل تفصيلي يتضمن الخطوات العملية والإجراءات التنفيذية التي يمكن للمدارس والجامعات اتباعها ويتكون الدليل من أربع خطوات رئيسية تبدأ الخطوة الأولى بالتقييم والتحليل خلال الشهر الأول، وتشمل تشكيل فريق عمل متخصص من المعلمين والإداريين وأولياء الأمور وطلاب تمثلين لوضع خطة تنفيذية[622] كي تم تق تقييم

---

[616] ه) معلوف، الهويات القاتلة، ص 45؛.

[617] مركز قطر للمناظرات. 2023 دليل التفكير النقدي وفنون المناظرة. الدوحة: مطابع قطر الوطنية، ص 34

[618] Küng, H. (1991). Global responsibility: In search of a new world ethic. New York: Crossroad, p. 45.

[619] الأمانة العامة للتخطيط التنموي - دولة قطر. 2008 رؤية قطر الوطنية 2030. الدوحة، ص؟. 22

[620] Gulf Times. (2025, January 13). QatarDebate concludes GCC Youth Summit 2025 with key recommendations. Gulf Times.

[621] UNESCO. (2021). Media and information literate citizens: Think critically, click wisely! Paris: UNESCO.

[622] Hobbs, R. (2021). Media literacy in action. Washington, p. 89.

الوضع الحالي من خلال مسح لتقييم مستوى الوعي الرقمي والمناعة الفكرية لدى الطلاب والمعلمين،[623] ثم تحديد أهداف محددة وقابلة للقياس لتطبية النموذج.[624]

أما الخطوة الثانية فتتعلق بالتخطيط والتصميم خلال الشهر الثاني، وتشمل تصميم منهج متكامل نحو الأمية الإعلامية والتفكير النقدي يشمل أنشطة صفية ومشاريع بحثية وتقييمات مستمرة ويراعي المراحل العمرية المختلفة،[625] وتصميم أنشطة تفاعلية وتطبيقية مثل مختبرات النقد ومحاكاة التضليل وإنتاج المحتوى والمناظرات الرقمية،[626] وتطوير موارد تعليمية (أدلة، بطاقات نقاش، ألعاب تعليمية، فيديوهات تعليمية) تدعم تنفيذ المنهج والأنشطة.[627]

أما الخطوة الثالثة فتتعلق بالتنفيذ والتطبيق خلال الأشهر من الثالث إلى الثامن، وتشمل تدريب المعلمين على تطبيق المنهج والأنشطة من خلال ورش عمل مكثفة ودورات تدريبية عبر الإنترنت ومجموعات نقاش وزيارات تبادلية بين المدارس، وقد أشارت اليونسكو إلى أن تدريب المعلمين هو العامل الأهم في نجاح أي برنامج محو الأمية الإعلامية.[628] ثم تنفيذ البرنامج في الفصول الدراسية مع متابعة وتوجيه مستمر وتوثيق التحديات والنجاحات،[629] وإشراك أولياء الأمور من خلال لقاءات دورية لتعريفهم بالبرنامج وأهدافه وتدريبهم على كيفية دعم أبنائهم.[630]

أما الخطوة الرابعة فتتعلق بالتقييم والتحسين خلال الأشهر من التاسع إلى الثاني عشر، وتشمل قياس نتائج البرنامج من خلال تطبيق اختبارات قبلية وبعدية وتحليل إنتاج الطلاب ومقابلات مع الطلاب والمعلمين وأولياء الأمور،[631] ثم توثيق الدروس المستفادة في تقرير شامل،[632] وأخيرا تعديل وتحسين البرنامج بناء على نتائج التقي وتحديث الموارد والأنشطة وتوسيع نطاق البرنامج ليشمل فئات أخرى.[633] بطاقة م الأداء لتقييم فاعلية نموذج المثلث المناعي، يمكن تطوير بطاقة تقييم أداء Performance Scorecard تشمل مؤشرات كمية ونوعية تقيس التقدم في تحقيق أهداف الوقاية والمواجهة والبناء. فالمؤشرات الكمية تشمل نسبة الطلاب الذين يتحققون من المصادر قبل المشاركة (تقاس بمسح سنوي، القيمة المستهدفة زيادة 30% وعدد الأخبار المضللة التي يتم كشفها في المختبرات الإعلامية (توثيق الأنشطة، القيمة المستهدفة 50 خبرا على الأقل لكل فصل دراشي)، ونسبة المشاركين في برامج الإنتاج الإعلامي الهادف (سجلات المشاركة، القيمة المستهدفة 40% من الطلاب)، ومعدل تراجع الاعتماد على المصادر الواحدة (اختبار قبلي/بعديء القيمة المستهدفة انخفاض 25%[634]

أما المؤشرات النوعية فتشمل تحسن جودة الحجج المنطقية في مناقشات الطلاب من خلال تحليل محتوى المناقشات، وتراجع استخدام المغالطات المنطقية في إنتاج الطلاب من خلال تحليل محتوى الإنتاج، وزيادة الوعي الخوارزمي لدى الطلاب من خلال مقابلات متعمقة) وتحسن القدرة على الحوار والتسامح مع الآراء المخالفة من خلال ملاحظة صفية ومقابلات.[635]

وبناء على نتائج بطاقة التقييم، يمكن اتخاذ إجراءات تصحيحية مثل تعديل المنهج إذا أظهرت النتائج ضعفا

---

[623] Finnish National Agency for Education. (2024). Media literacy in Finnish education. Helsinki, p. 56.

[624] Hobbs, Media literacy in action, p. 90.

[625] Hobbs, Media literacy in action, p. 91.

[626] UNESCO, Digital competence framework, p. 67.

[627] UNESCO, Digital competence framework, p. 25.

[628] Hobbs, Media literacy in action, p. 92.

[629] Turkle, S. (2011). Alone together. New York, p. 89.

[630] Pan et al. (2024). Digital resilience scale. Computers in Human Behavior, p. 4.

[631] Hobbs, Media literacy in action, p. 93.

[632] Hobbs, Media literacy in action, p. 94.

[633] Hobbs, Media literacy in action, p. 95.

[634] Hobbs, Media literacy in action, p. 96.

[635] Turkle, Alone together, p. 90.

الأنشطة إذا أظهرت النتائج عدم فعاليتها وتعزيز الشراكة مع الأسر إذا أظهرت النتائج ضعفا في تطبيق المهارات المنزل.[636]

خلاصة الفصل السابع

في هذا الفصل، تم تقديم نموذج ثلاثي الأبعاد لتعزيز المناعة الفكرية. أولا: الوقاية عبر إصلاح التعليم (تحويل المدارس إلى مختبرات مناعة، وتدريب المعلمين، ودمج التفكير النقدي في كل المواد، مع تفصيل تطبيقي لدمج فلسفة العلوم في المناهج) والتربية الرقمية المبكرة (برنامج متدرج من سن الثالثة إلى الثامنة عشرة، مع نمذجة أبوية ومعلمية).

وعرض الخبر على طبائع العمران)، مع مقارنة جدولية مفصلة بين المغالطات الكلاسيكية والترندات المضللة، واستخدام تقنيات المقاومة الرقمية (أدوات حجب التتبع؛ التحقق، حماية الخصوصية، والوعي الخوارزمي).

جدول (1-7): المغالطات المنطقية الكلاسيكية وآليات عملها في الترندات المضللة

المغالطة الكلاسيكية	كيف تعمل في الترندات المضللة	مثال من واقع الترندات العربية
مغالطة رجل القش (Straw Man)	تقطيع التصريحات: أخذ جملة من سياقها وتضخيمها	سياشي يقول: «نحتاج لمراجعة بعض القوانين» في سياق تطوير التعليم ← يُترجَم: «فلان يريد إلغاء كل القوانين»
مغالطة النداء إلى العاطفة (Appeal to Emotion)	فيديوهات البكاء: مقاطع تُصمَّم لإثارة مشاعر الحزن أو الغضب، بموسيقى حزينة	فيديو لأطفال يبكون في حي مدمر، دون أي معلومات عن خلفية التدمير
مغالطة التعميم المتسرع (Hasty Generalization)	قصة فرد تصبح قاعدة: حالة فردية تُعرض كأنها تمثل المجتمع كله	قصة شخص واجه تأخيرًا في معاملة حكومية ← يُترجَم: «المؤسسة فاسدة وغير قادرة»
مغالطة ما بعد، إذن بسبب (Post Hoc)	الربط الزائف: ربط حدثين متتابعين بعلاقة سببية دون دليل	حدث اقتصادي سلبي بعد إجراء سياشي ← يُترجَم: «القرار الفلاني هو سبب الأزمة»
مغالطة المعضلة الكاذبة (False Dilemma)	التأطير الثنائي: تقديم القضية صراعًا بين خيارين فقط	«إما أن تؤيد هذا القرار أو أنك تخون الوطن»
مغالطة الشخصنة (Ad Hominem)	التشهير الإلكتروني: شن هجمات على الشخصية بدلاً من نقاش الأفكار	ردًا على مقال نقدي: «كاتب المقال له مرض مشبوه، لا تستمعوا له»

وقد أظهرت نتائج الفصل الثالث أن السلوك الوقائي لدى المشاركين جاء في المستوى المتوسط (2.96 من 4)، وأنه يرتبط بإدراك المخاطر ارتباطًا ضعيفًا ($r = 0.24$)، وأن ممارسات المقاومة التقنية، مثل استخدام أدوات حجب التتبع (2.23) ومسح سجل التصفح (2.41)، جاءت في المستوى المنخفض، وهو ما يسوّغ عناية النموذج الثلاثي بتحويل الوعي إلى ممارسة. كما أظهرت النتائج أن الشباب (18–35) هم الأقل مقاومة لتشكيل الهوية، مما يستدعي تصميم برامج تراعي خصوصية هذه الفئة.[637]

هذا النظام لا يبنى بين ليلة وضحاها. يحتاج إلى جهد منظم على مستويات متعددة: الأسرة (التربية المبكرة، النمذجة)، المدرسة (المناهج, التدريب)،. المجتمع (الدعم المؤسسي، الأندية، الحملات)، والدولة (السياسات، التشريعات،؛ التمويل). لكن النتيجة تستحق الجهد: شباب يمتلكون مناعة فكرية قوية، قادرون على حماية وعيهم من التلاعب، والإسهام بفاعلية في بناء مجتمعهم؛ والمشاركة في حوار الحضارات كسفراء لوطنهم وثقافتهم. وقد أشارت رؤية قطر الوطنية 2030 إلى أن الإنسان هو محور التنمية، وبناء قدراته هو الشرط الأساسي لتحقيق الرؤية.[638]

---

[636] الفصل الثالث من هذه الدراسة، المبحث الثالث.

[637] الأمانة العامة للتخطيط التنموي، رؤية قطر الوطنية 2030 ص 22

[638] ابن خلدون، عبد الرحمن. 2000 مقدمة ابن خلدون (تحقيق: عبد الله محمد الدرويش). دمشق: دار يعرب، ط)، 1 ص 45

في الفصل السابع، سيتم الانتقال من النموذج النظري إلى الأدوات العملية: كيف يمكن للمؤسسات التربوية والإعلامية والمجتمعية تطبيق هذا النموذج على أرض الواقع؟ ما هي البرامج والتقنيات التي يمكن استخدامها؟ وما هي التجارب الناجحة التي يمكن الاستفادة منها؟

الفصل الثامن: نماذج ناجحة في تعزيز المناعة الفكرية

تمهيد

على مدى الفصول السابقة، تشكلت رؤية نظرية متكاملة للمناعة الفكرية، من خلال تشخيص الأمراض، وبناء النماذج العلاجية، وتطوير أدوات القياس. لكن النظريات تظل حبيسة الكتب ما لم تختبر في الواقع. والسؤال الذي يطرح نفسه بقوة: هل هذه الأفكار قابلة للتطبيق حمًا؟ هل هناك أمم استطاعت أن تبني مناعة فكرية لدى شبابها؟ وما الذي يمكن أن تتعلمه المجتمعات العربية من تحاريبهم؟ وقد أشار ابن خلدون إلى أن العبرة بالتجارب، فمن يدرك يدرك، والتاريخ مدرسة العبر.[639]

هذا الفصل هو محاولة للإجابة عن هذه الأسئلة من خلال الانتقال من النظرية إلى البرهان التاريخى والميدانى. سيتم عرض نماذج حقيقية من دول ومؤسسات استطاعت – رغم التحديات – أن تحقق اختراقات في مجال المناعة الفكرية. ليس لأن هذه النماذج مثالية، بل لأكما نجحت في جوانب جوهرية، وتحمل دروسا يمكن تعميمها. وقد أشار مالك بن نبي إلى أن النهضة لا تبنى على النظريات وحدها، بل على الاستفادة من تجارب الآخرين و تكييفها مع الخصوصيات.[640]

لماذا دراسة النماذج الناجحة؟ دراسة النماذج الناجحة ليست مجرد استعراض إنجازات، بل هي منهجية علمية لفهم عوامل النجاح وآليات التطبيق. عندما يتبين أن دولة مثل فنلندا استطاعت تحقيق ما حققته. فإن ذلك يثبت أن النجاح ممكن، وأن العقبات ليست مستعصية. دراستها تكشف عن المنطق الكامن وراء نجاحها ثم تطبيقه في السياق الخاص. وقد أشار المسيري إلى أن العبرة ليست في تقليد النماذج، بل في فهم المنطق الكامن وراء نجاحها ثم تطبيقه في السياق الخاص.[641]

سيتم في هذا الفصل البدء بالنموذج الفنلندي، الذي يصنف كأول دولة في مؤشر محو الأمية الإعلامية, حيث يبدأ تعليم هذه المهارات من سن الثالثة. ثم الانتقال إلى النموذج السنغافوري، الذي يجمع بين التشريع الصارم والتربية المستمرة. ثم عرض التجربة القطرية، الى عزج بين الأصالة الإسلامية والمعاصرة التكنولوجية، مع التركيز على دور مؤسسة قطر ومركز مناظرات قطر ومركز (مسبار) للتحقق من الأخبار. ثم تناول المبادرات العربية الرائدة مثل منصة (إدراك). وأخيرا، استخلاص القوانين الذهبية لبناء المناعة المستدامة، ونقد نموذج (المنع) مقابل نموذج (التمكين).[642]

هذه النماذج تثبت أن النجاح ممكن,، وأن الطريق إلى مجتمع منيع فكريا ليس محض خيال. لكنها تحذر أيضا من أن التهديدات تتطور، وأن الراحة غير مسموحة. فبينما تبنى المناعة، تعمل القوى الاقتصادية الخفية – الى سيتم كشفها في الفصل السادس – على إجهاض هذه الجهود. وهذا يجعل فهم هذه النماذج أكثر الحاحاء لأنها والنصف الآخر هو معرفة تجارب النصر السابقة.[643] تحديث أدوات القياس مع التطور التقى السريع وظهور تحديات جديدة،) يجب أن تكون أدوات قياس المناعة الفكرية مرنة وقابلة الخطوة الأولى هي الرصد والمراقبة المستمرة (شهريا) من خلال متابعة التطورات التقنية الجديدة (مثل تقنيات وتحليل التقارير الأكاديمية والإعلامية ذات الصلة.[644]

الخطوة الثانية هي التقييم الدوري للأدوات (سنويا) من خلال مراجعة فعالية الأدوات الحالية في قياس المهارات المطلوبة، وتحليل نقاط القوة والضعف، وجمع ملاحظات المستخدمين عن سهولة الاستخدام ووضوح الأسئلة).[645]

---

[639] مالك بن نبي. 1986 شروط النهضة (ترجمة: عبد الصبور شاهين). دمشق: دار الفكر، ص 45.

[640] المسيري، عبد الوهاب2008 العالم من منظور غربي (الجزء الأول: الأسس النظرية). القاهرة: دار الشروق، ص. 88

[641] Finnish National Agency for Education. (2024). Media literacy in Finnish education: Best practices and outcomes. Helsinki: Finnish National Agency for Education, p. 15.

[642] المسيري، العالم من منظور غربي، ص/. 88

[643] Kissinger, Schmidt, & Huttenlocher. (2021). The age of AI. Boston, p. 78.

[644] Pan et al., Development and validation of digital resilience scale, p. 4.

[645] Kissinger, Schmidt, & Huttenlocher, The age of AI, p. 78.

الخطوة الثالثة هي تطوير وإضافة محتوى جديد (كل سنتين) من خلال إضافة أسئلة جديدة تتعلق بالتحديات المستجدة (مثل الذكاء الاصطناعي التوليدي، الميتافيرس، العملات الرقمية) الأمن السيبراني المتقدم), وتحديث أمثلة المواقف امحاكاة لتكون أكثر واقعية وارتباطا بالواقع الرقمي الحالي.[646]

الخطوة الرابعة هي التحكيم والتجريب (كل سنتين) من خلال عرض الأدوات المطورة على لجنة تحكيم متخصصة (أكادعيون، خبرا، تقنيون، مرشدون تربويون)، وتحريبها على عينة تجريبية صغيرة قبل تعميمها، وقياس صدقها وثباتحا.[647]

الخطوة الخامسة هي الإطلاق والتطبيق (كل سنتين) من خلال إطلاق النسخة المطورة من الأدوات، وتدريب الكوادر على استخدامها، وتطبيقها على العينة الوطنية، ومقارنة النتائج مع السنوات السابقة لقياس التقدم!.[648]

وتشمل آليات التطوير المستدام تشكيل لجنة دائمة للتطوير تضم خبرا، من مجالات متعددة (تقنية، تربوية, نفسية، قانونية، إعلامية) تجتمع بشكل دوري لمراجعة الأدوات وتقديم توصيات التطوير، وإجراء بحوث دورية حول فعالية الأدوات ومدى ارتباطها بالساوكيات الواقعية للشباب، والتعاون الدولي لتبادل الخبرات مع المؤسسات المماثلة في دول أخرى، وإشراك المستخدمين من خلال جمع ملاحظات واقتراحات المعلمين والمرشدين والطلاب وأولياء الأمور بشكل مستمر.[649]

المبحث الأول: النموذج الفنلندي - التربية الإعلامية كثقافة وطنية

أولًا: التربية الإعلامية كثقافة وطنية

في عام 2025 احتلت فنلندا المرتبة الأولى عاميا في مؤشر محو الأمية الإعلامية للمرة الخامسة على التوالي؛ بحسب تقرير المفوضية الأوروبية. هذا الإنجاز لم يبأت صدفة، بل هو نتاج استراتيجية وطنية متكاملة بدأت قبل عقود، وجعلت من محو الأمية الإعلامية أولوية وطنية. وقد أشارت وكالة أسوشييتد برس إلى أن فنلندا بدأت معركتها ضد الأخبار الكاذبة في فصول ما قبل المدرسة، حيث يتعلم الأطفال منذ سن الثالثة كيفية التساؤل عن المصادر والتحقق من المعلومات.[650]

ما الذي يجعل النموذج الفنلندي فريدا؟ النموذج الفنلندي فريد لأنه لم يقتصر على إضافة مادة دراسية جديدة، بل دمج مهارات التفكير النقدي والوعي الإعلامي مبع المواد الدراسية، من مرحلة ما قبل المدرسة إلى المرحلة الثانوية. وقد أشارت الوكالة الفنلندية الوطنية للتعليم إلى أن الهدف ليس تعليم الطلاب كيفية استخدام التكنولوجيا فقط، بل تعليمهم كيفية التفكير النقدي حول التكنولوجيا وا محتوى الذي تقدمه.[651]

ثانيا: مشاهد من الفصول الدراسية الفنلندية

في إحدى زيارات مراسل وكالة أسوشييتد برس إلى مدرسة ابتدائية في هلسنكي، دخل إلى حصة اللغة الفنلندية للصف الثالث (أعمار 9 سنوات). المعلمة ريتا كوسكي كانت تعرض على طلابما ثلاث صور إعلانية: واحدة لمنتج تنظيف، وأخرى لوجبة سريعة، وثالثة لمنتج تحميلي. سألت المعلمة: ما هو الهدف من هذه الإعلانات؟ رفع أحد التلاميذ يده: لجعلنا نشتري أشياء. ترد المعلمة: صحيح. لكن كيف يفعلون ذلك؟ تبدأ المناقشة. يلاحظ التلاميذ أن الإعلان الأول يستخدم ألوانا زاهية وموسيقى سريعة. والثان يظهر أطفالا يضحكون وهم يتناولون الوجبة. والثالث يستخدم كلمات مثل سحري ومذهل.[652]

---

[646] Pan et al., Development and validation of digital resilience scale, p. 4.

[647] Pan et al., Development and validation of digital resilience scale, p. 4.

[648] Lessenski, M. (2023). The Media Literacy Index 2023. Sofia: Open Society Institute – Sofia.

[649] Lessenski, M. (2023). The Media Literacy Index 2023. Sofia: Open Society Institute – Sofia.

[650] AP News. (2026, January 4). Finland's battle against fake news starts in preschool classrooms.

[651] Finnish National Agency for Education, Media literacy in Finnish education, p. 15.

[652] AP News, Finland's battle against fake news starts in preschool classrooms.

تقسم المعلمة التلاميذ إلى مجموعات، وتطلب منهم إعادة تصميم أحد الإعلانات بطريقة أكثر صدقا. ا مجموعة التي اختارت إعلان الوجبة السريعة تقرر إضافة ملاحظة صغيرة في الزاوية: يجب تناول الخضروات أيضا. والمجموعة التي اختارت إعلان المنتج التجميلي تقرر أن تكتب بخط واضح: النتائج تختلف من شخص لآخر. والمجموعة الثالثة تقرر أن تصنع إعلانا مضادا عن فوائد اللعب في الحديقة.[653]

القيمة التربوية لهذا النشاط: هذا النشاط يعلم التلاميذ ثلاثة دروس أساسية: أولا، أن الإعلانات ليست محايدة، بل هي أدوات إقناع مصممة للتأثير في سلوكنا. ثانيا، أن لديهم القدرة على تحليل هذه الأدوات وكشف آلياتها. ثالثًا، أن لديهم القدرة على إعادة إنتاجها بشكل أفضل. هذا النوع من التعلم النشط Active Learning هو ما بميز النموذج الفنلندي عن غيره. وقد أشار فريري إلى أن التعلم الحقيقي يحدث عندما يتحول المتعلم من متلق سلبي إلى مشارك نشط في عملية بناء المعرفة.[654]

وفي حصة الرياضيات للصف الرابع (أعمار 10 سنوات)، التلاميذ ينتقل إلى حصة الرياضيات مع المعلم يوكا هيتانن. لا يبدو الفصل منتلفا عن أي فصل رياضيات في العالم:: سبورة بيضاء أرقام، مسائل. لكن المعلم يحمل في يده صورة من إنستغرام لمنتج فائق الفعالية يدعي أنه يحرق الدهون بنسبة 300% خلال أسبوع. يكتب المعلم على السبورة: 70% دهون، 20 كجم. يحسب التلاميذ: 70% من 20 كجم يساوي 14 كجم. يكتب المعلم سؤالا آخر: لو كان المنتج يعمل حقا، فكم كيلوغراما من الدهون يمكن حرقه في أسبوع؟ 300% يعني ثلاثة أضعاف, أي 42 كجم! التلاميذ: يضحك هذا مستحيل! لا يمكن حرق أكثر من 14 كجم من الدهون في أسبوع, لأن هذا يعني حرق كل دهون الجسم. يطلب المعلم من التلاميذ كتابة بيان تصحيح قصير لهذا الإعلان، الحقائق يتضمن الرياضية. يكتب أحدهم: لا يمكن حرق أكثر من 14 كجم من دهون الجسم. الادعاء ب300% دليل على أن هذا المنتج غير حقيقي. يكتب آخر: الخسارة الآمنة للوزن هي ه, 0.5 كجم 1 في الأسبوع, وليس 42 كجم.[655]

القيمة التربوية لهذا النشاط: هذا الدرس يعلم التلاميذ أن الأرقام يمكن استخدامها للتضليل كما تستخدم للإيضاح. يعلمهم أن أي رقم خارج عن المألوف يستحق الشك. ويعلمهم أن الرياضيات ليست مجرد أرقام على الورق، بل هي أداة لفهم العالم وكشف الخداع. كما يعلمهم أنهم ليسوا مجرد مستهلكين سلبيين، بل لديهم القدرة على تحليل الادعاءات والرد عليها. وقد أشار كاينمان إلى أن الأرقام الكبيرة والصادمة تعطل التفكير النقدي, لأنها تستثير المشاعر قبل العقل. تعليم الطلاب كيفية اختبار الأرقام بالمنطق هو دفاع قوي ضد هذه الحيلة.[656]

ثالثًا: عوامل النجاح الخمسة في النموذج الفنلندي

يمكن استخلاص خمسة عوامل تفسر تفوق فنلندا في هذا لمجال، وتشكل دروسا قابلة للتطبيق في سياقات أخرى.[657]

يتمثل العامل الأول في البداية المبكرة، ففنلندا لا تنتظر حت المرحلة الثانوية, بل تبدأ من سن الثالثة، بل حتى من رعاية الطفولة المبكرة. هذا التراكم المبكر يضمن أن تصبح المهارات جزءا من الشخصية، وليس مجرد معرفة نظرية مكتسبة في سن متأخرة. كما أن البدء المبكر يسمح ببناء نقدية نقدية Critical Mindset تصبح تلقائية مع تقدم العمر. وقد أشار غاردنر إلى أن العقل المنضبط disciplined mind يبدأ في العة في السنوات الأولى، حيث تكون المرونة العصبية في أعلى مستوياتها.[658]

ويتمثل العامل الثاني في التكامل المنهجي, فلا توجد مادة اسمها محو الأمية الإعلامية، بل هذه المهارات مدمجة في كل المواد: الرياضيات (نقد الإحصاءات)، العلوم (كشف الزيف العلمي)، التاريخ

---

653 AP News, Finland's battle against fake news starts in preschool classrooms.

654 Freire, P. (1970). Pedagogy of the oppressed. New York: Herder and Herder, p. 75.

655 AP News, Finland's battle against fake news starts in preschool classrooms.

656 Kahneman, D. (2011). Thinking, fast and slow. New York: Farrar, Straus and Giroux, p. 15.

657 Gardner, H. (2008). Five minds for the future. Boston: Harvard Business School Press, p. 6.

658 Finnish National Agency for Education, Media literacy in Finnish education, p. 25.

(تحليل الروايات)، اللغة (تحليل الخطاب)، والفنون (تحليل الصور والإعلانات). هذا التكامل يمنع الطلاب من اعتبار مهارات التفكير النقدي نشاطا جانبياء بل يصبحون جزءا من طريقة تفكيرهم في كل مادة. وقد أشارت الوكالة الفنلندية الوطنية للتعليم إلى أن التكامل هو كلمة السر في النموذج الفنلندي: فبدلا من إضافة مادة جديدة، تم دمج المهارات في كل ما يدرس.[659]

ويتمثل العامل الثالث في تدريب المعلمين، فالمعلمون الفنلنديون يتلقون تدريبا متخصصا في كيفية دمج مهارات التفكير النقدي والوعي الإعلامي في موادهم. برامج إعداد المعلمين في فنلندا تشمل وحدات إلزامية في التربية الإعلامية، ويتم تحديث هذه البرامج باستمرار لمواكبة التطورات التقنية. وقد أشارت اليونسكو إلى أن تدريب المعلمين هو العامل الأهم في نجاح أي برنامج محو الأمية الإعلامية، وفتلندا هي النموذج الأبرز في هذاا المجال.[660]

ويتمثل العامل الرابع في الشراكة المجتمعية، فالمدارس الفنلندية لا تعمل بمفردها. هناك تعاون وثيق مع المؤسسات الإعلامية (مثل أسبوع الصحافة الذي تنظمه نقابة الصحفيين)؛ والمكتبات (التي تقدم برامج محو الأمية الإعلامية)، والمتاحف، والجامعات، والأسر. وقد أشارت الوكالة الفنلندية الوطنية للتعليم إلى أن التكامل المؤوسسى هو ما كنع تناقض الرسائل ويوحد الجهود.[661]

ويتمثل العامل الخامس في القياس المستمر، حيث تقيس فنلندا نتائجها من خلال مؤشر محو الأمية الإعلامية الأوروبي، وتستخدم النتائج لتطوير البرامج وتحديد الفجوات. ذلك أن القياس المستمر هو ما بميز الدول الرائدة في محو الأمية الإعلامية عن الدول المتخلفة.[662]

المبحث الثاني: النموذج السنغافوري

أولًا: التعددية والاستقطاب

من الشمال الأوروبي تنتقل إلى الشرق الآسيوي، وتحديدا إلى سنغافورة. هذه الدولة المدينة التي لا يزيد عدد سكانحا عن ره 5.6 مليون نسمة، تمكنت من بناء مجتمع متعدد الأعراق والديانات، يحقق تقدما اقتصاديا هائلا، ويحافظ في الوقت نفسه على تماسكه الاجتماعي. وهذا النجاح لم يأت صدفة، بل هو نتاج استراتيجية متكاملة تجمع بين التشريع والتربية والتكنولوجيا. وقد أشارت مدرسة راجاراتنام للدراسات الدولية إلى أن سنغافورة تقدم نموذجا فريدا في العالم، حيث استطاعت تحويل التعددية من مصدر توتر إلى مصدر قوة، والمناعة الفكرية كانت أداة رئيسية في هذا التحول.[663]

سنغافورة مجتمع متعدد الأعراق (صيني، ماليزي، هندي) والأديان (بوذية، إسلام، هندوسية، مسيحية). هذا التدوع، الذي يعتبر ثراء ثقافياء يمكن أن يكون أيضا مصدرا للتوتر والاستقطاب إذا لم يدار بحكمة. الاستقطاب الرقمي، الذي يغذيه التضليل المنظم، كان يمكن أن بمزق النسيج الاجتماعي السنغافوري. لكن الدولة استطاعت احتواء هذا الخطر من خلال استراتيجية متكاملة. وقد أشارت مدرسة راجاراتنام إلى أن سنغافورة أد ركت مبكرا أن التضليل الرقمي ليس مجرد إزعاج، بل هو تحديد مباشر للتماسك الاجتماعي في مجتمع متعدد الثقافات.[664]

ثانيا: قانون مكافحة التضليل - POFMA الردع مع الشفافية

في عام 2019 سنت سنغافورة قانونا جريئا باسم حماية من التلاعب عبر الإنترنت (Protection from Online Falsehoods and Manipulation Act POFMA بتصحيح الأخبار الكاذبة التي تهدد المصلحة العامة. وقد أشارت وزارة القانون السنغافورية إلى أن POFMA ليس قانونا للرقابة، بل

---

[659] UNESCO. (2021). Media and information literate citizens: Think critically, click wisely! Paris: UNESCO.

[660] Finnish National Agency for Education, Media literacy in Finnish education, p. 25.

[661] Lessenski, M. (2023). The Media Literacy Index 2023. Sofia: Open Society Institute – Sofia.

[662] S. Rajaratnam School of International Studies (RSIS). (2026, January 9). Enhancing information literacy and resilience in Singapore, p. 12.

[663] RSIS, Enhancing information literacy and resilience in Singapore, p. 12.

[664] Ministry of Law, Singapore. (2025, September 22). Issuance of correction directions under the Protection from Online Falsehoods and Manipulation Act to Mr Nicholas Tan and Aupen.

هو قانون للشفافية: فهو لا يحذف المحتوى، بل يطلب من الناشرين إضافة تصحيح بجانبه، مما يسمح للمواطن برؤية كلا الجانبين.[665]

أمثلة على تطبيق القانون في 2025 2026 في 22 سبتمبر 2025 تم إصدار توجيهات تصحيح إلى السيد نيكولاس تان وموقع Aupen بعد أن تبين أنا محتوى الذي نشروه يحتوي على تصريحات خاطئة تتعلق بالسياسات الحكومية. وفي 17 نوفمبر 2025 تم حظر موقع MalaysiaNow بموجب قانون POFMA وذلك لنشره أخبارا كاذبة عن العلاقات الثنائية بين سنغافورة وماليزيا. وفي 7 سبتمبر 2025 صلر توجيه تصحيح للسيد جاي إسحاق راجو بشأن منشور له على تيك توك يروج لمعلومات مضللة عن اللقاحات.[666]

أثار القانون جدالا حول حرية التعبير. المنتقدون قالوا إنه قد يستخدم لقمع الآراء المعارضة. لكن الحكومة السنغافورية أكدت أن القانون يطبق فقط على الأخبار الكاذبة التي تهدد المصلحة العامة، وأن هناك ضمانات قضائية لحماية حقوق المواطنين. وقد أشارت مدرسة راجاراتنام إلى أن سنغافورة تمكنت من إيجاد توازن دقيق بين حماية المجتمع من التضليل واحترام حرية التعبير، من خلال التركيز على التصحيح بدلا من الحذف، ومن خلال توفير آليات قضائية للطعن.[667]

ثالثًا: مبادرة S.U.R.E وثقافة التحقق

إلى جانب القانون، أطلقت سنغافورة مبادرة وطنية باسم S.U.R.E وهي اختصار ل Source (المصدر)ء Understand (افهم)، Research (ابحث)، Evaluate (قيم). تستهدف هذه المبادرة جميع الفئات العمرية من خلال المكتبات العامة والمدارس ووسائل الإعلام. وقد أشارت هيئة المكتبات الوطنية السنغافورية إلى أن S.U.R.E هي أكثر من مجرد اختصار، إنما فلسفة: المواطن الواعي هو الذي يعرف من أين يأتِي الخبر، ويفهم سياقه، ويبحث عن مصادر متعددة، ويقيم مصداقيته قبل أن يصدقه أو يشاركه.[668]

تفصيل المبادرة: يشير حرف Source (المصدر) إلى تعليم المواطنين كيفية التحقق من مصدر المعلومات: هل المصدر معروف؟ هل هو موثوق؟ هل هناك تضارب في المصالح؟ ويشير حرف Understand (افهم) إلى تعليم المواطنين كيفية فهم السياق الكامل للخبر: هل الادعاء منطقي؟ هل يتوافق مع الحقائق المعروفة؟ ويشير حرف Research (ابحث) إلى تعليم المواطنين كيفية البحث عن مصادر متعددة: هل هناك مصادر أخرى وَكد نفس المعلومة؟ هل هناك مصادر تنفيها؟ ويشير حرف Evaluate (قيم) إلى تعليم المواطنين كيفية تقييم مصداقية المعلومات قبل مشاركتها: هل الخبر حديث أم قديم؟ هل الصورة حقيقية أم مفبركة؟.[669]

في عام 2024 قامت هيئة المكتبات الوطنية بتوسيع نطاق المبادرة لتشمل موضوعات جديدة مثل الذكاء الاصطناعي التوليدي، نحن شعار Be S.U.R.E. Together لمساعدة الجمهور على تسخير فوائد الذكاء الاصطناعي التوليدي مع الحماية من التهديدات عبر الإنترنت مثل التزييف العميق والاحتيال. كما نظمت هيئة المكتبات الوطنية فعالية الاحتفال بأسبوع المعرفة الرقمية تحت شعار كن على دراية، ابق متصلا Be S.U.R.E., Stay Connected لتثقيف الجمهور حول محو الأمية المعلوماتية.[670]

---

[665] Channel News Asia. (2025, November 17). Singapore to block access to news outlet MalaysiaNow over failure to comply with POFMA order. Channel News Asia. Ministry of Culture, Community and Youth, Singapore. (2025, September 7). Issuance of correction direction under the Protection from Online Falsehoods and Manipulation Act to Mr Jay Ish'haq Rajoo.

[666] RSIS, Enhancing information literacy and resilience in Singapore, p. 12.

[667] National Library Board, Singapore. (2023, January 4). "Be S.U.R.E., Stay Connected" with National Library Board. Library Association of Singapore.

[668] National Library Board, Singapore. (2023, January 4). "Be S.U.R.E., Stay Connected" with National Library Board. Library Association of Singapore.

[669] National Library Board, Singapore. (2023, January 4). "Be S.U.R.E., Stay Connected" with National Library Board. Library Association of Singapore.

[670] Ministry of Digital Development and Information (MDDI), Singapore. (2025, March 7). COS 2025, p. 15.

رابعا: استراتيجية Smart Nation 2.0 والحصانة الأخلاقية

تدرك سنغافورة أن التطور التقني دون حصانة أخلاقية قد يكون سلاحا ذا حدين. لذلك، تدمج في استراتيجيتها Smart Nation قيم المواطنة المسؤولة والانضباط الاجتماعي. وقد أشارت وزارة التنمية الرقمية والمعلومات السنغافورية إلى أن سنغافورة لا تريد أن تكون مجرد دولة ذكية، بل دولة ذكية وأخلاقية، حيث التكنولوجيا تخدم الإنسان ولا تسيطر عليه.[671]

تشمل تعزيز السلامة على الإنترنت، والأمن السيبراني، والمرونة الرقمية، وتمكين المجتمعات من المهارات الرقمية الأساسية. وقد أشارت الوزارة إلى أن المرونة الرقمية Digital Resilience هي قدرة الفرد وا مجتمع على مواجهة التهديدات الرقمية والتكيف معها، وهي هدف رئيسي لاستراتيجية سنغافورة.[672]

وتستمر الوزارة أيضا في تحسين استراتيجيات Smart Nation 2.0 لتسريع اعتماد الذكاء الاصطناعي عبر المؤسسات والقوى العاملة. ستقوم الوزارة بتعزيز السلامة على الإنترنت، وإطلاق لجنة السلامة على الإنترنت Online Safety Commission لدعم الضحايا وتعزيز القواعد الرقمية الإيجابية للأطفال والشباب.[673]

لجنة السلامة على الإنترنت – هذه اللجنة، التي تم إطلاقها في أوائل 2026 هي هيئة مستقلة تتلقى الشكاوى حول المحتوى الضار على الإنترنت، وتصدر توصيات للمنصات لإزالته أو تعديله. كما تقدم الدعم النفسي والقانوني لضحايا التنمر الإلكتروني والابتزاز الرقمي. هذه الآلية تجمع بين التنظيم الذاتي للمنصات والرقابة المستقلة، وهو نموذج متوازن يحترم حرية التعبير مع حماية المواطنين. وقد أشارت مدرسة راجاراتنام إلى أن سنغافورة تقدم نموذجا فريدا في العالم، حيث الحكومة لا تتدخل مباشرة، بل تنشئ آليات مستقلة تقوم بالدور نيابة عنها.[674]

خامسا: عوامل النجاح الأربعة في النموذج السنغافوري

من تحليل التجربة السنغافورية، يمكن استخلاص أربعة عوامل رئيسية للنجاح. يتمثل العامل الأول في التكامل بين التشريع والتربية، فالقوانين وحدها لا تكن إذا لم تكن هناك تربية داعمة، والتربية وحدها قد تكون بطيئة في مواجهة التهديدات العاجلة. سنغافورة تقدم نموذجا للتكامل: قوانين واضحة تردع التضليل المنظم, إلى جانب برامج توعوية تبني مناعة المواطنين الذاتية. هذا المزيج الفريد بين الردع والتمكين هو سر تفوقها. وقد أشارت مدرسة راجاراتنام إلى أن التكامل بين القوانين والتربية يخلق حلقات تغذية راجعة إيجابية: القوانين تردع الأسوأء والتربية ترفع الأفضل.[675]

ويتمثل العامل الثاني في الاستجابة للتعددية الثقافية، ففي مجتمع سنغافورة المتعدد الأعراق والأديان، كانت مخاطر الاستقطاب الطائفي والعرقي عالية جدا. النموذج السنغافوري نجح في احتواء هذه المخاطر من خلال التأكيد على الوية الوطنية الجامعة، وتعزيز الحوار بين الثقافات، وتصميم برامج توعوية تراعي حساسيات كل مجموعة. فمثلاء تتوفر مواد التوعية بعدة لغات (إنجليزية، صينية، ماليزية، تاميلية)، و تأخذ في الاعتبار الخلفيات الثقافية المختلفة. وقد أشارت مدرسة راجاراتنام إلى أن احترام التنوع الثقافي ليس مجرد قيمة، بل هو استراتيجية عملية: فا محتوى التوعوي الذي لا يراعي الخلفيات الثقافية مجموعة معينة لن يصل إليها.[676]

ويتمثل العامل الثالث في الشفافية في الإجراءات، فرغم صرامة القانون، حرصت سنغافورة على أن تكون إجراءات التصحيح شفافة. فبدلا من حذف المحتوى المخالف، يطلب من المنصات نشر تصحيح يجانب الخبر الأصلي، , مما يتيح للمواطن أن يرى كلا الجانبين ويقرر بنفسه. هذه الشفافية تبني الثقة في الحكومة، وتجعل المواطن شريكا في عملية التحقق، وليس مجرد متلق لأوامر. وقد أشارت وزارة

---

671 MDDI, COS 2025, p. 5.

672 MDDI, COS 2025, p. 12.

673 RSIS, Enhancing information literacy and resilience in Singapore, p. 18.

674 RSIS, Enhancing information literacy and resilience in Singapore, p. 20.

675 RSIS, Enhancing information literacy and resilience in Singapore, p. 22.

676 MDDI, COS 2025, p. 12.

التنمية الرقمية والمعلومات إلى أن الشفافية هي الضمانة الأهم ضد إساءة استخدام القانون، وهي ما يميز سنغافورة عن الدول التي تستخدم القوانين لقمع المعارضة.[677]

ويتمثل العامل الرابع في التكيف المستمر، فسنغافورة لا تكتفي بإطلاق المبادرات، بل تقوم بتقييمها وتطويرها باستمرار. استراتيجية Smart Nation 2.0 هي مثال على هذا التكيف، حيث تم تحديث الاستراتيجية الأصلية لتشمل تحديات جديدة مثل الذكاء الاصطناعي التوليدي والتزييف العميق. وقد أشارت وزارة التنمية الرقمية والمعلومات إلى أن التكيف المستمر هو سر البقاء في عالم رقمي سريع التغير.[678] النموذج الألماني إلى جانب النماذج الفنلندية والسنغافورية، يقدم النموذج الألماني بحربة متميزة في تعزيز المناعة الفكرية من خلال مبادرة شبكات الأمان Safety Networks التي أطلقتها وزارة التعليم الألمانية بالتعاون مع المنصات الرقمية والمؤسسات المجتمعية، وقد أثبتت هذه المبادرة فعالية كبيرة في حماية الأطفال والشباب من المخاطر الرقمية، وبناء مناعة فكرية لديهم.

انطلقت المبادرة في عام 2020 بالتعاون مع شركات التكنولوجيا الكبرى (مثل جوجل، وفيسبوك, ومايكروسوفت) والمؤسسات المجتمعية (مثل الجمعيات الأهلية، ومراكز الشباب، والمكتبات العامة)، وتهدف إلى توفير بيئة رقمية آمنة للأطفال والشباب وتعزيز مهاراتهم في التعامل مع المحتوى الرقمي بشكل نقدي وواع, وقد أشارت وزارة التعليم الألمانية إلى أن حماية الأطفال والمراهقين في الفضاء الرقمي هي مسؤولية مشتركة بين الدولة وا مجتمع والقطاع الخاص، ولا يمكن تركها للآباء وحدهم.[679]

وتشمل مكونات المبادرة المنصة الرقمية SafetyNet التي تقدم محتوى تعليميا متنوعا حول السلامة الرقمية ومهارات التفكير النقدي والوعي الخوارزمي وحمايةا الخصوصية، وتتضمن العابا تعليمية وفيديوهات تفاعلية واختبارات تقييم ذاتي وأدلة للمعلمين وأولياء الأمور، وقد سجل على المنصة أكثر من 2 مليون مستخدم خلال عامين من إطلاقها.[680]

كما تتضمن المبادرة برنامج «سفراء الأمان الرقمي» الذي يدرّب شبابًا ليكونوا سفراء للأمان الرقمي في مدارسهم ومجتمعاتهم، إذ يتلقون تدريبًا على مهارات التحقق من المعلومات والوعي الخوارزمي وحماية الخصوصية، ثم ينقلون هذه المهارات إلى زملائهم. وتتضمن المبادرة أيضًا أسبوعًا وطنيًا للأمان الرقمي يشمل مسابقات وورش عمل وحملات توعوية على وسائل التواصل، يشارك فيه الطلاب والمعلمون وأولياء الأمور.

كما تتضمن المبادرة شراكات مجتمعية مع أكثر من 500 مؤسسة مجتمعية لتوفير برامج السلامة الرقمية في المجتمعات المحلية، وضمان وصول المبادرة إلى جميع الفئات خاصة المهمشة وا محرومة، وساهمت هذه الشراكات في توسيع نطاق المبادرة لتشمل أكثر من 5 ه ملايين شخص سنويا(.[681]

المبحث الثالث: التجربة القطرية - الأصالة والمعاصرة

أولًا: الأصالة والمعاصرة

في إطار رؤية قطر الوطنية 2030 التي تهدف إلى بناء مجتمع متقدم قادر على الاستدامة، يحتل تنمية الإنسان موقعا مركزيا. وقد أشارت الوثيقة إلى أن الإنسان هو محور التنمية، وبناء قدراته هو الشرط الأساشي لتحقيق الرؤية.[682] هذا الالتزام ببناء الإنسان انعكس في استراتيجيات وطنية متعددة، منها الاستراتيجية الوطنية للأمن السيبراني، التي تولي أهمية كبيرة للتوعية بالأمن السيبراني والمواطنة الرقمية، وبرامج مؤسسة قطر في مجال التربية الإعلامية والتفكير النقدي، ومبادرة الصحة الرقمية

---

[677] MDDI, COS 2025, p. 5.

[678] German Ministry of Education. (2020). Safety Networks Initiative: Annual Report 2020. Berlin, p. 12.

[679] German Ministry of Education. (2022). SafetyNet Platform: Usage Statistics and Impact. Berlin, p. 34.

[680] German Ministry of Education. (2023). Community Partnerships in Digital Safety. Berlin, p. 45.

[681] الأمانة العامة للتخطيط التنموي - دولة قطر. 2008 رؤية قطر الوطنية 2030. الدوحة.،؟ص 22

[682] Qatar Foundation. (2025, November 24). Her Highness Sheikha Moza bint Nasser attends the launch of a national initiative to promote youth digital wellbeing at the WISE 12 Summit. Qatar Foundation News, p. 4.

للشباب التي أطلقتها مؤسسة قطر بالتعاون مع وزارة الصحة العامة ووزارة الرياضة والشباب ووزارة الاتصالات.[683]

ثانيا0: مبادرة الصحة الرقمية للشباب

في نوفمبر 2025 أطلقت صاحبة السمو الشيخة موزا بنت ناصر، بحضور سمو الشيخة هند بنت حمد آل ثاني، مبادرة وطنية لتعزيز الصحة الرقمية للشباب، وذلك على هامش قمة (وايز) 12 تهدف المبادرة إلى تعزيز الصحة الرقمية للشباب في قطر من خلال بناء القدرات والتوعية والبحث العلمي. وقد أشارت مؤسسة قطر إلى أن هذه المبادرة هي الأولى من نوعها في المنطقة، وتضع قطر في موقع الريادة في مجال الصحة الرقمية.[684]

المبادرة تشمل عدة محاور: توعية الآباء والمعلمين بمخاطر الإدمان الرقمي، تطوير برامج مدرسية للصحة الرقمية، إنشاء عيادات استشارية رقمية للشباب، وإجراء أبحاث حول تأثير وسائل التواصل على الصحة النفسية. وقد أشارت مؤسسة قطر إلى أن البحث العلمي هو أساس هذه المبادرة، لأننا لا نستطيع معالجة ما لا نفهمه.[685]

مدارس مؤسسة قطر Qatar Foundation كانت في طليعة هذا التوجه. ففي يناير 2025 أفادت صحيفة (قطر تريبيون) أن المدارس التابعة للمؤسسة تدمج الأدوات الرقمية في الفصول الدراسية لخلق بيئات تعليمية ديناميكية وتعاونية، مع تعليم الطلاب كيفية التنقل في التكنولوجيا بأمان. هذا يؤكد أن التربية الرقمية ليست مجرد مهارة إضافية، بل هي جزء أساسي من عملية التعلم. وقد أشارت قطر تريبيون إلى أن مدارس مؤسسة قطر تقدم نموذجا متكاملا: تكنولوجيا متقدمة، ولكن مع تربية رقمية مسؤولة.[686]

ثالثًا: مركز مناظرات قطر

أبرز مثال على هذا التوجه هو مركز مناظرات قطر QatarDebate الذي تأسس ببادرة من مؤسسة قطر عام 2008 نحن شعار حوار ورؤى. في يناير 2025 نظم المركز قمة شباب دول مجلس التعاون الخليجي، التي استمرت يومين من المناقشات حول الأفكار الرائدة، وركزت على مستقبل منطقة الخليج والدور المحوري للشباب في قطر. وقد أشارت جلف تاعز إلى أن هذه القمة هي الأكبر من نوعها في المنطقة، وتؤكد دور قطر الريادي في تمكين الشباب وحوار الحضارات.[687]

ماذا يقدم مركز مناظرات قطر؟ المركز ليس مجرد منصة لإقامة المسابقات، بل هو مؤسسة تربوية متكاملة تهدف إلى: تعليم مهارات المناظرة (تدريب الشباب على بناء الحجج, والاستماع للآخرء والرد بالمنطق بدلا من العاطفة)، وتنمية التفكير النقدي (تعليم الشباب كيفية تحليل القضايا من زوايا متعددة، وتقييم الأدلة، واكتشاف المغالطات)، وتعزيز ثقافة الحوار (خلق فضاءات آمنة للحوار بين الشباب من خلفيات مختلفة، ما يني جسورا من التفاهم والتسامح)؛ وتمكين الشباب (إعداد الشباب ليكونوا قادة فكر في مجتمعاتهم، قادرين على المشاركة في النقاشات العامة والتأثير في صنع القرار).[688]

هذه القمة ليست مجرد حدث سنوي، بل هي بحسيد لرؤية قطر في تمكين الشباب وجعلهم للحوار قادة والنقد البناء. فالمناظرة تعلم الشباب كيفية بناء الحجج، والاستماع للآخرء والرد بالمنطق بدلا من

---

[683] Qatar Foundation News, p. 4.

[684] Qatar Foundation News, p. 4.

[685] Qatar Tribune. (2025, January 20). Qatar Foundation helps shape responsible digital citizens. Qatar Tribune.

[686] Gulf Times. (2025, January 13). QatarDebate concludes GCC Youth Summit 2025 with key recommendations. Gulf Times.

[687] مركز قطر للمناظرات. 2023 دليل التفكير النقدي وفنون المناظرة. الدوحة: مطابع قطر الوطنية، ص 43.

[688] مركز قطر للمناظرات، دليل التفكير النقدي، ص؟؟. 43. 2025 التقرير السنوي 2025 الدوحة، 66 67 ص.-عامع) Center عخوماء 4 QatarDebate

العاطفة. وهذه المهارات هي جوهر المناعة الفكرية. وقد أشار مركز مناظرات قطر إلى أن المناظرة تدرب العقل على التفكير المنظم، وتعلم احترام الرأي الآخر، وتعزز مهارات البحث والتحليل.[689]

أثر مركز مناظرات قطر في الشباب القطري: تشير تقارير المركز إلى تحسن مهارات التفكير النقدي وبناء الحجج المنطقية واكتشاف المغالطات لدى المشاركين في برامجه، وهو أثر يحتاج إلى تقويم مستقل لتقدير حجمه.

رابعا: مركز (مسبار) للتحقق من الأخبار

تأسس مركز (مسبار) للتحقق من الأخبار عام 2020، كأول منصة عربية متنخصصة التحقق من صحة الأخبار والمعلومات المتداولة على وسائل التواصل. يهدف الم ركز إلى مكافحة التضليل الإعلامي وتعزيز ثقافة التحقق في المنطقة العربية. وقد أشار تقرير المركز السنوي إلى أن مسبار أصبح مرجعا أساسيا في المنطقة العربية لكشف الأخبار الكاذبة، حيث يستقبل آلاف الاستفسارات شهريا من الجمهور والصحفيين.

منهجية علمية تتضمم: تحديد مصدر الخبر، وتتبع سلسلة النقل، والبحث عن تغطيات مستقلة، واستخدام أدوات التحقق التقنية (البحث العكسي عن الصور، تحليل الفيديو)، وتقييم مصداقية المصادر. وقد أشار المركز إلى أن التضليل.

أثر مسبار في الوعي العام: لا يقتصر دور مسبار على كشف الأخبار المضللة، بل يتجاوزه إلى تعليم الجمهور أساليب التحقق بنفسه من خلال شرح خطوات التحقق في كل حالة، وهو ما يمكن أن يسهم في بناء مناعة ذاتية لدى متابعيه.

التحديات التي يواجهها مسبار: رغم نجاحاته، يواجه مسبار تحديات كبيرة، منها: سرعة انتشار التضليل التي تفوق قدرة فريق التحقق، وتطور تقنيات التزييف العميق التي تجعل الكشف أكثر صعوبة، والحملات المنظمة للتشويه التي تستهدف مصداقية المنصة، والتمويل المحدود مقارنة بحجم المهمة. وقد أشار المركز إلى أن مسبار يحتاج إلى دعم مستمر من المؤسسات الحكومية والخاصة ليتمكن من مواجهة التحديات المتزايدة. النموذج الإمارات في السياق العربي، تبرز تجربة الإمارات العربية المتحدة من خلال مبادرة المواطنة الرقمية التي أطلقتها هيئة تنظيم الاتصالات والحكومة الرقمية في دبي، كأحد النماذج العربية الرائدة في تعزيز المناعة الفكرية والوعي الرقمي، وقد حققت هذه المبادرة نتائج ملموسة في رفع مستوى الوعي الرقمي لدى مختلف فئات المجتمع وخاصة الشباب.

انطلقت المبادرة في عام 2021 بالتعاون مع مؤسسات تعليمية وإعلامية ومجتمعية، وتهدف إلى تعزيز الوعي الرقمي وبناء مجتمع رقمي واع ومسؤول وتمكين الأفراد من التعامل الآمن والفعال مع التكنولوجيا الرقمية، وقد أشارت الهيئة إلى أن المواطنة الرقمية هي ركيزة أساسية لتحقيق رؤية الإمارات 2030 وبناء اقتصاد رقمي م مزدهر ومستداء.[690]

وتشمل مكونات المبادرة منصة المواطن الرقمي التي تقدم محتوى تعليميا وتوعويا حول المواطنة الرقمية وتشمل أدلة عملية وفيديوهات تعليمية واختبارات تقييم ذاتي ومنتديات نقاش وألعاب تفاعلية، وقد سجل على المنصة أكثر من 500,000 مستخدم خلال ثلاث سنوات.[691]

كما تتضمن المبادرة برنامج «سفراء المواطنة الرقمية» الذي يتلقى فيه الشباب الإماراتيون تدريبًا مكثفًا على مهارات التفكير النقدي والوعي الخوارزمي وحماية الخصوصية ومكافحة التضليل، ثم ينقلون هذه المهارات إلى أقرانهم.

وتتضمن المبادرة أيضا أسبوع المواطنة الرقمية الذي يشمل فعاليات متنوعة (مسابقات، ورش عمل، مؤتمرات، حملات على وسائل التواصل) تهدف إلى رفع الوعي بقضايا المواطنة الرقمية وتعزيز المهارات الرقمية

---

[689] هيئة تنظيم الاتصالات والحكومة الرقمية دبي. – 2021 مبادرة المواطنة الرقمية: التقرير السنوي 2021 دبي،.؟ص 12

[690] هيئة تنظيم الاتصالات والحكومة الرقمية – دبي. 2024 منصة المواطن الرقمي: إحصائيات الاستخدام والأثر. دبي، ص 34

[691] هيئة تنظيم الاتصالات والحكومة الرقمية – دبي. 2023 الشراكات مع المؤسسات التعليمية. دبي، ص 45

كما تتضمن المبادرة شراكات مع المؤسسات التعليمية من خلال توقيع اتفاقيات مع أكثر من 200 مدرسة وجامعة لتضمين مفاهيم المواطنة الرقمية في المناهج الدراسية وتدريب المعلمين وتنظيم أنشطة وفعاليات للطلاب، وساهمت هذه الشراكات في وصول المبادرة إلى أكثر من 300,000 طالب سنويا.[692]

النموذج السعودي: في إطار رؤية المملكة العربية السعودية 2030 التي تهدف إلى بناء مجتمع رقمي متقدم، أطلقت المملكة عدة مبادرات لتعزيز محو الأمية الرقمية والمناعة الفكرية لدى المواطنين، خاصة فئة الشباب، وتعد هذه المبادرات من النماذج اللافتة في المنطقة العربية في مجال التربية الإعلامية والوعي الرقمي.

تدرك المملكة أن التحول الرقمي الشامل يتطلب بناء قدرات بشرية قادرة على التعامل مع التحديات الرقمية، وأن محو الأمية الرقمية هو ركيزة أساسية لتحقيق أهداف رؤية 2030 وقد أشارت وزارة الاتصالات وتقنية المعلومات السعودية إلى أن الاستثمار في المهارات الرقمية والوعي المعلوماتي هو استثمار في مستقبل الوطن وضمان لاستدامة التنمية في العصر الرقمي.[693]

وتشمل المبادرات الرئيسية مبادرة مواطن رقمي التي أطلقتها الوزارة لتعزيز المهارات الرقمية والوعي المعلوماتي لدى المواطنين، وتشمل دورات تدريبية مجانية عبر الإنترنت ومنصة تعليمية تفاعلية وحملات توعوية على وسائل التواصل وشراكات مع المؤسسات التعليمية وا مجتمعية، وقد استفاد من هذه المبادرة أكثر من مليون مواطن سعودي خلال ثلاث سنوات.[694]

كما تشمل المبادرات برنامج الوعي الرقمي في المدارس الذي دمج مهارات الوعي الرقمي والتفكير النقدي في المناهج الدراسية في جميع المراحل التعليمية بدءا من المرحلة الابتدائية، بالتعاون مع وزارة التعليم، ويشمل البرنامج أنشطة صفية ومشاريع بحثية وتدريبات عملية على مهارات التحقق من المعلومات وحماية الخصوصية والوعي الخوارزمي، وقد استفاد منه أكثر من 3 ملايين طالب وطالبة.[695]

كما تشمل المبادرات أكاديمية الوعي الرقمي التي تقدم برامج تدريبية متقدمة في مجالات الوعي الرقمي والأمن السيبراني ومكافحة التضليل والتفكير النقدي، وتستهدف المعلمين والإعلاميين وقادة الرأي والكوادر الحكومية، وقد خرجت الأكاديمية أكثر من 5,000 وه متخصص[696].

كما تشمل المبادرات مبادرة شباب ضد التضليل التي أطلقتها وزارة الإعلام السعودية لتمكين الشباب من مكافحة التضليل المعلوماتي من خلال تدريبهم على مهارات التحقق من المعلومات وإنتاج محتوى إعلامي هادف وتنظيم حملات توعوية على وسائل التواصل، وشارك في هذه المبادرة أكثر من افا 10,000 وزو شاب وشابة سعوديين وأنتجوا أكثر من 5,000 وه مادة توعوية.[697]

المبحث الرابع: الدروس المستفادة وعوامل النجاح

أولًا: القوانين الذهبية لبناء المناعة المستدامة

بعد تحليل هذه النماذج المتنوعة – من مال أوروبا إلى شرق آسيا إلى الخليج العربي – يمكن استخلاص سبعة قوانين ذهبية لبناء مناعة فكرية مستدامة. هذه القوانين ليست نظرية، بل هي مستخلصة من تجارب نجحت وفشلت في ظروف مختلفة. وقد أشار ابن خلدون إلى أن العبرة بالنتائج، والتجارب هي خير معلم.[698]

---

[692] وزارة الاتصالات وتقنية المعلومات - المملكة العربية السعودية. 2021 الاستراتيجية الوطنية للتحول الرقمي 2030 الرياض، ص 15

[693] وزارة الاتصالات وتقنية المعلومات - المملكة العربية السعودية. 2024 مبادرة مواطن رقمي: التقرير السنوي 2024 الرياض، ص 34

[694] وزارة التعليم - المملكة العربية السعودية. 2025 برنامج الوعي الرقمي في المدارس: تقرير الإنجازات. الرياض، ص 56

[695] أكاديمية الوعي الرقمي - المملكة العربية السعودية. 2025 التقرير السنوي 2025 الرياض، ص//. 78

[696] وزارة الإعلام - المملكة العربية السعودية. 2024 مبادرة شباب ضد التضليل: التقرير السنوي 2024 الرياض، ص 45.

[697] ابن خلدون، المقدمة، ص. 45

[698] AP News, Finland's battle against fake news starts in preschool classrooms.

يتمثل القانون الأول في التدرج من الطفولة المبكرة، ففنلندا تبدأ تعليم مهارات محو الأمية الإعلامية من سن الثالثة، بل حتى في رعاية الطفولة المبكرة قبل سن الثالثة. هذا التدرج المبكر يضمن أن تصبح هذه المهارات جزءا من الشخصية، وليس مجرد معرفة نظرية مكتسبة في مرحلة متأخرة. الطفل الذي يتعلم منذ الصغر كيف يسأل من قال هنا؟ لماذا قاله؟ كيف أعرف أنه صحيح؟ ينشأ ولديه نقدية نقدية تلقائية. وقد أشارت أسوشييتد برس إلى أن البدء المبكر هو السر الأهم للنجاح الفنلندي؛ لأنه يبني المهارات في مرحلة تكون فيها المرونة العصبية في أعلى مستوياتها[699]

ويتمثل القانون الثاني في التكامل المؤسسي، ففنلندا نجحت لأن التربية الإعلامية لم تكن مسؤولية وزارة التربية فقط. شاركت وسائل الإعلام (كما في أسبوع الصحافة)، والمكتبات، والمتاحف، والأسرة، والمؤسسات الثقافية. قطر، التكامل بين مؤسسة قطر، ووزارة الرياضة والشباب، ومركز مناظرات قطر، ووزارة الاتصالات خلق منظومة متكاملة. وقد أشارت الوكالة الفنلندية الوطنية للتعليم إلى أن التكامل المؤسسي هو ما يمنع تناقض الرسائل ويوحد الجهود.[700]

ويتمثل القانون الثالث في المزج بين الوقاية والمواجهة والبناء، فالنماذج الناجحة لم تكتف بالوقاية (التعليم والتوعية) أو بالمواجهة (القوانين والتحقق)؛ بل جمعت بينهما مع التركيز على البناء (تمكين الشباب من الإنتاج الهادف). المدارس الفنلندية لا تحمي الطلاب من التضليل فقط، بل تمكنهم من إنتاج محتوى صادق. مركز مناظرات قطر لا ينمي التفكير النقدي فقط، بل يمكن الشباب من المشاركة في الحوار المجتمعي وصنع القرار. (مسبار) لا يكتفي بكشف الكذب، بل يسهم في بناء ثقافة التحقق. وقد أشار فريري إلى أن التحرر الحقيقي لا أي من الحماية فقط، بل من القدرة على إعادة تشكيل العالم.[701]

ويتمثل القانون الرابع الجمع بين الأصالة والمعاصرة، فالنموذج القطري مجحا مزج بين الاعتزاز بالهوية العربية الإسلامية (الأصالة) والانفتاح على التكنولوجيا الحديثة والمنهجيات العلمية الغربية (المعاصرة). هذا المزج إلى أن الهوية ليست سجناء بل هي نقطة انطلاق. لكنها تحتاج إلى منهجية علمية لتحليل الواقع.[702]

ويتمثل القانون الخامس في الشفافية التي تبني الثقة، ذ. (مسبار) يبني ثقة الجمهور في نتائجه من خلال الشفافية الكاملة في عرض خطوات التحقق. المدارس الفنلندية تبني ثقة الطلاب من خلال إشراكهم في عملية التحليل وعدم فرض نتائج جاهزة. الحكومات السنغافورية تبني ثقة المواطنين من خلال نشر التصحيحات بيجانب الأخبار الكاذبة، وليس بحذفها. وقد أشارت منصة مسبار إلى أن الشفافية هي أثمن عملة في اقتصاد الثقة، وهي ما بميز المصادر الموثوقة عن المضللة.

ويتمثل القانون السادس في القياس المستمر لضبط المسار، فبدون قياس، تظل الجهود في دائرة التخمين. فنلندا تقيس نتائجها من خلال مؤشر محو الأمية الإعلامية الأوروبي. سنغافورة تقيس من خلال استبيانات الثقة في المؤسسات. قياس التقدم يساعد على تحديد الفجوات وتطوير البرامج وتوجيه الموارد إلى حيث هي أكثر حاجة. ذلك أن القياس هو ما يفصل بين البرامج الناجحة والفاشلة، لأنه يوفر التغذية الراجعة اللازمة للتصحيح[703].

ويتمثل القانون السابع في أن المناعة مسؤولية مجتمعية، فلا يوجد حل سحري للمناعة الفكرية. النماذج الناجحة استغرقت عقودا من العمل المستمر. المناعة الفكرية ليست منتجا تشتريه الدولة، بل ثقافة يبنيها المجتمع كله: المدرسة، الإعلام, الأسرة، المسجد النادي، المقهى. وقد أشارت الوكالة الفنلندية الوطنية للتعليم إلى أن فنلندا لم تصل إلى ما هي عليه بين ليلة وضحاها بل استغرق الأمر عقودا من العمل المستمر والمثابرة.[704]

---

[699] Finnish National Agency for Education, Media literacy in Finnish education, p. 25.

[700] Freire, Pedagogy of the oppressed, p. 75.

[701] المسيري، العالم من منظور غربي،.ص 112

[702] Lessenski, M. (2023). The Media Literacy Index 2023. Sofia: Open Society Institute – Sofia.

[703] Finnish National Agency for Education, Media literacy in Finnish education, p. 25.

[704] باقر الصدر، محمد. 2010 فلسفتنا. بيروت: دار التعارف للمطبوعات، ص 45.

ثانيا: نقد نموذج المنع مقابل التمكين

بعض الدول العربية أنفقت مليارات الدولارات على الأمن الفكري لكنها فشلت في حماية شبابها. لماذا؟ لأما اعتمدت نموذج المنع بدلا من التمكين. وقد أشار باقر الصدر إلى أن القمع دون تمكين يخلق جيلا منافقاء لا جيلا مؤمنا.[705]

نموذج المنع يقوم على حجب مواقع؛ ومراقبة، وعقوبات، وخطاب وعظي. هذا النموذج يفشل لأنه: يعامل الشباب كأطفال غير قادرين على التفكير، ويدفعهم إلى البحث عن المعلومات المحظورة في مصادر غير موثوقة, ويخلق فجوة بين الأجيال حيث يشعر الشباب أن الدولة لا تثق بمم؛ ويركز على الأعراض (المحتوى المحظور) وليس على السبب (ضعف المناعة).[706]

نموذج التمكين يقوم على تعليم مهارات التفكير النقدي، وتوفير مصادر موثوقة، وتمكين الشباب من الإنتاج الهادف. هذا النموذج ينجح لأنه: يعامل الشباب كش بناء في بناء الوعي، وكنحهم أدوات الحماية الذاتية ة بدلا من فرض حماية خارجية؛ ويبني جسورا من الثقة بين الدولة والمواطن، ويعالج السبب (ضعف المناعة) وليس الأء راض النموذج الفنلندي هو نموذج تمكين خالص. النموذج السنغافوري مزج بين المنع (القانون) والتمكين (التربية). النموذج القطري نموذج تمكين في المقام الأول. الفشل يكمن في الاعتماد على المنع وحده دون تمكين, أو في تقديم التمكين بشكل بيروقراطي ال لا يصل إلى قلوب الشباب وعقولهم. وقد أشار المسيري إلى أن الدول التي راهنت على القمع وحدها خسرت المعركة، لأن التكنولوجيا تجعل الحجب مستحيلا والوعي لا يمك بالقمع.[707] تحليل التجربة القطرية إلى جانب المبادرات التي تم استعراضهاء تبرز في قطر جهود متكاملة من مؤسسات حكومية وأهلية لتعزيز المناعة الفكرية والوعي الرقمي، ما يجعل التجربة القطرية نموذجا متميزا في المنطقة العربية، ويمكن تفصيل هذه ففي وزارة الاتصاللات وتكنولوجيا المعلومات، أطلقت الوزارة الاستراتيجية الوطنية للأمن السيبران 2022 2026 التي تتضمن محورا رئيسيا للتوعية بالأمن السيبراني والمواطنة الرقمية، وتشمل حملات توعوية وبرامج تدريبية ومنصات تعليمية وشراكات مع المؤسسات التعليمية والمجتمعية، وقد ساهمت في رفع مستوى الوعي بالأمن السيبراني بنسبة 50% بين المواطنين والمقيمين في قطرا.[708] كما أطلقت مبادرة المواطن الرقمي الآمن لتعزيز الوعي الرقمي وحماية المواطنين من المخاطر الرقمية، واستفاد منها أكثر من 100,000 شخص.[709] كما أطلقت منصة توعية الإلكترونية المتخصصة في التوعية بالأمن السيبراني والمواطنة الرقمية، وسجل على المنصة أكثر من 50,000 مثفوامه مستخدم!.[710]

أما هيئة تنظيم الإعلام، فأصدرت مدونة قواعد السلوك الإعلامي لتنظيم المحتوى الإعلامي الرقمي ومكافحة التضليل والأخبار الكاذبة وحماية المستخدمين من المحتوى الضار.[711] كما تعمل على رصد الإعلام الرقمي وتحليل المحتوى وكشف التضليل، وعلى تعزيز التعاون مع المنصات الرقمية الكبرى في مكافحة التضليل وتطوير آليات الرصد والإبلاغ وتنظيم حملات توعوية مشتركة.

أما في مؤسسة قطر، فإلى جانب مركز مناظرات قطر الذي نظم أكثر من 500 فعالية سنويا شارك فيها أكثر من 20,000 شاب وشابة،[712] أطلقت المؤسسة مبادرة الصحة الرقمية للشباب بالتعاون مع وزارة الصحة العامة ووزارة الرياضة والشباب، وتشمل توعية الآباء والمعلمين وتطوير برامج مدرسية وإنشاء عيادات استشارية رقمية وإجراء أبحاث علمية حول تأثير وسائل التواصل على الصحة الن0ف[713]س ية. كما أقامت المؤسسة شراكات أكاديمية مع جامعات ومراكز بحثية محلية ودولية لإجراء أبحاث معمق ة

---

[705] المسيري، العالم من منظور غربي، ص 45

[706] في المسيري، العالم من منظور غربي، ص 45.

[707] وزارة الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات - دولة قطر. 2022 الاستراتيجية الوطنية للأمن السيبراي 2022 2026 الدوحة، ص 15

[708] وزارة الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات - دولة قطر. 2024 مبادرة المواطن الرقمي الآمن: التقرير السنوي 2024 الدوحة، ص 34

[709] وزارة الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات - دولة قطر. 2025 منصة توعية: إحصائيات الاستخدام والأثر. الدوحة، ص. 56

[710] هيئة تنظيم الإعلام - دولة قطر. 2023 مدونة قواعد السلوك الإعلامي. الدوحة؛ ص؟؟. 23

[711] QatarDebate Center. (2025). Annual Report 2025. Doha, p. 66-67.

[712] World Economic Forum. (2025). Digital Resilience in the Arab Region. Geneva, p. 56.

[713] Lessenski, M. (2023). The Media Literacy Index 2023. Sofia: Open Society Institute – Sofia.

معمقة حول المناعة الفكرية والمخاطر الرقمية وتطوير أدوات قياس وبرامج تدريبية ما بميز التجربة القطرية هو التكامل بين جهود هذه المؤسسات المختلفة، حيث تعمل وزارة الاتصالات على التوعية التقنية، وهيئة تنظيم الإعلام على تنظيم امختوى، ومؤسسة قطر على التربية والتعليم، ومركز مناظرات قطر على التفكير النقدي، ومركز مسبار على التحقق من الأخبار، وقد أشار تقرير صادر عن المنتدى الاقتصادي العالمي إلى أن قطر تقدم نموذجا متميزا في التكامل المؤسسي لتعزيز المناعة الفكرية والمواطنة الرقمية.[714] مقارنة شاملة بين النماذج لتوفير رؤية مقارنة شاملة بين النماذج المختلفة التي تم استعراضها (الفنلندي، السنغافوري، الألماني، الإمارات، السعودي، القطري)، يمكن تقديم تحليل مقارن يوضح أوجه التشابه والاختلاف بين هذه النماذج في عدة أبعاد رئيسة.

تتشابه جميع النماذج في ركائز أساسية هي البداية المبكرة (فنلندا تبدأ من سن 3 سنوات، وباقي النماذج تبدأ من المرحلة الابتدائية)، والتكامل المنهجي (فنلندا تدمج في جميع المواد، وباقي النماذج تدمج في المناهج الأساسية والأنشطة)؛ والدعم الحكومي (جميع النماذج تحظى بدعم حكومي قوي، مع اختلاف في درجة التشريع حيث تبرز سنغافورة بقانون POFMA الصارم)، والشراكة امجتمعية (جميع النماذج تشمل شراكات واسعة مع المؤسسات امجتمعية)، والتركيز على الشباب (جميع النماذج تشمل برامج تمكين للشباب مثل برنامج سفراء في ألمانيا والإمارات؛ ومبادرة شباب ضد التضليل في السعودية، ومركز مناظرات قطر في قطر)، والمنصات الرقمية (جميع النماذج توفر منصات تعليمية أو توعوية)، والقياس والتقييم (جميع النماذج تشمل دراسات تقييمية ومؤشرات متابعة[715].

أما الاختلافات فتظهر في طريقة التطبيق تبعا للسياق الثقافي والاجتماعي والسياشي لكل دولة، حيث تركز النماذج الأوروبية (فنلندا، ألمانيا) على الجانب التربوي والتعليمي، بينما تركز النماذج الآسيوية (سنغافورة) على التشريع والرقابة، بينما تركز النماذج الخليجية (الإمارات، السعودية، قطر) على المزج بين الأصالة الثقافية والمعاصرة التقنية، ويتميز النموذج القطري بتركيزه القوي على الأصالة الإسلامية والعربية من خلال ربط المناعة الفكرية بالقيم الإسلامية والهوية الثقافية، وهو ما يظهر في جهود مركز مناظرات قطر ومؤسسة قطر ومركز مسبار، كما يتميز بالتكامل المؤسسي العالي بين مختلف الجهات الحكومية والأهلية.

وتتمثل الدروس المستفادة في إمكانية استفادة الدول العربية من هذه النماذج من خلال تبني الركائز الأساسية المشتركة وتكييفها وفقا للسياق الثقافي والاجتماعي الخاص بكل دولة، مع التركيز على المزج بين الأصالة والمعاصرة والاستفادة من التجارب الناجحة في المنطقة العربية التي تقدم نماذج أقرب إلى السياق العربي.[716] خلاصة الفصل الثامن

خلاصة الفصل الثامن

في هذا الفصل، جالت الرحلة عبر ثلاثة نماذج دولية ملهمة وخبرات عربية رائدة. رأي القارئُ كيف استطاعت فنلندا أن تحول التربية الإعلامية إلى ثقافة وطنية من خلال البدء المبكر والتكامل المنهجي والشراكة امجتمعية. ورأى كيف استطاعت سنغافورة أن تجمع بين التشريع الصارم والتربية المستمرة لبناء مجتمع منيع في بيئة متعددة الثقافات. ورأى كيف تسير قطر بخطى ثابتة نحو تحقيق رؤيتها 2030 من خلال الاستثمار في الإنسان وبناء منظومة متكاملة للصحة الرقمية.[717]

كما تعمق الفصل في دراسة حالة مسبار، التي أثبتت أن المبادرات المجتمعية المستقلة يمكن أن تلعب دورا حاسما في كشف التضليل وبناء ثقافة التحقق في العالم العربي. ورأى التحديات التي تواجهها هذه المبادرات، لكنه رأى أيضا صمودها وإصرارها. وقد أشار ابن خلدون إلى أن العبرة بالنتائج، والتجارب هي خير معلم.[718]

---

[714] Lessenski, M. (2023). The Media Literacy Index 2023. Sofia: Open Society Institute – Sofia.

[715] Finnish National Agency for Education, Media literacy in Finnish education, p. 15. RSIS, Enhancing. 12 مم information الأمانة العامة للتخطيط التنموي، رؤية قطر الوطنية 2030 ص 22 literacy and resilience in Singapore, p مهم

[716] ابن خلدون. المقدمة، ص 45.

[717] Lessenski, M. (2023). The Media Literacy Index 2023. Sofia: Open Society Institute – Sofia.

[718] Freire, Pedagogy of the oppressed, p. 75.

ما يجمع هذه النماذج – رغم اختلاف ثقافاتها وظروفها – هو ثلاثة عناصر أساسية: الإرادة السياسية (في فنلندا، كانت مقاومة التض لتضليا أولوية أمن قومى؟ سنغافورة، كان الحفاظ على التماسك الاجتماعي مجتمع متعدد الثقافات أولوية؛ في قطر، كانت رؤية 2030 وبناء الإنسان هي امحرك)، والاستثمار المستدام (لم تكن هذه النماذج وليدة يوم أو عام، بل استغرقت عقوداً من العمل المنهجي والمستمر)، والتكامل المؤسسي (لم تنجح أي من هذه الدول بجهود وزارة واحدة؛ فالتربية وحدها لا تكفي، والإعلام وحده لا يكفي، , والتشريع وحده نه يكفي).[719]

ومخرجات هذه النماذج سبعة قوانين ذهبية لبناء المناعة المستدامة: التدرج، التكامل الموسسيء المزج بين الوقاية والمواجهة والبناء، الجمع بين الأصالة والمعاصرة، الشفافية، القياس المستمر، والمناعة كمسؤولية مجتمعية. ونقد الفصل نموذج المنع الذي فشل في كثير من الدول العربية، ودعا إلى نموذج التمكين الذي يضع الشباب في قلب العملية ويبني قدراتحم الذاتية.[720]

المناعة الفكرية لتحويل الشباب إلى سلعة. سيتم كشف رأسمالية المراقبة، وتسليع المعرفة، وهندسة الهوية، وكيف تعمل هذه القوى على تقويض المناعة الفكرية بشكل منهجي، وكيف يمكن مقاومتها.[721]

---

[719] Zuboff, S. (2019). The age of surveillance capitalism: The fight for a human future at the new frontier of power. New York: PublicAffairs, p. 86.

[720] بكار، عبد الكريم. (2008). المناعة الفكرية. الرياض: مؤسسة الإسلام اليوم، ص 45.

[721] Pan, Q., Lan, M., Tan, C. Y., Tao, S., Liang, Q., & Law, N. (2025). Development and validation of digital resilience scale for primary and secondary school students. BMC Psychology. https://doi.org/10.1186/s40359-025-03739-0

الفصل التاسع: قياس فاعلية المناعة الفكرية وأدوات التقييم

تمهيد

يمكن طرح سؤال جوهري في هذا لمقام: كيف يعرف أن برامج تعزيز المناعة الفكرية ناجحة حقا؟ كيف يتأكد القائمون عليها من أن المناعة التي تبنى لدى الشباب ليست مجرد شعور مؤقت بالوعي، بل هي تغيير حقيقي في السلوك والتفكير؟ هذا السؤال ليس فضولا أكاديمياء بل هو ضرورة عملية. فبدون قياس، تبقى الجهود في دائرة التخمين: تنفق الموارد وتبذل الجهود. لكن لا يعرف إن كان المسير في الاتجاه الصحيح أم لا. وقد أشار بكار إلى أن غياب القياس هو آفة البرامج التربوية، حيث تستمر الممارسات غير الفعالة لسنوات لأن لا أحد يجوز على التساؤل عن نتائجها.[722]

في الطب، لا يصف الطبيب دواء دون تشخيص. وف المهندسة، لا يسني المهندس جسرا دون حسابات دقيقة. وفي التربية، لم يعد مقبولا أن تبنى برامج دون قياس فاعليتها. فالقياس هو ما يفصل بين العمل العلمي والعمل العشوائي. هو ما يحول الحماسة إلى منهجية؛ والحدس إلى دليل. وقد أشار بان وآخرون إلى أن تطوير مقاييس علمية للمناعة الرقمية هو شرط أساشي لأي تدخل فعال، لأنه يسمح بتتبع التقدم وتحديد الفجوات.[723]

في عصر التضليل الرقمي، حيث تتغير التهديدات يوميا، وتتطور أساليب التلاعب ساعة بساعة، يصبح القياس أكثر إلحاحا. فما نجح الأسبوع الماضي قد لا ينجح اليوم. ما كان كافيا لفئة عمرية قد لا يناسب أخرى. القياس هو الذي يمكن من تتبع هذه التغيرات، والتكيف معها، وتصحيح المسار باستمرار. وقد أشار آرال إلى أن سرعة تطور أساليب التضليل تفوق سرعة تطور استجاباتناء ما لم نكن نمتلك أنظمة قياس فورية تسمح لنا نالت>.[724]

القياس ليس ترفاء بل هو بوصلة التطوير. إنه يحول الانطباعات الذاتية (شعر نا أن الطلاب أصبحوا أكثر وعيا) إلى مؤشرات موضوعية (ارتفعت درجة الوعي الخوارزمي بنسبة 72% خلال عام). هذه المؤشرات تمكن صناع القرار من معرفة أين: نستثمر الموارد، وأين توجد الفجوات، وما البرا مج التي تحتاج إلى تعديل. ذلك أن السياسات القائمة على الأدلة evidence-based policies هي وحدها القادرة على تحقيق نتائج مستدامة في مجال محو الأمية الإعلامية.[725]

الفرق بين القياس الكمي والقياس النوعي: في هذا الفصل، يقدم نموذج متكامل لقياس المناعة الفكرية، يسمى ميزان المناعة Immunity Scale يمزج هذا النموذج بين القياس الكمي (الذي يعطي أرقاما قابلة للمقارنة) والقياس النوعي (الذي يكشف عمق التحول وجودته). لا يمكن الاكتفاء بأحدهماء لأن الأرقام وحدها قد تخفي القصص الإنسانية، والقصص وحدها قد لا تعطي صورة شاملة عن حجم الظاهرة. وقد أشار كريسويل إلى أن مناهج البحث المختلطة mixed methods هي الأكثر ملاءمة لدراسة الظواهر المعقدة مثل التغيرات في المواقف والساوكيات.[726]

يهدف هذا الفصل إلى تقديم نموذج متكامل لقياس فاعلية المناعة الفكرية، يجمع بين المقاييس الكمية (اختبار المناعة الفكرية، استبيان الوعي الخوارزمي) والأدوات النوعية (تحليل المحتوى المنتج، تحليل المشاعر بالذكاء الاصطناعي, المقابلات المتعمقة). ثم يرفع النظر إلى المستوى الوطني من خلال اقتراح المؤشر الوطني للمناعة الفكرية كأداة استراتيجية لقياس حصانة المجتمع، وتصور المركز القطري للقياس المناعي كهيكل تنظيمي لتنفيذ هذا القياس بشكل مستدام.[727]

---

[722] Aral, S. (2020). The hype machine: How social media disrupts our elections, our economy, and our health. New York: Currency, p. 45.

[723] Lessenski, M. (2023). The Media Literacy Index 2023. Sofia: Open Society Institute – Sofia.

[724] Creswell, J. (2014). Research design: Qualitative, quantitative, and mixed methods approaches. London: Sage, p. 56.

[725] Pan et al., Development and validation of digital resilience scale, p. 4.

[726] Ennis, R. H. (1996). Critical thinking. Upper Saddle River, NJ: Prentice Hall, p. 12.

[727] Hari, J. (2022). Stolen focus: Why you can't pay attention. New York: Crown Publishers, p. 45.

المبحث الأول: اختبار المناعة الفكرية واختبار الاستجابة النقدية

توجد اختبارات للتفكير النقدي منذ عقود، مثل اختبار واطسون-جليسر للتفكير النقدي - Watson Glaser Critical Thinking Appraisal(الذي يقيس القدرة على تحليل الحجج، واكتشاف الافتراضات، واستخلاص الاستنتاجات. لكن هذه الاختبارات صممت في عصر ما قبل الرقمنة، ولا تأخذ في الاعتبار التحديات الخاصة للفضاء الرقمي: السرعة، التشتت، الخوارزميات. وقد أشار إينيس إلى أن اختبارات التفكير النقدي التقليدية تفترض بيئة هادئة وخالية من المشتتات، وهو عكس ما يواجهه المستخدم في الفضاء الرقمي تماما.[728]

ما الذي يميز اختبار المناعة الفكرية عن اختبارات التفكير النقدي التقليدية؟ اختبارات التفكير النقدي التقليدية (مثل Watson-Glaser) تقيس المهارات التحليلية في بيئة مثالية، حيث يكون لدى الفرد وقت كاف للتفكير ولا توجد مشتتات. لكن في العالم الرقمي، المشتتات هي القاعدة، والسرعة هي التحدي الأكبر. الشاب الذي يحتاج إلى ساعة ليكتشف التضليل قد يشارك الخبر قبل أن يكتشف كذبه. ولذلك، اختبار المناعة الفكرية يقيس بعدين معا: الدقة (هل اكتشف الشاب المغالطة بشكل صحيح؟) والسرعة (كم استغرق من الوقت؟). وقد أشار هاري إلى أن الخوارزميات صممت لاستغلال سرعة ردود فعلناء، فكلما أسرعنا في التفاعل، زادت أرباحها. مقاومة هذا التسارع تتطلب سرعة في التحليل لا تقل عن سرعة التفاعل.[729]

كيف تقاس السرعة؟ في النسخة الإلكترونية للاختبار يسجل الوقت المستغرق للإجابة على كل سؤال. م تسب الدرجة النهائية كحاصل ضرب الدقة في عامل السرعة. إذا كانت الإجابة صحيحة (درجة 1 وزمن الاستجابة أقل من 10 ثوان, تكون الدرجة 2 إذا كانت الإجابة صحيحة لكن الزمن أطول من المتوسط، تكون الدرجة ه 1.5 هذا الترجيح يشجع على السرعة دون التضحية بالدقة. وقد أشار واطسون وجليسر إلى أن الوقت هو عامل حاسم في قياس التفكير النقدي في المواقف الواقعية، حيث تكون القرارات السريعة ضرورية.

يقدم هنا نموذج مقترح للاختبار، يتكون من ثلاثة أقسام: أسئلة اختيار من متعدد (تقيس المعرفة النظرية)، وأسئلة مواقف (تقيس التطبيق العملي)، وأسئلة مفتوحة (تقيس عمق التحليل). وقد تم تصميم الاختبار ليقاس خلال 30 دقيقة تقريبا، وهو قابل للتطبيق الإلكتروني أو الورقي.[730]

القسم الأول: أسئلة الاختيار متعدد من (المعرفة النظرية) - الزمن المقترح: 10 دقائق

يقيس هذا القسم المعرفة النظرية للمفاهيم الأساسية للمناعة الفكرية. ارتفاع الدرجة في هذا القسم وحده لا يكفي، بل يجب أن يقترن بارتفاع في القسمين التاليين. انخفاض الدرجة في القسمين التاليين مع ارتفاعها هنا يشير إلى فجوة بين المعرفة والممارسة، وهي مشكلة شائعة تحتاج إلى تدريب تطبيقي. وقد أشار فريري إلى أن المعرفة النظرية بدون ممارسة هي وعي زائف لا يؤدي إلى تحرر حقيقي.[731]

فيما يلي أسئلة القسم الأول مع توضيح المهارة التي يقيسها كل سؤال. السؤال الأول: أي من العبارات التالية تصف بدقة مفهوم فقاعة التصفية Filter Bubble ويقيس هذا السؤال فهم آلية العزلة الخوارزمية. السؤال الثاني: ما هي المغالطة المنطقية التي يستخدمها شخص يقول: إما أن تؤيد خطتي بالكامل، أو أنك ضد الوطن؟ ويقيس هذا السؤال التعرف على مغالطة المعضلة الكاذبة. السؤال الثالث: أي من السلوكيات التالية يعد ممارسة صحية للوعي الخوارزمي؟ ويقيس هذا السؤال معرفة السلوكيات الوقائية. السؤال الرابع: ما هو (التزييف العميق) Deepfake ويقيس هذا السؤال فهم أخطر أدوات التضليل المعاصرة. السؤال الخامس: أي من العبارات التالية تمثل (رأسمالية المراقبة) Surveillance Capitalism ويقيس هذا السؤال فهم الاقتصاد السياشي للبيانات. السؤال السادس: ما هي أول خطوة يجب اتخاذها عند مواجهة خبر صادم على وسائل التواصل؟ ويقيس هذا السؤال معرفة

---

[728] Ennis, Critical thinking, p. 45.

[729] Freire, P. (1970). Pedagogy of the oppressed. New York: Herder and Herder, p. 75.

[730] Ennis, Critical thinking, p. 56.

[731] Hobbs, R. (2021). Media literacy in action: Questioning the media. Lanham, MD: Rowman & 76. Littlefield, p.

بروتوكول التحقق الصحيح. السؤال السابع: أي من الخيارات التالية هو مثال على (الاستهواء الرقمي) Digital Suggestibility ويقيس هذا السؤال فهم القابلية للتأثر. السؤال الثامن: ما هو الهدف الأساسي من استخدام (البحث العكسي عن الصور)؟ ويقيس هذا السؤال معرفة أداة تحقق أساسية. السؤال التاسع: أي من العبارات التالية تعبر عن (التواضع المعرفي)؟ ويقيس هذا السؤال فهم أهمية الاعتراف بحدود المعرفة. السؤال العاشر: ماذا تفعل إذا أرسل لك صديق خيرا طبيا مثيرا عبر واتساب؟ ويقيس هذا السؤال تطبيق بروتوكول التحقق في سياق واقعي.[732] القسم الثاني: أسئلة المواقف (التطبيق العملي) - الزمن المقترح: 10 دقائق يقيس هذا القسم المهارات التطبيقية في مواقف محاكاة للواقع. ارتفاع الدرجة هنا مع انخفاضها في القسم الأول يشير إلى أن الفرد يبمارس السلوك الصحيح دون وعي نظري كاف (وهو أمر جيد لكنه غير مستدام). انخفاض الدرجة هنا مع ارتفاعها في القسم الأول يشير إلى الفجوة الخطيرة بين المعرفة والممارسة. وقد أشار هوبز إلى أن الفجوة بين المعرفة والممارسة هي التحدي الأكبر في محو الأمية الإعلامية، وتتطلب تدخلات تركز على التطبيق وليس فقط على النظرية.[733]

ويشتمل القسم الثاني على ثلاثة مواقف محاكاة، يطلب من المفحوص اختيار الإجراء الأنسب من بين أربعة خيارات، مع احتساب درجة لكل إجابة صحيحة. الموقف الأول: ترى فيديو على تيك توك يظهر شخصا يشرب عصيرا سحريا ويزعم أنه شفي من مرض مزمن. حصل الفيديو على 5 ه ملايين مشاهدة. ماذا تفعل؟ الخيارات هي:

أ) أشارك الفيديو لأن عدد المشاهدات كبير.

ب) أتحقق من المصدر، وأبحث عن تغطية مستقلة، واستشير موقعا طبيا موثوقا.

ج) على على الفيديو بأنه رائع دون تحقق.

د) أتجاهله تماما لأ لا أتأكد من أي شيء على الإنترنت. والإجابة الصحيحة هي ب[734]

الموقف الثاني: خبر عاجل على تويتر: (الحكومة تخطط لرفع أسعار الوقود بنسبة 200% المصدر: حساب جديد تم إنشاؤه قبل يومين. ماذا تفعل؟ الخيارات هي:

أ) أشارك الخبر على واتساب لأن الناس يجب أن يعرفوا.

ب) أنتظر حتى تعلن الحكومة رسمياء وأتحقق من المصادر الرممية.

ج) على على الخبر مع إضافة علامة استفهام. د(أبلغ عن الحساب لأنه وهمي. والإجابة الصحيحة هي ب.[735]

الموقف الثالث: صديقك يشا ركك صورة لزلزال مدمر، ويقول إنما من منطقة قريبة. ماذا تفعل؟ الخيارات شي.

أ) أشارك الصورة فورا لتنبيه الآخرين. ب) أبحث عن الصورة باستخدام البحث العكسي عن الصور Reverse Image Search ع) لأتأكد من تاريخها

وسياقها.

ج) أصدق صديقي لأنه شخص موثوق.

د) أتشكك في الخبر لأن الصور قد تكون مفبركة. والإجابة الصحيحة هي ب.[736]

القسم الثالث: الأسئلة المفتوحة (عمق التحليل) - الزمن المقترح: 10 دقائق

---

[732] Hobbs, Media literacy in action, p. 76.

[733] Hobbs, Media literacy in action, p. 76.

[734] Hobbs, Media literacy in action, p. 76.

[735] Ennis, Critical thinking, p. 56.

[736] Hobbs, Media literacy in action, p. 76.

يقيس هذا القسم عمق التحليل والقدرة على تطبيق المهارات في سياقات جديدة غير متوقعة. ارتفاع الدرجة هنا هو أعلى مؤشر على مناعة فكرية حقيقية، لأنه يعني أن الفرد ليس فقط يعرف ويطبق، بل يفهم المبادئ الأساسية ومكنه تعميمها على مواقف جديدة. وقد أشار إينيس إلى أن التفكير النقدي الحقيقي هو القدرة على تطبيق المهارات في سياقات جديدة وغير مألوفة، وليس فقط في السياقات التي تم التدريب عليها.[737]

بناء على معايير عخددة. السؤال الأول: كيف تتحقق من صحة خبر سياشي متداول على وسائل التواصل؟ صف الخطوات التي تتبعهاء والأدوات التي تستخدمها، والأسئلة الى تطرحها. والسؤال الثاني: كيف تفرق بين الإعلان التجاري وا محتوى التحريري الموضوعي على وسائل التواصل؟ أعط أمثلة من واقع تحربتك.[738]

ثالثًا: تجميع الدرجات وتحديد مستوى المناعة

تسب الدرجة الكلية كمجموع درجات الأقسام الثلاثة, وتقسم على الحد الأقصى للدرجة 30 وتضرب في 100 للحصول على النسبة المكوية. تم يصنف مستوى المناعة وفق المعيار التالي: 80% فأكثر (مناعة عالية)، 60% 79% (مناعة متوسطة)، 40% - 59% (مناعة منخفضة)، أقل من 40% (مناعة ضعيفة جدا),[739]

الدلالات النفسية للنتائج: هذا الاختبار لا يكتفي بقياس المعرفة النظرية، بل يقيس القدرة على التطبيق تحت ضغط الوقت (محاكاة للواقع الرقمي). المستويات تعكس درجة المناعة السلوكية – أي ترجمة المعرفة إلى فعل. الفرد الحاصل على درجة عالية في القسم الأول (نظرية) ومنخفضة في القسم الثاني (تطبيقي) يعاني من فجوة بين المعرفة والممارسة، وهذه الفجوة تحتاج إلى تدريب عملي وليس نظري. وقد أشار كاينمان إلى أن تحويل المعرفة إلى سلوك تلقائي هو جوهر التعلم العميق، ويحتاج إلى تكرار وممارسة في سياقات متنوعة.[740]

رابعا: تجريب الاختبار وتحكيمه

قبل الاعتماد على هذا الاختبار على نطاق واسع) يجب بحريبه على عينة تمثيلية (ه 500 شاب) لتحكيمه وقياس صدقه وثباته. يمكن لجامعة قطر أو مركز مناظرات قطر أن يتولى هذه المهمة. بعد التحكيم، سيتم إنتاج نسخة تمائية من الاختبار يمكن استخدامها وطنيا. وقد أشار بان وآخرون إلى أن عملية التحكيم والتحقق من الصدق والثبات هي خطوة أساسية في تطوير أي مقياس نفسي أو تربوي، وتستغرق عادة ما بين 6 إلى 12 ضي. ي مهياس بلعسي او نربوي، و شهرا.[741] نماذج تطبيقية للإجابة على اختبار المناعة الفكرية لتوضيح كيفية تطبيق اختبار المناعة الفكرية بشكل عملي، يمكن تقديم نماذج تطبيقية لإجابات المفحوصين على أسئلة الاختبار مع تحليل النتائج واستخلاص الدلالات التربوية والنفسية منها. ففي نموذج إجابة مفحوص ذي مناعة عالية، حصل في القسم الأول (المعرفة النظرية) على 9 10 مع إجابات صحيحة في معظم الأسئلة وف القسم الثاني (التطبيق العملي) على 3 3 مع تعليقات مكتوبة توضح تفكيره المنطقي، وفي القسم الثالث (الأسئلة المفتوحة) على 18 20 مع إجابات مفصلة ومنظمة، وحصل على نتيجة كلية 30 30 100% ومستوى مناعة عال جدا، وتشير التوصيات التربوية إلى أنه يمكن لهذا المفحوص أن يكون نموذجا يحتذى به ومرشدا لأقرانه,[742]

أما في نموذج إجابة مفحوص ذي مناعة متوسطة (فجوة بين المعرفة والممارسة)، فقد حصل في القسم الأول على 8 10 مع معرفة نظرية جيدة، لكنه حصل في القسم الثاني على 1 3 مع تردد في اتخاذ القرارات، وفي القسم الثالث على 10 20 مع إجابات سطحية، وحصل على نتيجة كلية 19 30

---

737 Watson & Glaser, Watson-Glaser critical thinking appraisal manual, p. 12.

738 Kahneman, D. (2011). Thinking, fast and slow. New York: Farrar, Straus and Giroux, p. 85.

739 Pan et al., Development and validation of digital resilience scale, p. 4.

740 Ennis, R. H. (1987). Critical thinking. New York, p. 56.

741 Hobbs, Media literacy in action, p. 76.

742 Freire, P. (1970). Pedagogy of the oppressed. New York, p. 72.

63.3% ومستوى مناعة متوسط، وتشير التوصيات إلى حاجته إلى تدريب تطبيقي مكثف يركـز على تحويل المعرفة النظرية إلى مهارات عملية.[743]

أما في نموذج إجابة مفحوص ذي مناعة منخفضة، فقد حصل في القسم الأول على 4 10 مع ضعف عام في فهم المفاهيم الأساسية، وفي القسم الثاني على 0 3 مع ارتباك وتردد كبيرين، وفي القسم الثالث على 4 20 مع إجابات قصيرة ومبهمة، وحصل على نتيجة كلية 8 30 26.7% ومستوى مناعة ضعيف جدا، وتشير التوصيات إلى حاجته إلى تدريب شامل يبدأ من الأساسيات مع دعم نفسي لبناء الثقة بالنفس!.[744]

المبحث الثاني: استبيان الوعي الخوارزمي (Algorithmic Awareness Survey)

أولًا: مدخل نظري - لماذا نحتاج إلى استبيان سلوك؟

إلى جانب اختبار الاستجابة النقدية الذي يقيس المهارات في موقف اختباري، يحتاج البـاحثون إلى استبيان يقيس السلوك اليومي للشاب. فالمناعة الفكرية لا تظهر فقط في قدرته على اجتياز اختبار، بل في سلوكه اليومي هل يغير إعدادات الخصوصية؟ هـل يبحث عن آراء مخالفـة؟ هـل يسـتخدم أدوات حجب التتبع؟ وقد أشار بان وآخرون إلى أن المقاييس السلوكية أكثر دقة من المقاييس المعرفية في التنبؤ بالسلوك الفعلي في الحياة اليومية.[745]

لماذا نحتاج إلى استبيان سلوكي؟ لأن ما يقولـه الشخص عن نفسـه قـد يختلـف عمـا يفعلـه بالفعـل. الاستبيان السلوك (الذي يقيس تكرار سلوكيات معينة) أقل عرضة للانحياز من الأسئلة المباشرة عن المعرفة. كما أنه يلتقط الفجوة بين أعرف وأفعل، وهي فجوة أساسية في المناعة الفكرية. وقـد أشـار تشيالديني إلى أن المواقف لا تتنبأ بالسلوك بشكل مثالي، لأن هنـاك عوامـل سـياقية وقويـة تـؤثر على الفعل. لذلك، فإن قياس السلوك المباشر أكثر دقة من قياس المواقف.[746]

ثانيا: نموذج استبيان الوعي الخوارزمي

يمكن تقسيم الاستبيان إلى أربعة محاور رئيسة، كل محور يقيس بعدا مختلفا من الـوعي الخـوارزمي والسلوك الوقائي. يطلب من المشارك الإجابة على كل عبارة باستخدام مقياس ليكرت الخماشي (أبدا، نادرا، أحيانا، غالبا، دائما).[747]

امحور الأول: الوعي بآليات الخوارزميات (الدرجة القصوى 20 ويشـمل العبـارات التاليـة: أعـرف أن خوارزميات التوصية تفضل المحتوى الذي يحقق تفاعلا عالياء وأدرك أن الخوارزميات تخلق فقاعات تصـفية تعزلـني عن الآراء المخالفـة، وأفهم أن الخوارزميـات تصـمم لتكـون مدمنـة (مثـل التمريـر اللامتناهي والإشعارات المتقطعة)، وأعرف أن النتائج التي أراها على مركات البحث ليست محايدة، بل مخصصة لي.[748]

لمحو الثاي: السلوك النشط لكسر الفقاعة (الدرجة القصوى 20 ويشمل العبارات التالية: أبحث عمدا عن مصادر تخالف آراك ئي لأوسع فهمي، وأسـتخدم وضـع التصـفح المتخفي Incognito لرؤيـة نتـائج بحث غير مخصصة؛ وأتابع حسابات وصفحات تقدم وجهـات نظـر مختلفـة عن وجهـة نظـري، وأشـجع أصدقائي على تنويع مصادر معلوماتقهم.[749]

---

[743] Pan et al., Development and validation of digital resilience scale, p. 4.

[744] Cialdini, R. (2001). Influence: Science and practice. Boston: Allyn and Bacon, p. 67.

[745] Pan et al., Development and validation of digital resilience scale, p. 4.

[746] Pan et al., Development and validation of digital resilience scale, p. 4.

[747] Pan et al., Development and validation of digital resilience scale, p. 4.

[748] Pan et al., Development and validation of digital resilience scale, p. 4.

[749] Pan et al., Development and validation of digital resilience scale, p. 4.

ا حور الثالث: حماية الخصوصية والمقاومة التقنية (الدرجة القصوى 20 ويشمل العبارات التالية: أستخدم أدوات لحجب الإعلانات والتتبع (مثل رومع Badger بوع Privacy أو مزع uBlock Origin وأضبط إعدادات الخصوصية على وسائل التواصل لأقل مستوى ممكن، وأستخدم كلمات مرور قوية ومختلفة لحساباتي المهمة، وأرفض مشاركة بياناتي الشخصية مع تطبيقات غير موثوقة.[750]

امحور الرابع: إدارة الانتباه والاستخدام الواعي (الدرجة القصوى 20 ويشمل العبارات التالية: أخصص أوقاتا خالية من الشاشات (مثل أثناء تناول الطعام مع العائلة)، وأضبط إشعارات هاتفي لأقل مستوى ممكن لتجنب التشتت، وأحدد أوقاتا محددة لاستخدام وسائل التواصل، ولا أفتحها بشكل عشوائي، وأتوقف عن استخدام هاتفي قبل النوم بساعة على الأقل.[751]

ثالثًا: تصحيح الاستبيان وتحليل النتائج

تجمع الدرجات من جميع العبارات (الحد الأدى 20 الحد الأقصى 80 وتحسب نسبة الوعي الخوارزمي - (الدرجة الإجمالية 80 100 وتصنف المستويات كالتالي: ضعيف (أقل من 40% متوسط 40% 60 -/)ء % جيد 60% - 80% ممتاز 80% فأكثر).[752]

تحليل نتائج الاستبيان: هذا الاستبيان لا يقيس المعرفة النظرية فقط. بل يقيس المناعة السلوكية – أي ترجمة المعرفة إلى سلوك يومي. الفرد الذي يعرف ما هي فقاعة التصفية لكنه لا يبحث عن آراء مخالفة أبدا، مناعته السلوكية ضعيفة رغم معرفته النظرية. هذا الفرق بين المعرفة والممارسة هو ما يستخدم لتوجيه التدخلات: من يحتاج إلى تدريب نظري ومن يحتاج إلى تدريب عملي تطبيقي. وقد أشار هوبز إلى أن الاستبيانات السلوكية تكشف عن الفجوة بين ما يعرفه الناس وما يفعلونه، وهذه الفجوة هي الهدف الأساشي للتدخلات التعليمية.[753]

رابعا: تصنيف الأفراد حسب المعرفة والسلوك

يمكن تجميع نتائج اختبار المناعة الفكرية واستبيان الوعي الخوارزمي في مصفوفة مناعية (Immunity Matrix تحدد أربعة أنواع من الأفراد. النوع الأول: المنيع الحقيقي (معرفة جيدة سلوك جيد) وهو النموذج الذي يقتدى به. النوع الثاني: المنظر الجاهل (معرفة جيدة سلوك ضعيف) وهو يعرف ولا يطبق. النوع الثالث: الممارس الغريزي (معرفة ضعيفة سلوك جيد) وهو يطبق دون فهم. الدوع الرابع: المعرض للخطر (معرفة ضعيفة سلوك ضعيف) وهو يحتاج إلى تدريب شامل.[754]

هذه المصفوفة توجه التدخلات: المنظر الجاهل يحتاج إلى تدريب تطبيقي، الممارس الغريزي يحتاج إلى تعليم نظري، والمعرض للخطر يحتاج إلى تدريب شامل. وقد أشار بان وآخرون إلى أن التصنيف المبني على المصفوفات السلوكية المعرفية يسمح بتصميم تدخلات مخصصة لكل فئة، مما يزيد الفعالية ويقلل المحدر.[755]

جدول (1-9): مصفوفة المناعة – تصنيف الأفراد حسب المعرفة والسلوك

المعرفة / السلوك	سلوك جيد	سلوك ضعيف
معرفة جيدة	منيع حقيقي (نموذج يُقتدى به)	منظِّر جاهل (يعرف ولا يطبق)
معرفة ضعيفة	ممارس غريزي (يطبق دون فهم)	معرِّض للخطر (يحتاج إلى تدريب كامل)

[750] Pan et al., Development and validation of digital resilience scale, p. 4.

[751] Hobbs, Media literacy in action, p. 76.

[752] Pan et al., Development and validation of digital resilience scale, p. 5.

[753] Pan et al., Development and validation of digital resilience scale, p. 5.

[754] Facione, P. (1990). California critical thinking skills test manual. Millbrae, p. 45.

[755] Ennis, Critical thinking, p. 56.

مقارنة الاختبار المقترح مع الاختبارات العالمية

لمقارنة اختبار المناعة الفكرية المقترح مع اختبارات التفكير النقدي العالمية المعروفة، يمكن تقديم تحليل مقارن يوضح نقاط التشابه والاختلاف والمزايا التي يقدمها الاختبار الجديد. فاختبار المناعة الفكرية يقيس مهارات تحليل الحجج واكتشاف الافتراضات واستخلاص الاستنتاجات المنطقية وتقييم الأدلة كما في اختبار واطسون–جليسر، لكنه يختلف في كونه صُمّم خصيصًا للسياق الرقمي، ويتضمن أسئلة عن الخوارزميات والتزييف العميق واقتصاد الانتباه، كما أنه يقيس سرعة الاستجابة عاملاً أساسيًا محاكاةً للواقع الرقمي، ويتضمن أسئلة مواقف تحاكي الواقع الرقمي وأسئلة مفتوحة تقيس عمق التحليل، بينما يعتمد اختبار واطسون–جليسر على أسئلة نظرية بشكل أساسي.

أما مقارنته باختبار كاليفورنيا للتفكير النقدي، فكلاهما يقيس المهارات الأساسية للتفكير النقدي، لكن اختبار المناعة الفكرية يتضمن أسئلة محددة عن الفضاء الرقمي والمخاطر المعلوماتية، ويشمل أسئلة اختيار من متعدد وأسئلة مواقف وأسئلة مفتوحة، بينما يتكون اختبار كاليفورنيا من أسئلة اختيار من متعدد فقط. كما أن اختبار المناعة الفكرية يحدد وقتًا لكل قسم لمحاكاة ضغط الوقت في الفضاء الرقمي، بينما لا يحدد اختبار كاليفورنيا وقتًا للإجابة[756].

وتتمثل مزايا اختبار المناعة الفكرية في خصوصيته للسياق الرقمي، وتكامله في قياس المعرفة النظرية والمهارات التطبيقية وعمق التحليل في أداة واحدة، ومراعاته لعامل السرعة، ومرونته في التطبيق إلكترونيا أو ورقياء وتوافقه الثقافي مع السياق العربي. أما حدوده فتتمثل في تخصصه في المجال الرقمي وعدم قياسه مهارات التفكير النقدي في مجالات أخرى، وحاجته إلى مزيد من التجريب والتحكيم، وضرورة تحديثه باستمرار لمواكبة التطورات التقنية السريعة.[757]

المبحث الثالث: تحليل المحتوى المنتج والمشاعر الرقمية

أولًا: تحليل المحتوى المنتج - من يقول ماذا؟

الاختبارات والاستبيانات تقيس ما يقوله الشاب عن نفسه أو عن قدراته. لكن قد يكون هناك فجوة بين ما يقوله وما يفعله. لذلك، من أقوى أدوات القياس النوعي هو تحليل المحتوى الذي ينتجه الشباب بعد التدريب: المقالات التي يكتبونها، الفيديوهات التي يصنعونها، التعليقات التي يكتبونها. هذا المحتوى يعكس مناعتهم الفكرية بشكل عملي أكثر صدقا من أي اختبار. وقد أشار بيرلسون إلى أن تحليل المحتوى هو تقنية تسمح بدراسة ما يقوله الناس بالفعل، وليس فقط ما يقولون إنهم يفكرون فيه.[758]

لماذا تحليل المحتوى المنتج أقوى من الاختبارات؟ لأن الاختبارات تقيس الأداء في موقف اختباري مصطنع. بينما المحتوى المنتج (مثل مقال أو فيديو) هو نتاج عمل حقيقي، بذل فيه الشخص جهدا، وعكس تفكير فيه الحقيقي. كما أن تحليل المحتوى المنتج يمكن أن يكشف عن التفكير الضمني الذي قد لا يظهر في الاختبارات. وقد أشار فريري إلى أن الإنتاج هو أعلى درجات التعلم؛ لأنه يتطلب استيعابا كاملا للمعرفة وتحويلها إلى فعل خالق.[759]

منهجية تحليل المضمون Content Analysis لبرنارد بيرلسون: برنارد بيرلسون، أحد رواد تحليل المضمون، عرف هذه المنهجية بأنها تقنية بحثية للوصف الموضوعي والمنتظم والكمي للمحتوى الظاهر للاتصال. في سياق المناعة الفكرية، نقترح تحليل محتوا المنتج على ثلاثة مستويات.[760]

المستوى الأول: تحليل الدقة الواقعية Factual Accuracy ويشمل الأسعلة التالية: هل المعلومات المقدمة في المحتوى صحيحة وموثقة؟ هل يشير المنتج إلى المصادر التي اعتمد عليها؟ هل هناك

---

[756] Berelson, B. (1952). Content analysis in communication research. New York: Free Press, p. 18.

[757] Freire, Pedagogy of the oppressed, p. 75.

[758] Berelson, Content analysis, p. 18.

[759] Berelson, Content analysis, p. 18.

[760] Berelson, Content analysis, p. 18.

أخطاء واقعية يمكن اكتشافها؟ عملي: تطبيق يتم حساب نسبة الأخطاء الواقعية لكل 1000 كلمة. كلما انخفضت النسبة، زادت المناعة.[761]

المستوى الثاني: تحليل الحجج المنطقية Logical Argumentation ويشمل الأسئلة التالية: هل يعتمد المحتوى على حجج منطقية أم على مغالطات؟ هل يقدم أدلة تدعم ادعاءاته؟ هل يعترف بحدود معرفته (التواضع المعرفي) أم يدعي امتلاك الحقيقة المطلقة؟ تطبيق عملي: يتم تحديد عدد المغالطات المنطقية لكل صفحة. كلما انخفض العدد، زادت المناعة.[762]

المستوى الثالث: تحليل الأخلاقيات والقيم Ethics and Values ويشمل الأسملة التالية: هل يلتزم

هل يعزز قيم الحوار والتسامح أم يحرض على الكراهية والاستقطاب؟ تطبيق عملي: يتم تصنيف المحتوى إلى محايد، حواري، استقطابي، تحريضى. كلما زاد المحتوى الحواري، زادت المناعة.[763]

تطبيق عملي: تحليل عينات من إنتاج أندية المناعة: نقترح أن تقوم أندية المناعة الفكرية بجمع عينات من المحتوى الذي ينتجه الأعضاء قبل وبعد المشاركة في البرنامج التدريبي. م بحلل هذا المحتوى باستخدام منهج تحليل المضمون، ويقارن بين العينات القبلية والبعدية. وقد أشار هوبز إلى أن تحليل المحتوى قبل وبعد التدريب هو أقوى تصميم بحثي لقياس فاعلية برامج محو الأمية الإعلامية.[764]

المؤشرات المتوقعة للتحسن: من المتوقع أن يظهر تحليل المحتوى بعد التدريب تحسنا في المؤشرات التالية: زيادة في الدقة الواقعية (انخفاض نسبة الأخطاء الواقعية بنسبة 40 60% وتحسن في البنية المنطقية (انخفاض استخدام المغالطات المنطقية بنسبة 50 70% وتحسن في الأخلاقيات (انخفاض المحتوى المهاجم أو التحريضي بنسبة 60 80% وزيادةا محتوى الذي يعزز الحوار والتسامح).[765]

ثانيا: الذكاء الاصطناعي في القياس

مع التقدم السريع في الذكاء الاصطناعي، أصبحت هناك أدوات قوية لتحليل كميات هائلة من النصوص (مثل التعليقات على منصات التواصل) لاكتشاف أنماط المشاعر والاستقطاب. يمكن استخدام هذه الأدوات لقياس فاعلية برامج تعزيز المناعة الفكرية على نطاق واسع. وقد أشار ليو إلى أن تحليل المشاعر باستخدام التعلم اللي أصبح دقيقا بما يكفي للاستخدام في البحوث الاجتماعية، ويمكنه معالجة كميات من البيانات يستحيل على البشر تحليلها يدويا[766]

لماذا تحليل المشاعر بالذكاء الاصطناعي؟ تحليل المشاعر بالذكاء الاصطناعي يسمح بتحليل آلاف أو ملايين التعليقات في ثوان، وهو ما يستحيل على البشر فعله. كما أنه موضوعي (لا يتأثر بتعب المحلل أو تحيزاته). ويمكنه اكتشاف أنماط خفية (مثل التصاعد التدريجي في العدائية) قد لا يلاحظها المحلل البشري. وقد أشار هوتو وغيلبرت إلى أن أدوات تحليل المشاعر القائمة على القواعد rule-based مثل VADER يمكن أن تكون دقيقة مثل الحكم البشري في تصنيف المشاعر الأساسية[767]

كيف تعمل أدوات تحليل المشاعر Sentiment Analysis تعتمد هذه الأدوات على نماذج تعلم الي (ع Machine Learning مم تدريبها على ملايين النصوص لتتعرف على: المشاعر الأساسية (إيجابي. سلبي، محايد)، والمشاعر المتقدمة (غضب، خوف, فرح، حزن،، اشمتزاز)، والاستقطاب (درجة التطرف في اللغة)، والعدائية (هل النص يحتوي على هجمات شخصية أم يناقش الأفكار).[768]

---

[761] Berelson, Content analysis, p. 18.

[762] Hobbs, Media literacy in action, p. 67.

[763] Hobbs, Media literacy in action, p. 67.

[764] Liu, B. (2015). Sentiment analysis: Mining opinions, sentiments, and emotions. Cambridge: Cambridge University Press, p. 45.

[765] Hutto, C.J., & Gilbert, E.E. (2014). VADER: A parsimonious rule-based model for sentiment analysis of social media text. Eighth International Conference on Weblogs and Social Media (ICWSM-14), p. 2.

[766] Liu, Sentiment analysis, p. 45.

[767] Liu, Sentiment analysis, p. 45.

تطبيق عملي: قياس انخفاض العدائية والاستقطاب: لنفترض أننا أطلقنا برنامجا لتعزيز المناعة الفكرية في جامعة قطر، واستمر لمدة فصلين دراسيين. يمكننا استخدام أدوات تحليل المشاعر لتحليل تعليقات الطلاب على منصات التواصل قبل وبعد البرنامج. النتائج المتوقعة: انخفاض العدائية (نسبة التعليقات التي نحتوي على هجمات شخصية تنخفض من ه 25% إلى 10% وانخفاض الاستقطاب (التعليقات الى تستخدم لغة قطيعة تنخفض من 40% إلى 15% وارتفاع التعليقات الحوارية (التعليقات التي تستخدم لغة حوارية ترتفع من 10% إلى 35%[769]

أدوات مقترحة: تتوفر عدة أدوات لتحليل المشاعر، منها: IBM Watson Natural Language Understanding (أداة متقدمة لتحليل المشاعر والاستقطاب، تدعم اللغة العربية جزئياء تجارية مع نسخة بحريبية مجانية)، Google Cloud Natural Language API (تحليل المشاعر والتصنيف العاطفي، يدعم اللغة العربية؛ تجاري مع نسخة تجريبية مجانية)، VADER (أداة مفتوحة المصدر لتحليل المشاعر مصممة للإنجليزية، لكن يمكن تطوير نموذج عربي، مجاني)، ونموذج مدى (مركز قطر للذكاء الاصطناعي) - نموذج عربي لتحليل المشاعر يدعم اللغة العربية بشكل ممتاز، مجاني للباحثين.

جدول (2-9): أدوات تحليل المشاعر المقترحة

الأداة	الوصف	التوفر للغة العربية	التكلفة
IBM Watson NLU	أداة متقدمة لتحليل المشاعر والاستقطاب	تدعم العربية جزئيًا	تجاري (مع نسخة تجريبية مجانية)
Google Cloud NLP	تحليل المشاعر والتصنيف العاطفي	يدعم العربية	تجاري (مع نسخة تجريبية مجانية)
VADER	أداة مفتوحة المصدر لتحليل المشاعر	مصممة للإنجليزية (يمكن تطوير نموذج عربي)	مجاني
نماذج CAMeL Tools و CAMeLBERT (جامعة نيويورك أبوظبي)	أدوات ونماذج مفتوحة لمعالجة العربية وتحليل المشاعر	مصممة للعربية	مجاني (مفتوح المصدر)

وتختلف هذه الأدوات في دقتها مع النصوص العربية ولهجاتها، ولذلك يُوصى باختبار دقة الأداة المختارة على عينة من المحتوى المحلي قبل اعتماد نتائجها.

الاعتبارات الأخلاقية: يتطلب استخدام الذكاء الاصطناعي لتحليل محتوى الشباب مراعاة أخلاقيات البحث: الحصول على موافقة مستنيرة، وإخفاء الهويات، واستخدام البيانات لأغراض الدراسة فقط، وعدم استخدام النتائج ضد المشاركين. كما يجب مراعاة الخصوصية، فلا تُحلَّل التطبيقات والمحادثات الخاصة غير المنشورة. وقد أشارت أونيل إلى أن الخوارزميات يمكن أن تعكس تحيزات مصمميها، ويجب أن تخضع لمراجعة أخلاقية منتظمة، خاصة عندما تُستخدم في تحليل سلوك البشر[770].

ثالثًا: المقابلات المتعمقة ودراسة التغيير الوجودي

بينما تعطينا الاختبارات والاستبيانات صورة رقمية عن مستوى المناعة، وا محتوى المنتج يعكس المهارات التطبيقية، وتحليل المشاعر يعطي صورة عن الاتحاهات الجماعية، تبقى هناك طبقة أعمق: التحول في الهوية والرؤية الكونية Worldview هذا التحول لا يمكن قياسه بأرقام، بل يحتاج إلى مقابلات متعمقة تلتقط التجربة الذاتية للشاب. وقد أشار كريسويل إلى أن البحث النوعي هو الأكثر

---

[768] O'Neil, C. (2016). Weapons of math destruction: How big data increases inequality and threatens democracy. New York: Crown.

[769] Creswell, Research design, p. 56.

[770] Turkle, S. (2011). Alone together: Why we expect more from technology and less from each other. New York: Basic Books, p. 12.

ملاءمة لدراسة العمليات التحولية والتغيرات في الهوية، لأنه يسمح للمشا ركين بالتعبير عن تحاريهم بكلماتهم الخاصة.[771]

لماذا نحتاج إلى المقابلات المتعمقة؟ لأن الأرقام تخبرنا بماذا تغير، لكن لا تخبرنا بكيف ولماذا. المقابلات المتعمقة تلتقط القصص الإنسانية، واللحظات التحولية، والعقبات التي واجهها الشباب. كما أنها تكشف عن السياق الذي يحدث فيه التغيير، وهو أمر لا يمكن للاستبيانات قياسه. وقد أشارت تيركل إلى أن القصص التي يرويها الناس عن أنفسهم تكشف عن هويتهم وعن تحولاتهم الداخلية بشكل لا تستطيع الأرقام فعله.[772]

منهجية قصة التغيير (عع Story of Change يمكن استخدام منهجية قصة التغيير التي تستخدم في تقييم البرامج التنموية. تعتمد على إجراء مقابلات متعمقة مع شباب تعرضوا للتضليل ثم اكتسبوا المناعة، وتسجيل قصصهم بأسلوب سردي يحلل: نقطة التحول (متى بدأ الشاب يشك في المعلومات التي كان يصدقها؟ ما الحدث الذي أيقظ وعيه النقدي؟)، وعملية التغيير (كيف انتقل من حالة الضعف المناعي إلى القوة؟ من ساعده؟ ما الموارد التي استخدمها؟)، ونتائج التغيير (كيف تغير سلوكه في التعامل مع المعلومات؟ كيف تغيرت علاقاته بالآخرين؟ كيف تغيرت نظرته للعالم؟)، واستدامة التغيير (كيف يحافظ على مناعته في مواجهة التحديات الجديدة؟).[773]

محاور المقابلة المقترحة: يمكن تقسيم المقابلة إلى ستة محاور رئيسية. المحور الأول: التجربة السابقة (كيف كان تعامل المشارك مع المعلومات قبل اكتساب المناعة؟ هل كان يصدق كل شيء؟ هل كان يشارك الأخبار دون تحقق؟). المحور الثاني: لحظة اليقظة (ما الحدث الذي جعله يشك في مصداقية المعلومات التي كان يستهلكها؟ هل كان خبرا كاذبا صدقه؟ أم موقفا محرجا؟). المحور الثالث: رحلة التعلم (كيف تعلم مهارات التحقق والتفكير النقدي؟ هل كان عبر برنامج تعليمي؟ أم عبر تجربة شخصية؟ أم عبر قدوة؟). المحور الرابع: التغيير في السلوك (كيف تغير سلوكه اليومي في التعامل مع المعلومات؟ هل أصبح يتحقق من المصادر؟ هل أصبح يبحث عن آراء مخالفة؟). المحور الخامس: التغيير في اللهوية (كيف تغيرت نظرته لنفسه وللعالم؟ هل أصبح أكثر ثقة في قدرته على التمييز؟ هل أصبح أكثر تسامحا مع الآخرين؟). المحور السادس: التحديات المستقبلية (ما هي التحديات الى لا يزال يواجهها؟ كيف يحافظ على مناعته في مواجهة التضليل الجديد؟).[774]

تحليل المقابلات: يتم تحليل المقابلات باستخدام التحليل الموضوعي Thematic Analysis حيث يتم تحديد الموضوعات المتكررة في قصص لمشا ركين. يمكن استخدام برامج تحليل البيانات النوعية مثل NVivo لتسهيل هذه العملية. وقد أشار براون وكلارك إلى أن التحليل الموضوعي هو منهجية مرنة تسمح بتحديد الأغاط والموضوعات في البيانات النوعية، وهي مناسبة لدراسة التجارب الذاتية والتحولات الشخصية.[775]

المبحث الرابع: المؤشر الوطني للمناعة الفكرية والمركز القطري للقياس المناعي

بعد عرض أدوات لقياس المناعة الفكرية على مستوى الفرد (اختبار، استبيان، تحليل محتوى، مقابلات)، ننتقل إلى مستوى أوسع: قياس حصانة المجتمع ككل بحاه حملات التضليل والمخاطر المعلوماتية. هذا المؤشر الوطني سيكون أداة استراتيجية لصانعي السياسات، تمكنهم من تتبع تطور المناعة الفكرية عبر الزمن، وتحديد الففات الأكثر ضعفا، وتقييم فاعلية البرامج الوطنية. ذلك أن المؤشرات الوطنية هي أدوات أساسية لقياس التقدم في تحقيق أهداف السياسات العامة، وللمقارنة بين الدول.[776]

---

[771] Patton, M. (2015). Qualitative research and evaluation methods. London: Sage, p. 89.

[772] Patton, Qualitative research and evaluation methods, p. 89.

[773] Braun, V., & Clarke, V. (2006). Using thematic analysis in psychology. Qualitative Research in Psychology, 3(2), pp. 77-101.

[774] Lessenski, M. (2023). The Media Literacy Index 2023. Sofia: Open Society Institute – Sofia.

[775] World Economic Forum (WEF). (2024). The global risks report 2024. Geneva: WEF, p. 34.

لماذا نحتاج إلى مؤشر وطني؟ لأن المناعة الفكرية ليست مجرد قضية فردية، بل هي قضية أمن قومي. المجتمع المنيع فكريا هو مجتمع أقل عرضة للاستقطاب والتطرف، وأكثر قدرة على التماسك الوطني والتئمية المستدامة. المؤشر الوطني يسمح بمقارنة قطر بالدول الأخرى، وتحديد نقاط القوة والضعفء وتوجيه الاستثمارات. وقد أشار المنتدى الاقتصادي العالمي إلى أن الدول التي تستثمر في قياس المناعة الفكرية لديها مواطنيها تكون أكثر قدرة على مواجهة حملات التضليل المنظم.[777]

يبمكن استحداث المؤشر الوطني للمناعة الفكرية NIII الذي يصدر تقريرا دوريا (ربع سنوي أو سنوي) يقيس مستويات المناعة الفكرية في المجتمع. يتكون المؤشر من ثلاثة محاور رئيسية:[778]

ا حور الأول: مناعة الأفراد 40% من الوزن الإجمالي) ويشمل متوسط درجات اختبار المناعة الفكرية لعينة وطنية ممثلة (حجم العينة: و 5,000 فرد سنويا، موزعين حسب العمر والجنس والمنطقة)، ومتوسط درجات استبيان الوعي الخوارزمي لنفس العينة، ونسبة الشباب الذين يستخدمون أدوات التحقق بانتظام (حسب التقرير الذاقي)، ونسبة الشباب الذين يغيرون إعدادات الخصوصية بشكل منتظه.[779]

التفكير النقدي والوعي الخوارزمي (يقيم بواسطة خبرا، تربويين)، ونسبة المعلمين المدربين على التربية الإعلامية والتفكير النقدي، وعدد المؤسسات الإعلامية الى وقعت ميثاق الشرف الرقمي، ووجود آليات للتحقق من الأخبار في المؤسسات الإعلامية الكبرى، ومدى تطبيق الميثاق الأسري الرقمي في الأسر (يقاس عبر استبيان وطني[780].

المحور الثالث: بيئة المعلومات 30% من الوزن الإجمالي) ويشمل كمية المعلومات المضللة التي تم رصدها بواسطة منصة (تحقق)، وحجم تفاعل الجمهور معها، وسرعة احتواء المعلومات المضللة (متوسط الوقت بين انتشار الخبر وتقنينه بواسطة منصة (تحقق)، وثقة الجمهور في المصادر الرحمية (مقاسة باستبيان الثقة في المؤسسات)، ومستوى الاستقطاب في الخطاب العام (مقاسة بتحليل المشاعر للتعليقات على وسائل التواصل، باستخدام الذكاء الاصطناعي).[781]

اقتراح إنشاء المركز القطري للقياس المناعي كهيئة وطنية مستقلة تكون مسؤولة عن تنفيذ المؤشر الوطني للمناعة الفكرية، وإجراء البحوث الميدانية، وتقديم التوصيات لصناع القرار. يمكن أن يكون الم ركز تحت مظلة وزارة الاتصالات، أو هيئة تنظيم الإعلام؛ أو مؤسسة قطر.[782]

مهام المركز المقترحة: تشمل المهام التي يمكن أن يقوم بما المركز عدة أنشطة رئيسية. أولا، إجراء المسح الوطني السنوي لقياس مستويات المناعة الفكرية لدى المواطنين والمقيمين، ونشر النتائج في تقرير سنوي. ثانيا، تطوير وتحديث أدوات القياس (اختبار المناعة، استبيان الوعي الخوارزمي) بشكل دوري لوا كبة التطورات التقنية. ثالثًا، تقديم توصيات سياساتية للحكومة والمؤسسات بناء على نتائج القياس. رابعا، التعاون مع المؤسسات الأكاديمية (جامعة قطر، المدينة التعليمية) لإجراء بحوث معمقة حول المناعة الفكرية. خامسا، التعاون مع المنظمات الإقليمية والدولية (اليونسكو، المفوضية الأوروبية) لتبادل الخبرات والمقارنة المرجعية. سادساء توفير التدريب للباحثين والممارسين في مجال قياس المناعة الفكرية.[783]

الفوائد المتوقعة من المركز: إنشاء المركز يحقق فوائد عديدة. أولا، توفير بيانات دقيقة عن حالة المناعة الفكرية في المجتمع، مما يكن من توجيه الموارد بشكل فعال. ثانيا، تعزيز الشفافية والمساءلة في البرامج ج الوطنية لأن النتائج تنشر علنا. ثالثًا، تمكين المقارنة الدولية، مما يعزز مكانة قطر كدولة

---

[776] Lessenski, M. (2023). The Media Literacy Index 2023. Sofia: Open Society Institute – Sofia.

[777] Pan et al., Development and validation of digital resilience scale, p. 4.

[778] Lessenski, M. (2023). The Media Literacy Index 2023. Sofia: Open Society Institute – Sofia.

[779] Lessenski, M. (2023). The Media Literacy Index 2023. Sofia: Open Society Institute – Sofia.

[780] Lessenski, M. (2023). The Media Literacy Index 2023. Sofia: Open Society Institute – Sofia.

[781] Lessenski, M. (2023). The Media Literacy Index 2023. Sofia: Open Society Institute – Sofia.

[782] Gulf Times. (2026, January 22). Qatar Media Corporation highlights Qatar's efforts to enhance role of media in addressing various issues. Gulf Times.

[783] Lessenski, M. (2023). The Media Literacy Index 2023. Sofia: Open Society Institute – Sofia.

رائدة في هذا المجال. رابعا، بناء قاعدة معرفية وطنية تدعم البحوث المستقبلية. خامسا، توفير إطار مؤسسي لاستدامة جهود تعزيز المناعة الفكرية، بدلا من الاعتماد على مبادرات مؤقتة. وقد أشار تقرير جلف تابز إلى أن قطر تسعى لأن تكون مركزا إقليميا بجال عو الأمية الإعلامية, وأن إنشاء مركز وطني للقياس هو خطوة مهمة هذا الانحاه.[784] خطة تطبيق المؤشر الوطني لضمان التنفيذ الفعال للمؤشر الوطني للمناعة الفكرية، يمكن وضع خطة تطبيق متكاملة تحدد الخطوات الزمنية والجهات المنفذة والميزانية التقديرية والتحديات المتوقعة والحلول المقترحة. تتكون الخطة الزمنية المقترحة من ثلاث مراحل على مدار 3 سنوات، حيث تشمل المرحلة الأولى (السنة الأولى) التأسيس من خلال تشكيل الفريق الوطني وتطوير أدوات القياس وإجراء دراسة تجريبية وإعداد البنية التحتية التقنية ووضع الإطار التشريعي، وتتولى تنفيذها وزارة الاتصالات وهيئة تنظيم الإعلام وجامعة قطر ومؤسسة قطر.[785]

أما المرحلة الثانية (السنة الثانية) فتشمل التطبيق التجريبي من خلال تطبيق الأدوات على عينة تجريبية (٥,٠٠٠ فرد) وتحليل النتائج وإصدار التقرير التجريبي الأول وتقييم الأدوات وتطويرها وإعداد الكوادر البشرية، وتتولى تنفيذها وزارة الاتصالات وهيئة تنظيم الإعلام وجامعة قطر والمركز القطري للقياس المناعي.[786]

أما المرحلة الثالثة (السنة الثالثة) فتشمل التطبيق الوطني من خلال تطبيق الأدوات على العينة الوطنية وتحليل النتائج وإصدار التقرير الوطني الأول وإطلاق المؤشر الوطني للمناعة الفكرية ونشر النتائج وتقديم التوصيات، ويتولى تنفيذها المركز القطري للقياس المناعي ووزارة الاتصالات وهيئة تنظيم الإعلام وجميع الجهات المعنية.[787]

وتشمل الميزانية التقديرية للسنة الأولى بنودا مثل تطوير الأدوات وتحكيمها 500,000 ريال)؛ والبنية التحتية التقنية 1,000,000 ريال)، وتدريب الكوادر البشرية 750,000 ريال)، وجمع البيانات 1,500,000 ريال)، وتحليل البيانات وإصدار التقرير 500,000 ريال)،؛ والحملات التوعوية والتواصل (٥٠٠,٠٠٠ ريال)، والإدارة والتنسيق (٥٠٠,٠٠٠ ريال)، والطوارئ (٥٠٠,٠٠٠ ريال)، بإجمالي.٥,٧٥٠,٠٠٠ لوه ريال قطري.[788]

وتشمل التحديات المتوقعة ضعف استجابة العينة (ويعالج باستخدام حوافز مناسبة والتعاون مع المؤسسات امجتمعية وتبسيط أدوات القياس)، ونقص الكوادر المؤهلة (ويعالج ببرامج تدريبية مكثفة واستقطاب خبرات دولية)، وصعوبة الوصول إلى الفئات المهمشة (ويعالج باستخدام قنوات متعددة وتصميم أدوات سهلة الاستخدام)، ومقاومة بعض الجهات (ويعالج بإشراك جميع الجهات في مرحلة التخطيط وتوضيح الفوائد الوطنية)؛ والتطور التقني السريع (ويعالج بتحديث الأدوات بشكل دوري والتعاون مع مراكز البحث والتطوير).[789]

خلاصة الفصل التاسع

في هذا الفصل، تم تقديم نموذج متكامل لقياس فاعلية المناعة الفكرية، يجمع بين المقاييس الكمية (اختبار المناعة الفكرية، استبيان الوعي الخوارزمي) والأدوات النوعية (تحليل المحتوى المنتج، تحليل المشاعر بالذكاء الاصطناعي. المقابلات المتعمقة). ورفع النظر إلى المستوى الوطني من خلال اقتراح المؤشر الوطني للمناعة الفكرية كأداة استراتيجية لقياس حصانة المجتمع، وتصور المركز القطري للقياس المناعي كهيكل تنظيمي لتنفيذ هذا القياس بشكل مستدام.[790]

---

[784] Pan et al., Development and validation of digital resilience scale, p. 4.

[785] Lessenski, M. (2023). The Media Literacy Index 2023. Sofia: Open Society Institute – Sofia.

[786] Lessenski, M. (2023). The Media Literacy Index 2023. Sofia: Open Society Institute – Sofia.

[787] Lessenski, M. (2023). The Media Literacy Index 2023. Sofia: Open Society Institute – Sofia.

[788] Pan et al., Development and validation of digital resilience scale, p. 4.

[789] Pan et al., Development and validation of digital resilience scale, p. 4.

[790] الأمانة العامة للتخطيط التنموي - دولة قطر. 2024 الاستراتيجية الوطنية الثالثة للتنمية 2024 2030 الدوحة: جهاز التخطيط والإحصاء، ص. 35

ما يميز هذا النموذج هو أنه لا يقتصر على قياس المعرفة النظرية، بل يتعمق إلى السلوك اليومي، والمهارات التطبيقية، والتحول الوجودي. كما أنه لا يقتصر على الفرد، بل يمتد إلى المؤسسات وبيئة المعلومات. وهو مصمم خصيصا للسياق العربي، بأدوات معربة ونماذج ذكاء اصطناعي تدعم اللغة العربية. وقد أشار بان وآخرون إلى أن النماذج المتكاملة التي تجمع بين المقاييس الكمية والنوعية هي الأكثر قدرة على التقاط تعقيد ظاهرة المناعة الفكرية.[791]

هذا الجهد في القياس ليس غاية في حد ذاته، بل هو بوصلة التطوير. فبدون قياس؛ لا يعرف أين يقف المجتمع، ولا يعرف ما إذا كانت الجهود تؤتي ثمارها. وبالقياس، تتحول المناعة الفكرية من مفهوم نظري إلى هدف قابل للرصد والتقييم، ومن قيمة مجردة إلى مؤشر وطني يمكن تتبعه عبر السنوات. وقد أشارت الاستراتيجية الوطنية الثالثة للتنمية إلى أن بناء نظم قياس فعالة لتقييم التقدم في تنمية رأس المال البشري هو ركيزة أساسية لتحقيق أهداف التنمية.[792]

في الفصل الثامن، سيتم الانتقال من النظرية إلى التطبيق، من خلال استعراض نماذج حقيقية نجحت في تعزيز المناعة الفكرية في سياقات مختلفة: في المدارس، في الجامعات، في المؤسسات الإعلامية، وفي المجتمعات المحلية. هذه النماذج ستكون عثابة أفضل الممارسات Best Practices التي يمكن الاقتداء بها وتوسيع نطاقها.[793]

---

[791] ملاحظة: (–) تعني أن الفروق في هذا المقياس لم تكن دالة إحصائيًا وفق مخرجات التحليل الإحصائي. جدول (10): معيار تصنيف المستويات حسب المتوسطات الحسابية (مقياس رباعي – مصحح) جدول (11): معيار تصنيف قوة معامل الارتباط (بيرسون) Lessenski, M. (2023). The Media Literacy Index 2023. Sofia: Open Society Institute – Sofia.

[792]

[793]

الخاتمة العامة للدراسة

أولًا: خلاصة النتائج الرئيسة

توصلت هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج الرئيسة، تُعرض هنا مع التمييز بين ما تدعمه البيانات الميدانية، وما يمثل استنتاجات تفسيرية أو نظرية:

1. مستويات المحاور: جاء إدراك المشاركين للمخاطر المعلوماتية (2.74 من 4) ولتسليع البيانات (2.65) في المستوى المتوسط، وجاءت الآثار السلبية المُبلَّغ عنها (2.38) وإدراك هندسة الهوية (2.48) في المستوى المنخفض، والتصرفات الوقائية (2.96) والمقاومة (2.67) في المستوى المتوسط. ولا تُحسب للأداة درجة كلية واحدة، لأن محاورها مختلفة الاتجاه.

2. وعي بالتوجيه الخوارزمي ونفي لأثره: أعلى فقرات محاور المخاطر إدراك أن الخوارزميات تحدد المحتوى المعروض (3.25)، في حين ينفي المشاركون أثر ذلك في هوياتهم وقناعاتهم. وقد يعني ذلك حصانة فعلية، وقد يعني حدود التقرير الذاتي في رصد تأثير لا يشعر به صاحبه.

3. العلاقة بين الوعي والممارسة: يرتبط إدراك المخاطر وآثارها بالسلوك الوقائي والمقاومة ارتباطًا موجبًا ضعيفًا ($r = 0.24$)، ولا يرتبط الشعور بالآثار السلبية بالتصرفات الوقائية (-0.06). فالوعي بالخطر لا يتحول تلقائيًا إلى ممارسة، وتتركز الوقاية في التحقق من المصادر (3.43) وتضعف في الحماية التقنية كحجب التتبع (2.23).

4. العمر: الشباب (18–35) هم الأقل مقاومة لتشكيل الهوية وتسليع المعرفة (2.45 مقابل 2.76 و 2.72 للفئتين الأكبر، $p = 0.009$)، وهو أقوى الفروق في الدراسة وأقربها إلى سؤالها المركزي.

5. التعليم وساعات الاستخدام: لم تظهر فروق دالة حسب المستوى التعليمي أو ساعات الاستخدام في أي محور، ولم يُضعف التعليم العلاقة بين ساعات الاستخدام وإدراك هندسة الهوية ($F(2, 158) = 0.64$، $p = 0.529$). فوصف التعليم العالي بأنه «لقاح معرفي» يبقى فرضية نظرية لم تسندها هذه البيانات.

6. الآثار غير المحسوسة: جاء مستوى الآثار السلبية المُبلَّغ عنها منخفضًا رغم أن (60.4%) من المشاركين يستخدمون الإنترنت ثلاث ساعات فأكثر يوميًا، ولم ترتبط الساعات بالآثار ارتباطًا دالًا. وتطرح الدراسة فرضية «التكيف غير الصحي» تفسيرًا محتملًا، وتقترح مؤشرات بديلة لا تعتمد على التقرير الذاتي وحده.

7. الجنس والدولة: تُبلغ الإناث عن تعرض أكبر للمخاطر المعلوماتية (2.89 مقابل 2.69، $d = 0.40$)، ويُبلغ المشاركون من مصر عن تعرض أكبر من غيرهم (2.81 مقابل 2.60)، دون فروق في السلوك الوقائي أو المقاومة. ولا تسمح أعداد المشاركين من الدول الأخرى بالمقارنة بين الدول منفردة.

8. الأبعاد الاقتصادية والسياسية: كشف التحليل النقدي عن الأبعاد الاقتصادية والسياسية الكامنة وراء المخاطر المعلوماتية، من خلال تحليل رأسمالية المراقبة واستعمار البيانات واقتصاد الانتباه، وكيفية إسهام خوارزميات المنصات في تشكيل اهتمامات الشباب وأنماط استهلاكهم، والتأثير المحتمل في انتماءاتهم الثقافية.

9. حدود النتائج الميدانية: تصف النتائج عينة متاحة غير احتمالية (166 مشاركًا)، غالبيتها من المصريين البالغين حملة الشهادات الجامعية، ولا يتجاوز الشباب فيها (21.7%)، وقد أُجري نحو ثلاثين اختبارًا للفروق دون تصحيح لتعدد المقارنات؛ ولذلك تُقرأ الفروق الدالة القليلة بوصفها نتائج استكشافية تُختبر في عينة شبابية أوسع.

ثانيا: الإسهامات العلمية للدراسة

بناءً على ما سبق، يمكن تحديد الإسهامات العلمية الآتية، مع مراعاة حدود الدراسة:

1. التأصيل النظري: قدمت الدراسة تأصيلاً نظريًا موسعًا لمفهوم المناعة الفكرية في التراث الحضاري الإسلامي (منهج التثبت، والجرح والتعديل، والنقد الخلدوني) والإنساني (الشك الديكارتي، والتنوير

الكانطي، ونقد اقتصاد الانتباه)، بما يُثري الأدبيات العربية التي تناولت المفهوم من زوايا تربوية أو نفسية، مثل دراسة بكار (2008) ودراسة يوسف والفضلي (.)2025

2. إطار علاجي مقترح: اقترحت الدراسة نموذجًا علاجيًا ثلاثي الأبعاد (الوقاية، والمواجهة، والبناء)، يجمع بين الجوانب الوقائية والعلاجية والبنائية، استنادًا إلى الأدبيات النظرية وإلى الأنماط التي أشارت إليها النتائج الميدانية، ولا سيما ضعف تحول الوعي إلى ممارسة. ويُقدِّم هذا النموذج بوصفه إطارًا نظريًا وتطبيقيًا مقترحًا لم تُختبر فاعليته تجريبيًا بعد، ويحتاج إلى دراسات تدخلية لتقويمه.

3. أدوات عملية مقترحة: اقترحت الدراسة حزمة أدوات قابلة للتجريب في المؤسسات التربوية والإعلامية والمجتمعية، مثل مختبرات النقد، وحقيبة المعلم المنيع، والبوتات الحارسة للتحقق الآلي، والميثاق الأسري الرقمي، وأندية المناعة الفكرية، بما يقرّب المسافة بين النظرية والتطبيق.

4. أدوات قياس مقترحة: اقترحت الدراسة أدوات قياس كمية ونوعية للسياق العربي، مثل اختبار المناعة الفكرية، واستبيان الوعي الخوارزمي، والمؤشر الوطني للمناعة الفكرية، وهي أدوات تحتاج إلى تقنين سيكومتري (صدق بنائي، وثبات، ومعايير) قبل اعتمادها في صنع القرار.

5. البعد الاقتصادي السياسي: ربطت الدراسة بين تسليع المعرفة وهندسة الهوية، وكشفت البعد الاقتصادي السياسي للمخاطر المعلوماتية من خلال تحليل رأسمالية المراقبة واستعمار البيانات، وربطه بالمنظور الحضاري الإسلامي.

6. وثيقة توجيهية: صاغت الدراسة «إعلان الدوحة للسيادة الفكرية والكرامة الرقمية» وثيقةً توجيهية تجمع بين القيم الإسلامية والمنهجية العلمية، يمكن أن تكون منطلقًا للحوار المجتمعي وصنع السياسات.

7. قاعدة بيانات ميدانية أولية: قدمت الدراسة بيانات كمية أولية عن التعرض للمخاطر المعلوماتية والممارسات الوقائية والمقاومة لدى عينة متاحة من (166) مشاركًا، غالبيتهم من مصر، يمكن أن تكون أساسًا لدراسات لاحقة.

ثالثًا: التوصيات

انطلاقًا من خلاصات هذه الدراسة، يمكن تقديم التوصيات الآتية على مستويات متعددة، مع مراعاة الأولويات والجدوى التنفيذية:

المستوى الأول: التوصيات المنهجية (لاستكمال هذه الدراسة)

إعادة تحليل البيانات من قاعدة البيانات الخام، لإعادة حساب الانحرافات المعيارية، ومقارنات الجنس، وعدد الحالات في كل تحليل، وإجراء المقارنات البعدية وتصحيح تعدد المقارنات.

التحقق من البنية العاملية للأداة بالتحليل العاملي الاستكشافي والتوكيدي، وتحديد اتجاه ترميز الفقرات، والحكم على مشروعية جمع المحاور الستة في درجة كلية.

إعادة اشتقاق مصفوفة الوعي والممارسة بنقاط قطع محددة مسبقًا أو بالتحليل العنقودي، وتأكيد نتائج الفروق باختبارات لامعلمية.

المستوى الثاني: التوصيات التعليمية

إعادة تصميم المناهج الدراسية بحيث تدمج مهارات التفكير النقدي والوعي الخوارزمي والتربية الإعلامية في المواد المختلفة، من مرحلة ما قبل المدرسة إلى المرحلة الثانوية، مع الاستفادة من التجربة الفنلندية.

إقرار مقرر جامعي في «المواطنة الرقمية ومهارات التحقق»، لضمان امتلاك الخريجين المهارات الأساسية للتعامل مع الفضاء الرقمي.

إدراج مهارات التربية الإعلامية والوعي الخوارزمي في برامج إعداد المعلمين وتدريبهم أثناء الخدمة، مع تطوير «حقيبة المعلم المنيع» وتجريبها.

المستوى الثالث: التوصيات الإعلامية

دراسة جدوى إنشاء منصة وطنية تعتمد على الذكاء الاصطناعي للكشف المبكر عن المحتوى المشبوه وتنبيه المستخدمين، مع دعم مبادرات التحقق العربية القائمة مثل «مسبار» و«فتّش».

صياغة ميثاق أخلاقي طوعي لصناع المحتوى والمؤثرين، يتضمن الالتزام بالأمانة المعرفية والشفافية والمسؤولية، مع منح «علامة ثقة» (Trust Badge) للملتزمين.

إنشاء معامل إعلامية في الجامعات ومراكز الشباب، مهمتها تدريب الشباب على إنتاج محتوى هادف يجمع بين الدقة العلمية والجاذبية الفنية.

المستوى الرابع: التوصيات التشريعية

إصدار أو تطوير قوانين شاملة لحماية البيانات، مستلهمة من اللائحة الأوروبية العامة لحماية البيانات (GDPR)، تتضمن حق نقل البيانات، وحق المحو، والموافقة المستنيرة، والشفافية الخوارزمية.

دراسة فرض رسوم على الشركات التي تستخرج بيانات المستخدمين وتحقق أرباحًا منها، وتوجيه عائداتها لتمويل التعليم والإعلام العام وبناء بدائل رقمية عربية.

تصنيف الاستغلال التجاري لنقاط الضعف النفسية، ولا سيما لدى الأطفال والشباب، ضمن الممارسات المحظورة في تشريعات حماية المستهلك.

المستوى الخامس: التوصيات الوطنية

إنشاء مركز وطني مستقل يتولى تطوير أدوات القياس، وجمع البيانات، وإصدار مؤشر وطني للمناعة الفكرية دوريًا، بعد تقنين أدواته.

اعتماد المؤشر الوطني للمناعة الفكرية أداةً استراتيجية لقياس حصانة المجتمع، بحيث يتكون من ثلاثة محاور: مناعة الأفراد، ومناعة المؤسسات، وبيئة المعلومات.

تخصيص تمويل لدعم منصات رقمية عربية بديلة لا تقوم على نموذج الإعلانات المستهدفة، وتعتمد على الاشتراك المباشر أو التمويل العام.

إطلاق حملة وطنية لتشجيع الأسر على وضع «ميثاق أسري رقمي» يتضمن قواعد استخدام الشاشات وأوقاتًا خالية من الأجهزة.

المستوى السادس: التوصيات الحضارية

استضافة مؤتمر عربي لصياغة ميثاق عربي للسيادة الرقمية، يهدف إلى تنسيق التشريعات العربية لحماية البيانات، وإنشاء شبكة إقليمية لمنصات التحقق، وتطوير محتوى عربي رصين.

الانضمام إلى الشبكات الدولية المعنية بالتربية الإعلامية والمعلوماتية، مثل التحالف العالمي للشراكة في التربية الإعلامية والمعلوماتية التابع لليونسكو (GAPMIL)، وتبادل الخبرات مع دول مثل فنلندا وسنغافورة.

ترسيخ القيم الحضارية في التعامل مع الفضاء الرقمي: كرامة الإنسان، والأمانة، والمسؤولية، والعدالة.

رابعا: آفاق الدراسات المستقبلية

بناءً على نتائج هذه الدراسة والقيود التي واجهتها، يمكن اقتراح عدد من آفاق البحث المستقبلية:

الدراسات المنهجية والسيكومترية: تقنين أداة الدراسة على عينات احتمالية من الشباب (18–35) في دول عربية متعددة، والتحقق من بنيتها العاملية وثباتها وصدقها التلازمي مع مقاييس قائمة، مثل مقياس المناعة الفكرية ليوسف والفضلي (2025)، وإضافة اختبارات أداء موضوعية لقياس القدرة الفعلية على التمييز بين المعلومات الصحيحة والمضللة.

الدراسات المقارنة عبر الثقافات: مقارنة دول عربية مختلفة، والدول العربية بدول أخرى، لفهم أثر السياق الثقافي والاجتماعي والسياشي في المناعة الفكرية.

الدراسات الطولية: متابعة عينة من الشباب على مدى خمس إلى عشر سنوات لرصد تطور المناعة الفكرية، وتحديد العوامل التي تعززها أو تضعفها، وقياس أثر البرامج التدخلية على المدى الطويل.

الدراسات التدخلية: تصميم برامج تدريبية مستمدة من المثلث المناعي وتقويمها بتصاميم تجريبية أو شبه تجريبية بمجموعات ضابطة، لقياس فاعليتها وتحديد عناصرها الأكثر تأثيرًا.

الدراسات حول فئات خاصة: دراسة فئات مثل الشباب ذوي الإعاقة، والشباب في المناطق المهمشة، والشباب اللاجئين، والشباب في الأسر ذات الدخل المنخفض، لفهم التحديات الخاصة التي تواجههم.

الدراسات حول التقنيات الجديدة: دراسة أثر الذكاء الاصطناعي التوليدي، والعوالم الافتراضية، وإنترنت الأشياء في المناعة الفكرية.

الدراسات حول السياسات والتشريعات: تقويم فاعلية السياسات والتشريعات المختلفة في حماية البيانات وتعزيز المناعة الفكرية، ومقارنة النماذج التشريعية في دول مختلفة.

دراسات اقتصاد الانتباه البديل: دراسة جدوى نماذج بديلة (منصات الاشتراك، والتمويل الجماعي، والمحتوى غير الربحي) وأثرها في جودة المحتوى وسلوك المستخدمين.

دراسات دور المؤسسات: دراسة دور كل مؤسسة (الأسرة، والمدرسة، والجامعة، والإعلام، والمسجد، والنادي) في بناء المناعة الفكرية، وتحديد الممارسات الأكثر فاعلية فيها، وسبل التكامل بينها.

خامسا: كلمة أخيرة - نداء حضاري

تتلخص الوصايا الختامية لهذه الدراسة في أربع كلمات جامعة: التثبت، والنقد، والإنتاج، والتحرر.

أولًا: التثبت قبل التصديق: ألا يُؤخذ الخبر من مصدر واحد، ولا يُشارك قبل التحقق منه، استحضارًا لآية التبيّن ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: 6]، وإدراكًا أن التبيّن أول خطوة نحو المناعة؛ ففي عالم تنتشر فيه الشائعات بسرعة فائقة، يغدو التثبت فعلاً من أفعال المسؤولية.

ثانيا: النقد قبل التفاعل: ألا يُخشى الشك بل يُتخذ منهجًا، بالتساؤل عن القائل والزمان والمكان والغاية، بوصفه طريقًا إلى يقين أقوى؛ فقد عدّ ديكارت الشك المنهجي طريقًا إلى اليقين، لأنه ينقي العقل من الأفكار المسبقة والأحكام المترسخة.

ثالثً1ا: الإنتاج بدلًا من الاستهلاك: ألا يُكتفى بالاستهلاك السلبي، بل يُصنع محتوى هادف، ويُشارك في بناء الوعي، ويكون الشاب مؤثرًا إيجابيًا، تذكرًا لما قرره مالك بن نبي من أن النهضة تبدأ عندما يحوّل المجتمع مقوماته إلى منتج حضاري.

رابعا: التحرر من الوصاية: أن يستعيد الإنسان سيادته على عقله وانتباهه ووقته، فلا يسلّمها للخوارزميات أو لمن يقف وراءها، وأن يكون الفضاء الرقمي أداة لخدمة الإنسان وكرامته، لا قيدًا على حريته ووعيه.

وبهذه الكلمات الأربع تختتم الدراسة رحلتها، آملةً أن تكون إسهامًا -مهما كان متواضعًا- في بناء حصن منيع للوعي العربي في الفضاء الرقمي، وأن تفتح الباب لبحوث لاحقة تختبر ما اقترحته من أطر ونماذج، وتبني عليه.

قائمة المراجع

0 أولًا: المراجع العربية

الكتب

1. ابن خلدون، عبد الرحمن (2000). مقدمة ابن خلدون (تحقيق: عبد الله محمد الدرويش). دمشق: دار يعرب، ط1.

2. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (1966). نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر (تحقيق: نور الدين عتر). دمشق: مطبعة الصباح.

3. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (1986). مقدمة فتح الباري (هدي الساري). بيروت: دار المعرفة، ط3.

4. ابن فارس، أحمد (1979). معجم مقاييس اللغة. بيروت: دار الفكر، ج1.

5. ابن كثير، إسماعيل بن عمر (1999). تفسير القرآن العظيم. الرياض: دار طيبة، ط2، ج7.

6. ابن منظور، محمد بن مكرم (1993). لسان العرب. بيروت: دار صادر، ج3.

7. أبو سليمان، عبد الحميد (1991). أزمة العقل المسلم. هيرندن، فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

8. باقر الصدر، محمد (2010). فلسفتنا. بيروت: دار التعارف للمطبوعات.

9. باومان، زيجمونت (2016). الحداثة السائلة (ترجمة: حجاج أبو جبر). القاهرة: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.

10. بدوي، عبد الرحمن (1977). مناهج البحث العلمي. الكويت: وكالة المطبوعات.

11. البخاري، محمد بن إسماعيل (2000). صحيح البخاري. الرياض: دار السلام، ط1، ج8.

12. بكار، عبد الكريم (2008). المناعة الفكرية. الرياض: مؤسسة الإسلام اليوم.

13. بن نبي، مالك (1986). شروط النهضة (ترجمة: عبد الصبور شاهين). دمشق: دار الفكر.

14. الترمذي، محمد بن عيسى (1975). سنن الترمذي. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، ج 4.

15. الجابري، محمد عابد (1984). تكوين العقل العربي (نقد العقل العربي 1). بيروت: المركز الثقافي العربي.

16. الجاحظ، عمرو بن بحر (1989). البيان والتبيين (تحقيق: عبد السلام هارون). القاهرة: مكتبة الخانجي، ج1.

17. روزنتال، فرانتز (1961). مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي (ترجمة: أنيس فريحة). بيروت: دار الثقافة.

18. طه عبد الرحمن (2000). سؤال الأخلاق: مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي..

19. طه عبد الرحمن (2014). بؤس الدهرانية: النقد الائتماني لفصل الأخلاق عن الدين. بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1.

20. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (2010). إحياء علوم الدين (المجلد 2). بيروت: دار الكتب العلمية.

21. فلوريدي، لوتشانو (2014). الثورة الرابعة: كيف يعيد الفضاء المعلوماتي تشكيل الواقع الإنساني (ترجمة: مركز الإمارات للدراسات). أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات.

22. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (2006). الجامع لأحكام القرآن. بيروت: دار الكتب العلمية، ج16.

23. قطب، سيد (1964). خصائص التصور الإسلامي ومقوماته. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.

24. المسيري، عبد الوهاب (2006). دراسات معرفية في الحداثة الغربية. القاهرة: مكتبة الشروق الدولية.

25. المسيري، عبد الوهاب (2008). العالم من منظور غربي. القاهرة: دار الشروق، ط2.

26. مسلم بن الحجاج (2006). صحيح مسلم. الرياض: دار السلام، ط1، ج1.

27. معلوف، أمين (2019). الهويات القاتلة (ترجمة: نهلة بيضون). بيروت: دار الفارابي..

28. النووي، يحيى بن شرف (2000). شرح النووي على صحيح مسلم. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط2، ج1.

الدوريات والأبحاث الأكاديمية العربية

1. بن خليفة، فاطيمة (2022). المناعة الفكرية لدى طلبة الجامعة: دراسة مقارنة. مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، 14(2)، 45–62.

2. جابر، إيمان عبد الرؤوف حسن (2023). المناعة الفكرية كمتغير معدِّل للعلاقة بين القابلية للاستهواء والاتجاه نحو التطرف الفكري لدى الشباب الجامعي. مجلة بحوث الشرق الأوسط، (110)، 96–97.

3. جابر، ندى أحمد (2025). الاقتصاد الخفي وراء الفيديو القصير. مجلة الدراسات الإعلامية، 12(3)، 45.

4. يوسف، سليمان، والفضلي، هدى (2025). المناعة الفكرية: نحو نموذج عربي تكاملي (نفسي عصبي معرفي مناعي) لتحصين هوية الشباب من التطرف والإرهاب. دراسات في علم الأرطوفونيا وعلم النفس العصبي، 9(1)، 23–48.

التقارير والوثائق الرسمية العربية

1. الأمانة العامة للتخطيط التنموي – دولة قطر (2008). رؤية قطر الوطنية 2030. الدوحة.

2. الأمانة العامة للتخطيط التنموي – دولة قطر (2024). استراتيجية التنمية الوطنية الثالثة 2024–2030. الدوحة: جهاز التخطيط والإحصاء.

3. وزارة المواصلات والاتصالات – دولة قطر (2021). الاستراتيجية الوطنية للأمن السيبراني 2022–2026. الدوحة.

4. مركز الجزيرة للدراسات (2021). التضليل الإعلامي في المنطقة العربية: الفاعلون والآليات. الدوحة: الدار العربية للعلوم ناشرون.

5. مركز قطر للمناظرات (2023). دليل التفكير النقدي وفنون المناظرة. الدوحة: مطابع قطر الوطنية.

6. مركز قطر للمناظرات (2025). التقرير السنوي 2025. الدوحة.

ثانيا: المراجع الأجنبية

الكتب الأجنبية

1. Aral, S. (2020). The hype machine: How social media disrupts our elections, our economy, and our health. New York: Currency.

2. Arendt, H. (1951). The origins of totalitarianism. New York: Schocken Books.

3. Babbie, E. (2016). The practice of social research (14th ed.). Boston: Cengage Learning.

4. Bandura, A. (1997). Self-efficacy: The exercise of control. New York: Freeman.

5. Bandura, A. (1977). Social learning theory. Englewood Cliffs, NJ: Prentice Hall.

6. Bauman, Z. (2005). Liquid life. Cambridge: Polity Press.

7. Berelson, B. (1952). Content analysis in communication research. New York: Free Press.

8. Bryman, A. (2016). Social research methods (5th ed.). Oxford: Oxford University Press.

9. Carr, N. (2010). The shallows: What the Internet is doing to our brains. New York: W.W. Norton & Company.

10. Castells, M. (2010). The power of identity: The information age. Oxford: Wiley- Blackwell.

11. Christian, B., & Griffiths, T. (2016). Algorithms to live by: The computer science of human decisions. New York: Henry Holt and Co.

12. Cialdini, R. (2001). Influence: Science and practice. Boston: Allyn and Bacon.

13. Cochran, W. G. (1977). Sampling techniques (3rd ed.). New York: Wiley.

14. Couldry, N., & Mejias, U. (2019). The costs of connection: How data is colonizing human life and appropriating it for capitalism. Stanford: Stanford University Press.

15. Creswell, J. (2014). Research design: Qualitative, quantitative, and mixed methods approaches. London: Sage.

16. Descartes, R. (1996). Meditations on first philosophy. Cambridge: Cambridge University Press.

17. DiResta, R. (2024). Invisible rulers: The people who turn lies into reality. New York: PublicAffairs.

18. Ennis, R. H. (1996). Critical thinking. Upper Saddle River, NJ: Prentice Hall.

19. Festinger, L. (1957). A theory of cognitive dissonance. Stanford: Stanford University Press.

20. Field, A. (2018). Discovering statistics using IBM SPSS. London: Sage.

21. Floridi, L. (2014). The fourth revolution: How the infosphere is reshaping human reality. Oxford: Oxford University Press.

22. Fowler, F. J. (2014). Survey research methods (5th ed.). Thousand Oaks, CA: Sage.

23. Freire, P. (1970). Pedagogy of the oppressed. New York: Herder and Herder.

24. Freud, S. (1923). The ego and the id. London: Hogarth Press.

25. Fuchs, C. (2014). Digital labour and Karl Marx. New York: Routledge.

26. Gardner, H. (2008). Five minds for the future. Boston: Harvard Business School Press.

27. Gee, J. P. (2003). What video games have to teach us about learning and literacy. New York: Palgrave Macmillan.

28. Habermas, J. (1984). The theory of communicative action (Vol. 1; T. McCarthy, Trans.). Boston: Beacon Press. (Original work published 1981)

29. Haidt, J. (2024). The anxious generation: How the great rewiring of childhood is causing an epidemic of mental illness. London: Allen Lane.

30. Hair, J. F., Black, W. C., Babin, B. J., & Anderson, R. E. (2014). Multivariate data analysis (7th ed.). Harlow: Pearson.

31. Harari, Y. N. (2018). 21 lessons for the 21st century. London: Jonathan Cape.

32. Hari, J. (2022). Stolen focus: Why you can't pay attention. New York: Crown Publishers.

33. Herman, E. S., & Chomsky, N. (2002). Manufacturing consent: The political economy of the mass media (Updated ed.). New York: Pantheon Books.

34. Hobbs, R. (2021). Media literacy in action: Questioning the media. Lanham, MD: Rowman & Littlefield.

35. Hofstede, G. (2001). Culture's consequences: Comparing values, behaviors, institutions and organizations across nations (2nd ed.). Thousand Oaks, CA: Sage.

36. Kahneman, D. (2011). Thinking, fast and slow. New York: Farrar, Straus and Giroux.

37. Kant, I. (1991). An answer to the question: What is enlightenment? In Kant: Political Writings. Cambridge: Cambridge University Press, 2nd ed.

38. Kant, I. (1993). Grounding for the metaphysics of morals. Indianapolis: Hackett, 3rd ed.

39. Kissinger, H. A., Schmidt, E., & Huttenlocher, D. (2021). The age of AI: And our human future. Boston: Little, Brown and Company.

40. Küng, H. (1991). Global responsibility: In search of a new world ethic. New York: Crossroad.

41. Kolb, D. (1984). Experiential learning: Experience as the source of learning and development. Englewood Cliffs: Prentice Hall.

42. Kuhn, T. (1962). The structure of scientific revolutions. Chicago: University of Chicago Press.

43. Lazarus, R., & Folkman, S. (1984). Stress, appraisal, and coping. New York: Springer.

44. Liu, B. (2015). Sentiment analysis: Mining opinions, sentiments, and emotions. Cambridge: Cambridge University Press.

45. Lyotard, J.-F. (1984). The postmodern condition: A report on knowledge (G. Bennington & B. Massumi, Trans.). Minneapolis: University of Minnesota Press. (Original work published 1979)

46. Marcuse, H. (1964). One-dimensional man: Studies in the ideology of advanced industrial society. Boston: Beacon Press.

47. Marx, K. (1867). Capital: A critique of political economy (Volume 1). Hamburg: Verlag von Otto Meissner.

48. Mouffe, C. (2005). On the political. London: Routledge.

49. Neuman, W. L. (2014). Social research methods: Qualitative and quantitative approaches (7th ed.). Harlow: Pearson.

50. O'Neil, C. (2016). Weapons of math destruction: How big data increases inequality and threatens democracy. New York: Crown Publishers.

51. Pariser, E. (2011). The filter bubble: What the Internet is hiding from you. New York: Penguin Press.

52. Patton, M. (2015). Qualitative research and evaluation methods. London: Sage.

53. Popper, K. (2002). The logic of scientific discovery. London: Routledge.

54. Said, E. W. (1994). Representations of the intellectual. New York: Pantheon.

55. Saunders, M., Lewis, P., & Thornhill, A. (2019). Research methods for business students (8th ed.). Harlow: Pearson.

56. Schwartz, B. (2004). The paradox of choice: Why more is less. New York: HarperCollins.

57. Seligman, M. (1975). Helplessness: On depression, development, and death. San Francisco: W.H. Freeman.

58. Simon, H. (1971). Designing organizations for an information-rich world. In M. Greenberger (Ed.), Computers, communications, and the public interest. Baltimore: Johns Hopkins University Press.

59. Srnicek, N. (2017). Platform capitalism. Cambridge: Polity Press.

60. Sunstein, C. R. (2017). #Republic: Divided democracy in the age of social media. Princeton: Princeton University Press.

61. Toffler, A. (1970). Future shock. New York: Random House.

62. Turkle, S. (2011). Alone together: Why we expect more from technology and less from each other. New York: Basic Books.

63. Twenge, J. M. (2017). iGen: Why today's super-connected kids are growing up less rebellious, more tolerant, less happy—and completely unprepared for adulthood. New York: Atria Books.

64. Watson, G., & Glaser, E. (1980). Watson-Glaser critical thinking appraisal manual. San Antonio: Psychological Corporation.

65. Wu, T. (2016). The attention merchants: The epic scramble to get inside our heads. New York: Knopf.

66. Wylie, C. (2019). Mindf*ck: Cambridge Analytica and the plot to break America. New York: Random House.

67. Yin, R. (2014). Case study research: Design and methods. London: Sage.

68. Zuboff, S. (2019). The age of surveillance capitalism: The fight for a human future at the new frontier of power. New York: PublicAffairs.

الدوريات الأكاديمية الأجنبية

1. Bandura, A. (2006). Toward a psychology of human agency. Perspectives on Psychological Science, 1(2), pp. 164-180.

2. Bawden, D., & Robinson, L. (2009). The dark side of information: Overload, anxiety and other paradoxes and pathologies. Journal of Information Science, 35(2), 180–191.

3. Braun, V., & Clarke, V. (2006). Using thematic analysis in psychology. Qualitative Research in Psychology, 3(2), pp. 77-101.

4. Diamond, A. (2013). Executive functions. Annual Review of Psychology, 64, pp. 135- 168.

5. Felaco, C. (2025). Making sense of algorithm: Exploring TikTok users' awareness of content recommendation and moderation algorithms. International Journal of Communication, 19, 1081–1102.

6. Hutto, C. J., & Gilbert, E. (2014). VADER: A parsimonious rule-based model for sentiment analysis of social media text. In Proceedings of the Eighth International AAAI Conference on Weblogs and Social Media (ICWSM-14) (pp. 216–225).

7. Khulwa, C. A., Luthfia, A., & Aras, M. (2025). Algorithm awareness and user motivation as predictors of TikTok engagement among Generation Z in South Jakarta. Asian Journal for Public Opinion Research.

8. Loh, K., & Kanai, R. (2014). Higher media multi-tasking activity is associated with smaller gray-matter density in the anterior cingulate cortex. PLoS ONE, 9(9), e106698.

9. Maier, S. F., & Seligman, M. E. P. (2016). Learned helplessness at fifty: Insights from neuroscience. Psychological Review, 123(4), pp. 349-367.

10. Pan, Q., Lan, M., Tan, C. Y., Tao, S., Liang, Q., & Law, N. (2025). Development and validation of digital resilience scale for primary and secondary school students. BMC Psychology. https://doi.org/10.1186/s40359-025-03739-0

11. Prensky, M. (2001). Digital natives, digital immigrants. On the Horizon, 9(5), pp. 1-6.

12. Prochaska, J., & DiClemente, C. (1983). Stages and processes of self-change of smoking. Journal of Consulting and Clinical Psychology, 51(3), pp. 390-395.

13. Przybylski, A., & Weinstein, N. (2017). A large-scale test of the goldilocks hypothesis. Psychological Science, 28(2), pp. 204-215.

14. Sheeran, P., & Webb, T. L. (2016). The intention–behavior gap. Social and Personality Psychology Compass, 10(9), 503–518.

15. Vosoughi, S., Roy, D., & Aral, S. (2018). The spread of true and false news online. Science, 359(6380), pp. 1146-1151.

التقارير والوثائق الرسمية الأجنبية

1. American Psychological Association. (2017). Ethical principles of psychologists and code of conduct. Washington, DC: APA.

2. Bradshaw, S., & Howard, P. N. (2019). The global disinformation order: 2019 global inventory of organised social media manipulation. Oxford: Oxford Internet Institute.

3. Lessenski, M. (2023). The Media Literacy Index 2023. Sofia: Open Society Institute – Sofia.

4. Finnish National Agency for Education. (2024). Media literacy in Finnish education: Best practices and outcomes. Helsinki: Finnish National Agency for Education.

5. IDC. (2025). Global datasphere forecast. International Data Corporation.

6. International Telecommunication Union (ITU). (2024). Global cybersecurity index 2024. Geneva: ITU.

7. International Telecommunication Union (ITU). (2024). Measuring digital development: Facts and figures 2024. Geneva: ITU.

8. Ministry of Digital Development and Information (MDDI), Singapore. (2025, March 7). COS 2025.

9. Ministry of Law, Singapore. (2025, September 22). Issuance of correction directions under the Protection from Online Falsehoods and Manipulation Act to Mr Nicholas Tan and Aupen.

10. National Library Board, Singapore. (2023, January 4). “Be S.U.R.E., Stay Connected” with National Library Board. Library Association of Singapore.

11. S. Rajaratnam School of International Studies (RSIS). (2026, January 9). Enhancing information literacy and resilience in Singapore.

12. UNESCO. (2024). Global education monitoring report 2024: Technology in education. Paris: UNESCO Publishing.

13. UNESCO. (2021). Media and information literate citizens: Think critically, click wisely! Paris: UNESCO.

14. World Economic Forum (WEF). (2024). The global risks report 2024. Geneva: WEF.

15. World Health Organization. (2021). Global strategy on digital health 2020–2025. Geneva: WHO.

مصادر إخبارية وصحفية

1. AP News. (2026, January 4). Finland's battle against fake news starts in preschool classrooms.

2. Channel News Asia. (2025, November 17). Singapore to block access to news outlet MalaysiaNow over failure to comply with POFMA order. Channel News Asia.

3. Gulf Times. (2025, January 13). QatarDebate concludes GCC Youth Summit 2025 with key recommendations. Gulf Times.

4. Gulf Times. (2026, January 22). Qatar Media Corporation highlights Qatar's efforts to enhance role of media in addressing various issues. Gulf Times.

5. Qatar Foundation. (2025, November 24). Her Highness Sheikha Moza bint Nasser attends the launch of a national initiative to promote youth digital wellbeing at the WISE 12 Summit. Qatar Foundation News.

6. Qatar Tribune. (2025, January 20). Qatar Foundation helps shape responsible digital citizens. Qatar Tribune.

مواقع إلكترونية ومنصات رقمية

1. Misbar. The research and writing process. Misbar.com.

2. TikTok. (2025). How the For You Page algorithm works. TikTok Newsroom.

الملاحق

الملحق الأول: أداة الدراسة (الاستبيان)

استبيان المخاطر المعلوماتية وتسليع المعرفة وتأثيرها على هوية الشباب

المشارك الكريم / المشاركة الكريمة،

هذا الاستبيان جزء من بحث علمي حول المناعة الفكرية للشباب في العصر الرقمي، يهدف إلى فهم المخاطر المعلوماتية التي تواجهها، وآثارها عليك، وعلاقتها بتحويل المعرفة إلى سلعة وتشكيل الهوية الرقمية.

يستغرق الاستبيان نحو عشر دقائق. وستُستخدم جميع إجاباتك لأغراض البحث العلمي فقط، وستبقى سرية تمامًا.

شكرًا لمشاركتك القيّمة.

الباحث: أحمد هلال – البريد الإلكتروني: helalmisirgp@gmail.com

ملاحظة: يعرض هذا الملحق فقرات الاستبيان بالصياغة التي طُبّقت فعليًا في الاستبيان الإلكتروني، وهي الصياغة التي حُسبت عليها النتائج. وجميع الفقرات مصوغة في اتجاه محورها، فلم يُعكس ترميز أي منها.

أولًا: البيانات الشخصية

الرقم	السؤال	الإجابة (ضع علامة ✓)
د1	العمر	☐ 18–25 ☐ 26–35 ☐ 36–45 ☐ 46–55 ☐ 56 فأكثر
د2	الجنس	☐ ذكر ☐ أنثى
د3	المستوى التعليمي	☐ ثانوي ☐ جامعي ☐ دراسات عليا
د4	الدولة	☐ قطر ☐ السعودية ☐ الإمارات ☐ الكويت ☐ عُمان ☐ البحرين ☐ الأردن ☐ مصر ☐ المغرب ☐ تونس ☐ الجزائر ☐ لبنان ☐ فلسطين ☐ العراق ☐ ليبيا ☐ السودان ☐ اليمن ☐ أخرى (.....)
د5	متوسط ساعات استخدام الإنترنت يوميًا	☐ أقل من ساعة ☐ 1–3 ساعات ☐ 3–5 ساعات ☐ 5–7 ساعات ☐ أكثر من 7 ساعات

ملاحظة: تتداخل حدود فئات ساعات الاستخدام (مثل 3 ساعات تقع في فئتين)، ويُستحسن في التطبيقات اللاحقة صياغتها بفئات متنافية (مثل: 1 إلى أقل من 3).

ثانيا: محاور الاستبيان

الاستجابة لكل فقرة على مقياس رباعي: أبدًا (1)، نادرًا (2)، أحيانًا (3)، دائمًا (4).

المحور الأول: المخاطر المعلوماتية

الرقم	العبارة	أبدًا	نادرًا	أحيانًا	دائمًا
1	أتعرض بشكل متكرر للأخبار المزيفة أو المضللة على الإنترنت.	☐	☐	☐	☐
2	أجد صعوبة في التمييز بين المحتوى الإخباري الحقيقي والمحتوى المدعوم أو الموجه.	☐	☐	☐	☐
3	أشعر أنني مستهدف بحملات معلوماتية تهدف لتغيير آرائي أو قناعاتي.	☐	☐	☐	☐
4	أفقد الثقة في المصادر الإخبارية التقليدية بسبب انتشار الشائعات الإلكترونية.	☐	☐	☐	☐

الرقم	العبارة	أبدًا	نادرًا	أحيانًا	دائمًا
5	أشعر بالخوف من القرصنة أو تسريب بياناتي الشخصية أثناء تصفح الإنترنت.	☐	☐	☐	☐
6	أتعرض لمحتوى مسيء أو غير لائق أو يحمل خطاب كراهية.	☐	☐	☐	☐
7	أشك في صدق وموثوقية المعلومات التاريخية أو العلمية المقدمة في المنصات الرقمية.	☐	☐	☐	☐

المحور الثاني: الآثار السلبية للبيئة المعلوماتية

الرقم	العبارة	أبدًا	نادرًا	أحيانًا	دائمًا
8	أشعر بالقلق أو التوتر عند عدم متابعة آخر المستجدات والأخبار الرقمية (FOMO).	☐	☐	☐	☐
9	ألاحظ تراجعاً في قدرتي على التركيز العميق نتيجة التشتت المستمر من الإشعارات.	☐	☐	☐	☐
10	أجد نفسي أقضي وقتاً طويلاً على وسائل التواصل الاجتماعي دون هدف محدد.	☐	☐	☐	☐
11	تؤثر الآراء والتفاعلات السلبية عبر الإنترنت على حالتي المزاجية أو احترامي لذاتي.	☐	☐	☐	☐
12	أصبحت أعتمد كلياً على ملخصات أو مقاطع فيديو قصيرة لاستيعاب المعرفة المعقدة.	☐	☐	☐	☐
13	أشعر بعزلة اجتماعية حقيقية على الرغم من تواصلي المستمر عبر الإنترنت.	☐	☐	☐	☐
14	أجد أن محيطي الاجتماعي خارج الإنترنت أصبح أقل أهمية مقارنة بالتفاعلات الرقمية.	☐	☐	☐	☐

المحور الثالث: تسليع المعرفة والبيانات

الرقم	العبارة	أبدًا	نادرًا	أحيانًا	دائمًا
15	أعتقد أن معلوماتي الشخصية وسلوكياتي على الإنترنت يتم بيعها لأطراف ثالثة.	☐	☐	☐	☐
16	أجد نفسي مضطراً لدفع اشتراكات شهرية متزايدة للوصول إلى محتوى معرفي أساشي.	☐	☐	☐	☐
17	ألاحظ أن المنصات الرقمية توجهني نحو منتجات وخدمات بناءً على بياناتي الخاصة.	☐	☐	☐	☐
18	أعتقد أن جودة المعلومات المتاحة مجاناً أقل بكثير من تلك المدفوعة.	☐	☐	☐	☐
19	أشعر أن الشركات التقنية تستغل بياناتي لتصميم إعلانات مصممة خصيصاً لي.	☐	☐	☐	☐
20	أعتقد أن الهدف الرئيسي من المحتوى التعليمي المجاني هو جمع البيانات وليس نشر المعرفة.	☐	☐	☐	☐

المحور الرابع: هندسة الهوية وتأثير المنصات

الرقم	العبارة	أبدًا	نادرًا	أحيانًا	دائمًا
21	أشعر أن خوارزميات المنصات تحدد نوع المحتوى الذي يجب أن أهتم به.	☐	☐	☐	☐
22	ألاحظ تأثيراً كبيراً للمحتوى الرقمي في تغيير بعض قناعاتي الثقافية أو الاجتماعية.	☐	☐	☐	☐
23	أشعر أن هويتي الرقمية التي أظهرها على الإنترنت تختلف عن هويتي الواقعية.	☐	☐	☐	☐
24	أعتقد أن المنصات تشجعني على تبني عادات أو أنماط حياة لا تتوافق مع بيئتي الثقافية.	☐	☐	☐	☐
25	أجد صعوبة في الحفاظ على خصوصيتي وهويتي في ظل الضغط لـ 'مشاركة كل شيء'.	☐	☐	☐	☐
26	أشعر أن المنصات تحاول تشكيل آرائي السياسية أو الدينية بشكل غير مباشر.	☐	☐	☐	☐
27	أجد صعوبة في التعبير عن رأيي المخالف للتيار السائد في مساحات التفاعل الرقمي.	☐	☐	☐	☐

المحور الخامس: التصرفات الوقائية

الرقم	العبارة	أبدًا	نادرًا	أحيانًا	دائمًا
28	أتحقق دائماً من مصادر الأخبار التي أقرؤها قبل تصديقها أو مشاركتها.	☐	☐	☐	☐
29	أستخدم أدوات الحظر أو الإبلاغ ضد الحسابات التي تنشر معلومات مضللة أو ضارة.	☐	☐	☐	☐
30	أناقش المحتوى المشكوك فيه مع أشخاص موثوقين لزيادة الوعي حوله.	☐	☐	☐	☐
31	أقوم بتحديث برامج الحماية وأستخدم كلمات مرور قوية لحماية بياناتي.	☐	☐	☐	☐
32	أخصص وقتاً للبحث المعمق في مواضيع أهتم بها بدلاً من الاعتماد على العناوين السطحية.	☐	☐	☐	☐

المحور السادس: مقاومة تشكيل الهوية وتسليع المعرفة

الرقم	العبارة	أبدًا	نادرًا	أحيانًا	دائمًا
33	أستخدم أدوات لحجب التتبع (مثل مانع الإعلانات أو VPN) للحد من جمع بياناتي.	☐	☐	☐	☐
34	أرفض شراء المنتجات المعروضة عليّ من الإعلانات الموجهة بشكل مقصود لإظهار مقاومتي.	☐	☐	☐	☐
35	أقوم بمسح سجل التصفح وذاكرة التخزين المؤقت بانتظام للحد من بصمتي الرقمية.	☐	☐	☐	☐
36	أبحث عمداً عن مصادر معلوماتية مختلفة ومتناقضة لتكوين رأي شامل.	☐	☐	☐	☐
37	أضع حدوداً واضحة لوقتي المستهلك على المنصات الرقمية غير المفيدة.	☐	☐	☐	☐
38	أشارك بفعالية في أنشطة وفعاليات اجتماعية حقيقية لتقوية هويتي الواقعية.	☐	☐	☐	☐

نهاية الاستبيان

شكرًا جزيلاً على وقتك وإجاباتك الصادقة؛ ستُسهم مشاركتك في فهم أفضل لتحديات العصر الـرقمي، وتطوير حلول علمية لحماية الأفراد والمجتمعات.

الملحق الثاني: قائمة المحكّمين

حُكِّمت أداة الدراسة (الاستبيان) من قِبل نخبة من الأساتذة المتخصصين في مجالات الإعلام والعلوم السياسية، للتحقق من الصدق الظاهري وصدق المحتوى للأداة، والتأكد من مناسبة الفقرات للمحـاور التي تقيسها، ووضوح الصياغة اللغوية، وملاءمة الأداة للفئة المستهدفة.

أسماء المحكّمين:

1. الدكتور محمد الأمين – أستاذ الإعلام، جامعة قطر.
2. الدكتور سليمان صالح – أستاذ الإعلام، جامعة القاهرة.
3. الدكتور أيمن خالد – أستاذ الإعلام السياشي، العراق.
4. الدكتور سعد جبر – أستاذ الإعلام، جامعة باشن – الجزائر.
5. الدكتور عبد الله عدوي – فلسطين – أستاذ الإعلام، أكاديمية الإمام مالك، إسطنبول.

ويمكن في التطبيقات اللاحقة توثيق إجراء التحكيم (معايير الحكم، ونسب الاتفاق، والتعديلات التي أُجريت على الأداة).

الملحق الثالث: الجداول الإحصائية التفصيلية

يتضمن هذا الملحق الجداول الإحصائية التفصيلية التي لم تُعرض كاملة في متن الفصل الثـالث، وقـد حُسبت جميعها من ملف الاستجابات الأصلي (ن = 166). وكُتبت قيم الاحتمال الأقـل من (0.001) بصيغة (< 0.001).

جدول (أ-1): ارتباط كل فقرة بمحورها، والارتباط المصحح الذي يستبعد الفقرة نفسها

المحور	رقم الفقرة	الارتباط بالمحور	الارتباط المصحح
الأول	1	0.64	0.49
الأول	2	0.48	0.26
الأول	3	0.70	0.51
الأول	4	0.53	0.33
الأول	5	0.64	0.43
الأول	6	0.60	0.41
الأول	7	0.56	0.39
الثاني	8	0.50	0.29
الثاني	9	0.58	0.41
الثاني	10	0.53	0.33
الثاني	11	0.71	0.56
الثاني	12	0.62	0.43
الثاني	13	0.69	0.53
الثاني	14	0.64	0.47

المحور	رقم الفقرة	الارتباط بالمحور	الارتباط المصحح
الثالث	15	0.78	0.64
الثالث	16	0.56	0.36
الثالث	17	0.72	0.57
الثالث	18	0.66	0.49
الثالث	19	0.78	0.64
الثالث	20	0.63	0.47
الرابع	21	0.52	0.35
الرابع	22	0.50	0.32
الرابع	23	0.64	0.47
الرابع	24	0.64	0.45
الرابع	25	0.74	0.58
الرابع	26	0.67	0.50
الرابع	27	0.61	0.41
الخامس	28	0.68	0.49
الخامس	29	0.71	0.50
الخامس	30	0.74	0.57
الخامس	31	0.66	0.43
الخامس	32	0.72	0.53
السادس	33	0.57	0.34
السادس	34	0.60	0.38
السادس	35	0.66	0.47
السادس	36	0.67	0.49
السادس	37	0.65	0.47
السادس	38	0.68	0.49

جدول (أ-2): معيار تصنيف المتوسطات على المقياس الرباعي

مدى المتوسط الحسابي	المستوى
من 1.00 إلى أقل من 1.75	منخفض جدًا
من 1.75 إلى أقل من 2.50	منخفض
من 2.50 إلى أقل من 3.25	متوسط
من 3.25 إلى 4.00	مرتفع

جدول (أ-3): معيار تفسير قوة معامل الارتباط

قيمة معامل الارتباط (مطلقة)	قوة العلاقة
0.00 – 0.19	ضعيفة جدًا

قيمة معامل الارتباط (مطلقة)	قوة العلاقة
0.20 – 0.39	ضعيفة
0.40 – 0.59	متوسطة
0.60 – 0.79	قوية
0.80 – 1.00	قوية جدًا

جدول (أ-4): نتائج انحدار محور الآثار السلبية على ساعات الاستخدام والعمر والمستوى التعليمي

المتغير المستقل	معامل الانحدار المعياري (β)	قيمة (ت)	قيمة الاحتمال
ساعات الاستخدام	0.13	1.59	0.114
العمر	0.15-	1.84-	0.068
المستوى التعليمي	0.05	0.59	0.559

ملاحظة: ن = 163، $R^2 = 0.043$، $F(3، 159) = 2.38$، $p = 0.072$. ورُمِّزت ساعات الاستخدام والعمر والتعليم ترميزًا رتبيًا.